المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أمّ القرى

كلية التربية بمكة

قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الفكر التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي

المتوفى عام ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م

إعداد

الطالب/ سعيد بن محمد بن مصلح القرني

إشراف

١- الدكتور/ عبد اللطيف بن محمد بالطو

٢- الدكتور/ نجم الدين بن عبد الغفور الأنديجاني

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الأول

عام ١٤١٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل المربين من الآباء والأمهات الذين يريدون السعادة لأبنائهم في الدنيا والآخرة ، وإلى كل المعلمين والمعلمات العاملين في حقل التربية والتعليم ، والحريصين على سعادة المجتمع وتقدمه ، وإلى كل المنادين إلى الجمع بين أصالة القيم الإسلامية والمفيد من فنون العصر وعلومه ، وإلى كل من يرغب الاطلاع على صلاح الفكر الإسلامي وشموله لجميع جوانب الحياة .....

إلى كل هؤلاء أهدي هذه الثمرة المقتطفة من ثمار التربية الإسلامية ، ذات الأصول الثابتة والأهداف السامية .

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، أما بعد :

فإنني أشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه المتعددة ، وآلائه المتتابعة ، ومنها نعمة التوفيق لإتمام هذا البحث ، فله سبحانه ﷻ الحمد والشكر أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً .

ثم إنني أشكر جامعة أم القرى ممثلة في مديرها معالي الدكتور/ سهيل بن حسن قاضي ، ووكيل الجامعة سعادة الدكتور/ سلطان بن مقصود بخاري . كذلك أشكر سعادة عميد الدراسات العليا الدكتور/ أحمد بن ناصر الحمد ، ووكيل العمادة سعادة الدكتور/ صالح بن محمد السيف . وموظفيها الذين أتاحوا لنا مواصلة الدراسات العليا ، كما أشكر عميد كلية التربية بمكة المكرمة الدكتور/ عبد العزيز عبد الله خياط ، وأساتذة الكلية وموظفيها ، الذين تبنوا ذلك قولاً وعملاً ، وأتوجه ببالغ الشكر والتقدير لرئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة الدكتور/ حامد بن سالم الحربي ، ولجميع أساتذة القسم الذين ساهموا في التعليم والتوجيه واكتساب المهارات البحثية ، وأخص بالشكر والعرفان الأستاذين الفاضلين ، الدكتور/ عبد اللطيف بن محمد بالطو ، والدكتور/ نجم الدين بن عبد الغفور الأنديجاني ، اللذَيْن كان لهما الفضل بعد توفيق الله ﷻ في إنجاز هذا البحث وإتمامه ، بما أسدياه من نصح وإرشاد وتوجيه ، وما تحملاه من صبر ومتابعة مدة الإشراف على البحث ، والشكر موصولاً للأستاذين الفاضلين : الدكتور/ أحمد بن نافع المورعي ، الأستاذ بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة ، والدكتور/ عمر حسين عطار ، الأستاذ بقسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بالجامعة ، على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وإبداء آرائهما وتوجيهاتهما . كما لا يفوتني أن أشكر جميع من ساهم وساعد أثناء إعداد هذا البحث من زملاء في التدريس والدراسة ، أو أصدقاء كانت لهم مساهمات منذ أن كان البحث فكرة ، حتى أصبح عملاً متكاملاً ، جزى الله الجميع خير الجزاء ، وأجزل لهم المثوبة ، وضاعف لهم الأجر والثواب .

والحمد لله رب العالمين .

ملخص الدراسة

عنوان الدراسة : الفكر التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي

تهدف الدراسة إلى التعريف بالفكر التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي ، المتوفى عام ١٣٧٩هـ – الموافق ١٩٦٠م ، لمعرفة آرائه وأفكاره التربوية حول الإنسان والتربية ، والأسس التي بنى عليها فكره .

وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي لمعرفة الجوانب السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لعصر النورسي ومدى تأثره بها وتأثيره فيها .

كما استخدم المنهج الاستنباطي لاستخراج آراء النورسي وأفكاره التربوية حول الإنسان والتربية من خلال الاطلاع على تراثه العلمي الذي خلفه .

وتتكون الرسالة من أربعة أبواب ، هي :

الأول : مدخل عام للبحث ، ويتضمن خطة الدراسة ، والتعريف بسيرة النورسي الذاتية والعلمية ، ومعرفة جوانب عصره الذي عاشه .

الثاني : الإنسان والتربية في فكر النورسي ، ويتضمن آراء النورسي في الإنسان من حيث أصله وخلقه وكماله وسعادته وشقاوته ، إلى جانب آرائه في التربية .

الثالث : أهم الجوانب التربوية في فكر النورسي ، وتتضمن الجوانب الإيمانية والفكرية والخُلقية والاجتماعية ، ومعرفة أهم الأسس التي تبنى عليها ، والثمار التربوية لتلك الجوانب .

الرابع : عوامل نجاح التربية عند النورسي ، وتتمثل في العلم والعالم والمتعلم والمؤسسات التربوية ، وأساليب التربية ، وأهمية ذلك في واقع المؤسسات التربوية المعاصرة .

وقد أسفر البحث عن عدد من النتائج ، من أهمها :

شمول فكر النورسي التربوي ، اهتمامه بتربية جميع أفراد وطبقات المجتمع تربية إيمانية مصدرها الكتاب والسنة ، الاهتمام بتربية المرأة ؛ لأنها أستاذ الطفل الأول ، تميز فكره باستغلال السجون في الإصلاح والتربية .

كما تُوِّجَ البحثُ بعدد من التوصيات ، من أهمها : التركيز على تعليم القرآن الكريم لجميع مراحل التعليم ، المقارنة بين أفكار المفكرين المسلمين قديماً وحديثاً لتعرف نقاط القوة فيؤخذ بها ، وتعرف نقاط الضعف فتجتنب ، أهمية التنسيق بين جميع المؤسسات التربوية من حيث توحيد البرامج والأهداف ، حتى لا يضيع النشء بين البرامج المتناقضة .

الطالب	المشرف	عميد الكلية
سعيد بن محمد بن مصلح القرني	د/نجم الدين عبد الغفور الأنديجاني	د/ عبد العزيز عبد الله خياط

قائمة محتويات الرسالة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الأول : مدخل عام للبحث

الفصل الأول : التمهيدي

- المقدمة .
- موضوع البحث .
- أهمية الدراسة وأهدافها .
- تساؤلات الدراسة .
- حدود الدراسة .
- منهج الدراسة .
- مصطلحات الدراسة .
- الدراسات السابقة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، رفع منزلة العلم وأهله ، فقال : ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ العِلْمَ دَرَجَات ﴾ [سورة المجادلة : آية ١١] . وقال : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُون ﴾ [سورة الزمر : آية ٩] . والصلاة والسلام على أعظم معلم وأفضل مربٍّ عرفته البشرية محمد الهادي الأمين ، والبشير النذير – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه إلى يوم الدين – ، ربى أصحابه على العلم النافع ، والعمل الصالح ، والأخلاق الحسنة ، فنعم المربِّي ونعم المربَّون ، قال في حقه ربه ومولاه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم ﴾ [سورة القلم : آية ٤] . ووصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنه (كان خلقه القرآن) [أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب جامع صلاة الليل ، ج١ ، ص٤٣٢ ، برقم ٧٤٦] . علّم أمته ﷺ كل ما تحتاج إليه في دينها ودنياها ، قال أبو ذرّ رضي الله عنه : " لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً " [العثيمين ، ١٤١٧هـ ، ص ٩] .

أما بعد : فإن التربية ذات أهمية كبرى في حياة الأفراد والمجتمعات ، فالتقدم العلمي والرقي الحضاري منوطان بحسن التربية والتعليم ، وليس هناك سبيل آخر يُسْلَك غيرهما .

ولو قمنا بسياحة فكرية في سابق الأمم وحاضرها لرأينا صدق ذلك ، فلكل أمة ومجتمع أنماط من التربية يربّى عليها الأفراد والجماعات للوصول إلى الأهداف والمبادئ .

ولو قُصِر النظر على أحوال الأمم والمجتمعات المعاصرة لتبين مدى تأثر أفراد تلك المجتمعات بما يسود فيها من مبادئ ونظم وفلسفات أساسها التربية ، وأهدافها تختلف باختلاف الرؤى والمقاصد .

فالمجتمع الغربي الذي يقوم على أساس الحرية المطلقة للفرد وأنانيته ، أفرط في حرية الفرد حتى تجاوز الحدود المخولة لحريته ، فطغى واستبدّ على بني جنسه ، وظن أنه الأحق في التملك دون غيره ، فكانت النظرة مادية ، حتى أُطْلِقَتْ الرأسمالية على المجتمع الغربي (فَتُوَسِّعُ له في حدود فرديته ، وتترك له حرية التصرف في كثير من الأمور ، حتى يصل إلى حد إيذاء نفسه وإيذاء الآخرين ، فلا تحجر على نشاطه الزائد عن الحد ، ولا تقفه عند حد معقول يطلق لنفسه عنان الشهوات والأهواء ، ويحطم الأخلاق والتقاليد ، ولا يعترف بحق

أحد في توجيهه وضبط تصرفاته) [قطب ، ١٤٠٣هـ ، ج١، ص ١٦٢] .

والمجتمع الشيوعي الذي نبذ الأديان وحاربها متهماً إياها زوراً وبهتاناً أنها أفيون الشعوب ، إنه مجتمع يسوده الكفر والإلحاد ، ويوصف بالجبروت والطغيان وإذلال الأفراد والمجتمعات ، قُدِّسَت الجماعة على حساب الأفراد ، فأصبح الفرد ذليلاً حقيراً تحت رحمة أسواط الجماعة ونزعتهم الدموية ، والحمد لله الذي هتك ستر حجاب تربيتهم الزائف ، وأظهر عور مقاصدهم الدنية ، فَقَوَّض أركان دولتهم الملحدة ، ولكن ذلك لا يعني انتهاء الفكر الشيوعي من نفوس من تربى عليه وتتلمذ على مبادئه ، بل نسمع بين الفينة والأخرى من ينادي بالعودة إلى تطبيق الأفكار الشيوعية التي تقوم (على أساس جماعية الإنسان ، فتوسع في دائرة الجماعة – أو في الحقيقة الدولة – ، وتحجر على نشاط الأفراد ... ولا تترك لهم سبيلاً للاختيار ، وتحكمهم بالحديد والنار والتجسس) [قطب ، ١٤٠٣هـ ، ص١٦٢] .

وأما المجتمع الثالث فهو المجتمع الياباني صاحب التجربة الفريدة المعاصرة ، والتي تضمنت الجمع بين الأصالة والمعاصرة ، حيث تمسك بمبادئه وأخلاقه مع الأخذ بأسباب التقدم العلمي والتقني حتى وصل إلى مرتبة عالية أهلته للمنافسة علمياً واقتصادياً ، والتربية اليابانية فاقت في أهدافها ومحافظتها على مبادئها جميع المجتمعات المعاصرة ، وذلك بسبب التمسك القوي بالأصالة والقيم الأخلاقية في الأقوال والأفعال ، ثم الاهتمام الشديد بتربية الطفل منذ الولادة إلى دخوله المرحلة الجامعية ، (فاهتمام الوالدين بتربية أطفالهما يبدأ ويستمرّ حتى نهاية مرحلة التعليم الثانوي) [ميري ، ١٩٩١م ، ص ٣٣] .

وأما المجتمع الرابع فهو المجتمع الإسلامي الذي مرَّ بثلاث مراحل مختلفة الأهداف والمقاصد ، وهي :

١- عصر الازدهار : الذي كانت الأمة الإسلامية فيه أمة رائدة قائدة في كل المجالات المختلفة ، وذلك بفضل تمسكها بعقيدتها الصالحة الصافية النابعة من الكتاب والسنة ، مع الاستفادة مما وصل إليه الآخرون : كالإغريق ، والرومان ، والفرس ، وغيرهم في الجوانب العلمية الإيجابية . وبذلك قطفوا ثمار الجمع بين الأصالة والمعاصرة في عزة وعدم تبعية ، فالاعتزاز بالدين والتمسك بأصالة الأخلاق والعادات والتقاليد السليمة عنصر مهم عند النقل والاقتباس والترجمة لما عند الغير ، كما كان حال الجيل الأول (الذي لم يكن يملك من أشكال الحضارة المادية والتنظيمية إلا القدر الأدنى ، وهو أعظم أجيال البشرية قاطبة) [قطب ١٤٠٧هـ ، ص ١٠٢] . وقد عاش أفراده في عزة وعدم ذلة أو تبعية لأحد ، لأنهم تمثلوا قول الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَهِنُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٣٩] . وقوله : ﴿ **وَ للهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِين** ﴾ [سورة المنافقون : آية ٨] .

٢- عصر الجمود الفكري والتخلف الحضاري : إن هبوط الأمة الإسلامية من الذروة إلى الحضيض ، ومن العزة إلى الذلة ، جعل المسلم المتتبع لأحوال المسلمين في الماضي الزاهر ، ثم مقارنته بالحاضر المتخلف عن ركب الحضارة والتقدم يتساءل عن الأسباب لكلا الحالين ! والجواب - بلا شك - في كتب السلف الذين خاضوا غمار ذلك الماضي بما خلفوه من علم نافع مفيد ، كان نتيجة لعمل صالح دءوب ، ونية حسنة مخلصة ، مبنية على تربية سليمة كاملة تستمد أهدافها ومقاصدها من الكتاب والسنة ، إلا أن الأمة (لم تحافظ على هذا المستوى الفذ الذي مارسته طيلة حياة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده) [قطب ، ١٤٠٧هـ ، ص ١١١] . ومن هنا فإن الناظر يلحظ أسباب الجمود والانحدار ، أنه بلا شك ولا ريب الابتعاد عن هذين المصدرين الصافيين الأصليين ، ونتيجة حتمية لإهمال التربية أو اعوجاج مسارها الصحيح إلى مسار تأباه الفطر السليمة ، وترده العقول الصحيحة المتنورة بنور الدين الإسلامي الكامل الشامل لجميع جوانب الحياة والذي بسبب الابتعاد عنه كان تخلف الأمة في فكرها وحضارتها ، وأصبحت تسبح في بحر مظلم متلاطم الأمواج ، لا تعرف للنجاة منه سبيلاً إلا باللجوء إلى سواحل تربية الغرب أو الشرق والتي انكشف الغطاء عنها ، فأصبحت كالسراب الذي لا حقيقة له ، كما قال الله تعالى واصفاً حالهم : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ، حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ، وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ، وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ** ﴾ [سورة النور : آية ٣٩] .

٣- عصر الصحوة من الغفلة : إن الأصول الأساسية التي أوصلت الأمة الإسلامية في عصر الازدهار إلى التقدم والرقي واستلام زمام الريادة والقيادة لجميع مناحي الحياة لا زالت بين أظهرنا تنادي بالتوبة والرجوع إلى الحق والصواب ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا** ﴾ [سورة التحريم : آية ٨] .

نعم ، إن الكتاب والسنة لا زالا بين أظهرنا لم يلحقهما أي تغيير ولا تبديل بحفظ الله تبارك وتعالى ، وما لحق الأمة الإسلامية في عصر الانحطاط قد عُرِف سببه ، وبهذا وذاك فإنه قد لاح في الأفق بريق أمل يرجى له التوفيق والنجاح ، إنه مناداة كثير من العلماء والكتّاب والمثقفين لأبناء الأمة بالرجوع الصادق إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، واتفقوا جميعاً أنه لا نجاة ولا خروج لهذه الأمة مما هي فيه إلا بذلك ، وأن التبعية العلمية والتربوية لكل ما لدى الشرق والغرب سمّ زعاف تجرعت الأمة ضرره ، وسيستمر إن لم تَصْحُ من غفلتها وتبعيتها ، ولقد ظهر صدى تلك المناداة ، والمتمثل في إقبال كثير من أفراد المجتمعات الإسلامية على الكتاب والسنة دراسة وحفظاً وتطبيقاً ، يربّون عليهما أنفسهم وغيرهم من أبناء الأمة ، مع وعيهم بضرورة الجمع بين الأصالة والمعاصرة ، فلا تعارض بين الدين

والعلم ، فالتمسك بتعاليم الدين الإسلامية مع الأخذ من علوم الآخرين أمر متفق عليه بشرط التمحيص والانتقاء . والأصالة في الفكر الإسلامي تعني ربط القديم بالجديد ، مع مقاومة الذلة والهوان والتبعية للغير .

ولا شك أن عصر الصحوة هذا كان له جذور لم تنقطع على مرّ العصور وفي مختلف البلدان ، فنجد في كل عصر وفي كل مجتمع من المجتمعات الإسلامية من ينادي بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع الأخذ من النافع وترك الضار ، وفي نفس الوقت يحذر من الانبهار لما عند الغير أو التبعية لهم ، ومن هؤلاء ، الداعية الزاهد / بديع الزمان سعيد النورسي المتوفى سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م ، الذي واكب عصره عصر الانبهار بالحضارة الغربية والتبعية المحضة بدون تمييز ولا تمحيص ، وكذلك المناداة بفصل الدين عن التربية والتعليم ، (زيادة على تدريس اللادينية في المدارس ، والهجوم على القرآن الكريم والرسول ﷺ علناً في مناهجها) [عبد الحميد ١٤١٤هـ ، ص ٦٨] ، مما جعله ينظر يمنة ويسرة فلم يجد مخرجاً من ذلك إلا بترك الدنيا وملذاتها ، ثم الوقوف ضد أعداء الملة والدّين ، فنذر حياته لتربية الأجيال ، وأخذ يلقي الدروس العلمية ، ويؤلف الرسائل المتنوعة ، ويطالب بفتح مدارس وجامعات إسلامية تجمع بين علوم الشريعة والعلوم الحديثة ، ويحذر من الانبهار بالحضارة الأوربية ، ومن تخطيط الأعداء في الداخل والخارج ، ولكن لا حياة لمن ينادي ، حيث وقع ما حذر منه ، والذي تمثل في إقصاء السلطة العثمانية عن الحكم وتسليمه إلى أعداء الإسلام والمسلمين من أفراخ العلمانيين والماسونيين ، أمثال مصطفى كمال أتاتورك وأتباعه وأعوانه ، فأخذوا يحاربون الدين واللغة العربية وكل مظاهر الأخلاق والفضيلة ، بما في ذلك محاربة الدعاة والمصلحين ، وعلى رأسهم النورسي رحمه الله تعالى ، حيث سُجن ونُفي وعُذّب ، ولكن ذلك كله لم يفت من عضده وعزمه ، بل زاده صلابة وعزة وتمسكاً بتعاليم الدين الإسلامي والدعوة إليه ومحاربة أعدائه ، ومن ثم دعوة طلابه وغيرهم إلى التمسك بالدين وأحكامه ، والصبر والاحتساب ، وعدم أذية الآخرين أو الانتقاص من حقوقهم ، مما جعل الكثير من الناس يقبل على رسائله ويتتلمذ عليها ، فكثر الأتباع ، واندحر الأعداء بفضل الله ورحمته .

ونظراً لأهمية معرفة الجوانب الفكرية عند المفكرين المسلمين على مرّ العصور والأزمان ، ومن ثم الاستفادة منها في حاضر الأمة ومستقبلها ، ولأن لهذا التوجه الموفق - بإذن الله تعالى - إيجابيات كثيرة تعود على التربية وأساليبها وأهدافها بالخير والنماء ، وأن الفكر التربوي الإسلامي المستنير بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ سيكون من المصادر التي تعمل على تصحيح التربية الحديثة ، والعودة بها إلى بر الأمان ، حتى تأخذ الأمة المكانة اللائقة بها ، ولهذا وذاك رأى الباحث أن يسهم في استخلاص الفكر التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي ، وذلك من خلال رسائله ومؤلفاته التي تسمى رسائل النور ، وتضمنت أفكاره وآراءه التربوية والعلمية حتى تتم الفائدة بإذن الله تعالى بعد تمييز فكره التربوي عن غيره من أفكاره المتعددة في جوانب رسائله ومؤلفاته .

والباحث يسأل الله تعالى العون والتوفيق والسداد في القول والعمل إنه سميع عليم قدير ، والحمد لله رب العالمين .

موضوع البحث

الفكر الإسلامي الذي يجمع بين الأصالة في التمسك بتعاليم وأحكام الدين الإسلامي ، والمعاصرة بالأخذ من كل جديد مفيد ، مع التمحيص والانتقاء ، هو مصدر شامل ومفيد للتربية والتعليم .

والنورسي من خلال القراءة المتأنية في رسائله المسماة برسائل النور ، والتي تربو على مائة وثلاثين رسالة ومؤلف ، اتضح أنه مفكر إسلامي ، وداعية محتسب ، وزاهد ورع ، ومصلح اجتماعي لا يريد إلا الله والدار الآخرة ، ثم سعادة الأمة في دينها ودنياها ، ولذلك رأى الباحث أن يساهم في استخلاص جوانب فكره التربوي المتعددة ، ومن ثم صياغتها في قوالب تربوية مفيدة بإذن الله تعالى ؛ لأن تلك الأفكار والآراء لا زالت مبثوثة في ثنايا رسائله . واختار موضوعاً لبحثه أسماه (الفكر التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي) ، ليقوم من خلاله بجمع وتنظيم وترتيب تلك الأفكار والآراء ، حتى تكون أفضل فائدة ، وأشمل نفعاً ، وخاصة أن النورسي ركز في جميع رسائله على الإيمان ، واعتبره صمّام الأمان لحياة الدنيا والآخرة ، وأس حياة القلوب والأرواح والعقول ، وسرّ سعادة المجتمعات وتقدمها ، وأنه لا حياة ولا تقدم ولا رقي للأمة إلا بالرجوع إلى كتاب ربها وسنة رسولها ﷺ ، واعتماد أحكامهما في مناحي الحياة ، وخاصة في مجال التربية والتعليم .

أهمية الدراسة

للتراث الذي خلفه الآباء والأجداد قيمة كبيرة في جميع المجالات ، ولا يتمّ التعرف عليه إلا عن طريق البحث والمتابعة . وإن أهم جوانب ذلك التراث : الجانب التربوي ، لخطورته ، وللحاجة القائمة لتأصيل التربية والتعليم ، والعودة بها إلى الأصول الثابتة المتينة – الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح – ، وذلك ليتعرف الأبناء على جوانب القصور في حاضرهم ، ويشخصون الداء حتى يعرفوا الدواء المتمثل في العودة إلى سالف عهد هذه الأمة ، وأنه لا فلاح ولا عزة لهم إلا بذلك ، ثم بناء مستقبل مشرق يجمع بين القديم المفيد ، والجديد المنتقى ، ولا يكون ذلك إلا بالتعرف على ما خلفه العلماء والمربّون والمصلحون المسلمون من فكر تربوي سليم ، وذلك من خلال البحث والتتبع لما في كتبهم وآثارهم .

أهداف الدراسة

تم اختيار الموضوع ليحقق أهدافاً من أهمها

١– التعريف بالنورسي من خلال آثاره وسيرته وعصره الذي عاش فيه .
٢– التعرف على الجوانب الفكرية التربوية المختلفة في فكر النورسي .
٣– التعرف على مدى تطابق الفكر التربوي عند النورسي مع توجيهات الكتاب والسنة .
٤– الإسهام في التعريف بشمول الفكر التربوي الإسلامي عند المفكرين المسلمين .
٥– التعرف على بعض المضامين التربوية في فكر النورسي التي يمكن الاستفادة منها في التربية المعاصرة .

تساؤلات الدراسة

هذه الدراسة تحاول الإجابة عن التساؤل الآتي :

– ما الفكر التربوي عند بديع الزمان سعيد النورسي ؟.

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيسي تساؤلات فرعية أخرى ، هي :

١– ما مدى تأثير سيرة النورسي وعصره الذي عاش فيه على فكره بعامة وفكره التربوي بخاصة ؟.
٢– ما الجوانب التربوية في فكر النورسي ؟.
٣– ما مدى تأثر الفكر التربوي عند النورسي بما في الكتاب والسنة من توجيهات ؟.
٤– ما مدى استفادة التربية المعاصرة من الفكر التربوي عند النورسي ؟.

حدود الدراسة

سيقتصر الباحث على دراسة رسائل النور التي ألفها النورسي أثناء حياته ، والتي بلغت مائة وثلاثين رسالة ، مع النظر في الكتب التي تحدثت عن النورسي من حيث : حياته ، وفكره ، وعصره ، ومن ثَمّ التركيز على جوانب فكره التربوي فقط .

١- المنهج التاريخي : وهو الذي يهتم بالماضي وما حدث فيه ، كما قال الله تعالى : ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون** ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٧٦] . وقال : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَاب** ﴾ [سورة يوسف : آية ١١١] . (فهو الذي يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ، ولا يقف عند مجرد الوصف ، وإنما يدرس هذه الوقائع والأحداث ويحللها ويفسرها على أسس منهجية علمية دقيقة بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات لا تساعدنا على فهم الماضي فحسب ، وإنما تساعدنا أيضاً في فهم الحاضر) [جابر وزميله ، ١٩٧٨م ، ص ١٠٤] .

والدراسة تتعلق بمفكر عاش في الماضي وتأثر بما جرى في عصره ، وسيحاول الباحث استخدام هذا المنهج لمعرفة سيرته ، ومن ثم تتبع الفترة التي عاش فيها ؛ لمعرفة الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة في عصره ، ثم مدى تأثر فكره بها وتأثيره هو فيها ، ويتم ذلك من خلال ما كتب عن هذا العصر ، وبخاصة ما كتب عن النورسي رحمه الله تعالى .

٢- المنهج الاستنباطي : وأهميته تكمن في استخلاص جوانب الفكر التربوي من الكتب التي تحتوي على تلك الأفكار والمفاهيم ، وخاصة في مجال التربية الإسلامية ، وذلك باستنباط الأفكار التربوية وتحليلها ، ثم الوصول إلى مبادئ ومفاهيم تربوية مفيدة ، فهو إذاً (الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة) [عبد الله ، وزميله ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م ، ص ٤٢] .

فالمنهج الاستنباطي يفيد الباحث هنا على استنباط المفاهيم والأفكار التربوية من رسائل وكتب النورسي ، ومن ثم القيام بدراستها وتحليلها وصياغتها بإذن الله تعالى في جوانب فكرية تربوية إسلامية مفيدة .

مصطلحات الدراسة

١- **الأصالة** : معناها كما ورد في معاجم اللغة العربية ، ففي لسان العرب ، تعود إلى أصْل ، وجمعه أصول ، وهو أسفل كل شيء ، يقال : اسْتَأْصَلَت الشجرة : أي ثبت أصلها ، والنخل بأرضنا لأصيلٌ .. أي لا يزال ولا يفنى ، ورجل أصيل : أي ثابت الرأي عاقل ، ورأي أصيل ومجد أصيل : أي ذو أصالة . [ابن منظور ، ١٣٧٥هـ ، ج١١ ، ص١٦].

وفي المعجم الوسيط ، أصُلَ أصالةً ، ثبت وقوي ، وأصَّلَ الشيءَ ، جعل له أصلاً ثابتاً يبنى عليه ، والأصالة في الرأي جودته ، وفي الأسلوب ابتكاره ، وفي النسب عراقته ، وأصْلُ الشيء أساسه الذي يقوم عليه ، ومنشؤه الذي ينبت منه . [مجمع اللغة ، د.ت ، ج١، ص ٢٠] .

والأصالة : هي ما يُبنى عليها غيرها ، ولا تبنى هي على غيرها . [الجرجاني ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢٨] .

ويقصد **بالأصالة** في هذا البحث الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدي السلف الصالح ، واعتماد ذلك مصادر أساسية لجميع جوانب التربية الإسلامية .

٢- **المعاصرة** : وهي كما وردت في المعاجم تعود إلى كلمة عصر ، ويقال : عاصر فلاناً أي لجأ إليه ولاذ به وعاشا في عصر واحد ، والعصر بمعنى : الوقت والدهر والزمن ، وينسب إلى ملك أو دولة أو إلى تطورات طبيعية أو اجتماعية ، ويقال في التاريخ : العصر القديم والمتوسط والحديث . [مجمع اللغة ، د.ت ، ج٢ ، ص ٦٠٤] .

والمعاصرة : يقصد بها مواكبة العصر ومعايشته ، فلكل عصر عصريته . [حسن ، ١٤١٢هـ ، ص ٦٧] .

ويقصد **بالمعاصرة** هنا : الأخذ من الأفكار والعلوم الحديثة المفيدة تلبية للأفكار التربوية حسب حاجات العصر لتستطيع مواجهة التحديات المعاصرة التي تظهر في هذا العصر .

الدراسات السابقة :

داعية مجاهد ، ومفكر زاهد مثل النورسي ، يفترض أن يكون ذا شهرة كبيرة لدى قطاع كبير من المسلمين ، كغيره من أصحاب الفكر والتربية في التاريخ الإسلامي ، ولكن العكس هو ما كان ، إلا لدى أفراد قلائل ممن لهم اهتمام بالفكر والتربية ، وخاصة في البلاد المجاورة لتركيا ، ولكن طلاب النورسي فطنوا لهذا ، فأخذوا يترجمون رسائله إلى اللغة العربية ، ويعرفون به ، وخاصة بين أبناء المسلمين ، وبالذات في الأقطار العربية ، فأخذ بعض المهتمين بالفكر والتربية يتناولون جوانب مضيئة من حياة النورسي وسيرته العلمية والعملية ، مع التعريف ببعض جوانب فكره وتراثه العلمي ، فأُلِّفت في ذلك العديد من الكتب ، وسجلت بعض الرسائل العلمية التي تناولت بالدراسة والتحليل بعض جوانب فكره الشامل ، بالإضافة إلى ما أسهمت به عدد من المجلات في التعريف بالرجل وفكره ، بل كان لعدد من المؤتمرات التي أقامها طلاب النورسي للتعريف بشيخهم وفكره جانب كبير في إضفاء صبغة العالمية على تراثه وفكره ، ولذا رأى الباحث أن يقسم الدراسات السابقة عن شخصية البحث إلى الأقسام التالية :

القسم الأول : الدراسات العلمية ، وتتضمن نوعين من الدراسات :

١- الكتب المؤلفة التي تناول مؤلفوها التعريف بالنورسي من خلال سيرة حياته وعصره الذي عاش فيه ، ودعوته ، وما لاقاه من صنوف العذاب في سبيل ذلك ، مع التطرق إلى جوانب من فكره العام في صور مختصرة معبرة ، وما بين إجمال لبعض الجوانب وإسهاب في جوانب أخرى ، ومن أهم هذه الكتب ما يلي :

١/ كتاب - سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان ، للأستاذ/ أديب إبراهيم الدباغ ، ويقع في حوالي ١٨٠ صفحة من الحجم المتوسط ، ويضم خمسة فصول ، أهمها الفصل الرابع بعنوان : قراءات في فكر النورسي .

٢/ كتاب - مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي ، للأستاذ/ أديب إبراهيم الدباغ ، ويقع في حوالي ١٦٧ صفحة من الحجم المتوسط ، واهتم كثيراً بجوانب مهمة في فكر النورسي ، ومن أهمها : الفكر والمنهج عند النورسي ، ونظرية المعرفة عند النورسي ، ومناحي الفكر الإيماني عند النورسي .

٣/ كتاب - النورسي متكلم العصر الحديث ، للدكتور/ محسن عبد الحميد ، ويقع

في حوالي ٢٥٠ صفحة من الحجم المتوسط ، ويشتمل على عشرة فصول ، من أهمها : الفصل الثاني ، الذي أبان بموجبه ملامح العصر الحديث ومواجهة النورسي ، ثم الفصل الثالث ، والذي شرح بموجبه علم الكلام الجديد عند النورسي ، مع بيان طرق المعرفة في فكره ، ثم الفصل العاشر الذي أوضح موقف النورسي من التغيير الاجتماعي .

٤/ كتاب – سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة ، للأستاذ/ أورخان محمد علي ، ويقع في حوالي ٣١٠ صفحات من الحجم المتوسط ، ويشتمل على عشرة فصول ، تتحدث جميعها عن سيرة النورسي من الولادة إلى الوفاة ، وما لاقاه في حياته من المشقة والمتاعب ، مع بيان مواقفه المشرفة أثناء رحلة المحنة والاختبار .

٥/ كتاب – بديع الزمان سعيد النورسي ، نظرة عامة عن حياته وآثاره ، للأستاذ/ إحسان قاسم الصالحي ، ويقع في حوالي ٢٧٠ صفحة من الحجم المتوسط ، ويشتمل على ثلاثة فصول ، تتحدث عن حياة النورسي وآثاره العلمية والعملية ، مع التعريف برسائل النور .

٦/ كتاب – منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي ، للأستاذ/ عبد الله محمود الطنطاوي ، ويقع في حوالي ١٦٠ صفحة من الحجم الصغير ، وهو من أهم الدراسات التي تناولت منهج النورسي الإصلاحي في التغيير ، وبيان أسلوبه المتميز في التعامل مع مخالفيه من مختلف الطوائف ، وعلى اختلاف آرائهم وأفكارهم وبيان الأبعاد الفكرية والاجتماعية والسياسية لدعوته .

٢– الرسائل العلمية :

لم يعثر الباحث إلا على رسالة دكتوراه بعنوان : " الفكر الأدبي والديني عند الشيخ سعيد النورسي " تقدم بها : سمير رجب محمد إلى كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٩٨٤م لنيل درجة الدكتوراه ، وتضم الرسالة المقدمة ، وثلاثة أبواب ، وتحت كل باب عدد من الفصول ، ومجمل فصول الرسالة تتحدث عن سيرة النورسي وعصره الذي عاش فيه ، ومكانته العلمية ، والتيارات الفكرية المعاصرة له ، ثم ركز على منهجه الأدبي ودعوته الإسلامية التي أثّرت تأثيراً كبيراً في حياة المجتمع التركي من خلال آرائه ومؤلفاته وخطبه ، وانتهى الباحث إلى القول بأن النورسي دعا إلى التمسك بأسس الدين الإسلامي ، وتوضيح هذه الأسس تحت ضوء التطورات المعاصرة الحديثة ، ثم أصدر حكمه على أن النورسي جمع بين الفكر والعلم مع السعي إلى نشرهما في عزة وعدم تبعية لأحد ،

مما جعل الكثير يقبل عليه ويتتلمذ على رسائله .

وقد ركزت الرسالة على الجوانب الأدبية في فكر النورسي ، ولم تتطرق إلى الجوانب الفكرية التربوية التي يهدف الباحث هنا إلى استنباطها من رسائل النور - بإذن الله تعالى - .

القسم الثاني : المؤتمرات والندوات التي تناولت حياة النورسي وفكره :

١- المؤتمرات :

اتخذ طلاب النورسي طريقة جيدة تهدف إلى زيادة التعريف بحياة شيخهم وآثاره العلمية والفكرية والتربوية ، فأخذوا يقيمون المؤتمرات المتتالية التي تعرف بالنورسي عالمياً من خلال دعوتهم لعدد كبير من المفكرين والدعاة من داخل تركيا وخارجها . ومن أهم تلك المؤتمرات : المؤتمر الثالث الذي عقد خلال الفترة ٢٤-١٩٩٥/٩/٢٦م بعنوان " تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي " ، حيث شارك ما يقارب ٥٨ شخصاً ببحوث تعرف في مجملها بالنورسي وفكره ، جمعت في مؤلف واحد نشر باللغة العربية ، ولكن بالاطلاع على هذه البحوث وغيرها رأى الباحث أن مجمل آراء المشاركين لا تتحدث عن الجوانب الفكرية التربوية التي يريد الباحث استنباطها من رسائل النور ، إلا بشيء يسير من خلال فقرات البحث .

٢- الندوات العلمية :

وتمثلت في ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ، التي أقامها مكتب التربية العربي لدول الخليج في البحرين خلال الفترة ٣-١٤٠٥/٦/٦هـ ، وشارك فيها عدد من العلماء والمفكرين ، كان من بينهم الدكتور/ طالب ألب ، الذي قدم بحثاً بعنوان " بديع الزمان والحركة النورسية " عرف من خلاله بحياة النورسي ورسائله وفكره وطلابه .

والباحث هنا سيركز على أهم الجوانب التربوية في فكر النورسي بشكل موسع يتناول فيها شمولية فكره وتعدد آرائه ، بالإضافة إلى التعريف بسيرته الذاتية ، والعلمية ، وإظهار الملامح السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لعصره الذي عاشه ، وكان لها تأثير في فكره ، وكان له تأثير فيها .

الباب الأول : مدخل عام للبحث

الفصل الثاني : سيرة حياة بديع الزمان سعيد النورسي

المبحث الأول : اسمه ولقبه .

المبحث الثاني : تاريخ ومكان ولادته .

المبحث الثالث : حياته العلمية .

المبحث الرابع : عبادته وجهاده وخلقه .

المبحث الخامس : خصائص دعوته الإصلاحية .

المبحث السادس : وفاته ودفنه .

الفصل الثاني
سيرة حياة بديع الزمان سعيد النورسي

تمهيد :

إن معرفة سيرة حياة الدعاة والمصلحين والمفكرين وغيرهم مهمة في عملية البحث عن علمهم وفكرهم ومقاصدهم التي كانوا يرمون الوصول إليها أثناء حياتهم العلمية والعملية ، وشخصية البحث واحد من أولئك الدعاة المصلحين المفكرين ، له جهود علمية وفكرية وتربوية ، ولا يمكن التعرف عليها إلا من خلال معرفة سيرته وما خلفه من تراث علمي وتربوي ، والنورسي كانت حياته مليئة بالأحداث والمتاعب منذ ولادته وحتى وفاته ، فقد عاصر قيادتين متناقضتين في الأهداف والمبادئ : الأولى الدولة العثمانية ذات الخلافة الإسلامية ، وخاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، الذي كانت له مواقف مشرفة تجاه المسلمين وأوطانهم في حمايتها والدفاع عنها من عدوان المعتدين ، ورفض البيع لأي جزء منها ، والقيادة الثانية : تمثلت في جمعية الإتحاد والترقي وما نتج عنها من إقصاء الخلافة الإسلامية ، وإقامة الدولة العلمانية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك وأتباعه الذين عملوا على محاربة الله ورسوله ، وأئمة المسلمين وعامتهم ، ثم تغيير جميع مظاهر الدين الإسلامي في تركيا بما فيها اللغة العربية (وفرض الحياة الغربية على الأمة فرضاً ، وقننها قانوناً ، وجعل مخالفتها جريمة يعاقب عليها صاحبها بأشد العقوبات ، واستبدل الحروف العربية حروفاً لاتينية ، وحوّل الأذان الشرعي إلى الأذان باللغة التركية) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ١٤] ، ولكن مع ذلك صَمَد النورسي أمام هذه الأمواج العاتية مستعيناً بالله معتمداً على كتاب الله ، فوجه أبناء الأمة وأرشدهم وعلّمهم ورباهم ، وخاطر بحياته في سبيل ذلك ، وكان مع ذلك زاهداً ورعاً ذا خلق وعبادة وشجاعة ، وأقام دعوته على أسس ثابتة من الكتاب والسنة وسلف الأمة ، وبالرجوع إلى مؤلفاته وما كتب عنه دوّن الباحث سيرته من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : اسمه ولقبه .

برجوع الباحث إلى المراجع التي تحدثت عن سيرة النورسي وَجَدَ الاسم واللقب كالتالي :

١- الاسم : هو (سعيد بن ميرزا علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا[1] رشاد ، وهو كردي الأصل) [الملازكردي ، ١٤٠٣هـ ، ص ٤٩] .

---

(١) تعني سيد باللغة التركية (محمد ، ١٩٨٦م ، ص ١٨) .

٢- **اللقب** : اشتهر النورسي بألقاب ثلاثة : هي :

أ) **بديع الزمان** : وهو الأكثر شهرة بين الناس وفي أثناء حياته وبعد موته ، وسبب إطلاقه عليه كما تحدثت المصادر أنه بعد اجتماعه ببعض أساتذة العلوم الحديثة ، شعرَ بقصور في هذه العلوم ، مما جعله يُقبِل على تعلمها بإخلاص وجدٍ حتى فاق المختصين فيها ، (ففي مدة قصيرة جداً استطاع أن يُتقِن الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة ، والتاريخ والجغرافية وغيرها ، ولتعدد قابليته ، ولذكائه الخارق قد ذاعت شهرته ، وأُطلِق عليه لقب " بديع الزمان ") [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٢٤] .

ب) **سعيد المشهور** : وسبب إطلاقه عليه أنه عندما ذهب إلى مدينة (سِعْرِد) وحضر دروس الشيخ (فتح الله أفندي) وأخذ الشيخ يسأله عن عدد من الكتب المتنوعة في العلوم والفنون هل قرأها ، ويجيبه بأنه قرأها كاملة ، فأخذ الشيخ يلقي عليه عدداً من الأسئلة ، فيجيب عليها دون تردد ، وبعد أن تبين له ذكاءه الخارق ! دفع إليه بعض الكتب ليرى مدى قوة حفظه ، وبعد أن أعجب به الشيخ (لم يلبث أن انتشرت شهرة هذا الشاب الخارق ، فأقبل عليه علماء المدينة يجادلونه ، ويحاولون إحراجه بأسئلتهم ، وقد أفحمهم جميعاً ، مما جعلهم يطلقون عليه " سعيد المشهور ") [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٢٣] .

جـ) **سعيد القديم وسعيد الجديد** : وهما لقبان لهما مدلولهما في حياة النورسي التي تنقسم إلى فترتين متباينتين اكتنفت حياته ، وذلك عندما كان منشغلاً بالسياسة والحضارة الأوروبية وما فيها من فنون وعلوم فلسفية ، ثم التحول عنها وعدم الانشغال بها ، والتركيز على حقائق الإيمان وغرسه في نفوس أفراد المجتمع لحاجتهم إلى ذلك ، ولذلك قال : (حينما سار سعيد الجديد في طريق التأمل والتفكر ، انقلبت تلك العلوم الأوربية الفلسفية وفنونها التي كانت مستقرة إلى حد ما في أفكار (سعيد القديم) إلى أمراض قلبية ، نشأت منها مصاعب ومعضلات كثيرة في تلك السياحة القلبية ، فما كان من (سعيد الجديد) إلا القيام بتمحيص فكره ، والعمل على نفضه من أدران الفلسفة المزخرفة ولوثات الحضارة السفيهة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٧٦] .

وقال في موضع آخر : (على الرغم من أن (سعيد القديم) قد توغل كثيراً في الأمور السياسية ، وأن (سعيداً الجديد) بحاجة إلى من يسنده وينحاز إليه كثيراً ، لم تشغله أعاصير السياسة أصلاً وقطعاً ، و لم تغلبه بتحريك الفضول لديه للاهتمام حتى بمعرفة هذا الطوفان البشري الجارف الذي أشغل البشرية قاطبة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٥٦] .

ويلاحظ هنا أنه هو الذي أطلق هذين اللقبين على نفسه ليميز بهما بين فترتي حياته .

المبحث الثاني : تاريخ ومكان ولادته .

اتفقت جميع المصادر التي توفرت لدى الباحث وتحدثت عن سيرة بديع الزمان النورسي أن مكان ولادته كان (في قرية (نَوْرس) ، وهي إحدى قرى قضاء خيزان التابع لولاية (بتليس) شرق الأناضول) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ١٩][1] ، وهي إحدى ولايات الدولة العثمانية في تركيا .

وأما تاريخ ميلاده فقد اختلفت المصادر التي تحدثت عن ذلك ، فبعضها أشار إلى أنه في عام ١٢٩٠هـ ، والبعض الآخر إلى أنه في عام ١٢٩٢هـ ، والثالث في عام ١٢٩٣هـ ، والرابع أنه في عام ١٢٩٤هـ ، وبعد البحث في هذه المصادر والجمع بين الأقوال ترجح لدى الباحث أنه في عام ١٢٩٠هـ ، وذلك للأسباب التالية :

١- أن أغلب المصادر دونت تاريخ الميلاد بالتاريخين : الهجري والميلادي ، فاتفقت في الميلادي واختلفت في الهجري .

٢- رجع الباحث إلى المصادر التي قارنت بين التاريخين : الهجري والميلادي ، فوجد أن عام ١٨٧٣م يوافق عام ١٢٩٠هـ[2] .

٣- كل المصادر التي دونت التاريخ بعام ١٢٩٠هـ ذكرت الشهر الذي ولد فيه ، وغيرها لم تذكر[3] .

---

(١) انظر : (عبد الحميد ، ١٤١٤هـ) و (الوكيل ، ١٤١٤هـ) و (عبد ربه ، ١٤٠٦هـ) و (علي ، ١٤١٦هـ) .

(٢) انظر : (شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ملحق بآخر كتاب التاريخ الإسلامي ، العهد العثماني) .

(٣) انظر : (عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٩٨) و (الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٦٤) .

٤- في رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الباحث (سمير رجب محمد) إلى كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٩٨٤م بعنوان **الفكر الأدبي والديني عند الشيخ سعيد النورسي** ، ذكر أنه يرجح عام ١٢٩٠م لأنه ورد في كتاب أعده طلابه ، وقد راجعه النورسي بنفسه ، ويتحدث عن تاريخ حياته هو . [محمد ، ١٩٨٦م ، ص ١٨] .

٥- في ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر التي عقدها مكتب التربية العربية لدول الخليج في البحرين بتاريخ ٣-٦/٦/١٤٠٥هـ ، قدم الدكتور طالب ألب بحثاً بعنوان **بديع الزمان والحركة النورسية** ، ذكر فيه تاريخ ميلاد النورسي بأنه كان في عام ١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م .

المبحث الثالث : حياته العلمية .

حياة بديع الزمان النورسي رحمه الله مليئة بالحرص على طلب العلم منذ الصغر ، مع إتقانه ومحاولة الجمع بين فنون شتى من أنواع العلوم والمعارف ذات الأصالة الإسلامية ، كالقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، واللغة العربية ، وأصول الفقه ، وما اتصل بها من العلوم الأخرى ، وعلوم حديثة معاصرة ، كالفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والرياضيات والفلك والفلسفة وغيرها ، وهنا رأى الباحث التعريف بحياته العلمية من خلال مراحل طلبه للعلم ، وأقوال العلماء فيه ، ثم التعريف بمؤلفاته ، وطلابه الذين تتلمذوا عليه مباشرة ، أو على مؤلفاته في حياته أو بعد مماته ، لأهمية ذلك في جوانب حياته التربوية وفي فكره الذي أسسه على العلم والمعرفة .

١- طلبه للعلم :

على الرغم من أن أسرة النورسي كانت تشتغل بالفلاحة ، إلا أنها كانت تهتم بالعلم والعلماء (حيث كان والده يستضيف علماء قريته وتدور بينهم مناقشات في مسائل علمية عديدة ، وكان النورسي يحضر هذه المجالس ويسمع ما يدور فيها من مباحثات ومناقشات رغم صغر سنه ، وكان مولعاً بالسؤال والاستطلاع لكل ما خَفِي عليه فَهمُه ، مما دفعه إلى الالتحاق بكتّاب قرية (طاغ) آخذاً أول علومه على يد الشيخ (محمد أفندي) ، وذلك عام ١٨٨٢م - ١٣٠٠هـ ، وكان عمره ما يقارب عشر سنوات ، ولم يكتفِ بذلك ، بل كان يتلقى على أخيه الكبير (الملا عبد الله) دروساً في عطلة الأسبوع ، وبعد مدة يسيرة انتقل إلى قرية (بيرمس) لمواصلة دراسته الأولية .

وفي عام ١٨٨٨م - ١٣٠٦هـ التحق بمدرسة الشيخ (أمين أفندي) في (بتليس)، ولم يلبث بها إلا يسيراً، ثم ارتحل إلى مدرسة الشيخ (مير حسن ولي) في (مُكُس)، ثم إلى مدرسة في (كواش) والتابعة لمحافظة (دروان)، وكان خلال تنقلاته المتعددة بين مشايخ المدارس في هذه الفترة يركز على النحو والصرف فقط.

وبعد شهر من وصوله إلى (كواش) ذهب إلى مدرسة في قضاء (بايزيد) والتابعة لولاية (آغرى)، حيث التحق بمدرسة الشيخ (محمد جلالي)، وقضى فيها ثلاثة أشهر منقطعاً عن الأنظار، منهمكاً في تحصيل العلوم الشرعية، حيث قرأ جميع الكتب التي كانت تُدَرّس في هذه المدرسة، وكانت له قدرة متميزة في الحفظ والفهم، حيث كان يقرأ في اليوم الواحد من متون أصعب الكتب ما يقارب مائتي صفحة ويفهمها، ثم في هذه المدرسة حصل على الإجازة العلمية، وهو لا زال في سنّ السادسة عشرة من عمره.

وفي سنة ١٨٨٩م - ١٣٠٧هـ ذهب إلى (بتليس) وحضر بعض دروس الشيخ (محمد أمين)، ثم ذهب إلى مدينة (شيروان) ليلتقي بأخيه الكبير (الملا عبد الله)، ثم منها إلى (سِعِرْد) حيث التقى بالعالم (فتح الله أفندي)، وعندها سأله الشيخ قائلاً: كنتَ في السنة الماضية تقرأ كتاب (السيوطي)، فهل تقرأ في هذه السنة كتاب (الجامي)؟. فردّ عليه النورسي: لقد قرأته كاملاً، وهما كتابان في علم النحو، وحفظ هناك كتاب (جمع الجوامع) في علم أصول الفقه، وهو (لابن السبكي)، واستغرق في حفظه أسبوعاً، ثم ذهب إلى (بتليس)، ومنها إلى مدينة (تِللو)، حيث حفظ هناك من (القاموس المحيط، للفيروز آبادي) إلى باب السين.

وفي سنة ١٨٩٢م - ١٣١٠هـ ذهب النورسي إلى (ماردين)، وأخذ يلقي الدروس في جامع المدينة، ويجيب عن أسئلة طلابه، ولكن والي المدينة نفاه إلى مدينة (بتليس)، وذلك بعد أن وصلت إليه وشايةُ بعض الحاسدين الذين حذروا الوالي من خطورته، وأنه يثير بلبلةً في المدينة، وما أن وصل إلى مدينة (بتليس) حتى رحب به والي المدينة وأكرم وفادته بعد أن علم فضله ومنزلته العلمية، فقام هناك مدة كانت فرصة له في التزود بالعلم والمعرفة، حيث اطلع على كتب علمية كثيرة، وحفظ بعضها عن ظهر قلب، كما طالع كثيراً من كتب علم الكلام والمنطق والنحو والتفسير والحديث والفقه، فحفظ أكثر من (ثمانين كتاباً) من أمهات كتب العلوم الإسلامية، وكان يكرر قراءتها يومياً ويحفظها عن ظهر قلب، ثم أخذ آخر دروسه الشرعية من الشيخ (محمد الكفروي).

ثم ذهب في سنة ١٨٩٤م - ١٣١٢هـ إلى (وان) بدعوة من واليها ، وهناك هيأ الله له الالتقاء ببعض أساتذة العلوم الحديثة ، وحينما دخل معهم في نقاش شعر بقصوره في هذه العلوم ، مما جعله يُقْبِل على تعلمها بشغف عظيم حتى أتقنها وأصبح متمكناً منها لدرجة أنه كان قادراً على التأليف ومناقشة المختصين فيها ، ففي مدة قصيرة استطاع أن يُتْقِن الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ والجغرافية وغيرها ، حتى ذاعت شهرتُه وأُطلِق عليه (بديع الزمان) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص.ص٢٠-٢٤ بتصرف][(١)] .

ومن هنا يتضح مدى اهتمام النورسي رحمه الله بالتحصيل العلمي ، حيث رحل في سبيل طلبه إلى مناطق متعددة ، وتلقى العلم على أيدي مجموعة من رجال العلم والتربية ، ونهل من ينابيع العلم والمعرفة من أمهات الكتب الزاخرة بالعلم ، وحصل لديه خبرة واسعة في التعليم والتدريس اكتسبها من خلال تنقله إلى مدارس متنوعة وأساتذة يختلفون في إيصال المعلومات إلى أذهان الطلاب ، فلكلِ شيخ طريقته وأسلوبه ، ولكل مدرسة نظامها وأساليبها ، ولا شك أن ذلك أثرى الجوانب العلمية والتربوية والفكرية في حياته .

٢- ثناء العلماء عليه :

شخصية علمية وفكرية مثل النورسي لا بد وأن ينال إعجاب وثناء العلماء عليه ، سواء في عصره كمن تتلمذ على أيديهم ، ورأوا عياناً ذكاء النورسي وقدرته على الحفظ من كتب عديدة ، وفي مدة قصيرة ، أو ممن قرأ مؤلفاته وما كُتِب عنه بعد وفاته ، وهم كثيرون ، ولكن حاول الباحث الاختصار على أهم الآراء وخاصة ذات الصلة بالجوانب العلمية والفكرية والتربوية .

أ) **الشيخ فتح الله أفندي** : حيث عقد له امتحاناً في مجموعة من الكتب ، مثل كتاب (مقامات الحريري) ، وقدمه إلى النورسي وطلب منه أن يكرر قراءة بضعة أسطر من إحدى صفحاته مرتين ليرى هل يستطيع حفظها ، فأخذ الكتاب وفتح على صفحة من صفحاته وقرأها مرة واحدة كانت كافية لحفظه ، مما أذهل شيخه ! وقال له : (إن اجتماع الذكاء الخارق مع القوة الخارقة للحفظ شيء نادر جداً) ، ثم دفع إليه كتاب **جمع الجوامع** (للسبكي) في أصول الفقه ، وهو معروف بصعوبته ، فحفظه في

---

(١) وتحدث بمثل ذلك (علي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص١٠-٢٥) .

أسبوع ، فكتب شيخه على غلاف الكتاب العبارة التالية : (لقد جَمَع في حفظه (جمع الجوامع) جميعَه في جُمُعَة) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٢٢] .

وبعد أن علم أستاذ النورسي بمقدرته العلمية وقوة ذكائه أُعجِب به ! وأخذ يذكر ذلك في المجالس العلمية لعلماء مدينة (سعرد) مما أثار دهشتهم ، ورغبوا في رؤيته وامتحانه (وجاء (الملا سعيد) إلى جلسة الامتحان بصحبة أستاذه (الملا فتح الله أفندي) وبدأ العلماء بإلقاء أصعب الأسئلة عليه ، ولكن (الملا سعيد) لم يخيب ظن أستاذه فيه ، إذْ لم يتلعثم في الإجابة عن هذه الأسئلة دون استثناء ، فكانت الحيرة والتقدير والإعجاب عاماً بين العلماء) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٥] .

ب) **السيد حسن فهمي باش أوغلو** : وهو أحد أعضاء هيئة الاستشارة للشؤون الدينية ، حيث يقول : (أثار توالي الثناء على النورسي عندي الرغبة في مقابلته وإلقاء أعقد الأسئلة وأدقها عليه ، وكنت وقتها من المتفوقين في الدراسة ، فذهبت إليه واخترت من الكتب التي تبحث في الإلهيات بعض الموضوعات المعقدة التي تتطلب الإجابة عليها المجلدات الكثيرة ، وذهبت لزيارته ووجهت إليه الأسئلة ، وقد كانت أجوبته عجيبة وخارقة ومدهشة ! إذ أجابني وكأنه معي بالأمس ينظر إلى تلك الكتب ، فأصبحت موقناً ومطمئناً بأن علمه ليس كسبياً كعلمنا ، بل هو علم لدني) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٢٧] .

جـ) **الشيخ حسن أفندي** : حيث قضى عمره الطويل في التدريس و لم يغِب إلا يومَ أن ذهب إلى زيارة النورسي ، وبعد زيارته حضر إلى طلابه في اليوم الثاني وقال لهم : (لم أشاهد مثله أبداً ، إنه من نوادر الخلق ، لم يجيء مثله قط) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٢٧] .

د) **الشيخ محمد بخيت بن حسن المطيعي ، شيخ الجامع الأزهر سابقاً** : حيث زار مدينة استانبول في عام ١٩٠٨م ، فطلب علماؤها مقابلة النورسي ومناظرته ، لأنهم عجزوا أمامه ، وعند مقابلة الشيخ لبديع الزمان ألقى عليه سؤالاً أمام حشد من العلماء ، قال فيه : (ما رأيك في الحرية الموجودة الآن في الدولة العثمانية ؟. وماذا تقول في مدنيّة أوربا ؟. فأجابه النورسي : إن الدولة العثمانية حبلى حالياً بجنين أوربا ، وستلد يوماً ما ، أما أوربا فهي أيضاً حبلى بجنين الإسلام ، وستلد يوماً ما ، فأُعجب الشيخ بجوابه الموجز العميق ، وقال : إنني أوافق على كلامه ، وإنني أحمل هذا الرأي نفسه ، ولا يمكن المناظرة والمناقشة مع مثل هذا الشاب) [الصالحي ،

١٩٨٧م ، ص.ص ٣١-٣٢] .

هـ) الكاتب التركي – ماهر إز : حيث وصف النورسي بقوله : (عندما أتى بديع الزمان إلى استانبول كان شاباً ، وتحول بملابسه المحلية ، وكان شخصاً بليغاً ماهراً في الحديث ، وخطيباً مفوهاً ومن أصحاب الذكاء الخارق الذي أنجبته المنطقة الشرقية للبلاد ، دعا العلماء للمناظرة وتحداهم جميعاً ، لأنه كان واثقاً من نفسه) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٨] .

و) السيد علي همت بركي ، وهو أحد رؤساء محكمة التمييز في استانبول :
حيث تحدث عن وصول بديع الزمان النورسي إلى المدينة فقال : (كنت آنذاك طالباً في مدرسة القضاة (كلية الحقوق) عندما انتشرت إشاعة تقول إن شخصاً اسمه (بديع الزمان) ذا قيافة غريبة ، جاء من شرقي البلاد ، وأنه يجيب عن أي سؤال كان يوجه إليه ، فشعرنا بفضول كبير ، وذهبنا لرؤيته ، وكان جالساً يتناول بالتفنيد والدحض الفلسفة السوفطائية بأدلة عقلية ومنطقية ، كان جديراً فعلاً بلقب بديع الزمان ، إذ لم يكن هناك حدّ لمعلوماته في الفلسفة الإسلامية ، أي في علم الكلام وعلم اللغة) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٨] .

ز) الدكتور محسن عبد الحميد : وهو أحد أساتذة كلية التربية بجامعة بغداد ، حيث أُعجِب بالنورسي وفكره ، وأنه (يعد من أعظم رواد الفكر الإسلامي القديم والحديث) [عبد الحميد ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٥٣] .

حـ) الدكتور عباسي مدني : وهو أحد أساتذة علوم التربية بجامعة الجزائر ، حيث اعتبر النورسي من أولئك الذين عملوا على إصلاح المنهج التربوي الإسلامي ، مثله مثل (أبي حامد الغزالي ، وابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، ومحمد بن عبد الوهاب ، والسنوسي ، ومحمد عبده ، والمودودي ، وحسن البنا ، ومحمد إقبال ، وأبي الحسن الندوي ، وابن باديس ، وغيرهم من أئمة السلف من اعتبار إصلاح الأمة بإصلاح تربيتهم) [مدني ، ١٤٠٩هـ ، ص ٥ - ٦] .

ط) عاصم الحسيني : حيث امتدح فكر النورسي واعتبره مؤسساً لمدرسة فكرية رائدة ، انتظم فيها الملايين من أبناء الشعوب الإسلامية في تركيا على مختلف الأعمار والمستويات ، (وأنه يعد – بحق – باعث النهضة الدينية في تركيا ، ويعتبر من أكبر رواد الحركات الإسلامية في عصرنا الحديث) [الملازكرديّ ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢١] .

ي) **الشيخ خليل الميّس** : وهو مدير أزهر لبنان ، حيث وصف النورسي (بأنه عندما شَعُرَ بالخطر الزاحف على آخر سلطة الخلافة الإسلامية وتكالب أهل الأرض عليها ، انبرى الإمام النورسي رجل السيف والقلب والقلم يذود بسلاحه عن الأرض ، وبلسانه عن الشريعة ، وبقلبه عن الحقيقة) [الملازكردي ، ١٤٠٣هـ ، ص (ب)] .

وهناك الكثير تحدثوا عن النورسي وعن علمه وفكره وجهاده وأخلاقه ، ووصفوه بأوصاف متقاربة كلها تدل على مكانته ومنزلته العلمية والفكرية ، وتسخير حياته للعلم وطلابه ، وإنقاذ الإيمان في نفوس كثير من الناس بعد أن ضَعُفَ أو كاد أن يَضْمَحِلّ .

ك) **ثناء عدد كبير من العلماء والمفكرين من أساتذة الجامعات في العالم الإسلامي وخارجه على النورسي** : وذلك من خلال المؤتمرات العالمية الثلاثة التي نظمها طلابه ، ودعوا عدداً من العلماء والمفكرين لحضورها ، وكان آخرها : المؤتمر العالمي الذي عُقِد في استانبول بتركيا خلال الفترة من (٢٤) إلى (٢٦) من شهر (٩) لعام ١٩٩٥م ، بعنوان (تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي) ، وقد أثنوا جميعاً على فكره ودعوته وتربيته لطلابه ، وكان عددهم (٥٨) عالماً ومفكراً .

٣- تراثه العلمي :

حسب المصادر التي تحدثت عن النورسي واطلع عليها الباحث تبين أن النورسي رحمه الله كان يجيد اللغة العربية تحدثاً وقراءة دون الكتابة ، حيث كان ضعيف الخط العربي ، وذلك حسب اعترافه بنفسه في قوله : (أيها القارئ الكريم : إنني أعترف سلفاً بضجري من فقْرِ قابليتي في صنعة الخط وفن النظم ، إذ لا أستطيع الآن حتى كتابة اسمي كتابة جيدة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٣٦] .

ومع ذلك كانت بعض مؤلفاته باللغة العربية ، وطريقته أنه يُملي على تلاميذه الذين يجيدون الخط العربي ويقومون بالكتابة ، ثم يقوم بعدهم بالتصحيح ، كما هو الحال في رسالة (إشارات الإعجاز) ، وهي تفسير لسورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة ، والتي (ألفها أثناء الحرب العالمية الأولى وفي ساحة الجهاد ضد الروس وباللغة العربية) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ١٥٥] .

والنورسي رحمه الله كغيره من العلماء المخلصين الذين أخلصوا في عملهم وتعليمهم ، وأفضل ما يخلفه العلماء بعد موتهم علم ينتفع به الناس ، ولا يكون ذلك إلا

بتدوينه ونشره ، ثم حفظه في دواوين تقرأ ، وتكون مراجع لطلاب العلم والمعرفة يتتلمذون عليها ، وينهلون من علومها ومعارفها المختلفة ، ويعود أجرها وثوابها إلى صاحبها ، كما قال ﷺ : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » [أخرجه مسلم في كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، ج٣ ، ص ١٠١٦ ، برقم ١٦٣٢] .

والعلماء في جميع العصور وعلى مختلف التخصصات تركَتهم العلم يُخلِّفونها لمن بعدهم تُورَث وتُوَرَّث ، كما قال ﷺ : « وإن العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر » [أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص ١٩٦ . وأبو داود في السنن ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، برقم ٣٦٤١ ، ج٤ ، ص٥٧ . والترمذي في السنن ، كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه ، برقم ٢٦٨٢ ، ج٥ ، ص ٤٨/٤٩ وصححه ابن حبان] [البغوي ، ١٤٠٧هـ ، ج١ ، ص ١٧٠ وحسنه ، برقم ١٦١] .

وحياة النورسي كانت حافلة بالعلم تعلُّماً وتعليماً وتأليفاً ، وقد تحدثت المصادر عن مؤلفاته ، منها ما فَصَّل ، ومنها ما أَجْمَل ، إلا أنها جميعها أثبتت أنه ألّف (منذ عام ١٩٢٦م إلى عام ١٩٥٠م ما يزيد على مائة وثلاثين رسالة باللغة التركية ، كما ألّف خمس عشرة رسالة وكتاباً باللغة العربية) [عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص٣١٠] .

والباحث رأى أن يبدأ بذكر ما ألفه النورسي باللغة العربية ، ثم يُتبِعُه بما ألّفه باللغة التركية ، ثم ذكر مصادر الرسائل والمؤلفات .

أ – المؤلفات باللغة العربية :

– **إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز** : تفسير لسورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة يقع في حوالي (٣٣٢ صفحة) – الطبعة الثانية لسنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م – دار سوزلر للنشر والتوزيع – فرع القاهرة – مصر – تحقيق (إحسان قاسم الصالحي) .

– **المثنوي العربي النوري** : ويقع في حوالي (٥٣٣ صفحة) ويضم إحدى عشرة رسالة – الطبعة الأولى لسنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م – دار سوزلر للنشر والتوزيع – فرع القاهرة – مصر – تحقيق (إحسان قاسم الصالحي) .

ب – المؤلفات باللغة التركية :

إن ما يعرف برسائل النور التي تبلغ أكثر من (١٣٠ رسالة) كانت أغلبها باللغة التركية ، ولكنها بحروف عربية ، حيث (انقطع التأليف باللغة العربية بانتهاء الدولة العثمانية ، وإن جميع هذه الرسائل باللغتين التركية والعربية وبالحروف العربية حتى عام ١٩٥٥م) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ١٨٧] ، وقد ترجمت إلى اللغة العربية جميعها ، وضُمت أغلبها في مجلدات ، ووُضِع لكل مجلد عنوان عام ، ومن أهمها :

– **الكلمات** : ويضم (٣٣ رسالة) ، ويقع في حوالي (٩٢٠ صفحة) – الطبعة الثانية لسنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م – دار سوزلر للنشر والتوزيع – فرع القاهرة – مصر – ترجمة (إحسان قاسم الصالحي) .

– **المكتوبات** : ويضم (٣٣ رسالة) ، ويقع في حوالي (٦٧١ صفحة) – الطبعة الثانية لسنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م – دار سوزلر للنشر والتوزيع – فرع القاهرة – مصر – ترجمة (إحسان قاسم الصالحي) .

– **اللمعات** : ويضم (٣٣ رسالة) ، ويقع في حوالي (١٤٥ صفحة) – الطبعة الثانية لسنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م – دار سوزلر للنشر والتوزيع – فرع القاهرة – مصر – ترجمة (إحسان قاسم الصالحي) .

– **الشعاعات** : ويضم (١٥ رسالة) ، ويقع في حوالي (٧٥٤ صفحة) – الطبعة الثانية لسنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م – دار سوزلر للنشر – فرع القاهرة – مصر – ترجمة (إحسان قاسم الصالحي) .

– **الملاحق في فقه دعوة النور** : ويضم أربعة ملاحق – ويقع في حوالي (٤٦٠ صفحة) – الطبعة الثانية لسنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م – دار سوزلر للنشر والتوزيع – فرع القاهرة – مصر – ترجمة (إحسان قاسم الصالحي) .

جـ – مصادر رسائل النور :

المتتبع لما تضمنته رسائل النور وما كُتِبَ عنها ، يجد أن المصدر الأساس الذي اعتمد عليه النورسي في رسائله هو القرآن الكريم (لأنه لا يقاس بسائر الكتب ، ولا يشبهها قطعاً ، إذ نزل في عشرين سنة ونيّف نجماً نجماً – لحكمة ربانية – لمواقع الحاجات نزولاً

متفرقاً متقطعاً ، ولأسباب نزول مختلفة متباينة ، وجواباً لأسئلة مكررة متفاوتة ، وبياناً لحادثات أحكام متعددة متغايرة ، وفي أزمان نزول مختلفة متفاوتة ، وفي حالات تلقٍ متنوعة متخالفة ، ولأفهام مخاطبين متعددة متباعدة ، ولغايات إرشاداتٍ متدرجة متفاوتة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٨٦] ، ثم لأن (حقيقة الإخلاص التي تتحلى بها رسائل النورسي لا يمكن أن تكون تابعة لأي شيء سوى مرضاة الله سبحانه وتعالى ، ولا ركيزة لها سوى القرآن الكريم) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٥٧] ، وكذلك فإن (رسائل النور ليست طريقة صوفية ، بل حقيقة ، وهي نور مفاض من الآيات القرآنية ، ولم تُستَقَ من علوم الشرق ولا من فنون الغرب) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٠٢] .

وقد تميزت رسائل النور بتأصيل مصادرها ، لأنها (ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون ، فلا مصدر لها سوى القرآن) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٢١] .

هذا هو رأي النورسي في مصادر رسائله ، وكذلك رأي طلابه وأغلب من كتب عن هذه الرسائل ، حيث يرون (أن القرآن الكريم كان وحده الأستاذ والمرشد للمؤلف دائماً ، فلم يغادره إلى أي كتاب آخر ، ولم يتخذ غيره مصدراً ، ولم يسترشد دونه مرشداً ، وهذا ما شوهد منه طيلة حياته في التأليف ، حيث لم تكن ثمة مكتبة ، ولا حتى أي مصدر يعتمد عليه أو يرجع إليه) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ١٤٨] .

والباحث من خلال تتبعه لسيرة النورسي ، وخاصة حياته العلمية ، ثم بحثه في رسائله المتعددة الجوانب ، يرى أن هناك مصادر أخرى اقتبس منها النورسي ظهرت في رسائله ، ومن أهمها :

١) السنة النبوية : حيث يستشهد في كثير من رسائله بعدد من الأحاديث النبوية ، ويقول : (إن مسائل السنة النبوية الشريفة ، بل حتى أبسط آدابها ، كل منها في حكم مؤشر البوصلة الذي يبين اتجاه الحركة في السفن ، وكل منها في حكم مفتاح مصباح يُضيء مالا يُحْصَر من الطرق المظلمة المضرة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٨٢] . والمكتوب التاسع عشر شاهِد على كثرة استشهاده ورجوعه إلى الأحاديث ، وتحدث من خلاله عن معجزات الرسول ﷺ ، وذكر أحاديث كثيرة تبين صدق تلك المعجزات ، وذلك في كتاب (المكتوبات من ص ١١١ إلى ص ٢٨٧) ، ثم أيضاً قول النورسي في ذلك ، حيث قال : (لقد تعلمت بدرس القرآن الكريم وبتعليم الرسول

الأكرم ﷺ) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٤] ، ولا شك أن مؤلفاته ثمرةُ تَعَلُّمِه ، ثم شهادته هو في بعض رسائله ، حيث قال : (وعلاوة على أنه ما كان لدي أي مصدر كان من مصادر الحديث الشريف أو السيرة المطهرة ، ولكن على الرغم من كل هذا قلت : توكلت على الله ، وشرعت بتأليف هذه الرسالة[1] متوكلاً عليه وحده ، فحصل من التوفيق الإلهي ما جعل حافظتي قوية ، وكانت النقول على الأغلب من كُتُب الأحاديث ، كالبخاري ، ومسلم ، والبيهقي ، والترمذي ، والشفا للقاضي عياض ، وأبو نعيم الطبري ، وأمثالها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٥٦] .

٢) كتب ومصادر أخرى : النورسي قرأ وحفظ كُتُباً كثيرة في فنون متعددة كما ذُكر أثناء الحديث عن طلبه للعلم وبشهادته لطلابه ، حيث قال : (وبينما كان أخوكم هذا الفقير شغوفاً بالمطالعة قبل عشرين سنة ، حتى كان يطالع بفهمٍ كتاباً مجلداً أحياناً في يوم واحد ، فقد كفاه منذ ما يقرب من عشرين سنة القرآن الكريم) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٢٨] .

وقد ظهر أثر رجوعه إلى كتب أخرى في رسائله ، حيث يستشهد بما (أخبرت به التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء عليهم السلام عن ثبوت نبوة محمد ﷺ ، وهو ثابت بنص القرآن الكريم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢١٩] .

ثم أورد النورسي بعد هذه الصفحة عدداً من آيات الإنجيل والزبور والتوراة التي تبشر بنبوة محمد ﷺ (من ص ٢٢٠ إلى ص ٢٢٧) ، وهذه ليست في القرآن أو السنة .

وكذلك نقله لأقوال كثير من علماء وأحبار اليهود والنصارى وشعرائهم الذين يبشرون بقدوم محمد ﷺ كما وردت في كتبهم ، ثم نقله لأسماء أناس أسلموا ولم يروا محمداً ﷺ ، وإنما عندما سمعوا ببعثته لأن عندهم علم من ذلك ، وضرب مثلاً بالنجاشي ملك الحبشة وغيره ، وأورد أشعاراً لعدد من الشعراء تصف محمداً ﷺ ، واشتمل على عدد من صفحات مجلد المكتوبات (من ص ٢٢٨ إلى ص ٢٣١) ، وهذا ليس في القرآن أو السنة أيضاً ، وغيره كثير في الرسائل ، وهو دليل قاطع على الاقتباس من كتب ومراجع غير القرآن والسنة قد تكون من حفظ

(١) يقصد بها رسالة المعجزات الأحمدية .

النورسي ، لأنه كان في بداية حياته يحفظ كثيراً من الكتب كما مرّ ذكره .

٣) **الإلهام** : وهو توفيق الله تعالى للإنسان في سرعة المعرفة وانتقال المعلومة إلى الذهن ، وقد فسره النورسي بأنه (الحَدْسُ المضاعف) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص٤٣١] .

وأشار كذلك إلى (أن المسائل التي تخص الحقائق والمسائل الكلية والتفصيلات هي من قبيل السانحات الإلهامية بصورة عامة ، فلا غبار عليها قطعاً ، وهي يقينية) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٢] .

٤) **العقل** : لأن من أساليب النورسي في تقريب الحقائق إلى الأذهان أن يقدم بمقدمة أشبه بالقصة الخيالية ، والناظر في رسائله يلحظ ذلك كثيراً ، ثم من الجوانب المهمة في فكره جانب التفكر والتأمل ، ووَصَفَ العقل بأنه (محل السؤال والجواب) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٥٧] .

وكذلك قوله : (إن دماغ الإنسان - الشبيه بمجمع مركزي للبث والاستقبال السلكي واللاسلكي - هو بمثابة مركز معنوي لهذا الكون ، يستقبل مافي الكون من علوم وفنون ، ويكشف عنها ويبثها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٥٧١] . هذا ما ظهر للباحث من خلال تتبعه لما دونه النورسي في رسائله ، (إلا أن المؤثر الأكبر في تكوينه الفكري والروحي والنفسي ، إنما هو القرآن العظيم ، فهو المرشد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل) [الطنطاوي ، ١٤١٨هـ ، ص٤٥] .

د - سبب تسمية الرسائل بهذا الاسم :

قد يتساءل القارئ عن سبب تسمية رسائل النورسي إلى طلابه وتلاميذه باسم رسائل النور ، وقد ذكر ذلك النورسي في مؤلفاته فقال : (إن كلمة **النور قد** جابهتني في كل مكان طوال حياتي ، منها قريتي اسمها **نورس** ، واسم والدتي **نورية** ، واسم أستاذي في الطريقة النقشبندية **سيد نور محمد** ، وأحد أساتذتي في الطريقة القادرية **نور الدين** ، وأحد أساتذتي في القرآن **نوري**) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٧١] .

٤- طلابه :

العالم والمفكر المخلص في طلب العلم وتعليمه يقبل عليه طلاب العلم يتتلمذون عليه ويستفيدون من علمه وفكره ، والداعية الذي يعطي جُلَّ وقته لغيره ، ويخلص في دعوته ،

ويضحي بوقته وماله ، ويُجهِد عقلَه وجسمَه في سبيل مصلحة غيره يجد أثـر ذلـك واضحـاً في حياة الناس ، حيث الاستجابة السريعة لدعوته ، والانضمام تحت لوائها ، والدفاع عنهـا بالأموال والأنفس ، والنورسي ممن شُهِد له بذلك ، حيث ضحى بكـل مـا يملـك في سـبيل إنقاذ الإيمان في نفوس الناس ، (وبذلك انتشـرت الحقـائق الإيمانيـة في كـل مكـان ، ونشـأ مئات الآلاف - بل ربما الملايين - من طلاب مدرسة النور ، ونهلوا من معارفها ، وهـؤلاء هـم الذيـن سيستـمرّون في هـذه الطريـق في خدمـة الإيمـان ، ولـن يحيـدوا عـن طريقــتي في التضحية بكل شيء مادياً كان أو معنوياً ، إذ سـيكون سـعيهم لله سبحانه وتعـالى وحـده دون غيره) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٧١] .

وحسب المصادر المتوفرة لدى الباحث التي تحدثت عن طـلاب النـور خـلال حياتـه وبعد وفاته ، فقد رأى الباحث تقسيم حياة الطلاب إلى مرحلتين ، هما :

المرحلة الأولى : مرحلة التكوين والإعداد : ما أن سمع الناس ببديع الزمان وقدرتـه العلمية وتفوقه على العلماء حتى أخذت نفوسهم تتوق إلى رؤيته ومقابلتـه ، ومـا أن ينتقـل من منطقة إلا ويحزن أهلها عليه ، أو يفد إلى أخرى إلا ويفرح أهلها بقدومه ، (فيخرجون رجالاً ونساءً وأطفـالاً وشباباً لرؤيتـه ، ويقفـز الأطفـال الصغـار ويـرددون " جـاء الشيخ جـاء الشـيخ " ، إنهـم لم يـروا هـذا الشـيخ الوقـور ، ولكنهـــم سمعـوا عنـه مـن آبـائهم وأمهاتهم) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ١٢١] .

ويختلف النورسي عن كثير من المفكرين والمربين ، حيث تتلمذ عليـه وعلـى رسـائله الأولاد والشباب والشيوخ والنساء ، وغيرهم من المرضى وأصحاب المصائب كمـا سـيأتي بإذن الله ، والذين تتلمذوا على النورسي مباشرة هم فئة الشباب ، حيث يسمعون كلامه ، ويقومون بتدوينه ، ثم نسخه ونشره بين الفئات الأخرى ، وأمـا غـيرهم فعـن طريـق قـراءة رسائل النور ، حتى إن من النساء من قُمْنَ بنسخ رسائل النور ونشـرها ، وكـان النورسـي يوجـه إليهـنّ رسـائل تخصهـنّ ، حيـث قـال : (فلتكـن رسـالة الحجـاب ، ومرشـد الشباب ، والكلمـات الصغيرة نائبـة عـني في إلقـاء الـدرس عليكـنّ يـا أخـواتي الطيبـات المباركات) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١٣] .

وقد اتسمت حياة النورسي بنوعين من التربية ، هما :

الأول : التربية العلميـة والعمليـة : حيـث كـان النورسـي يخـوض غمـار المعـارك العلمية والقتالية على حدّ سواء ، فكانت المناظرات العلمية بينه وبين علمـاء المـدن والمنـاطق

التي يمرّ بها ، وسبق ذكر بعضها أثناء الحديث عن طلبه للعلم وثناء العلماء عليه ، ثم مشاركته الفعلية مع طلابه في الحرب العالمية الأولى ، حيث يقول لطلابه : (تهيأوا واستعدوا ! إن زلزالاً رهيباً على الأبواب ، وتهيأ طلابه وتدربوا ، حتى اشتهروا بدقة التصويب والتهديف ، علاوة على جرأتهم وشجاعتهم ، كانوا يدرسون ويحفظون القرآن ويتلقون الدروس ، وكانوا من جانب آخر يتدربون على القتال ، ويسهرون الليالي على قمم الجبال يحرسون ، أو يهاجمون الأعداء في عملية فدائية) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص٦١] ، وقد أوجد لطلابه (بنادق الماوزر ، وتحولت مدرسته إلى ما يشبه المعسكر ، إذ الكتب كانت جنباً إلى جنب مع البنادق) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٦٨] .

ويشهد على ذلك تأليف النورسي لكتاب **إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز** الذي ألفه في خنادق القتال كما مرّ ذكره ، ولا شك أن هذا النوع من أنواع التربية هو ما كان عليه سلف هذه الأمة ، حيث كانوا فرساناً بالنهار ، رهباناً بالليل ، وكانوا (أحرص الناس على كسب الوقت وملئه بالخير ، سواء في ذلك عالمهم وعابدهم ، فقد كانوا يسابقون الساعات ، ويبادرون اللحظات ، ضناً منهم بالوقت ، وحرصاً على أن لا يذهب هدراً) [أبو غدة ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٦] .

ومن هؤلاء السلف الذين قضوا أعمارهم بين العلم والجهاد : (عبد الله ابن المبارك ... شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات ، أفنى عمره في الأسفار ، حاجاً ومجاهداً وتاجراً ، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء) [الزركلي ، د.ت ، ج٤ ، ص ٢٥٦] . وهذا ما كان يقصده النورسي في أول حياته ، حيث كان يعد طلابه لخوض غمار الحياة العلمية والسياسية ، والمشاركة الفعلية في ميدان الحياة العامة ، وتبدأ هذه المرحلة (من السنوات المبكرة لشبابه حتى قدومه منفياً إلى مدينة **بارلا** سنة ١٩٢٧م في هذه المرحلة من سنوات عمره المليئة بالأحداث العاصفة ، نرى الأستاذ النورسي وهو يجاهد في سبيل الإسلام عن طريق الاشتراك الفعلي في غمار السياسة ، لذا نراه خطيباً في الساحات وفي الجوامع ، ونراه وهو يدبج المقالات السياسية النارية في الصحف ، ويؤلف الرسائل ضد الاستعمار الإنجليزي ، كرسالة (الخطوات الست) ، ونراه على صهوة جواده وبيده بندقية وهو يقود المجاهدين من طلابه ضد الغزو الروسي لبلاده ... أي نراه في هذه الفترة وهو يحاول خدمة الإسلام ، وإصلاح الأمة الإسلامية من قمة الهرم ، فهذا هو الطريق الأسرع والأقرب والأكثر فاعلية) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٤٢] .

وهذا النوع من التربية قبل أن يترك السياسة ، وذلك حسبما ورد في إجابته لمن سأله عن أسباب تركه السياسة ، فقال : (لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات عله يخدم الدين والعلم عن طريقها ، فَذَهَبَتْ محاولته أدراج الرياح ، إذ رأى أن تلك الطريق ذات مشاكل ، ومشكوك فيها ، وأن التدخل فيها فضول - بالنسبة إليّ - ، فهي تحول بيني وبين القيام بأهم واجب ، وهي ذات خطورة ، وأن أغلبها خداع وأكاذيب) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٧٦] .

وكان طلابه في تلك الفترة تبعاً لأستاذهم ، في التعلم ، والجهاد ، والتدخل في السياسة ، حتى عدل عن ذلك ، فاقتدوا به أيضاً .

النوع الثاني : التربية العلمية : رأى النورسي أن حياة السياسة وخوض غمار المعارك العلمية والقتالية أصبحت ضرراً على العلم وأهله ، وأنها تعلق بالدنيا أكثر من الآخرة ، وأن أفراد المجتمع أصبحوا في خطر عظيم ، حيث تكالب عليهم الأعداء من الداخل والخارج عسكرياً وفكرياً ، فرأى أن يعتزل السياسة ، وأن يَقْصُرَ نمط التربية لطلابه على العلم فقط ، تاركاً السياسة ، قائلاً في حقها : (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٣١٣] .

فذهب إلى (مدينة **وان** ، حيث تفرغ للتدريس والعبادة والتأمل) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٤٣] .

وبذلك تغير نمط التربية في حياته وحياة طلابه ، حيث (اعتمدوا على التربية وترك العمل بالسياسة ، وكان عمل جماعته التنظيمي ينحصر في تكثير الأتباع وتربيتهم ، واستنساخ رسائل النور ، وتوزيعها على أكبر قدر ممكن من البلاد التركية ، وقد شكلوا لهذا الغرض ما سمي بِـ "سعاة بريد النور" ، وكان واجبهم ينحصر في نقل رسائل النور من قرية إلى قرية ، ومن مدينة إلى مدينة ، كما انتظمت وقويت عملية استنساخ الرسائل ، حتى أن بعض الطلبة استنسخوا لوحدهم أكثر من ألف رسالة ، حتى وصل عدد الرسائل التي اسْتُنْسِخَتْ باليد إلى أكثر من ستمائة ألف نسخة) [عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٠٩] .

ويرى الباحث أن هذا النوع من التربية له إيجابياته وله سلبياته .

- **الإيجابيات** :

١- تفرغ الشيخ للعلم والتربية ، مما جعله أكثر قدرة وتأملاً وتفكراً وعطاءً .

٢- الانتقال من التربية الفردية كما هو الحال في النوع الأول إلى التربية الجماعية ، والتي تمثلت في حضور دروس الشيخ ، ثم تدوين وكتابة الرسائل ، ونقلها من بلد إلى بلد بواسطة طلاب النور .

٣- إشعار طلابه بأهمية العلم ، وأنه أساس كل عمل ناجح ، وأنه المقدم على غيره .

٤- أهمية التعاون والتساند في نشر العلم ، والشعور بالمسؤولية العامة تجاه ذلك .

٥- احترام العلم والعلماء ، والذي تمثل في ملاحقة الشيخ في أماكن تنقله للاستماع إليه ، وخدمته ، والعمل على نشر رسائله بين أفراد المجتمع من قِبَل طلابه .

٦- الدور الفعال الذي قامت به رسائل النور في مواجهة الخرافات والبدع والضلالات ، ثم مواجهة الفلسفة الأوربية التي كادت تقتلع جذور الإيمان من نفوس المجتمع التركي ، حيث عملت الرسائل عل حفظ الإيمان وتقويته في نفوس الناس بتوفيق من الله تبارك وتعالى .

- **السلبيات** :

١- المبالغة الشديدة في العكوف على استنساخ الرسائل من قِبَل الطلاب ، حتى ولو لم تنشر ، وإهمال الجانب الدعوي ، حتى أن البعض منهم (اعتبر ذلك جهاداً لا يدانيه أي عمل آخر في الإسلام) [عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣١٢] .

٢- عدم المشاركة في الحياة العلمية والدعوية العامة للأمة ، والاكتفاء بكتابة الرسائل (دون أن يكون لها واقع عملي يبلور المفاهيم الإسلامية ، ويقدمها في صورتها المشرقة ، ليستفيد ويفيد منها الراغبون) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٢٩] .

٣- عدم بروز قيادات علمية في صفوف طلابه نتيجةً لإهمال هذا الجانب من قِبَل الشيخ نفسه ، حيث أنه (لم يستخلف أحداً بعده للقيام بهذه المهمة ، ولعله كان لا يرى في طلابه من يقدر على تحمل هذه التبعة ، ولعله لم يستخلف لأنه كان يرى ألا ترتبط الدعوة باسم شخص بعينه) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٢٧] .

٤- الابتعاد عن السياسة وتركها للملحدين والعلمانيين والحاقدين يعيثون في الأرض فساداً بدون ناصح أو موجه شرعي ، مما سهل للقضاء على الخلافة العثمانية .

٥- أن هذه الطريقة واعتزال الحياة العامة أوقعت النورسي في شبهة التصوف ، مع أن النورسي في مواضع عدة من رسائله يهاجم الصوفية المبتدعة والخرافية ، ويتبرى من الصوفية وطرقهم .

إلا أنه مهما ذكر من سلبيات ، فإن النورسي وطلابه لهم دور كبير - بعد توفيق الله تعالى - في حفظ الإيمان في قلوب كثير من أفراد الشعب التركي المسلم ، والتي لا زالت آثاره ماثلة إلى الآن في تركيا وغيرها ، ثم إن الظروف التي عاشها النورسي كان لها الدور الفعال في انقسام حياته التربوية والعملية ، حيث عاصر آخر الخلافة العثمانية التي تشجع على الجهاد والمشاركة من قِبَل الدعاة والعلماء ، ثم ختم حياته بمعاصرة علمنة تركيا ، ومحاربة العلم وطلابه ، وإبعادهم عن الاتصال بمجالات الحياة ، إما بالعزل ، أو النفي ، أو السجن ، وما شابه ذلك . وكل ذلك أثَّر في حياته تأثيراً كبيراً قلَّ من يثبت فيه إلا من وفَّقه الله تعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء** ﴾ [سورة إبراهيم : آية ٢٧] .

المرحلة الثانية : مرحلة التفرق والاختلاف : مما لوحظ على النورسي رحمه الله أثناء حياته أنه لم يهتم بإعداد طلابه عملياً للقيام بالمهمة بعد وفاته ، حيث (كان في حياته قائداً لجنود هذه الجماعة ، فلما لم يترك من خلفه قادة قادرين على ملء الفراغ الذي تركه ، فترك جماعة جنود بلا قائد) [عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣١٢] .

ولم تذكر المصادر التي توفرت اسمَ أحد من طلابه ، أو ممن تتلمذ على رسائله برز في النواحي العلمية أو العملية ، ومن هنا فإن وفاته أحدثت فراغاً كبيراً في حياة طلابه ، حيث حدث التفرق والتمزق والاختلاف ، ومع ذلك فإن طلابه أنفسهم (لم يحاولوا اختيار شخصية قيادية من بينهم لقيادة الدعوة ، حتى تستمر في طريقها ، وهذا مما سبب ضعف الحركة ، وأحدث فيها انقسامات خطيرة ، جعلت الحركة غير قادرة على مواجهة الغزو الفكري والنفسي الذي منيت به تركيا) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٢٨] .

وقد ظهر هذا الاختلاف واضحاً عند قيام (حزب السلامة في تركيا كمواجهة للعمل الإسلامي الحركي) [عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣١٢] . حيث تمكن الحزب من استقطاب عدد كبير من طلاب النور ، إلا أن الحاقدين على الإسلام والمسلمين أوقعوا بين الحزب وطلاب النور ، مما أدى إلى تفرقهم على ثلاثة أصناف متناحرة : (قسم التحق بحزب السلامة ، وقسم التزم الحياد ، وقسم ثالث عادى حزب السلامة متحالفاً مع حزب العدالة) [الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٥٢٥][1] .

واستمرت الحالة إلى يومنا هذا ، ولكن لا يُنكَر ما لهم من جهود كبيرة في الحفاظ على الدين الإسلامي ، ومحاولة نشره بين الناس ، سواء داخل تركيا أو خارجها ، وقد ظهرت جهودهم من خلال خمسة محاور ، هي :

الأول : نظرتهم إلى السياسة ، حيث انقسموا إلى ثلاثة أقسام ، وخاصة في ظل الظروف السياسية التي تمرّ بها تركيا حالياً ، (فقد فضّل قسم منهم الابتعاد التام عن السياسة وكرسوا جهودهم في دراسة رسائل النور وفي طبعها ونشرها ، واقترب قسم منهم من السياسة بحذر ، وخاض آخرون بحر السياسة في السنوات الأخيرة خاصة ، ولاسيما في تأييد الحزب الجديد ، وهو حزب الطريق القويم) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٩٩] .

الثاني : نظرتهم إلى العمل الإسلامي ، تختلف نظرة طلاب النور إلى العمل الإسلامي عن نظرتهم إلى السياسة ، حيث يكادون يتفقون على أهميته ، وخاصة أنها نظرة شيخهم النورسي - رحمه الله - ، ولكنهم يختلفون في الكيفية ، إلا أن الكل في طريق مفيد وإن اختلفت وجهات النظر ، ولا أحد ينكر على الآخر (فقسم منهم يهتم بإلقاء المواعظ والخطب وتسجيلها ونشرها ، وبإنشاء مدارس حفظ القرآن الكريم وتدريسه ، وإنشاء المدارس والأقسام الداخلية لتربية النشء الجديد على الإسلام ، وقسم يركز على إنشاء المطابع لطبع الكتب والمجلات الإسلامية) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ٢٩٩ - ٣٠٠] .

الثالث : نظرتهم إلى التربية :

اهتم قسم من طلبة النور بالتربية والتعليم ، وتمثلت في نظرتهم إلى النواحي

---

(١) انظر مجلة البيان ، العدد ١٢٤ ، ذو الحجة ، عام ١٤١٨هـ ، ص.ص٨٦-٨٨ .

العلمية والفكرية ، حيث أنشأوا (مدارس عديدة لتحفيظ القرآن الكريم وبنايات وأقسام داخلية لمختلف مراحل الدراسة للطلبة ، وفي هذه المدارس والأقسام الداخلية تتم تربية الطلاب تربية إسلامية صحيحة ، إضافة إلى تقديم خدمات السكن والطعام والتدريس الخصوصي لهم ، وتُعدُّ الدروس والحلقات الجماعية التي يعقدها طلبة النور أسبوعياً العمود الفقري في التربية والتوجيه عندهم ، وفي الصيف تقام المخيمات التي تتضمن برامج الترفيه والرياضة والتوجيه والتدريس) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ٣٠٢-٣٠٣ بتصرف] .

الرابع : نظرتهم إلى الجوانب العلمية والفكرية :

يهتم طلاب النور بطباعة الكتب والرسائل العلمية ونشرها ، والتي تتناول مواضيع عديدة ، ومنها :

أ – طبع ونشر المئات من رسائل النور .

ب – طبع سلسلة من الكتب العلمية التي تربط العلم بالإيمان .

جـ – طبع سلسلة علمية تتناسب مع إدراك وفهم الأطفال ، وكذلك قصص بطولية في التاريخ الإسلامي .

د – طبع القصص الإسلامية .

هـ – ترجمة بعض رسائل النور إلى لغات مختلفة .

و – إصدار موسوعات عديدة ومهمة تخدم الجوانب العلمية والتاريخية .

ز – إصدار كتب إسلامية تتناول مواضيع عقدية فكرية وتربوية واجتماعية وقانونية وأدبية وسياسية واقتصادية .

حـ – (إنشاء مراكز تسويق لبيع هذه الكتب والنشرات في عدد من المدن التركية بواسطة الاتصال الهاتفي ، وذلك لضمان سرعة إيصال الكتب والنشرات إلى راغبيها في الوقت المحدد لها) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ بتصرف] .

الخامس : نظرتهم إلى الإعلام :

رأى قسم من طلبة النور أن الإعلام أصبح وسيلة مهمة في تبليغ الدعوة إلى الناس وتوجيههم ، ولذلك استغلوا هذه الوسائل على حسب القدرة والمستطاع وحسب وجهات النظر ، وذلك على النحو التالي :

أ – إنتاج أفلام فيديو تسجل عليها مسائل في العقيدة والتربية والشعائر الإسلامية ، مثل : الصلاة ، والحج ، وكذلك التمثيليات التاريخية والاجتماعية ، وبلغات متعددة .

ب – إنشاء محطات الإذاعة والتلفاز الإسلامية ، سواء عن طريق بعض الأغنياء أم عن طريق التبرعات من أفراد الطلاب وتجمعاتهم .

جـ – الاهتمام بإصدار المجلات والصحف ، سواء كانت يومية أو أسبوعية أو شهرية أو فصلية ، والتي تتناول المجالات العلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية ، وبلغات مختلفة ، وفي بلدان مختلفة متفرقة ، كألمانيا وأمريكا وغيرهما . [علي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ٣٠٠ - ٣٠٣ بتصرف] .

وهنا يتضح مدى تفهم طلاب النور للعملية التربوية ، وأنها تشمل جميع جوانب الحياة ، وليست مقصورة على جانب دون آخر ، وإن اختلفوا في وجهات النظر أو في المقاصد والأهداف .

المبحث الرابع : عبادته وجهاده وخلقه .

الجوانب العملية في حياة المسلم دليل ظاهر على الجوانب الباطنية ، بمعنى أن الحُسْنَ في العبادة والأخلاق ناتج عن حُسْنِ الاعتقاد ، والإيمان هو أس من أساس الحياة وشامل للدين كله ، كما قال ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان» . [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، ج١ ، ص.ص٦٥ - ٦٦ ، برقم ٣٥] .

ولذلك عُرِّف الإيمان بأنه (إقرار القلب المستلزم للقول والعمل ، فهو اعتقاد وقول وعمل : اعتقاد القلب ، وقول اللسان ، وعمل القلب والجوارح) [العثيمين ، ١٤١٧هـ ، ص ٩٤] . ووصفه النورسي بأنه (النور الحاصل بالتصديق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام تفصيلاً في ضروريات الدين وإجمالاً في غيرها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥١] .

والنورسي تمثل الإيمان اعتقاداً وقولاً وعملاً ، فكانت عبادته وجهاده وأخلاقه متميزة عن غيره من أفراد مجتمعه ، مما كان له الأثر الكبير على أفكاره وآرائه التربوية ، وتحدث الباحث عن ذلك حسبما دونته المصادر المتوفرة ، وحسب الجوانب التالية :

١- عقيدته :

سلامة المعتقد جانب مهم في حياة المسلم ، وخاصة الدعاة من العلماء والمفكرين التربويين ، ولهذا رأى الباحث أن يتطرق بالحديث عن عقيدة شخصية البحث ؛ لأهمية معرفتها في فكره التربوي الواسع ، وذلك من خلال ما ظهر له أثناء الاطّلاع على رسائل النور التي هي التراث العلمي الذي خلفه النورسي .

أولاً : عقيدته في الأسماء والصفات :

١- في الأسماء : يرى الباحث أن عقيدته في الأسماء هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، حيث يذكر في جوانب متعددة من رسائله عدداً كبيراً من أسماء الله تبارك وتعالى ، تختلف مسمياتها حسبما يقتضيه سياق الكلام من مثل قوله : (إن سلطنة الألوهية تقتضي وجود أسماء حقيقية متعددة لها ، أمثال : الرزاق ، الوهاب ، الخلاق ، الفعال ، الكريم ، الرحيم . وهذه الأسماء والصفات تقتضي كذلك وجود مرايا حقيقية لها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص١٠٧] ، ولم يظهر للباحث أثناء الاطلاع على الرسائل أي قول للنورسي يدل على تعطيل للأسماء أو لبعضها .

٢- في الصفات : في مواضع متعددة من رسائل النور يذكر النورسي الصفات ذكراً مجملاً دون ذكر لمسمياتها ، وتكون غالباً بعد ذكره للأسماء ، كمثل ما ذكر في عقيدته في الأسماء ، ومثل قوله : (وكما أنه محال أن تكون أسماء بلا مسميات ، كذلك محال أن تكون الصفات بلا موصوف) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٦] ، إلا أنه ورد أثناء حديثه عن الكون وما شاهده من ذلك السائح المتأمل في أرجائه من إتقان الخلق وإبداع الصنعة ، قوله : (إن حقيقة تبارز الألوهية أيضاً تُحَسّ وتوجد بداهة ضمن حقيقة الربوبية تعرف نفسها أيضاً بتجليات الأسماء الحسنى ذات الرحمة والكرم ، وبالتجليات الجلالية والجمالية للصفات الثبوتية السبعة[١] ، التي هي : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٨٨] .

---

(١) الأولى أن تكون السبع ، وليست السبعة .

وقد يقول قائل : إن هذا هو رأي الأشاعرة في الصفات ، حيث (بدأ معتقدهم في صفات الله تعالى عند أسلافهم بنفي صفات الله الاختيارية ، ثم نفي بعض صفات الذات الخبرية ، ثم نفي صفتي العلوّ والاستواء ، ثم نفي صفات الذات الخبرية جميعها ، ثم انتهى عند الخلوف إلى إثبات سبع صفات) [صوفي ، ١٤١٨هـ ، ج٢ ، ص٦١] ، إلا أن الباحث يرى غير ذلك في حق النورسي ، وأنه لا يعتقد مذهب الأشاعرة في الصفات للأدلة التالية :

أ – أن النورسي – رحمه الله – أوضح مراده بإيراد هذه الصفات ضمن هذا السياق ، حيث قال بعد كلام مفصلٍ لكل صفة وتجليها في الكون : (وقياساً على هذا فإن صفات البصر ، والسمع ، والإرادة ، والكلام ، كل منها تعرف الذات الأقدس تعريفاً واسعاً جداً بسعة الكون ، وإن تلك الصفات مثلما أنها تدل على وجود ذاته جل وعلا ، فهي تدل كذلك بداهة على وجود الحياة وتحققها ، وعلى أنه سبحانه وتعالى (حي) ، ذلك لأن العلم علامة الحياة ، والسمع أمارة الحيوية ، والبصر يخص الأحياء ، والإرادة تكون مع الحياة ، والقدرة الاختيارية توجد في ذوي الحياة ، أما التكلم فهو شأن الأحياء المدركين) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٨٩] .

ب – أنه لم ينص في جميع رسائله على أن ذلك مذهب الأشاعرة ، وأنه يرى رأيهم في الصفات ، بل لم يرد ذكر الأشاعرة في جميع الرسائل إلا مرة واحدة عند الحديث عن إرادة العبد ومشيئته .

جـ – ذكره لعدد من الصفات غير هذه السبع في مواضع أخرى حسبما يقتضيه سياق الحديث ، من مثل قوله مخاطباً المصلي : (فأنت عندما تقول : الله أكبر ، تمضي معنى وتقطع – خيالاً أو نيةً – الدنيا والآخرة ، حتى تتجرد عن القيود المادية ، فتصعد مكتسباً مرتبة عبودية كلية ، أو ظلاً من ظلال المرتبة الكلية ، أو بصورة من صورها ، وتتشرف بنوع من الحضور القلبي والمثول بين يديه تعالى ، فتنال حظوة عظمى بخطاب (إياك نعبد) كل حسب درجته) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص٢١٩] ، وكذلك قوله : (إن الإنسان الذي استنارت روحه بنور الإيمان ، يستطيع عرض حاجاته كلها بلا حاجز ولا مانع بين يدي ذلك الجميل ذي الجلال ، ذلك القدير ذي الكمال ، ويطلب ما يحقق رغباته ...) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٢٩١] ، حيث ذكر في هذا السياق عدداً من الصفات غير السبع ، وخاصة إثبات اليدين في هذا السياق والذي قبله ، مما يستحيل أن يقصد بهما القدرة ، فيقال أنه وصف الله تعالى بأن له

قدرتين – حاش لله – ، وهو كثير في رسائله يبين أن لله قدرة واحدة ، يخلق بها الكون كله كخلقه لذبابة ونحو ذلك .

د – أنه فرق بين مسمى أهل السنة والجماعة وبين مسمى الأشاعرة ، واعتبر نفسه من أهل السنة والجماعة ، وذلك عند حديثه عن إرادة العبد ومشيئته ، كما في قوله : (فنحن يا أهل السنة والجماعة نقول : يا أهل الاعتزال ! إن العبد ليس خالقاً للحاصل بالمصدر كالحاصل من المصدر ، بل هو مصدر المصدر فقط ، إذ (لا مؤثر في الكون إلا الله) ، والتوحيد هكذا يقتضي ، ثم نقول : يا أهل الجبر ! ليس العبد مضطراً ، بل له جزء اختياري ؛ لأن الله حكيم ، وهكذا يقتضي التنزيه ، ونقول : إن الميلان إن كان أمراً موجوداً – كما عليه الأشاعرة – فالتصرف فيه أمر اعتباري بيد العبد ، وإن كان الميلان أمراً اعتبارياً كما عليه الماتريدية ، فذلك الأمر الاعتباري ثبوته وتخصصه لا يستلزم العلة التامة الموجبة ، فيجوز التخلف)[1] [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص٨٠-٨١] .

هـ – لم يعثر الباحث على نص صريح في رسائل النور يشير إلى تعطيل الصفات أو بعضها .

و – أن العلماء والمفكرين إذا خلفوا علماً دون إبداء رأي صريح في مسألة من المسائل العلمية بما فيها المسائل الاعتقادية ، فلا يجوز لمن يبحث في تراثهم العلمي بعد وفاتهم أن يصدر الأحكام عليهم حسب رأيه هو ، لئلا يحكم عليهم بما يخالف أهدافهم ومقاصدهم ، بل عليه أن يحمل ما لم يظهر له ويتبين على المحمل الحسن ، ويلتمس لهم الأعذار ، ومن ثَم البعد عن اتهامهم في عقائدهم بدون دليل واضح بيّن .

ولذلك نقول : إن النورسي – رحمه الله تعالى – ينسب إلى أهل السنة والجماعة ، وإن ظهر أنه لم يتخلص تخلصاً كاملاً عن الكلام والتصوف ، لتأثره بعلماء عصره ومصره الذين تلقى عليهم العلم في بداية تعلمه ، ثم قراءته الفردية لعدد من الكتب المختلفة العلوم والمعارف دون موجه ولا مرشد أثر عليه كذلك مع العزلة التي فرضت عليه ، وتمثلت في النفي تارة ، وفي السجن تارة أخرى ، والإقامة الجبرية ثالثة ، دون الاجتماع بالعلماء والدعاة الذين يبصرون له الحق ويرشدونه إلى الأصوب .

---

(١) إذ كثيراً لا يقع الفعل بوقوع الميلان [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٨١] .

ثانياً : التوسل بجاه النبي ﷺ :

لاحظ الباحث أن النورسي – رحمه الله تعالى – يتوسل بالرسول ﷺ ، وقد ورد ذلك على لسانه عند بعض الأدعية التي يختتم بها رسائله غالباً ، بل يتوسل بالأنبياء والصحابة أحياناً ، فمن توسله بالرسول ﷺ ، قوله : (يارب بحرمة الحبيب الأكرم عليه الصلاة والسلام ، وبحق الاسم الأعظم ، اجعل قلوب ناشري هذه الرسالة ورفقائهم مظهراً لأنوار الإيمان ...) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٩٧] [(١)] .

ومن توسله بالأنبياء ، قوله : (اللهم يامن أجاب نوحاً في قومه ، ويامن نصر إبراهيم على أعدائه ، ويامن تقبل يونس ابن متّى ، نسألك بأسرار أصحاب هذه الدعوات المستجابات أن تحفظني ، وتحفظ ناشري هذه الرسائل ورفقاءهم من شر شياطين الإنس والجن ...) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٤٤٤] .

ومن توسله بالرسول ﷺ والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، ما أورده أحد طلابه ضمن ذكرياته عن أستاذه النورسي ، فقال : (كان الأستاذ يدعو الله سبحانه وتعالى كثيراً ، ويذكر أسماء الطلاب في دعائه مستشفعاً برسول الله ﷺ ، ومنادياً باسمه وأصحابه الكرام) [شاهين ، ١٩٩٧م ، ص٦٢] .

ولذا رأى الباحث أن يتعرض لهذا الموضوع ؛ لأهميته ، وخاصة في هذا العصر ، حيث وقع فيه كثير من الناس إما عن جهل بمعناه ، أو بالاعتماد على أدلة ضعيفة ، والتوسل (لفظة عربية أصلية وردت في القرآن والسنة وكلام العرب من شعر ونثر ، وقد عُني بها التقرب إلى المطلوب والتوصل إليه برغبة . قال ابن الأثير في (النهاية) : الواسل : الراغب ، والوسيلة : القربة والواسطة وما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به ، وجمعها : وسائل) [الألباني ، ١٤٠٠هـ ، ص٨] .

وقال صاحب القاموس المحيط : (وسَّلَ إلى الله تعالى توسيلاً : عمل عملاً تقرب به إليه ، كتوسل ، والواسل : الواجب ، والراغب إلى الله تعالى) [الفيروز آبادي ، ١٤٠٧هـ ، ص١٣٧٩] .

أما تعريف التوسل شرعاً ، فهو (عبادة يراد بها التوصل إلى رضوان الله والجنة ، ولهذا نقول : جميع العبادات وسيلة إلى النجاة من النار ، ودخول الجنة ، قال الله تعالى :

---

(١) انظر [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٢٥٠] .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمِ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾[1]) [العثيمين ، ١٤١٨هـ ، ص٩] ، وأدرج الباحثُ التوسلَ تحت مسمى عقيدة شخصية البحث دون غيره ؛ (لأن المتوسل يعتقد أن لهذه الوسيلة تأثيراً في حصول مطلوبه ، ودفع مكروهه ، فهو في الحقيقة من مسائل العقيدة ؛ لأن الإنسان لا يتوسل بشيء إلا وهو يعتقد أن له تأثيراً فيما يريد) [العثيمين ، ١٤١٨هـ ، ص١١٤] .

والتوسل ينقسم إلى قسمين : مشروع ، وممنوع :

١- التوسل المشروع : وهو (ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وجرى عليه عمل السلف الصالح ، وأجمع عليه المسلمون ، وهو ثلاثة أنواع ، هي : التوسل باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته ، الثاني : التوسل بعمل صالح قام به الداعي ، الثالث : التوسل بدعاء رجل صالح) [الألباني ، ١٤٠٠هـ ، ص٤١ ، بتصرف] .

٢- التوسل الممنوع : وهو ما كان بوسيلة لم تثبت في الشرع ، وهو نوعان : الأول : أن يكون بوسيلة سكت عنها الشرع ، والثاني : توسل المشركين بأصنامهم وأوثانهم ، وتوسل الجاهلين بأوليائهم) [العثيمين ، ١٤١٨هـ ، ص١٤] .

وبعد هذا العرض عن التوسل من معرفة معناه في اللغة والشرع ، ومعرفة أقسامه ، يرى الباحث أن توسل النورسي المذكور هنا هو من النوع الأول الممنوع ؛ لأنه توسل بوسيلة سكت عنها الشرع ، مثل : (التوسل إلى الله تعالى بجاه شخص ذي جاه عند الله ، كالتوسل بجاه النبي ﷺ ، فيقول : " اللهم إني أسألك بجاه نبيك كذا وكذا) ، ولا يجوز ذلك ؛ لأنه إثبات لسبب لم يعتبره الشرع ؛ ولأن جاه ذي الجاه ليس له أثر في قبول الدعاء ؛ لأنه لا يتعلق بالداعي ولا بالمدعو ، وإنما هو من شأن ذي الجاه وحده) [العثيمين ، ١٤١٨هـ ، ص٣١] .

وبهذا يتضح أن فعل النورسي - رحمه الله تعالى - في التوسل بجاه الرسول ﷺ أو بغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو بالصالحين من الصحابة الكرام وغيرهم كما ورد في أدعيته ، غير جائز ، وليس بمشروع ؛ لافتقاده إلى الدليل الصحيح الذي تقوم به الحجة ، إضافة إلى ذلك ، فقد (أنكره العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة) [الألباني ، ١٤٠٠هـ ، ص٤١] ، إلا أن النورسي قد يعذر في ذلك ؛

---

(١) سورة الإسراء : آية ٥٧ .

لوجود الخلاف قديماً وحديثاً بين علماء المسلمين في التوسل بالنبي ﷺ وبغيره من الأنبياء والصالحين ، فقد (أجاز الإمام أحمد التوسلَ بالرسول ﷺ وحده فقط ، وأجاز غيره - كالإمام الشوكاني - التوسلَ به وبغيره من الأنبياء والصالحين) [الألباني ، ١٤٠٠هـ ، ص٤١] ، ولكن الأولى للنورسي وغيره من العلماء والدعاة والمربين أن يأخذوا بالأحوط والأسلم في الأمور الخلافية ، وخاصة فيما يمسّ عقيدة المسلم .

ثالثاً : النورسي والتصوف :

بيئة النورسي التي عاش فيها تعج بعدد من الطرق الصوفية بشهادته هو ، حيث قال : (اسم أستاذي في الطريقة النقشبندية **سيد نور محمد** ، وأحد أساتذتي في الطريقة القادرية **نور الدين**) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٧١] . وكلاهما من الطرق الصوفية ، ثم إن طريقته مع طلابه في آخر حياته (أشبه ما تكون بخطة التربية الصوفية) [الوكيل ،١٤١٤هـ ، ص٤٢٦] إلا أن انتقاده للطرق الصوفية في كثير من رسائله تجعل القارئ يتوقف عن اتهامه بالتصوف ، حيث أعلن (أن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية ، بل زمان إنقاذ الإيمان) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٦٣] . وهذا اعتراف منه بأن الطرق الصوفية تعجز عن تقوية الإيمان أو إنقاذه من الضعف ، وأكد ذلك بقوله لطلابه : (إن ثباتكم وصلابتكم تبطل جميع خطط الماسونيين والمنافقين ، وتجعلها بائرة عقيمة ، نعم يا إخوتي ، لا داعي للإخفاء ، إن أولئك الزنادقة قد قاسوا رسائل النور وطلابها بالطرق الصوفية ، ولاسيما الطريقة النقشبندية ، فقد شنوا هجومهم علينا بالخطط نفسها التي غلبوا بها أهل الطرق الصوفية ، إلا أنهم انخدعوا ، لأن مسلك النور قد أُسس على الإخلاص التام وترك الأنانية واستشعار الرحمة الإلهية في زحمة الأعمال ومشقاتها ، فضلاً عن قيامها بتعليم الحقائق وتفهيم المسائل التي تعجز الفلسفة - أياً كانت - أن تبلغها ، لذا ستخيب آمالهم ، وتبوء خططهم بالإخفاق بإذن الله ، وسيجابهون بأن مسلك رسائل النور لا يقاس مع الطرق الصوفية ويبهتون) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص٣٥٧ - ٣٥٨] .

ومما قاله النورسي في الصوفية في هذا الكلام وغيره من رسائله ، خلص الباحث إلى الآراء التالية :

١- أن النورسي لديه معرفة تامة بحقائق الطرق الصوفية ، حيث خبرته بها مكّنته من معرفة حقائقها ، والتي تمثلت في الآتي :

أ) أن إيمان أتباعها ضعيف ، لا يرقى إلى درجة مقاومة أهل الإلحاد والزندقة وغيرهم ، مما يجعل الأَتْبَاع في موقف ضعف وهوان .

ب) أن حقائق ضعفها وما يدور بين أتباعها قد يخفى على كثير من الناس ، إلا من دخلها ثم وفقه الله للخروج منها .

٢- أن الطعن في الدين الإسلامي لا يستطيعه الأعداء إلا عن طريق ما استحدثته تلك الطرق من البدع والخرافات التي لا تَمِتُّ إلى الدين بِصِلة .

٣- أن رسائل النور كانت أقوى بكثير من الطرق الصوفية في مجابهة العلمانيين والماسونيين الذين عدّلوا وبدّلوا في دين الأمة وعقيدتها عند الاستيلاء على البلاد ، مما يدلّ على أنها تخالف طريقة أصحاب الطرق .

٤- النورسي صاحب دعوة صادقة ، يريد إنقاذ الإيمان في النفوس ، ولا يكون ذلك إلا بإعلان ضعف منهج الطرق عن ذلك ، وقوة منهج أهل السنة والجماعة المؤسس على الحق ، ولذلك يحث على التمسك بالسنة ما قلّ منها وما كثر عند حديثه عن الآية : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ... ﴾ [سورة آل عمران : آية ٣١] قال : (تعلن هذه الآية العظيمة إعلاناً قاطعاً عن مدى أهمية اتّباع السنة النبوية ومدى ضرورتها ، إن محبة الله تستلزم اتّباع السنة المطهرة وتنتجه ، فطوبى لمن كان حظه وافراً من ذلك الاتّباع ، وويل لمن لا يقدّر السنة الشريفة حق قدرها فيخوض في البدع) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٨٤ ـ ٨٥] .

٥- إعلانه أن البدع المستحدثة في الدين ضلال ، وهذا ما تتسم به الطرق الصوفية المعاصرة ، حيث تحدث عن معنى قول الرسول ﷺ : « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » [جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، برقم ٨٦٧ دون لفظ " وكل ضلالة في النار "[1] ، ج٢ ، ص ٤٩٦ ، برقم ٨٦٧] . فقال (بعد أن كملت قواعد الشريعة الغراء ، ودساتير السنة المطهرة ، وأخذت تمام كمالها ، بدلالة الآية الكريمة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم ﴾ [سورة المائدة ، آية ٣] . فإن عدم استحسان تلك الدساتير بمحدثات الأمور أو إيجاد البدع التي تشعر كأن

(١) هي عند النسائي فقط ، وسندها صحيح . [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٨٦] .

تلك القواعد ناقصة – حاش لله – ضلال ليس له مستقرّ إلا النار) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٨٦] .

٦- بيانه – رحمه الله – أقسام السنة النبوية ، وحكم الاتّباع لكل قسم ، دلالة على حبه لاتّباع السنة ، وحث طلابه على ذلك خوفاً من الوقوع في البدع ، فيقول : (إن للسنة المطهرة مراتب ، قسم منها **واجب** لا يمكن تركه ، وهو مبين في الشريعة الغراء مفصلاً ، وهو من المحكمات ، أي لا يمكن بأية جهة كانت أن تتبدل ، وقسم منها هو من قبيل **النوافل** ، وهذا بدوره قسمان :

قسم منه هو السنن التي تخص العبادات ، وهي مبينة أيضاً في كتب الشريعة ، وتغيير هذه السنن بدعة .

أما القسم الآخر : فهو الذي يطلق عليه (الآداب) ، وهي المذكورة في كتب السير الشريفة ، ومخالفتها لا تسمى بدعة ، إلا أنها من نوع مخالفة الآداب النبوية ، وعدم الاستفاضة من نورها ، وعدم التأدب بالأدب الحقيقي ، فهذا القسم هو : اتّباع أفعال الرسول ﷺ المعلومة بالتواتر في العرف والعادات والمعاملات الفطرية ، ككثير من السنن التي تبين قواعد أدب المخاطبة ، وتظهر حالات الأكل والشرب والنوم ، أو التي تتعلق بالمعاشرة ، فمن يتحرى أمثال هذه السنن التي تطلق عليها **الآداب** ويتبعها ، فإنه يُحوِّل عاداته إلى عبادات ، ويستفيض من نور ذلك الأدب النبوي ، لأن مراعاة أبسط الآداب وأصغرها تذكر بالرسول الأعظم ﷺ ، مما يكسب النور في القلب) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٨٦] .

وهكذا فإن الباحث يرى أن النورسي ينكر على أصحاب الطرق الصوفية ، وأنه لم ينهج نهجهم ، بل أعلن – صراحة – مخالفته لهم وإن ظهر في بعض كلامه مصطلحات صوفية ، ورثها من أساتذته ومجتمعه الذي اشتهر في زمن النورسي بكثرة الطرق الصوفية المتعددة ، وأكبر دليل على المخالفة والإنكار ، ما تضمنته رسائله في جوانب كثيرة من الانتقاد على أهل الطرق ومحاربته للبدعة ، وحثه على التمسك بالسنة في جميع جوانبها ، بل جعلها سبباً لنور القلب وصلاحه ، لذلك فإن طريقة النورسي (أقرب إلى جماعة إصلاحية من الطرق الصوفية السلبية) [ياجن ، ١٤١٠هـ ، ص ١٢٥] .

ثم إنه أعلن امتداحه لطريقة أهل السنة والجماعة فقال : (إن أهل الحق والاستقامة الذين يطلق عليهم أهل السنة والجماعة ، وهم يمثلون الغالبية العظمى في العالم الإسلامي ،

قد قاموا بحفظ حقائق القرآن والإيمان كما هي على محجتها البيضاء الناصعة ، وذلك باتّباعهم السنة الشريفة كما هي) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٣٩] .

٢- عبادته :

ينتشر في تركيا مذهبان من المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة ، وهما : المذهب الحنفي ، والمذهب الشافعي . والمذهب الحنفي أكثر انتشاراً من المذهب الشافعي ، وقد أشار النورسي إلى ذلك بقوله : (نجد أن أكثرية الذين يتبعون الإمام الشافعي ﷺ هم أقرب من الأحناف إلى البداوة وحياة الريف ... أما الذين يتبعون الإمام الأعظم **أبو حنيفة النعمان** ﷺ فهم بأكثريتهم المطلقة أقرب إلى الحضارة وحياة المدن المؤهلة لحياة اجتماعية ، وذلك بحكم التزام أغلب الحكومات الإسلامية لهذا المذهب) [الكلمات ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٧٠] . إلا أن النورسي رحمه الله شافعي المذهب ، وذلك حسب قوله (أنا شافعي المذهب ، وأن أحد شروط صلاة الجمعة - حسب هذا المذهب - هو أن يقرأ الفاتحة أربعون شخصاً مأموماً ، مع شروط أخرى أيضاً ، لذا فلا تفرض عليّ الجمعة هنا) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٤٩] .

وجاء ذلك ضمن ردوده على منتقديه بأنه لا يصلي الجمعة ، وأضاف إليه منع السلطة له من الاجتماع بالناس لمدة عشرين سنة ، ومن ذلك دخول المساجد ، وبهذا يتضح أن عبادته ستكون موافقة لمذهب صحيح من المذاهب الأربعة ، وكان ـ رحمه الله ـ كثير العبادة والذكر ، ساعده في ذلك - بعد توفيق الله تعالى له - سجنه مرة ، ونفيه أخرى ، وفرض الإقامة الجبرية عليه ثالثة ، حيث انقطع للعبادة وتأليف الرسائل ، وهي عبادة - إذا قُصِد بها وجه الله - ، واهتم كثيراً في رسائله بالحديث عن أركان الإسلام ، ومنها : الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، فشَرحَ حِكَمَ فرْضِها وأهميتها في حياة الفرد والأمة في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك موقفه في مجلس الأمة عندما انعقد عام ١٩٢٣م ، وكان ضمن المدعوين إلى حضوره ، وشاهد عدم الاهتمام بالصلاة من قِبَل الأعضاء ، فألقى خطاباً جامعاً في المجلس ، وبدأه بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتَا** ﴾ [سورة النساء : آية ١٠٣] . ثم قال : (أيها المبعوثون : إنكم لمبعوثون ليوم عظيم ، فعليكم إذاً الامتثال بأمره الصريح ، وهو الصلاة المكتوبة ... إن الأمة الإسلامية يتطلعون أن يكون رؤساؤهم صالحين أتقياء ، حتى لو كانوا هم فسقة ، بل إن أول ما يبادر أهل كردستان - الولايات الشرقية - مسؤوليهم هو سؤالهم

عن صلاتهم ، فإن كانوا مقيمين لها فبها ونعمت ، ويثقون بهم ، وإلا فسيظل الموظف المسؤول موضع شك وارتياب رغم كونه مقتدراً في أداء واجباته) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص٢٠٠-٢٠١] .

وهذا دليل على اهتمام النورسي بالعبادات ، وخاصة الفرائض ، وأنها من أسباب سعادة الأمة ونصرها على عدوها ، ثم نستمع إلى أحد تلاميذه ، وهو (الملا حميد) يصف لنا جانباً من عبادته ، فيقول : (كنت أنشرح كثيراً عندما أصلي مقتدياً بالأستاذ ، كان قيامه للصلاة يزيد الإنسان رهبة وخشوعاً ، وكان يرشدنا إلى أن التسبيحات والأذكار عقب الصلاة ، إنما هي بحكم نوى للصلاة وبذورها ، وكان يسبح ويذكر الله بصوت رخيم حزين ، فعندما يقول : سبحان الله ، كنا نسمعه يصدر على مهل من أعماق أعماق قلبه ، إنني شخصياً لم أرَ مثل الأستاذ قط من يصلي ثم يسبّح بهذا الخشوع والحزن ، مع أنني رأيت كثيراً من الشيوخ والعلماء) [عبد الحميد ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨] .

وقال أيضاً : (يقوم لصلاة التهجد كل ليلة ، وكنت أحياناً أراه وهو يصلي ، فلا أستطيع النوم ، وعندما كان يراني مستيقظاً يقول : ما دمتَ مستيقظاً فتعال وشاركني في الدعاء) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ١١٠] .

هذه بعض جوانب اهتمام النورسي بالعبادة وحرصه على القيام بها وكثرة الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى ، وهي في حدّ ذاتها تربية عملية لطلابه وتلاميذه ، لأن المربي الناجح لا بدّ من قيامه بالتربية قولاً وعملاً ، وأن يكون فعله مترجماً لقوله ، ليظهر صدق دعواه وشدة تمسكه بها .

٣- جهاده :

لقد أفنى النورسي حياته - منذ شبابه إلى وفاته - مجاهداً في سبيل الله ، وجمع بين جهاد السيف واللسان والقلم .

فأما جهاد السيف فتمثل في الدعوة إليه وحث الناس على مقاتلة الأعداء ، حيث كان يقول لطلابه : (تهيأوا واستعدوا ! إن زلزالاً رهيباً على الأبواب) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦١] . وكان ذلك بعد معارضته في دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ، ولكن ما إن دخلَتْ وتورطَتْ ، ورأى الخطر القادم على الأمة ، حتى سارع مع مجموعة من العلماء في فتوى الجهاد ضد الأعداء ، ثم المشاركة الفعلية بنفسه وطلابه ، ففي

عام ١٩١٢م (قاد النورسي قوات الفدائيين في حرب البلقان ، وعندما دخل الجيش الروسي مدينة (بتليس)[1] كان النورسي وطلابه يدافعون عن المدينة ببسالة ، ولكنه جُرح جرحاً بليغاً ، ثم أسره الروس وأرسلوه إلى معسكر شرقي روسيا ، وبقي في الأسر سنتين وأربعة أشهر ، ثم استطاع الهروب من المنفى – على أثر قيام الثورة البلشفية – إلى ألمانيا ، ومنها إلى استانبول) [عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٠٠] .

وأما جهاد اللسان فتمثل في مواقفه الشجاعة ، وصلابته في الحق مهما كانت المواقف ، ومن ذلك موقفه من مصطفى كمال وجميع النواب عندما حضر مجلسهم بدعوة من مصطفى كمال ، فرأى أن النواب لا يؤدون الصلاة ، فما كان منه إلا أن ألقى بياناً في المجلس بيّن بموجبه أهمية الصلاة ووجوب المحافظة عليها ، مما جعل حوالي ستين منهم يقومون بتأدية الصلاة استجابة لبيان النورسي ، فغاظ ذلك مصطفى كمال ، وقال للنورسي : (لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من أرائل المهمة ، ولكن أول عمل قمتَ به لنا هو الحديث عن الصلاة ، لقد كان أول جهودك هنا هو بث الفرقة بين أهل هذا المجلس ، فأجابه بديع الزمان مشيراً إليه بإصبعه في حدة ! باشا ـ باشا .. إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة ، وإن الذي لا يصلي خائن ، وحكم الخائن مردود) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٥٣] . ثم مواقفه المتعددة أثناء محاكمته المتكررة ، حيث لم يداهن في أي دفاع ، أو يلين في الحق أمام أي محكمة ، ومما قاله : (لو كان لي ألف روح لما ترددتُ أن أجعلها فداءً لحقيقة من حقائق الإسلام ، فقد قلت : أنني طالب علم ، لذا فأنا أزِنُ كل شيء بميزان الشريعة ، إنني لا أعترف إلا بملّة الإسلام) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٣٤] .

وقال عند اتهامه بالرجعية بسبب تمسكه بالدين ومحاربته الفساد : (إن كانت المشروطية تعني مخالفة الشريعة واستبداد جماعة معينة ، فليشهد الثقلان أني رجعي ، وذلك لأن الاتحاد القائم على الكذب كذب أيضاً ، والمشروطية القائمة على أسس فاسدة ومفسدة ، مشروطية فاسدة) [عبد الحميد ، ١٤١٤هـ ، ص ١٩] .

ثم موقفه من القائد الروسي عندما دخل على الأسرى ، فوقفوا جميعاً إلا النورسي ، فاستوضح القائد من النورسي كأنه لم يعرفه ، فأخبره بأنه يعرفه ، وقال في عزة المؤمن القوي ، بإيمانه الذي لا تأخذه في الله لومة لائم : (إنني عالم

---

(١) كان ذلك عام ١٩١٦م . [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٣٩] .

مسلم ، أحمل في قلبي إيماناً ، فالذي يحمل في قلبه إيماناً هو أفضل من الذي لا إيمان له ، ولو أنني قمت لك ، كنت إذاً قليل الاحترام لعقيدتي ومقدساتي ، لذلك فإنني لم أقم لك) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٩] .

نعم ، هذه عزة المؤمن لا تتغير ولا تتبدل حسب الأهواء ، أو حسب الزمان والمكان ، بل ميزان الإيمان في القلب واحد ، في وقت الرخاء والشدة ، بل كل ما تعرف إلى الله في الرخاء بالعمل الصالح والتقوى ، عرفه الله في وقت الشدة وعند اشتداد الكرب ، ثم يجد التثبيت في الدنيا والآخرة ، كما قال الله : ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء** ﴾ [سورة إبراهيم : آية ٢٧] .

وأما جهاد القلم فإنه تمثل في مؤلفاته المتعددة ذات الرسائل المفيدة ، وقد سبق الحديث عنها عند تراثه العلمي ، ثم في رسائله إلى المسؤولين في الدولة ، حتى يبين لهم الحق ليتّبعوه ، ويحذرهم من الباطل ليجتنبوه ، ثم إلى أهل الضلالة والإلحاد ، كما جاء في اعتراضه المقدم إلى الادّعاء العام لمحكمة آفيون ، حيث ذيله بقوله : (فالواجب يقتضي من حيث الحقوق العامة أن تعمل محكمتكم الموقرة على الترغيب في هذه الرسائل[1] بدلاً من تخويف طلابها وترغيبهم عنها ، هذا ما نعلمه ، بل ننتظره منكم ، ومن المعلوم أن عدم التعرض لكتب الملاحدة وبعض الساسة المتزندقين ومجلاتهم وجرائدهم مع ضررها الفادح للأمة والبلاد والأمن العام - تحت ستار الحرية العلمية - يدفعنا حتماً إلى القول والتساؤل ، ما الجانب المحظور من التحاق شاب بريء - يحتاج إلى العون والمساعدة - إلى صفوف طلبة النور كي ينقذ إيمانه وينجو من التردي في هاوية الأخلاق الذميمة ؟. أفليس من الحكمة والعدل والواجب أن تحتضن الحكومة ووزارة المعارف هذا العمل وتشجعه وتقدّره حق قدره بدلاً من أن تعمل على مكافحته ، وعلى ملاحقتنا دون سبب ؟.) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٧٠] . وهذا إشارة إلى دور وزارات المعارف في البلدان الإسلامية من القيام بواجب التوجيه والإرشاد للشباب ، واشتمال المناهج والبرامج التعليمية على مصادر التربية الإسلامية من الكتاب والسنة ، والتي تكون حصناً حصيناً - بإذن الله - من تأثير التيارات الفاسدة ، وسداً منيعاً في وجه الأفكار المنحرفة الوافدة .

---

(١) يقصد بها رسائل النور .

٤- خُلُقُه :

اهتم النورسي رحمه الله تعالى بتربية طلابه على الأخلاق الفاضلة فيما بينهم أو مع غيرهم ، وكان شعاره في ذلك (دع ما يريبك إلى مالا يريبك) [الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٥٢٣] .

وبمعرفة سيرة النورسي منذ الولادة إلى الوفاة ، اتضح أن ذلك أصل متأصل في أسرته بدءاً بأبيه الذي كان يكمم أفواه ماشيته عند الذهاب بها إلى مزرعته والعودة إلى منزله ، قائلاً لمن سأله عن ذلك : (إن مزرعتي بعيدة بعض الشيء ، وأنا أضطر في الذهاب وفي الإياب إلى المرور عبر مزارع الجيران ، لذا أكمم أفواه هذه الحيوانات كي لا تأكل من حشائش هذه المزارع ونباتاتها ، لأنني أحذر أن تدخل بيتي لقمة حرام) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ١١] . وانتهاءً بأمه التي قالت : (إنها ما أرضعت أطفالها إلا وهي على طهر ووضوء) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ١٩] . وغير ذلك مما أُثر عن أفراد أسرته ، حيث اتصفوا بالورع والزهد والتقوى ، فشب النورسي على ذلك ، حيث قال الشاعر[1] :

وينشأ ناشئ الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه

فاكتسب أخلاقاً حميدة ، وورعاً من الوقوع في الحرام أو الشبهات ، وزهداً عن الدنيا وزُخْرُفِها ، وكان رحمه الله لين الجانب في غير مذلة ، رحيماً عطوفاً على القريب والبعيد ، محباً للخير متمثلاً له وداعياً إليه ، فمن تواضعه قوله : (إن إنسان هذا العصر يبيع هديته البخسة بثمن باهظ ، لحرصه وطمعه ، فيتصور شخصاً مذنباً عاجزاً مثلي ولياً صالحاً ، ثم يعطيني رغيفاً هدية ، فإذا اعتقدت أنني صالح - حاش لله - فهذا علامة الغرور ، ودليل على عدم الصلاح ، وإن لم أعتقد صلاحي ، فقبول ذلك المال غير جائز لي) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٧] .

وقال : (نحن نهرب هروباً من احترام الناس إيانا وتوقيرهم لنا ، وحسن ظنهم بنا ، وإكرامهم لنا ، وإعجابهم بنا ، وذلك بمقتضى مسلكنا ، فاللهاث وراء الشهرة التي هي رياء عجيب ، ودخول التاريخ بفخر وبهاء ، وهو عُجْبٌ ذو فتنة وحب الظهور ، وكسب إعجاب الناس ، كل ذلك منافٍ ومخالف للإخلاص الذي هو أساس من أسس مسلك النور وطريقه) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٨٩] .

---

(١) لأبي العلاء المعري في ديوانه ، ج٢ ، ص ٤١٣ ، ط ١٩٢٤م .

وأما زهده وورعه فقد تمثل في رفضه المناصب التي يجني من ورائها المال والجاه ، قائلاً : (إن حقيقة الإخلاص تمنعني عن كل ما يمكن أن يكون وسيلة إلى كسب شهرة لبلوغ مراتب مادية ومعنوية) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٦٦] .

ومن زهده كذلك : امتناعه عن أخذ مال الزكاة والصدقات الذي جُمِع له يوم أن كان طالباً ، أسوة بزملائه في ذلك الوقت ، حيث (إن أصدقاءه عندما توزعوا في القرى لجمع الزكاة والصدقات لم يذهب معهم ، مما أثار تقدير وإعجاب القرويين الذين جمعوا له فيما بينهم مساعدة مالية ، وقدموها له ، إلا أنه رفض أن يأخذها ، فاضطروا إلى إعطائها لأخيه الملا عبد الله) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٢٠] .

ثم رفضه لأخذ المرتبات من الدولة لئلا يفقد الإخلاص الذي جعله أحد أسس رسائل النور ، وعندما فرضت له الدولة مرتباً ، أخذ يشاور طلابه قائلاً لهم : (إخوتي الأعزاء الأوفياء ! إنني الآن أمام أمر واقع ، حيث أمرت السلطات تخصيص مبلغ قدره اثنان ونصف بنكنوت لمعيشتي اليومية علاوة على منزل مؤثث حسبما أريده ، علماً أن دستور حياتي الذي نفذته طوال ما يقرب من ستين سنة يقتضي رفض هذا ، فما قبلت مرتّباً إلا لمدة سنتين تقريباً عندما كنت عضواً في دار الحكمة الإسلامية ، وهذا أيضاً صرفته لطبع كتبي وتوزيعها مجاناً على الناس ، فردّت بضاعتهم إليهم) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٢٣٧] .

ومن أخلاقه : العطف على الآخرين والبعد عن العنف والفوضى ، حيث قال : (إن خدمتنا تؤسِّس الأمن والاحترام والرحمة ، فتسعى لإنقاذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص١٦٠] .

وكان رحمه الله يوجه طلابه ويرشدهم إلى احترام الآخرين وعدم مجادلتهم ، وخاصة طلاب العلم منهم ، حيث قال : (إياكم إياكم أن تفتحوا باب النقاش مع العلماء ، بل يجب التعامل معهم بالحسنى والمصالحة قدر الإمكان) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٢٨٢] .

ثم وجههم إلى العفو والصفح عمّن ظلمهم ، لأن الأكثر منهم أقدموا على ذلك عن طريق جهلهم وعدم معرفتهم بحقائق الأمور ، فيقول : (إن الكثير من طلابي قد ابتلوا بشتى أنواع البلايا والمصائب ، وتعرضوا لصفوف العذاب والمتاعب ، واجتازوا امتحانات

عسيرة – بفضل الله – . إنني أطلب منهم أن يتجاوزوا – مثلي – عمّن اقترف تلك المظالم وهضم الحقوق ، لأن أولئك قد ارتكبوا تلك الأمور عن جهل منهم ، والذين آذونا وعذبونا ، ساعدوا على نشر الحقائق الإيمانية دون أن يدركوا تجليات أسرار القدر الإلهي ، ووظيفتنا تجاه هؤلاء هي التمني لهم بالهداية) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٧١] .

هذه بعض جوانب أخلاق النورسي رحمه الله ، حيث دفعت الكثير إلى محبته وتقديره والاستماع إليه ، فتأثروا بدعوته الإصلاحية ، وأصبحوا من طلابه وممن تتلمذ على رسائله ، وهكذا الداعية الناجح يجب أن يطابق عمله قوله ، وإلا فُقِدت الثقة فيه ، وعُدِم تصديقه ، وانطبق عليه قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُون ۝ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُون ﴾ [سورة الصف : آية ٢ - ٣] .

المبحث الخامس : خصائص دعوته الإصلاحية .

كان النورسي إلى جانب كونه مفكراً إسلامياً ، ومعلماً تربوياً ، كان داعية محتسباً ، ومصلحاً اجتماعياً ، أفنى حياته في دعوة الناس إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والحذر من البدع والخرافات وأهل الضلال والأهواء ، وكانت دعوته تقوم على أسس وقواعد تميزت بها ، وحببت الناس إلى اتّباعها والانضواء تحت لوائها ، ورأى الباحث أن أهم هذه الأسس والخصائص ما يلي :

١- أنها قامت على أساس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدي الصحابة رضوان الله عليهم ، حيث قال النورسي في مواضع متعددة من رسائله : (إن رسائل النور ليست طريقة صوفية ، بل حقيقة ، وهي نور مفاض من الآيات القرآنية ، ولم تُستَقَ من علوم الشرق ولا فنون الغرب) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٠٢] .

ثم قال في مصادر تعلمه الذي هو أساس دعوته : (لقد تعلمت بدرس القرآن وبتعليم الرسول الأكرم ﷺ) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٤] .

وأشار إلى أن رسائل النور لا تسير وفق مسلك الطريقة الصوفية ، بل تسير وفق مسلك الحقيقة الذي هو (مسلك مقتبس من نور مسلك الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٦٢] .

٢- الشمول والتكامل :

لم تقتصر دعوة النورسي الإصلاحية على جانب دون آخر من جوانب الحياة الدنيا والآخرة ، بل تناولت جوانب العقيدة الصحيحة ، والتحذير من الوقوع في البدع والخرافات ، أو الانخداع بأهل الفلسفة والضلال ، كما شملت الجوانب الفكرية والعلمية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ، وجوانب الأخلاق والآداب ، بل ركزت كثيراً على الجوانب الإيمانية والتعبدية . ورسائله مليئة بالحديث عن هذه الجوانب المتعددة وغيرها ، وقد وضع قواعد منهجه على ذلك ، مما يدل على (تفهم عميق لحقيقة الإسلام ، وفقهٍ لرسالة الإسلام التي جاء بها رسول الله ﷺ لإنقاذ البشرية ، والقضاء على أنواع الفساد المستشري في نواحي الحياة المختلفة) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٨٣] .

٣- العملية والواقعية :

دعوة النورسي كانت مستمدة من الكتاب والسنة وهدي الصحابة الكرام ، وهي الأصول التي قامت عليها حياة الأمة في عهدها الزاهر ، ثم هي الأصول التي لا يمكن بغيرها انتظام الحياة في أي أمة وفي أي عصر ، وما دامت دعوة النورسي مستمدة من هذه الأصول الثلاثة ، فلا شك ولا ريب في واقعيتها للحياة ، وعدم مخالفتها لمصلحة الأمة الدنيوية والأخروية ، وكذلك يُسْرها وسهولتها ، ولا أدل على ذلك من انتظام ملايين الناس تحت لوائها .

ثم يشير النورسي إلى أن تقدم الأمة منوط بتحقق شروط ثلاثة : (تنظيم الوقت والعمل ، توافر الأمن والطمأنينة بين الناس ، تيسر سبل التعاون فيما بينهم) [محمد ، ١٩٨٦م ، ص ٢٧٩] .

ولا تتحقق هذه العناصر إلا بتحقق تطبيق الإسلام تطبيقاً كاملاً ، وإلا قد يتحقق بعضها ويُعْدم الآخر ، فلا يتحقق الانتظام والتكامل لشؤون الحياة ، كما دعا النورسي إلى إيجاد المدارس الحديثة التي تعلم العلوم الحديثة العصرية إلى جانب العلوم الشرعية ، نظراً لحاجة الأمة إليها في هذا العصر ، فطالب الحكومة بفتح مدارس في البلاد (على أن تُدرَّس المواد العلمية في هذه المدارس جنباً إلى جنب مع العلوم الدينية) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٠] .

ومشاركة النورسي وطلابه الفعلية في كثير من نواحي الحياة وتمثلهم العملي لما يقولون دليلُ مصداقيةِ واقعيتها .

٤- البعد عن العنف :

لم يؤْثَر عن النورسي رحمه الله أنه كان عنيفاً في دعوته ، أو شديداً على طلابه ، بل كان ليناً في غير ذل ، عزيزاً في غير تكبر ، متخذاً قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٥٩] دستوراً في حياته ، ولذلك يقول : (هناك خمسة أسس ضرورية لإنقاذ هذه الأمة وهذا الوطن في حياتها الاجتماعية ونجاتها من الفوضى والإرهاب ومن المخاطر العظيمة : **الأول** : الرحمة ، **الثاني** : الاحترام ، **الثالث** : الأمن والثقة ، **الرابع** : اجتناب المحرمات ، والتمييز بين الحرام والحلال ، **الخامس** : الطاعة وترك التسيب) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢١٣] .

ولذلك أقبل الناس على دعوته ومحبته ، ورغم سجنه ونفيه ومحاكمته مدة حياته ، إلا أن جميع المحاكم برأته من العنف وإثارة القلاقل ، وكان يربي طلابه على البعد عن العنف والفوضى والإرهاب ، قائلاً لهم : (إن مسلكنا دفاع لا اعتداء ، تعمير لا تخريب ، ونحن محكومون لا حكام) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص١٢٩] .

وكان يوجههم بقوله : (لا تتشددوا ، أَوْغِلوا برفق ، الناس ليسوا سواسية في المشارب ، ينبغي أن يتسامح بعضكم مع بعض في الوقت الحاضر) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ٢١١ - ٢١٢] .

وقال أثناء دفاعه عن رسائل النور أمام المحكمة : (لقد تحقق أن رسائل النور وطلابها هم أفراد أمنٍ معْنَويين ، يحاولون الحفاظ على الأمن والنظام في البلاد عن عقيدة ، وقد نصبوا حارساً في كل قلب مؤمن بإرشاداتهم ونصائحهم) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٦٧] .

ومن هنا تبين مدى اهتمام النورسي بوجود الأمن والاستقرار وعدم الفوضى والإرهاب .

٥- التركيز على التربية الإيمانية :

اهتم النورسي بغرس الإيمان الحقيقي في قلوب الناس ، وذلك عندما رأى ضعفه في القلوب ، ورأى عدم قدرة الطرق الصوفية المنتشرة في البلاد في الحفاظ على الإيمان وتقويته

في النوس ، لذا جعل محور دعوته تربية الناس على الإيمان بجميع أركانه ومعانيه ، (لأن الطفل الذي لم يتلقَّ في صغره درساً إيمانياً قوياً يصعب عليه بعد ذلك أن يقرّ في روحه أركان الإيمان والإسلام ، بل يكون ذلك عسيراً عليه) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٤٥] . وجعل أهم ركيزة لرسائل النور إنقاذ الإيمان في قلوب الناس ، حيث أنها (لا تسدد نظرها إلا إلى الآخرة ، ولا تهدف غيرها ، وليست لها غاية سوى رضا الله وحده وإنقاذ الإيمان) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٣٤] .

وسبب التركيز على التربية الإيمانية لأن (الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين ، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة ، بينما يتردى بظلمة الكفر أسفل سافلين ، فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٤٨] .

ولذلك نراه ركز على الإيمان بالآخرة وأبرز أهم الأسس التي تحقق سعادة الدارين ، فكان الإيمان هو أس الأسس جميعها ، ولا تكاد تخلو صفحة واحدة من صفحات رسائله المتعددة إلا وبها ذكر الإيمان .

المبحث السادس : وفاته ودفنه .

كان النورسي رحمه الله في أواخر حياته يتنقل بين المدن والمناطق التركية ، ولمدة قصيرة تتراوح ما بين اليوم واليومين ، وكأنه يودع طلابه ومحبيه ، حتى استقر الأمر به أخيراً في (اسبارطة) ، وعندما اشتد عليه المرض وأحس بدنوّ أجله ، طلب من طلابه التهيؤ للسفر به إلى (أورفة) رغم معارضة رجال الشرطة ، ولما وصل إليها ونزل بأحد فنادقها ، وصل إليه أحد مسؤولي الشرطة يبلغه بوجوب عودته إلى (اسبارطة) ، وأن هذه الأوامر من وزير الداخلية ، وبدأت الشرطة تحقق مع طلابه ، وتطلب منهم العودة بأستاذهم إلى (اسبارطة) ، ولكن المرض اشتد بالشيخ ، ورفض الاستجابة للأوامر ، لأنه لا يستطيع تحمل مشقة السفر وهو بتلك الحالة ، ويقول لمدير الأمن في المنطقة ، الذي حضر بنفسه وفاوضه في العودة : (إنني الآن في الدقائق الأخيرة من عمري ، لا أستطيع الرجوع ، وقد أموت هنا ، إن وظيفتك الآن هي تهيئة الماء لغسلي بعد الوفاة) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ١٣١] .

وفي صباح يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٩هـ ، الموافق ٢٣/مارس/سنة ١٩٦٠م ، لم يقم الشيخ لصلاة الصبح كعادته ، فيكشف أحد طلابه عن وجهه ، فيجده قد فارق الحياة ، رحمه الله رحمة واسعة جزاء

ما قدم للإسلام والمسلمين ، وينتشر الخبر في أنحاء تركيا ، فيفد عشرات الآلاف من الناس إلى (أورفة) لتشييع جنازته (وكانت النية معقودة على أن يتم الدفن يوم الجمعة ، ولكن السلطات الأمنية خشيت زيادة الازدحام وزيادة الوافدين ، فتم الدفن يوم الخميس ٢٤/مارس/سنة ١٩٦٠م ، ٢٥ رمضان ١٣٧٩هـ ، في الفناء الخارجي لجامع (خليل الرحمن) بعد أن سار عشرات الآلاف من الناس في جنازته وفي الصلاة عليه) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٩٠] .

ولكن هل انتهى تعذيب هذا العالم المجاهد الناصح بموته ؟. أم أن سلطات الظلم والحقد لاحقته حتى بعد موته ، إنهم خافوا منه ، ولكن الخوف ليس لشخصه ، إنما هو مما يحمله ، لأن جميع المحاكم التي حوكِم فيها برأت ساحته من الإرهاب والعنف وقَصْدِ الإضرار بالآخرين ، إنه الإيمان الذي كان يحمله وربى طلابه عليه ، ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُواْ بِاللهِ العَزِيزِ الحَمِيد ﴾ [سورة البروج : آية ٨] .

(ولم يترك اللادينيون النورسي يستريح في قبره ، فقرروا بعد انقلاب عام ١٩٦٠م وبعد حوالي ستة أشهر من وفاته أن يخرجوه من قبره ، فينقلوه إلى مكان مجهول ، فأخبروا أخاه (الشيخ عبد المجيد) أن يرافقهم بالطائرة إلى (أورفة) ، وهناك أخذوا ثلة من الجند في إحدى الليالي ، بعد إعلان منع التجول الليلي ، فحفروا قبره وأخذوه إلى ذلك المكان المجهول ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة) [عبد الحميد ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٠] .

ويرى الباحث أن في نقل قبره إلى مكان مجهول خيراً كثيراً ، لأن قسماً من طلابه قد غالى فيه إلى درجة كبيرة ، ربما يصل به الأمر إلى اتخاذ قبره مزاراً يطوف به ، وإن كانت السلطات عند نقله لا تقصد هذا ، إلا أنه رب ضارة نافعة ، وسأل الباحث أحد طلابه الذين عاصروا أواخر حياة النورسي ، وذلك عندما التقى بمجموعة منهم في مكة خلال شهر رمضان لعام ١٤١٦هـ عن معرفتهم بقبر الشيخ ، فقال : لا يعرفه الآن إلا القليل ، وهم حريصون ومتواصون على عدم إظهاره للناس ، وهذا عمل طيب يشكرون عليه ، رحمه الله رحمة واسعة .

الباب الأول : مدخل عام للبحث

الفصل الثالث : عصر النورسي الذي عاش فيه

- تمهيد

المبحث الأول : الحياة السياسية .

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الحياة العلمية والفكرية .

المبحث الرابع : الحياة الاقتصادية .

المبحث الخامس : تأثره بها وتأثيره فيها .

الفصل الثالث
عصر النورسي الذي عاش فيه

تمهيد :

لكل عصر ملامحه السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية وغيرها ، والتي تؤثر سلباً أو إيجاباً على أفكار الأفراد والجماعات على حسب قوتها وضعفها ، وسواء كان ذلك التأثير مباشراً أو غير مباشر ، لأن البيئة ذات تأثير فعال في الأفكار التربوية والثقافية ، فالإنسان ابن بيئته ، يؤثر ويتأثر .

والعصر الذي عاشه النورسي له تلك الملامح والجوانب ، والتي كان لها تأثير في حياة النورسي العلمية والفكرية ، ظهرت واضحة في سيرته وجوانب الفكر التربوي عنده ، ومن أخطر تلك الملامح : الجانب السياسي ، ثم الجانب الفكري ، لأنهما يؤثران في الجوانب الأخرى سلباً أو إيجاباً ، قوة أو ضعفاً ، وعصر النورسي يختلف عن غيره ، حيث عاصر أحداثاً جسيمة حسية ، كالحربين العالميتين ، وضعف الدولة العثمانية ، والذي أدى بدوره إلى انفصال كثير من الأقاليم الإسلامية عنها ، ثم قيام جمعية الاتحاد والترقي الماسونية الصبغة ، والعلمانية التبعية ، ثم استيلاء هذه الجمعية على الحكم في تركيا ، حيث تم على أثر ذلك تغيير جميع مظاهر الدين الإسلامي هناك ، ثم أحداثاً معنوية ذات أثر فعال في الأفكار والثقافة ، والتي جاءت مواكبة لبروز الحضارة الغربية ذات الصبغة العلمية والتقنية من جانب ، إلا أنه صاحَبَ ذلك انحلال في الأخلاق والآداب نتيجة الفلسفات والنظريات الإلحادية من جانب آخر .

فانبهر الكثيرون بما فيها من تقدم ، ناسين أو متناسين ما فيها من انحلال للأخلاق وتفكك للأسرة والمجتمع ، وهذا أثَّر – وبلا شك – على بديع الزمان النورسي حسياً ، فكانت له مشاركة فعلية خاصة في الحرب العالمية الأولى ، عندما تولى قيادة المتطوعين للدفاع عن البلاد ، فجاهد وصابر ، حتى جُرح وأُسر .

إلا أن التأثر المعنوي كان أقوى وأشد ، فسخر فكره وقلمه لإظهار محاسن الدين الإسلامي ، وأنه المنقذ – بإذن الله تعالى – من هذه الأهوال والأحداث ، وربى طلابه على ذلك ، قائلاً لهم : (إنني أستطيع أن أتحمل كل آلامي الشخصية ، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني ، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي كأنها وجهت إلى قلبي أولاً ، ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد ، ولكني أرى نوراً ينسينا هذه الآلام – إن شاء الله تعالى –) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٨٥] .

وهذا يبين مدى تأثره بتلك الأحداث التي عايشها ، وكذلك تأثيره فيها ، والباحث رأى أن أهم ملامح عصر النورسي التي كان لها أثر في حياته هي :

المبحث الأول : الحياة السياسية .

تتأثر كل جوانب الحياة في أي مجتمع بما يسوده من أنظمة وأحداث سياسية ، سواء كانت داخلية أم خارجية ، والنورسي - رحمه الله تعالى - مرّ خلال حياته بأوضاع سياسية داخلية متعددة تختلف في المقاصد والأهداف ، وأثرت على أفراد الشعب التركي ، وأوضاع سياسية خارجية كان لها أطماع في الدولة العثمانية والنيل من دين وأفكار أفراد المجتمع الإسلامي ، وهنا تحدث الباحث عن الوضعين كل على حِدة ، لتتبين آثارهما المختلفة .

أ - الوضع الداخلي :

ضعفت الدولة العثمانية في أواخر الخلافة ، وانهارت سياسياً ، وتأثرت أفكار أفراد المجتمع التركي المسلم بسبب الفتن الداخلية والأطماع الخارجية ، ولا أدل على ذلك من وصف السلطان عبد الحميد الثاني لما وصلت إليه ، حيث قال : (كيف كانت الظروف وقت توليتي العرش ؟. أحاول أن أتذكر . نعم ، تمرد بالبوسنة والهرسك هزموا الجيش وحاصروه في الجبل الأسود ، الصرب تعلن الحرب بقوات منظمة وخطرة ، من هذه البادرة انفجرت الحرب الروسية الفظيعة ، بالطبع ليست من نتاج عهد سلطنتي كل هذه الوقائع الداخلية والخارجية ، توليت السلطة بعد خلع سلطانين متعاقبين ، وأزمة وزارية استمرت (٩٣) يوماً وفراغ في السلطنة) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ٢٣] .

وعاصرت النورسي أحداث داخلية متعددة ذات أهداف تتسم جميعها بالحقد والبغض للإسلام والمسلمين ، ومن أهمها :

١) **إعلان المشروطية** : (وهي إعلان النظام البرلماني في الدولة العثمانية) ، وبموجبه أصبحت الوزارة مسؤولة أمام البرلمان ، وليس أمام السلطان . [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٥٣] . ومهمتها (إعلان الدستور ، وانتخاب مجلس نواب تكون الوزارة مسؤولة أمامه) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٣٠] ، وهو ما يعرف بنظام الشورى في الإسلام ، مع الاختلاف في النظام والأهداف ، حيث بدأت القلاقل والاضطرابات عند الإعلان عن التنظيمات سنة ١٢٥٥هـ ، ودبَّ الصراع بين أنصارها ومعارضيها ، (ولما

تولى السلطان عبد العزيز السلطة سنة ١٢٧٨هـ عمل (مدحت باشا) على إقناعه بوضع دستور للدولة يكون مشابهاً لما في دول الغرب ، إلا أن السلطان رفض ذلك نظراً لمعارضة الكثيرين في دستور يستلهم نظمه من الغرب ، وأصدر أوامره بعزل (مدحت باشا) ، مما جعل (مدحت باشا) - بالاتفاق مع دول الغرب - ينهي حكم السلطان عبد العزيز ، وذلك بقتله سنة ١٢٩٣هـ ، ثم مبايعة السلطان مراد الخامس ، إلا أنه خُلِعَ باستصدار فتوى من شيخ الإسلام ، بسبب اضطرابه العقلي) [محمد ، ١٩٨٦م ، ص.ص ١ - ٢] .

ولما تولى السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة عام ١٢٩٣هـ ، عاودت الرغبة المفتونين بأوربا وأنظمتها - من أمثال (مدحت باشا) - في إعلان الدستور ، خاصة (وقد عرف عن عبد الحميد محبته للشورى الإسلامية ، المشروطية في الحكم قبل أن يصبح خليفة ، فطالبوا بوضع دستور للبلاد مشابهاً لما في الدول الأوربية ، وزادت المطالبة بعد أن عين السلطان (مدحت باشا) الصدارة العظمى ، وكان أكبر المفتونين بأوربا وأنظمتها ، واستجاب السلطان لمطالبتهم ، فأعلن الدستور للبلاد ، وجمع أعضاء المجلس ، غير أنه لم يلبث أن خلع (مدحت باشا) من الصدارة العظمى ، ولم يمضِ على تسلمه إياها أكثر من شهرين ، ولم يفِ عبد الحميد بتعيين الرجال الذين وعد بتعيينهم ، وعلق الدستور ، وأرجأ اجتماع مجلس النواب - المقرر عقده في شهر صفر لعام ١٢٩٥م - إلى أجل غير مسمى ، حيث لاحظ أن أكثر أنصار الدستور كانوا على صلة بالساسة الأوربيين ، ومن الذين يعادون القانون الإسلامي) [شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ج٨ ، ص ١٩٩] .

وعلم كذلك أن (مدحت باشا) وبعض أعضاء المجلس يحاولون نقل السلطة إلى المجلس ، وتجريد السلطان من جميع مهامه وصلاحياته ، (حيث لاحظ أحد أعضاء المجلس ، وهو (كمال بك) أن (مدحت باشا) يحاول أن ينقل السلطة إليه بطريق غير مباشر ، قائلاً : ماذا يحدث لو حل آل مدحت محل آل عثمان ؟. وفي اليوم التالي يحضر (كمال بك) إلى السلطان ، ويطلب مقابلته ، ويخبره قائلاً له : لا بد أن تتدخلوا في القانون الأساسي الذي يعدّ الآن ، وإلا - فمعاذ الله - ستنتهي الدولة العثمانية ، وكان متأثراً ، مما جعل السلطان يهدئ من روعه ، ويطلب منه خلاصة القول ، فقال : إن مدحت باشا يضغط عليه بدافع من الصداقة الوطيدة بينهما ، وقد تفاهموا مع (سليمان باشا) ، ويبدو أنهم سينقلون كل حقوق السلطة إلى المجلس ، ولذلك رأى السلطان عبد الحميد الاعتراض

على المجلس ، وقرر تعليقه قائلاً : لو نجحوا فيما يقوله - فمعاذ الله - ستنتهي الدولة العثمانية ، ولذلك فكرت فيما يجب عمله ، فوجدت أن لا بد لي من الاعتراض على هذه المحاولات) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ٤٨] .

ونظراً لهذه الظروف التي أحاطت بالسلطة والدولة ، فقد (عمل السلطان على تعليق الدستور ، وتعطيل الحياة النيابية مدة تزيد عن ثلاثين عاماً) [محمد ، ١٩٨٦م ، ص ٥] .

ولم يُعجب هؤلاء المفتونين تصرف السلطان عبد الحميد ، وغاظهم كثيراً ، (وانطلقوا في كل مكان يعملون على نشر أفكارهم ، ويؤلفون الجمعيات السرية ، سواء كانت بين المدَنيين أم بين العسكريين) [شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ج٨ ، ص ١٩٩] .

والباحث يرى أن السلطان عبد الحميد قد ساهم في بروز هذه المشكلة الداخلية ، لأن تولية (مدحت باشا) الصدارة - مع علم السلطان بفسقه وظلمه - يُعد نقطة البداية لهذه الأزمة ، وخاصة أن السلطان يعرف مدحت باشا جيداً ، حيث قال في مذكراته : (كنت أعلم أن كمال بك ، وضياء بك ، ورشدي باشا ، وآخرين من رفاقهم يجتمعون كل مساء في قصر مدحت باشا يعاقرون الخمر ويتحدثون ، وذات مرة قال مدحت باشا : ليس في الأسرة المالكة العثمانية خير يرجى ، ولم يَبْقَ إلا الاتجاه نحو الجمهورية ... وكانوا قبل هذا نهضوا لتهريب أخي السلطان مراد من القصر وهو بملابس النساء ، وظهر أن الذين تصدوا لهذا العمل الفاشل بعض الشخصيات الماسونية ، مثل **مدحت باشا**) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ٤٣] .

ومع ذلك يُعَيِّنه صدراً أعظم ، وهو ما يعرف الآن برئيس الوزراء ، وهذا بدوره ساعد في زيادة آماله في تحقيق ما رغب فيه من السلطة والقضاء على الخلافة .

٢) وجود جمعيات سرية مناهضة للدولة : بعد معارضة السلطان للدستور وتعليقه إياه عمل الكثير من الأعضاء المطالبين به والمفتونين بأوربا ، عملوا على تأسيس جمعيات سرية ذات صبغة سياسية وأهداف خبيثة ، وقد نشطت خلال فترة تعطيل الدستور وتركز نشاطها (خارج البلاد وعلى صفحات الصحف الأجنبية التي تدخل البلاد سراً عن طريق مكاتب البريد والقنصليات والإرساليات الأجنبية العاملة

في سالونيك[1] وغيرها من المدن القريبة من الدول الغربية ، وكانت جميعها تطالب بضرورة الإصلاح) [محمد ، ١٩٨٦م ، ص ٥] ، وعمل الأعداء على توحيد صفوف هذه الجمعيات ودمجها تحت مسمى واحد لتقوى شوكتهم ، فتوحدت فعلاً تحت اسم **جمعية الاتحاد والترقي** (والتي تألفت من ثلاث جمعيات ، هي : جمعية تركيا الفتاة ، وجمعية الحرية في سالونيك عام ١٣٢٣هـ ، وجمعية الشبيبة في استانبول عام ١٢٨٢هـ) [شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ج٨ ، ص ١٩٩ ، بتصرف] .

وأعضاء هذه الجمعية لم يكن لهم شأن يذكر في تركيا حتى عملت الماسونية الخبيثة على إظهارهم بأنهم أبطال يريدون تقدم الدولة العثمانية ، وهم على العكس من ذلك (لم يُخْرِجوا للبلاد كتاباً جاداً واحداً ، ولكن محافل الماسونية – رغم كل تعقبنا لهم – جعلت من هؤلاء المتسكعين أعلاماً ، عندما حركوا الضباط من أعضاء الاتحاد والترقي ، وهاهي ذي قصة تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ٦٠] .

وعندما تغلغلوا في صفوف الجيش وفي المناصب العليا من الصدارة (عملوا على تفريق الصف ، وإذكاء روح الخلاف بين صفوف المسلمين ، بعد أن كان قبل ظهورهم بين صفوف النصارى ، والذي كان السلطان عبد الحميد – رحمه الله – يستغله في إشغالهم داخلياً وإشغال الدول التي تؤيدهم خارجياً ، إلا أن أعضاء الاتحاد والترقي بعد تمكنهم من الحكم عملوا على زرع الخلاف بين العناصر والقوميات الإسلامية داخل الدولة العثمانية ، وإزالة الخلاف بين العناصر غير المسلمة في منطقة البلقان ، وذلك بسن قانون الكنائس في أواخر سنة ١٣٢٩هـ ، بحيث أعطيت الكنائس والمدارس إلى الجهة التي تملك الأكثرية في المناطق المشتركة بين القوميات البلقانية) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ١٦٠ ــ ١٦١ بتصرف] .

إن الأعداء غرسوا في قلب الدولة العثمانية من يعاديها من أبنائها وممن تربى في أحضانها ، حتى يسهل لهم الاعتداء ، وتُمَهد لهم الطريق ، وقد نجحوا في ذلك ، ووضحت التبعية المطلقة لهؤلاء الأعضاء ، وأنهم مُدى تَطْعَنُ في الأمة بأيدي أبناء الأمة ، فكانت الطعنة أبلغ ، والمصيبة أعظم .

---

(١) في كثير من المراجع تسمى (سلانيك) ، ولم يطلق هذا الاسم إلا في هذا المرجع ، والظاهر أن صحة الاسم (سلانيك) .

٣) فتنة الأرمن : وهم نصارى يسكنون (في منطقة ساسون في الجنوب الغربي من موشى في ولاية بتليس ، حيث يقطنها كثير من الأرمن الأشداء ، وكان يوجد بها قبائل رحل من الأرمن أيضاً رجالها ذوو بأس شديد يميلون إلى السلب والنهب) [الشناوي ، ١٩٨٣م ، ج٣ ، ص ١٥٦٨] .

وعلى الرغم من احترام الدولة العثمانية لهم وإعطائهم الحرية في الدين ، والعدل معهم ، إلا أن روح العداوة والحقد المتأصل في نفوسهم ضد الإسلام والمسلمين عاودهم ، لأنهم كما وصفهم الله تبارك وتعالى ومعهم اليهود ﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ [سورة البقرة : آية ١٢٠] . (فذلك هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه ، وما سواه فمرفوض ومردود) [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ج١ ، ص ١٠٨] .

وكانت فتنة الأرمن نتيجة للتآمر الداخلي على الدولة ، وبتحريض من الدول الأوربية ، حيث قام الأرمن بالعصيان والتمرد والاعتداء على المسلمين ، وذبحوا أعداداً منهم ، وقتلوا حتى النساء والأطفال ، ولكن أحبط السلطان عبد الحميد مخططاتهم وأحلامهم بالانفصال ، وقضى على ثورتهم في الأناضول ، حيث قال : (وعندما عرف الأرمن أنهم لن يستطيعوا الوصول إلى مبتغاهم بالأعمال التي قاموا بها في الأناضول ، دفعوا بعصاباتهم وجمعياتهم إلى استانبول ، وعملوا على إثارة المتاعب فيها ، لهذا كانت المسألة الأرمينية مقلقة لتركيا ، فهي ظلت تسمح للدول الكبرى التدخل(١) في شؤون تركيا حتى السنوات الأخيرة ، لكن الصحف الأوربية كانت تضع بصماتها على هذه المسألة ، أيضاً كانت تكتب فيها بشكل دائم ، وتهاجمني وتلقبني بالسلطان الأحمر ، وكانت تحرض الرأي العام العالمي ضدي ، لم أكن أدهش لهيام الأرمن بحب الاستقلال ، خاصة بعد معرفة إثارة الدول الكبرى لهم بلا توقف ، لكني أدهش لأن بعض أفراد تركيا الفتاة الذين هربوا إلى أوربا وأصدروا هناك صحفاً ضدي ، كانوا يتعاونون مع أعضاء المنظمات والجمعيات الأرمنية ، كما أُدْهَشُ لأنهم كانوا يأخذون منهم أموالاً) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ٥٦] .

ويرى الباحث أن الصورة المشوهة التي انطبعت في أذهان كثير من المؤرخين والكتّاب في الدول الإسلامية ، وخاصة الدول العربية ، عن الدولة العثمانية وعن عبد الحميد بالذات كانت نتيجة لما شنته تلك الصحف الغربية في ذلك الوقت حتى أن البعض

---

(١) الأسلم أن تقترن بها الباء فتصبح (بالتدخل) ، وأظن الخطأ ناتج عن الترجمة .

يعتبر الدولة العثمانية دولة مستبدة مستعمِرة ، وهو على العكس من ذلك تماماً ، ولكن التبعية الإعلامية للغير تعمي العيون ، وتصم الآذان ، فلا يستطيع المتبع التمييز بين الغث والسمين .

٤) **التآمر اليهودي العالمي** : مكر اليهود وكيدهم للإسلام والمسلمين أشد بكثير من غيرهم ، وذلك مصداقاً لقول الرب تبارك وتعالى : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** ... ﴾ [سورة المائدة : آية ٨٢] (ما ذاك إلا لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباهتة للحق ، وغمط للناس ، وتنقص بحملة العلم ، ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء ، حتى هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة ، وسمّوه وسحروه ، وألبوا عليه أشباههم من المشركين ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٢ ، ص ٦٢٤] .

فمكرهم وكيدهم للحق وأهله متأصلان في الأولين والآخرين منهم ، ولكنه اشتد مع رسول الله ﷺ ، ثم على خلفائه من بعده ، وقد حرص الرسول ﷺ عند قدومه المدينة (أن يقيم بينه وبينهم علائق سليمة ، وأن يؤمنهم على دينهم وأموالهم ، وكتب لهم كتاباً ، ولكنهم قوم غدر ، فما لبثوا غير قليل حتى تآمروا على قتله ، وكان سبباً في غزوة بني النضير ، ثم نقضوا عهده في أشد المواقف حرجاً يوم الأحزاب ، مما كان سبباً في غزوة بني قريظة ، ثم تجمعوا من كل جانب يهيئون السلاح ، ويبيتون الدسائس لينقضّوا – في غدر وخسّة – على المدينة والمؤمنين ، مما كان سبباً في غزوة خيبر ، فهؤلاء قوم لا يصدق لهم وعد ، ولا يستقيم لهم عهد) [مشهور ، د ـ ت ـ ص ٦٠] .

وخيانة اليهود قديمة وحاضرة ، وستظل ما داموا على دينهم المُحرّف .

والقرآن الكريم استعرض في عدد من الآيات خبثهم مع الأنبياء والرسل ، ثم لا يخفى ما دبروه للخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ ، حيث تآمروا على حياته (فَقُتِل ذو النورين وهو صائم يتلو القرآن ، ثم زاد نفثُ سمومهم على عهد علي ﷺ ، حتى تأججت نار الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، ثم تأججت بما أعلنه الخوارج من كفر علي والذين معه ، ومعاوية والذين معه) [جريشة ، ١٤٠٨هـ ، ص ٤٨] .

نعم ، هذه حال اليهود مع الأنبياء وأتباعهم ، وهي حالهم مع من أعلن حكم الله في الأرض ، وحاول جمع المسلمين في دولة واحدة ، كما كان الحال مع الدولة العثمانية ومع سلاطينها ، حيث رأوا أنها العدو المعاصر الذي لا بد من

استئصاله ، وتآمر اليهود في داخل الدولة العثمانية – وبتحريض من يهود العالم ، وأشدهم خطراً يهود الدونمة – حيث كانوا يسكنون مدينة (سلانيك التي كانت مقراً لهم ، وفيها محفل الماسونية) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٥٤] ، وكان عددهم ما يقارب (٥٠ ألف يهودي ، لهم خمس محافل ظاهر الاتحاد والترقي ، وقد ساهموا في إسقاط السلطان عبد الحميد ، وأوقعوا الصراع والخصومة بين عنصري الأمة الأتراك والعرب ، ونشروا مبادئ العلمانية – أي فصل الدين عن الدولة –) [جريشة ، ١٤٠٨هـ ، ص ٧٢] .

ولم يكتفوا بهذا ، بل عملوا على إشعال نار فتنة – ٢٢ ربيع الأول ، عام ١٣٢٧هـ – ، حيث استطاع الأفعى عما نوئيل قراصو (أن ينفذ إلى جمعية الاتحاد والترقي ، وبدأ يُسَيِّر سياسة الدولة إلى الوجهة التي يريدها هذا اليهودي الماسوني ، ومعه **جاويد دونمة و طلعت باشا**) [طوران ، ١٤٠٥هـ ، ص ٦٧] .

ثم عملوا على إغراء السلطان عبد الحميد الثاني بالمال مقابل السماح لهم بفلسطين ، حيث حدثت اتصالات بين **هرتزل** رئيس الجمعية الصهيونية ، وبين السلطان **عبد الحميد** ، وكان الهدف منها (تقديم تضحيات مالية ضخمة مهما تكن في سبيل إيجاد مأوى لليهود ، وذلك بإقراض الخزينة العثمانية مليونين من الليرات العثمانية ، وانتهت الاتصالات برفض السلطان عبد الحميد الثاني إقامة مأوى لليهود في فلسطين ، وبذلك أصبح عبد الحميد في نظر (هرتزل) سلطاناً ماكراً جداً ، خبيثاً جداً ، ولا يثق بأحد) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ١١] .

هذا ما كان يحلم به اليهود في القديم ، ولكنهم يعلمون أن وجود دولة إسلامية قوية مثل الدولة العثمانية تحول بينهم وبين تحقيق أحلامهم ، فعملوا أولاً على إنهائها ، ثم تحقق لهم ذلك في غياب الدولة الإسلامية التي تصدهم ، ولن يخرجوا من فلسطين إلا بذلك ، وسيكون بإذن الله قريباً ، لأن ذلك ليس على الله بعزيز ، يوم أن يوجد في الأمة أمثال صلاح الدين الأيوبي الذي قاد المسلمين لإخراج الصليبيين ، فكان ذلك ، وسيتحقق إخراج إخوانهم الصهاينة بإذن الله تعالى .

٥) إثارة النعرات القومية بين أجناس الدولة العثمانية :

استغل اليهود وغيرهم من الأعداء تعدد أجناس وأمصار الدولة العثمانية ، حيث امتدت (من جبال القفقاس ، ومن الصحراء الكبرى في أفريقيا حتى المحيط الهندي ،

وتمتلك اثني عشرة جزيرة في بحر - إيجة -) [طوران ، ١٤٠٥هـ ، ص ٥٦] ، فأخذوا ينفثون سمومهم بين العناصر المختلفة ، ويحرضونهم على الاعتزاز بقوميتهم وجنسهم ووطنهم ولغتهم ، وكان الأعداء (يعلمون أن فكرة القومية هي الكفيلة بتفريق العالم الإسلامي وتمزيقه ، وهي الكفيلة أيضاً بعزل المسلمين عن الدولة العثمانية ، ذلك الشبح الرهيب الذي طالما أقلق الكفار) [العقل ، ١٣٩٣هـ ، ص ٢٠٤] .

وعلى أثر ذلك أخذت القوميات تظهر وتتطور ، وخاصة في العالم العربي ، وما لبثت أن تبلورت إلى (أن اتخذها الكثيرون ديناً وعقيدة ، وأصبحت ذات فلسفة واتجاه ومفاهيم وقفت في وجه الدعوة الإسلامية ، وصارت نداً لها ، وعزلت العرب عن المسلمين ، واستغنوا بها عن الإسلام في حياتهم كلها - السياسية ، والتربوية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والفكرية ، والأدبية ... إلى أن انتهى بها الأمر إلى قوميات كثيرة : القومية السورية ، والقومية المصرية ، والقومية العراقية ، بل وحتى القومية الفرعونية والبعثية ... إلخ) [العقل ، ١٣٩٣هـ ، ص ٢٠٥] .

وأدى هذا التفرق والتشرذم إلى إضعاف الدولة العثمانية ، وإلى سهولة القضاء عليها ، بل إلى استعمار الأقاليم ذات القوميات والنعرات بسبب انفصالها عن الدولة العثمانية ، وفي مقدمتها الأقاليم العربية .

٦) خلع السلطان عبد الحميد الثاني من الخلافة :

لم يخف ما وصلت إليه الدولة العثمانية من الضعف في جميع نواحي الحياة ، وذلك قبل تولي السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة ، وما أن وصل إلى الخلافة حتى بدأ يحاول إعادة قوة وهيبة الدولة ، (ويعتبر أعظم خليفة في عصر انحطاط الدولة ، وقد يكون مرتكباً أخطاء إدارية ، إلا أن الذي لا شك فيه أنه قام بأعمال كبيرة وجليلة لخير الدولة) [طوران ، ١٤٠٥هـ ، ص ٣٦] .

وكان يدرك تماماً ضعف الدولة وخطر الأعداء ، فعمل على تقوية الصلة بين المسلمين داخل الخلافة وخارجها ، ولذلك قال في مذكراته : (لم تكن لدي الطاقة ولا القوة لمحاربة الدول الأوربية بمفردي ، ولكن الدول الكبرى التي تحكم شعوباً مسلمة عديدة في آسيا ، مثل : إنجلترا ، وروسيا ، ترتعد من سلاح الخلافة الذي أحمله ، لهذا السبب استطاعوا الاتفاق على إنهاء الدولة العثمانية ، وكان لزاماً عليّ ألا أستخدم هذا السلاح خارج حدودي حتى (اليوم المنتظر) ، لأن محاولة كهذه لم تكن تفيد إخوتنا في الدين ، ولا

بلادي ، قررت استخدام قوتي – كخليفة – في وحدة بلادي وأمنها ، كما قررت العمل على سلامة إخوتنا في الدين في الخارج ضد كل احتمال) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص٦٧] .

إن الأعداء خافوا هذا الرجل كثيراً ، لأنه يريد أن يجعل الإسلام القوة المحركة لهذه الأمة والحياة الحقيقية لوجودها ، وهم يفهمون جيداً معنى قوله : (إن الإسلام هو القوة الوحيدة التي تجعلنا أقوياء ، ونحن أمة حية قوية ، ولكن شرط أن نصدق في ديننا العظيم ، ومن البدهي أننا في حاجة إلى الإيمان الصادق الخالص بعظمة الله تعالى) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص١٣] .

ومن هنا شعر الأعداء بخطر هذا الرجل ، فوُحِّدت الجهود ، واجتمعت الكلمة على تنحيته عن السلطة ، استجابة لرغبة اليهود الذين يئسوا من الحصول على فلسطين ما دام هناك خليفة للمسلمين ، حيث يقول زعيمهم هرتزل : (إنه بفقد الأمل في تحقيق آمال اليهود في فلسطين ، وأن اليهود لن يستطيعوا دخول الأرض الموعودة ! طالما أن السلطان عبد الحميد قائمٌ في الحكم ، مستمرٌ فيه) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ١١] ، وحتى يضمن الأعداء نجاح مخططهم ، رأوا في أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الاستعداد لتنفيذه ، خاصة بعد وقوعهم تحت تأثير المحفل الماسوني اليهودي ، حيث (أصدر المجلس الصهيوني أوامره إلى جميع المحافل الماسونية التابعة له أو المتعاونة معه في استانبول باجتذاب الضباط الأتراك الناقمين على عبد الحميد ، وتحريضهم على قلب نظام الحكم ، فبدأت هذه المحافل عملها ، وتمكنت من ضم عدد كبير منهم) [محمد ، ١٤٠٤هـ ، ص ٧٧] ، وذلك انتقاماً من عبد الحميد ، لرفضه السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين ، فخططوا على إيقاع القتال بين أفراد الجيش العثماني الموالي لأعضاء الاتحاد والترقي والموالي للسلطان ، وحصلت بين الفريقين مقتلة عظيمة ، وتقدم رجال الاتحاد إلى عاصمة الخلافة ، مُدَّعين (أن الدستور معرض للإلغاء ، والحرية مهددة بالاستبداد ، فقد تقدم الجيش المرابط في سلانيك بإمرة **محمود شوكت** لحماية الدستور والمجلس النيابي) [شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ج٨ ، ص ٢٠٧] .

وهذا على حدّ زعمهم ، إلا أن الحقيقة أنهم يريدون قصر السلطان وخلعه . فبعد قتلهم الكثيرين من الجنود الموالين للسلطان ، بما فيهم قائدهم ، (انتقلوا للإغارة على قصر (يلدز) حيث يقيم الخليفة ، فقتلوا مرافقه ، ونهبوا القصر ، وأحدثوا مذبحة كبيرة فيه

دون سبب ، وأُعلنت الأحكام العرفية ، ومُنع التجول من بعد المغرب) [شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ج٨ ، ص ٢٠٧] .

وبعد ذلك اجتمع أعضاء مجلس المبعوثان مع أعضاء مجلس النواب ، وقرروا خلع السلطان عبد الحميد بعد أن ضغط الاتحاديون على الأعضاء ، واستصدروا فتوى شيخ الإسلام ، وطلبوا من الصدر الأعظم إبلاغ القرار والفتوى إلى الخليفة ، فرفض ، فكلفوا وفداً كان أعضاؤه (الفريق البحري (عارف حكمت ، وآرام الأرمني ، وعمانوئيل قره صو اليهودي ، وأسعد طوبطائي) ، وذهب الوفد إلى الخليفة وقرأ الفتوى ، فتقبل السلطان ذلك الأمر ، ولكنه خاطبهم قائلاً : " ولكن لماذا جئتم بهذا اليهودي – وأشار إلى (قره صو) – إلى مقام الخلافة !؟ ") [شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ص٢٠٨] .

وباستقراء أسماء أعضاء الوفد ، يلحظ القارئ عالمية المؤامرة داخلياً وخارجياً ، واشتراك جميع الأعداء من نصرانية حاقدة على الإسلام وأهله ، ويهودية ماكرة تريد تدمير الدين والأخلاق والفضيلة ، وأتباعِ جهلةٍ من الداخل يتبعون كل فاجر وناعق تتجاذبهم مِلَلٌ ونِحَلٌ شتى عمَّت البلاد ، وأحدثت البلبلة والفوضى بين أفراد الأمة ، خاصة وأن أغلبهم من أعضاء الاتحاد والترقي ، ومن الشباب الذين لا تتجاوز أعمارهم الثلاثين ، وكانوا (يلعبون بالأمة وأمورها ، ويتغير رأي الواحد فيهم بين ساعة وأخرى حسب المؤثر فيه) [شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ص٢٠٨] .

وهذه مصيبة عظمى ابتليت بها الأمة في كثير من عصورها وأمصارها ، حيث يتولى الأمر من لا يحسن التصرف ولا يرعى الحقوق للآخرين ، وهمه مصلحته حتى ولو على جميع رؤوس أفراد الأمة ، كما فعل أعضاء الاتحاد والترقي ، حيث قاموا بعد أن تولوا السلطة بتغيير النظام الإسلامي إلى نظام علماني في جميع الجوانب المختلفة ، فكبتوا الحريات رغم مناداتهم بها ، وسفكوا الدماء رغم مناداتهم بالعدل ، ونهبوا الأموال والحقوق رغم مناداتهم بالمساواة ، وأصبحت شعارات براقة خدعوا بها أفراد المجتمع ليتضامنوا معهم ، ثم نقضوا عهودهم ومواثيقهم ، وانقلبوا أفاعي سامة تلدغ كل منادٍ بالحق والعدل والفضيلة بعد أن تمكنوا من السلطة وسيطروا على الأمة .

٧) إلغاء الخلافة الإسلامية وإعلان الجمهورية :

كان عزل السلطان عبد الحميد مقدمة لإنهاء الخلافة واستبدالها بالقوانين العلمانية الغربية ، ومن ثم الانقلاب على الخلافة وإعلان الجمهورية ، فبعد أن عُزِل السلطان عن السلطة (نقل إلى سلانيك مع أسرته ومرافقيه ، وبقي تحت حراسة الاتحاديين حتى حرب البلقان ، ونقل بعدها إلى قصر (بكلربكي) في استانبول ، وبقي فيه حتى توفي[1]) [شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ج٨ ، ص ٢٠٨] .

وبعد عزل السلطان عن مسرح الخلافة أصبح الأمر والنهي بيد الاتحاديين يعيّنون ما يريدون من الخلفاء ، ويرفضون ما يكرهون منهم ، وأصبح الخليفة صورة دون أمر منه أو نهي ، وعيّنوا بعد السلطان عبد الحميد أخاه (محمد رشاد) الذي أطلق عليه (محمد الخامس) وذلك عام ١٣٢٨هـ ، وكانت فرصة رجال الاتحاد والترقي ، فقد ظهرت جمعيتهم (بوجهها السافر على المسرح السياسي في عهد السلطان محمد رشاد) [محمد ، ١٩٨٦م ، ص ٨] .

وقد مُنِيت الدولة في عهد حكمهم بهزائم كبيرة أضعفت الدولة أكثر ، وزادت في بعثرة أجزائها ، (حيث تم في عهدهم احتلال إيطاليا لليبيا عام ١٣٢٨هـ ، وهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ومعها الدولة العثمانية ، فخرجت مهزومة مفككة الأوصال ، مقسمة الأجزاء ، كل قسم يهتم بمصالحه الخاصة . ثم توفي محمد رشاد ، وتولى الخلافة بعده أخوه (محمد وحيد الدين) المسمى بِـ (محمد السادس) ، وكان استسلام الدولة في عهده ، وذلك بعد أن سيطر الحلفاء على استانبول والمضائق ، واحتلت اليونان الأقسام الغربية ، وإيطاليا أجزاء من الجنوب ، وضاعت البلدان العربية ، وأراد السلطان أن ينقذ الدولة ، وأوكل الأمر إلى (مصطفى كمال) لثقته فيه ، ولكن خاب ظنه عندما وجده يعمل لنفسه بعد أن لمع نجمه ، مما جعل السلطان يعتزل السلطة ، ويتنازل عن الخلافة ، وذلك عام ١٣٤٠هـ ، لأنه رفض أن يكون ملكاً رمزياً لا علاقة له بالحكم ، ولا شأن له بالخلافة ، فرُحِّل إلى جزيرة مالطة ، ونودي بابن عمه (عبد المجيد الثاني) سلطاناً على البلاد ، وبعد توليه السلطة بثلاثة أيام عُقِد مؤتمر لوزان ، وحضره وفد من أنقرة دون موافقة السلطان ، ووَضَع رئيس الوفد الإنكليزي أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا من هيمنة الحلفاء ، تضمنت (إلغاء الخلافة الإسلامية ، وطرد الخليفة العثماني خارج الحدود ، وأن تكون الدولة

---

(١) تولى السلطان عبد الحميد الخلافة عام١٢٩٣هـ ، وعزل عن الخلافة عام ١٣٢٨هـ ، وتوفي عام١٣٣٦هـ .

علمانية الدستور والمبادئ ، ومصادرة أملاك وأموال العثمانيين .

وعلى أثر عودته حصل خلاف بين مصطفى كمال ورئيس الوفد (عصمت أينونو) من جانب ، وبين رئيس الوزارة المدعوم من الجمعية الوطنية من جانب آخر ، فاستقالت الوزارة ، وعَمد مصطفى كمال ومن معه إلى حلّ الجمعية الوطنية ، واستغل الفرصة ، فقرر إعلان الجمهورية ، وكان الوضع يتصف بالصخب والمشاكل المتلاطمة الأطراف ، وتفادياً للوضع اجتمعت الجمعية ودعت مصطفى كمال لتشكيل الوزارة ، فوافق على ألاّ يناقَشَ في تصرفاته ، وشكل الوزارة ، ثم تلاها بإعلان الجمهورية ، وانْتُخِبَ رئيساً لها ، فعمَّت الفوضى ، وقامت الاحتجاجات ، مما اضطر المجلس الوطني إلى عقد جلسة أصدر خلالها مرسوماً يقضي (بإلغاء الخلافة) وطرد الخليفة ، وفصل الدين عن الدولة ، واعترفت بذلك الدول الغربية ، وفي مقدمتها – انكلترا – ، وانسحبت من المضايق ، وبذلك طويت صفحة الخلافة العثمانية عام ١٣٤١هـ) [شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ص.ص ٢١٣،٢٣٤ بتصرف] .

وهنا يتضح ضعف الخلفاء بعد السلطان عبد الحميد الثاني ، وتبعية أعضاء الاتحاد والترقي للغرب ، والأهداف التي كانوا يسعون إليها ، وإن تظاهر بعضهم بالإسلام ، ويتضح ذلك من خلال الحديث عن الجوانب العلمية ، والفكرية ، والاجتماعية ، حيث خلف حكم الاتحاديين وعلمنة الدولة الشقاء والبلاء في طول البلاد وعرضها ، لا زالت الأمة تتجرع مرارتها إلى اليوم ، إلا أنه لاح في الأفق بريقُ أملٍ في عودة تركيا إلى منابعها الأصلية ، وذلك بفوز حزب (الرفاه الإسلامي) في الانتخابات الأخيرة التي جرت هناك ، وأُعطي الشعب التركي حريته في اختيار من يصلح لإعادة هويته الإسلامية بعد أن تعاقب على الجمهورية أحزاب عدة ورؤساء مختلفون كانوا في جملتهم يتبعون نهج أتاتورك في علمنة الدولة والسير بها وفق ركاب القوانين الغربية ، وقد أجمعت (التقارير الدبلوماسية والصحفية والإعلامية على كفاءة حزب الرفاه التي تصفه صحيفة (وول ستريت جرنال) بأنه القوى المؤهلة لملء فراغ الفساد القائم ، وتقول : لقد تسارع بروز (حزب الرفاه الإسلامي) كقوة سياسية لها ثقلها في السنوات الأخيرة ، مع تراجع الأوضاع الاقتصادية في ظل الحكومة التي هيمن عليها كل من حزب الوطن الأم وحزب الطريق القويم) [مجلة البيان ، عدد ٩٨ ، ١٤١٦هـ ، ص ٩٨] .

ولا شك أن في اختيار الشعب التركي لهذا الحزب الإسلامي دليلاً على الرغبة الصادقة في العودة إلى التمسك بالإسلام والسير وفق مناهجه المتعددة ،

بعد أن جُرِّبَت المناهج الغربية والشرقية ، فلم تُسمِن و لم تُغْنِ من جوع ، بل كان التشتت والانقسامات والضعف والهوان ، فعوداً حميداً ، ومنهجاً سليماً صادقاً بإذن الله تعالى .

ب – الوضع الخارجي :

لم يكن الوضع الخارجي في عهد الدولة العثمانية أو في عهد من حكموا تركيا بعدهم من الاتحاديين بأحسن حال من الوضع الداخلي كما مرّ ، بل إن أغلب الأوضاع الداخلية كانت نتاجَ الوضع الخارجي ، ولا أدل على ذلك من قول السلطان عبد الحميد : (كان الفرنسيون يحمون الكاثوليك ، ويساند الروس الأرثوذكس ، كنت أحياناً أقف مع هؤلاء ، وأحياناً أخرى مع أولئك ، ولكني لم أنسَ قط أن كِلا الفريقين من الرعايا العثمانيين ، إنما جهدت أن أحول بينهم وبين تحركهم ، حطموا أولاً بعضهم البعض ، ثم استداروا واعتدوا على المسلمين) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ٥٤] .

ولذلك فإن وجود أطماع للدول في الدولة العثمانية عند ضعفها جعل الأتباع في الداخل يختلفون تبعاً لاختلاف أسيادهم في الخارج ، وكان الوضع العالمي العام في الفترة التي عاشها بديع الزمان سعيد النورسي ــ رحمه الله تعالى ــ من أحلك الفترات وأكثرها حروباً ودماراً للأمة ، حيث قامت حربان عالميتان مدمرتان أثرتا تأثيراً كبيراً على حياة الأمم والشعوب فكرياً واجتماعياً واقتصادياً ، وكانت الدولة العثمانية ممن اصطلى بنار هاتين الحربين ، وقد كانت نهاية الحرب العالمية الأولى هزيمة ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية ، مما دعا الحلفاء في نهاية المطاف أن يضعوا شروطاً قاسية عليها ، تمثلت في (سلخ الولايات العربية عن الدولة ، إعطاء الاستقلال لأرمينيا ، إعطاء كردستان استقلالاً ذاتياً ، تعطى تراقيا وجزر بحر إيجة لليونان ، توضع المضائق تحت إشراف دولي ، يوجه الحلفاء الجيش ، ويُحَدَّدُ عددُ أفراده ، يحق للحلفاء السيطرة على المالية) [شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ج٨ ، ص ٢٣١ - ٢٣٢] .

ويتضح مدى الإجحاف بحق الدولة العثمانية ، حيث خُطِّط لجرها إلى الحرب دون مبرر من أجل القضاء عليها ، وهذا ما حصل فعلاً ، حيث (حصلت كل دولة أوروبية على ما تريد من الدولة العثمانية في تلك المرحلة ، ثم تركتها تلتهب فيها النار من الداخل ، وهي تتفرج وتؤيد ، وفي الوقت نفسه تتقاسم مناطق النفوذ في إفريقية وبقية المناطق ، وتأخذ نصيبها أيضاً تلك الدول التي لم تأخذ أجزاء من الدولة العثمانية ، مثل : إيطاليا

وألمانيا ، كما تتنافس هذه الدول أحياناً فيما بينها ، وقد يقع بينها الصدام ، ولكن صدام محلي) [شاكر ، ١٤٠٦هـ ، ج٨ ، ص ١٩٨] .

ثم كشفت الحرب ضعف وتفكك أجزاء الدولة العثمانية ، وقوة الجبهة الداخلية المعارضة للخلافة ، ومدى استعدادها لتنفيذ مخطط الإطاحة بهذه الدولة والقضاء عليها ، واستبدالها بالعلمانية الغربية .

إن الحالة السياسية العامة في عهد النورسي داخلياً وخارجياً كانت غير مستقرة ، فالدول الأخرى كانت تتفق في أمور وتختلف في أخرى ، تختلف في السيطرة على العالم ، لأن كل دولة تريد الحصول على أكبر قدر ممكن من العالم ، ويورد السلطان عبد الحميد وصفاً لذلك بقوله : (الشيء الذي لفت انتباهي بادئ ذي بدء في السياسة الخارجية وقت اعتلائي العرش كان تأسيس الاتحاد الألماني ، وبعد انتصار بروسيا الصغيرة ألمانيا عظيمة ! هذه الدولة التي ولدت وأسرعت في التوسع في عدة أعوام أفسدت توازن القوى في أوربا ، وأدت بالدول الأوروبية كلها إلى ضرورة إحداث تغيير كبير في سياستها الخارجية ، حيث خففت فرنسا من حدة تنافسها مع إنجلترا وإن لم تتركه ، وبدأت في البحث عن طريق للتفاهم مع الروس لتأمين أمنها ، وأظهرت تأييدهم في خلافهم مع الدولة العثمانية ، وبدأ الروس يعملون حساباً للألمان ، وعملت النمسا على سياسة التداخل بين الصديق والعدو ، ولم تكن إنجلترا على وفاق كبير مع ألمانيا ، وفي العام الذي تَوَلَّيْتُ فيه العرش استولى الإنجليز على الهند ، وحاولوا الدخول إلى الصين ، وحوَّل الروس أنظارهم إلى آسيا الوسطى ، وولدت في أمريكا دولةٌ فتية قوية ، وكانت أسبانيا قد أُخْرِجت من مستعمراتها ، وانتظم يهود العالم ، وسعوا عن طريق المحافل الماسونية في سبيل (الأرض الموعودة) ، وجاءوا إليّ بعد فترة وطلبوا مني أرضاً لتوطين اليهود في فلسطين مقابل أموال طائلة ، وبالطبع رفضت) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص.ص ٦٤ - ٦٥ بتصرف] .

ولا شك أنهم كما وصفهم الله تعالى : ﴿ لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إلاّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُر ، بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيد ، تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُون ﴾ [سورة الحشر : آية ١٤] . فإن كانت قلوبهم متباعدة متباغضة لأجل التنافس على الدنيا وملذاتها إلا أنهم يجتمعون ويوحدون الصفوف عند محاربة الإسلام وأهله ، ويعتبرونه العدو اللدود الذي يستطيع القضاء عليهم ، ويرونه ماثلاً في الخلافة العثمانية ، فخافوا من تزايد قوتها ، فعملوا على محاربتها والقضاء عليها ، وقد تم لهم ما أرادوا عند ضعف الدولة وظهور المنافقين في صفوف قواتها الذين انخدعوا بما عند

الغرب ، فكانت على أيديهم نهاية الخلافة ، ووضعٌ سياسيٌ هذا حاله لا شك في انعكاس تأثيره سلباً على جميع جوانب الحياة .

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية .

التعاون والتكاتف والاحترام بين أفراد المجتمع علامة على قوة المجتمع وتماسكه وصلاح أفراده ، وإن كان هذا مطلباً أساسياً لاستقرار الأمن ونشر العدل في أي مجتمع ، فإنه في المجتمع المسلم أولى وآكد ، لكثرة الأعداء ، ولأهميته في الحياة الدنيا والآخرة ، والروابط الاجتماعية السامية جاء بها الإسلام وحثّ عليها ، ونهى عن كل ما يسبب الفرقة والانتقاص ويعمل على التفريق ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُواْ خَيْراً مِنْهُمْ ، وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ ، وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ ، بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِ إِثْمٌ ، وَلاَ تَجَسَّسُواْ ، وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ، وَاتَّقُواْ اللهَ ، إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾ [سورة الحجرات : آية ١١ - ١٢] .

والرسول ﷺ شبه المجتمع المتمثل للروابط الاجتماعية السامية من المودة والمحبة والألفة والتعاون كمثل الجسد الواحد ، فقال ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، ج٤ ، ص ٢٥٨٧ ، برقم ٢٥٨٦] .

والأخوة الإسلامية تتطلب أموراً يجب أن يتحلى بها أفراد المجتمع الواحد ، كما ورد في حديث رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » [أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسلمه ، ج٣ ، ص ٢٦٧ ، برقم ٦٦١] .

والمسلم داخل المجتمع المسلم له حقوق وعليه واجبات أوضحها المصطفى ﷺ بقوله : « حق المسلم على المسلم ستٌّ : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ،

وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فَحَمِد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » [أخرجه مسلم في كتاب السلام ، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام ، ج٤ ، ص١٣٦٠ ، برقم ٢١٦٢] .

إن هذه المعاني العظيمة ذات الجوانب المتعددة التي يجب أن يتمثلها أفراد المجتمع الإسلامي ليعيش المجتمع في حياة سعيدة ، هذه تكاد تكون مفقودة من المجتمع الذي عاشه النورسي ـ رحمه الله تعالى ـ ، ولم يبقَ منها إلا النذر اليسير ، ولكن كان ذلك في أيام السلطان عبد الحميد ، أما في عهد سطوة الاتحاديين ، ثم في عهد إعلان الجمهورية وإنهاء الخلافة فإنها فقدت ووصل الأمر إلى درجة كبيرة من التفكك والانحلال والفوضى نظراً لاستبدال الأحكام الشرعية بالقوانين الوضعية الغربية ، فلا أمن ولا استقرار ، بل الفوضى والإرهاب وعدم الأمن على الأنفس والأعراض والأموال ، وأصبحت العداوات بين أهل الإيمان أنفسهم ، وهذا (مرض اجتماعي خطر ، وحالة اجتماعية مؤسفة أصابت الأمة الإسلامية يدمى لها القلب !. إن أشد القبائل تأخراً يدركون معنى الخطر الداهم عليهم ، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية ، وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم ، وإذ تُقَدِّر تلك القبائلُ المتأخرةُ مصلحتهم الاجتماعية حق قدرها ، فما للذين يتولون خدمة الإسلام ويدعون إليه لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة ، فيمهدون بها سبلَ إغارة الأعداء الذين لا يحصرهم العدّ) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٤٩] .

وأصبح المجتمع مفكك الأواصر والروابط يئن تحت وطأة التغريب في جميع شؤونه الحياتية ، حتى وصل الأمر إلى عدم احترام الآباء والأمهات من قِبَل الأبناء ، وفقْدِ احترام كبير السن ، وعطف الكبير على الصغير ، حيث (إن أعظم ركيزة في الحياة الاجتماعية هي توقير الصغير للكبير ، ورحمة الكبير للصغير ، إلا أننا نرى أن هذا الأساس قد تصدع كثيراً ، حتى أننا نسمع أخباراً مؤلمة جداً ، وحوادث مفجعة جداً تجاه الآباء والأمهات تقع من جراء خراب هذا الأساس الراسخ) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٧٠] .

وهنا يتضح تأثر النورسي بما وصلت إليه الحالة الاجتماعية ، وأن ذلك يؤلمه كثيراً ، ويخالف ما يدعو إليه من الاحترام والتقدير والشفقة والرحمة بالآخرين ، وما ذلك إلا بسبب البعد عن دين الله القويم الذي يحفظ للمجتمع كيانه ويضمن سلامة بنائه ووحدته ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الرعد : آية ١١] .

فعندما غيروا وبدلوا دين الله غير حالهم إلى أسوأ حال ، والعقاب من جنس العمل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

المبحث الثالث : الحياة العلمية والفكرية .

الجوانب العلمية والفكرية ضرورة لحياة وتقدم أي أمة ، وذات تأثير فعال في الجوانب الأخرى حسب الاهتمام بها ، وأمة بلا علم أمة جاهلة ، ولا ينظر إليها ، و(أهمية الفكر من الأمة كأهمية الرأس من الجسد ، ولئن كانت العقيدة تأخذ مكان القلب من الجسد ، فإن السبيل الرئيسي إليها هو الفكر ، ولذا كان عنصر الإيمان : العلم والعمل ، علم القلب وعمله ، والعلم سبيله الفكر) [جريشة ، ١٤٠٨هـ ، ص ٤٣] .

والحديث عن الجانب العلمي والفكري الذي تزامن مع عصر شخصية البحث مهم لمعرفة واقع الأمة الإسلامية بعامة ، والأمة التركية بخاصة ، حيث كان لذلك الواقع - إن سلباً أو إيجاباً - تأثيره على أفكار بديع الزمان سعيد النورسي وعلى سيرة حياته .

فالعالم الإسلامي بدأ في الانحطاط والتخلف الفكري والعلمي من قبل عصر النورسي ، حيث بدأت الحضارة الإسلامية بشكل عام (منذ القرن الثامن الهجري بالانحسار ، وبدأ المسلمون الابتعاد عن منهج الله وحقيقة الإسلام - كنظام شامل للحياة - ، وفي القرن العاشر وصلت الأمور إلى حالة الركود القاتل والتواكل والجهل المطبق ، وتبلدت الأوضاع كلها) [العقل ، ١٣٩٣هـ ، ص ٣٧] .

نعم ، لقد تبلدت جميع الجوانب في حياة الأمة تبعاً لتبلدها العلمي والفكري ، وفي مقدمتها الدولة العثمانية ، لكونها دولة الخلافة ، وتضم أغلب الأقطار الإسلامية تحت سلطتها ، فدبّ الفساد في عقيدة الأمة الصافية وتصورها الإسلامي الواضح ، وتحولت إلى فلسفات وبدع وخرافات ، وتحول الفكر الإسلامي المبني على الاجتهاد من المرونة والإبداع والتجديد والنمو إلى الجمود والتحجر والفساد والاختلاف ، وانشغل العلماء بالمناظرات والجدل وعلم الكلام ، مما أدى إلى انحسار العلوم الإنسانية لتوقف التجديد والابتكار والإبداع ، فحصل من ذلك انحسار بقية العلوم الأخرى ، بل وصل إلى علوم اللغة والأدب ، فسيطر الجهل وضَعُف التفكير على عقول الكثير من الأفراد ، وسيطرت البطالة على أفراد الأمة ومؤسساتها العلمية والاجتماعية ، (ولم يكن الجمود العلمي والكلال الفكري مقتصرين على تركيا وأوساطها العلمية والدينية فحسب ، بل كان العالم الإسلامي

من شرقه إلى غربه مصاباً بالجدب العلمي وشبه شلل فكري ، قد أخذه الإعياء والفتور ، واستولى عليه النعاس ، ولعل القرن التاسع – وإذا لم نقل القرن الثامن – آخر قرون النشاط والتوليد والابتكار في الدين والعلم والأدب والشعر والحكمة ، والقرن العاشر أول قرون الخمود والتقليد والمحاكاة ، وترى هذا الخمود عاماً شاملاً للعلوم الدينية والفنون الأدبية والمعاني الشعرية والإنشاء والتاريخ ومناهج التعليم ، فلا تجد في كتب التراجم – التي ألفت – الأخيرة من تطلق عليه لقب العبقري ، أو النابغة ، أو المحقق على الأقلّ ، أو من جاء في فنّ من الفنون بشيء طريف مبتكر ، أو زاد في العلم زيادة حسنة ، إذا استثنينا بعض الأفراد في أطراف العالم الإسلامي) [الندوي ، ١٤٠٢هـ ، ص.ص ١٦٥ - ١٦٦] .

والدولة العثمانية هي التي بيدها السلطة والسطوة في العالم الإسلامي ، ومع ذلك لم تنجُ من مصيبة الجمود والتخلف ، بل أصابها ما أصاب غيرها ، حيث (دخلت مرحلة التخلف والتراجع والانحطاط منذ مئات السنوات ، هذا التخلف كان عاماً وشاملاً يتناول كل مظاهر الحياة وشُعَبِها ومسالكها ومظاهرها ومناحيها ، ومن بينها ناحية الدين والإيمان ، فالجهل كان سائداً ومنتشراً بين علماء الدين مثل انتشاره في الطوائف الأخرى ، لذا فإنهم كانوا عاجزين عن الاستجابة للمتغيرات الاجتماعية التي تسارعت في العقود الأخيرة نتيجة لزيادة الاتصال مع العالم الغربي ، كما ازدادت الخرافات وانتشرت بين الناس ، وأصبح من المتعذر على المتعلم الاعتيادي التمييز بين الدين الحقيقي النقي الصحيح وبين هذه الخرافات والأوهام) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٣١] .

وقد تزامنت مع بداية الجمود الفكري والتخلف العلمي في الأوساط الإسلامية بدايةُ النهضة العلمية والفكرية في أوربا ، وذلك خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين المقابلَين للقرنين التاسع والعاشر الهجريين ، وقد شملت تلك النهضة جميع مناحي الحياة ، حيث (هبت من مرقدها مجنونة تتدارك زمان الغفلة والجهل ، وتعدوا إلى غايتها عَدْواً ، بل تطير إليها بكل جناح ، تسخر قوى الطبيعة ، وتفضح أسرار الكون ، وتكشف عن بحار وقارّات كانت مجهولة ، وتفتح فتوحاً جديدة في كل علم وفنّ ، وفي كل ناحية من نواحي الحياة ، ونبغ في هذه المدة رجال ومبتكرون في كل علم ، وكانت ساعة في ذلك الزمان تساوي يوماً ، بل أياماً ، ويوم يساوي عاماً ، بل أعواماً . فمن ضيّع ساعة فقد ضيع زمناً) [الندوي ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٦٨] .

وتزامنُ النهضة العلمية في أوربا مع بداية جمود الفكر الإسلامي تدل دلالة على أن هذه الحضارة بُنِيَتْ على حضارة سابقة قبلها ، ولا شك ولا ريب أن الحضارة التي سبقتها كانت حضارة الإسلام والمسلمين ، (وكانت حضارتهم هي الحضارة المثلى التي يتمجد الناس ويتظرفون بتقليدها ، ويحث علماء الدين على تفضيلها على الحضارات الأخرى) [الندوي ، ١٤٠٢هـ ، ص ٣١٥] .

فالحضارة الأوروبية استفادت من فكر الحضارة الإسلامية ، والحق يقال أن بعض خلفاء الدولة العثمانية حاول مقارعة الحضارة الأوروبية والاستفادة مما عندهم ، مع عدم التبعية والتقليد لكل حضارتهم ، بل للمفيد ، ولكن دون جدوى ، فقد (عني السلطان سليم الثاني في فجر القرن التاسع عشر بالإصلاح ، وكان عصامياً قد نشأ وتعلم خارج البلاط خلافاً لسابقيه ، وأنشأ مدارس جديدة ، وكان يعلم بنفسه في مدرسة الهندسة ، وألّف جيشاً على الطراز الحديث ، وأدخل تعديلات وتحسينات في النظام السياسي) [الندوي ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٦٩] .

ثم تبعه السلطان عبد الحميد الثاني ، حيث حاول الأخذ من أوربا ، ولكن بطريقة متأنية ونظرة فاحصة ناقدة لما يفيد لا ما يضرّ من تلك الحضارة ، حيث قال : (ليس من الصواب القول بأني ضد كل تجديد يأتي من أوربا ، لكن العجلة من الشيطان ، ويقابل العجلة الهدوء والاعتدال ، يجب أن نضع نصب أعيننا ما تفضل به الله علينا ، ليس الإسلام ضد التقدم ، لكن الأمور القيمة يجب أن تكون طبيعية ، وأن تأتي من الداخل وحسب الحاجة إليها ، ولا يمكن أن يكتب لها النجاح إذا كانت على شكل تطعيم من الخارج) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ١٠] .

وقد أثبت التاريخ (إفادة عبد الحميد من الغرب بطريقته الخاصة في كافة الميادين التي رأى أنها تحتاج لخبرة الخارج ، وأقام كلية للعلوم ، وكليات للآداب والحقوق (مكتب حقوق شاهانة) ، وكلية للعلوم السياسية (مكتب ملكية شاهانة) ، وأكاديمية الفنون الجميلة (مكتب شاهانة صنايع نفيسة) ، ومدارس عليا للتجارة والزراعة والبيطرة والغابات والتعدين والتجارة البحرية والمعلمين العليا ، ومدارس متوسطة متخصصة ، مثل : مدارس الصم والعمي والبكم ، وأقام مدرسة إعدادية - أي ثانوية بالمفهوم المعاصر - في كل مسنجق ، وأقام مدارس عليا بمستوى الجامعات في كل من دمشق ، وبغداد ، وبيروت وسلانيك ، وقونية وغيرها ، وأرسل البعثات العلمية إلى كل من فرنسا وألمانيا . هذا عن بعض من جهوده في ميدان التعليم .

أما عن خدماته الأخرى ، فمن بعضها إقامة مؤسسة حديثة للمياه ، وغرف للصناعة والزراعة والتجارة ، وتأسيس البلديات ، وبناء الغواصة ، وإقامة خطوط البرق ، وإنشاء إدارة البريد ، ومدّ السكك الحديدية ، وإدخال الترامواي‍ات ، والاهتمام بتدعيم المواقع العسكرية في الدردنيل ، مما ساعد على انتصار الأتراك على الأساطيل المغيرة في موقعة الدردنيل المشهورة في الحرب العالمية الأولى ودمر أساطيل الحلفاء ومنعها من اقتحام الدردنيل) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ١٠] .

وكل هذه الأعمال والإصلاحات من قِبَل السلطان عبد الحميد تزامنت وحياة شخصية البحث ، النورسي – رحمه الله – ، ولا شك أنه أفاد منها كما سيأتي ، ولكن الطامة الكبرى والمصيبة العظمى التي منيت بها الأمة التركية في دينها وفكرها وعقيدتها كانت بعد سقوط الخلافة على أيدي حفنة من أهل الفسق والإلحاد الذين استجابوا لأعداء الملة والدين ، فأعلنوها جمهورية علمانية تحارب الدين والفضيلة ، وتحمي الكفر والرذيلة ، فأصاب الأمة انحرافٌ في تفكيرها وتغيرٌ في سلوكها ، وفُرِض عليها الإلحاد بدل الإيمان ، والرذيلة بدل الفضيلة ، وأقصوا أهل الفكر الإسلامي واستبدلوهم بأهل الفكر الإلحادي القومي ، وبذلك حصل (ضمور في العقل ، وفي الروح جهلٌ متفشٍ بين معظم علماء الدين وفقهائه ، يأس وقنوط ، نتيجة مصائب الحروب وفواجعها وآلامها ، انبهار بالحضارة الغربية بكل قيمها دون أي فرز أو دراسة أو تحليل أو جرأة لنقدها ، سلطة حاكمة ترى خلاص تركيا وتقدمها في إبعادها عن الإسلام ، وكانت النتيجة أن هبّت ريح عاتية تريد أن تقتلع الإسلام من جذوره ، وأن تخمد جذوة الإيمان التي كانت شعلتها هي القوة الدافعة ، والحارسة والحافظة لهذا البلد الذي كان يقود إمبراطورية واسعة مدت جناحيها على قارات ثلاث) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص١٣٣] .

هكذا وصل الحال بحكام تركيا الاتحاديين إلى تلك الحالة ، بل وصل إلى إنكار الإله علانية في المدارس والجامعات التي تتولى تعليم الناشئة وتنمية أفكارهم ، حيث أورد أحد الذين تعلموا في تلك المدارس ، وهو الكاتب التركي (عثمان يوكسل) بعضاً مما جرى لمسخ فكر وعقيدة أبناء الأمة في تلك الحقبة ضمن فقرات كتابه (كيف أفسدوا جيلاً كاملاً) ، وضَمَّنَ ذلك ذكرياته وهو في المدرسة الابتدائية يتلقى تعليمه الأول على أيدي أولئك المنحرفين ، فقال مخاطباً نفسه : (وتتذكر أنك بدأت بالدوام إلى المدرسة الابتدائية على وجل ، وفي أحد الأيام التفت إليكم المعلم مستفسراً : أيها الصغار ! ما رأيكم ؟. هل هناك

شيء اسمه الله ؟. واحتار الطلاب الصغار أمام هذا السؤال الذي لم يسمعوا ولم يفكروا به سابقاً ، بقوا صامتين وقد ألجمهم الذعر ، ولكنك لم تسكت ، بل صرخت (نعم يوجد) ؛ فضحك المعلم وهو يقول : لا وجود لمثل هذا الشيء أيها الصغار !. فهذه حكايات العجائز ، وهو كَذِبٌ . ازدادت حيرة واضطراب الطلاب ، حكايات ! عجائز ! كذب ! وبدأوا يفكرون في الغِيلاَنِ التي يسمعون عنها في الأساطير ، فهل كان الله غولاً ؟. – حاش لله – ، بدأ المعلم الحديث مرة أخرى ، لا أيها الصغار !. اهتفوا جميعاً وبصوت واحد (أعطنا حلوى يارب) ، هتف الصغار : أعطنا حلوى يارب !. فلم يرد أي جواب ، ثم قال المعلم : والآن اهتفوا : أعطنا حلوى يا معلمنا ، فهتف الصغار مرة أخرى : أعطنا حلوى يا معلمنا ، ابتسم المعلم ابتسامة صفراء ، واستدار مخرجاً بعض الحلوى الذي كان قد خبأه وبدأ بتوزيعه على الصغار الذين كانوا يراقبون المعلم بنظرات وجلة وحائرة ، لم يكن أحد منهم قد استوعب بعد معنى ما حدث ، كان صمت عميق يسود الصف ، فالكل ينتظر ويتشوق لمعرفة ما سيؤول إليه الأمر ، ثم علا صوت المعلم ثانياً ، كما ترون أيها الصغار فإن الله غير موجود ، فلو كان موجوداً لرأيتموه كما ترونني الآن ، لقد هتفتم طالبين الحلوى منه فلم يسمعكم ، ولم يجلبها إليكم ، ولم يعطها لكم ، وطلبتم الحلوى مني فجلبتها إليكم وأعطيتها لكم ، ذلك لأنني موجود وأنتم موجودون ، فنحن نعطي ونحن نأخذ !. وهنا قذفت الحلوى – التي كانت ملتصقة بيدك بسبب العرق – بوجهه صارخاً : (أنت كافر) ، لطمك المعلم على وجهك وأمسك بأذنك وأخرجك من الصف) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ١٣٥ - ١٣٦] .

نعم ، هكذا وصل بهم الأمر رغم ما يدعونه من حرية ، وأي حرية مع تسلط هذا المعلم على أولئك الصغار ، وإجبارهم على اعتناق الكفر بدل الإيمان ، فهل لهذا المعلم – وأمثاله الكثير الكثير – من عقل موجود ؟. أم أنه فَقَدَ عقلَه فأصبح يُملي على تلاميذه ما تنكره السماوات والأرض ومن فيهن إلا هذا وأمثاله ، ثم يتضح الحال الذي عاشه النورسي بين الفكر الإسلامي المتمثل في السلطان عبد الحميد الثاني وبين الفكر الإلحادي التعسفي المتمثل في (كمال أتاتورك) وأتباعه ، إنه لتناقض عجيب ومذهل ، ولكن إيمان النورسي قاده إلى مجابهة الكفر بالإيمان ، فعالج به كثيراً من عقول أبناء الأمة التي خَرِبَتْ وأصابها العفن بسبب تربية أهل الإلحاد والزندقة ، رغم ما لاقاه من السجن والنفي والإقامة الجبرية وكل أنواع المضايقات ، فالله المستعان على ما يصفون .

المبحث الرابع : الحياة الاقتصادية .

المال عصب الحياة وشريان سر نهضة الأمم ، ولم يُؤْثَر أن أمة من الأمم تقدمت ونهضت دون قوة الجانب الاقتصادي ، والإسلام حث على كسب المال من طرقه المشروعة ، قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٧٥] . وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور ﴾ [سورة الملك : آية ١٥] ، (أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٧ ، ص٧١] .

وقال ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه عندما بعث إليه ، فحضر عمرو إلى الرسول ، فقال ﷺ : « إني أرسلت إليك لأبعثَكَ في وجه يُسَلِّمُكَ الله ويُغَنِّمُك ، وأَزْعَبُ لك زُعْبَةً من المال » ، فقلت يا رسول الله : ما كانت هجرتي للمال ، ما كانت إلا لله ولرسوله ، فقال : « نِعِمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح » . أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص١٩٧ ، والحاكم في المستدرك ، كتاب التفسير ، ج٢ ، ص٢٣٦ ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، وقال الذهبي : صحيح . [البغوي ، ج٣ ، ص ٢٧ ، برقم ٢٨٢٦] .

وقال ﷺ : « أطيب الكسب عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور » . رواه أحمد في المسند ، والطبراني في الأوسط ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي . [وقال الألباني صحيح الإسناد ، ج٢ ، ص ١٦٠ ، برقم ٦٠٧] .

وعندما أخذ المسلمون الأوائل بمضمون هذه الآيات والأحاديث وغيرها وطبقوها في واقعهم فاض المال عندهم ، أما الأمة الإسلامية اليوم فإنها لا زالت تعاني من الضائقة المالية بسبب البعد عن بذل الأسباب في الحصول على الأموال من مصادرها المعاصرة الصحيحة ، لتبعيتها لدول الشرق والغرب في الأنظمة الاشتراكية والرأسمالية ، حتى وصلت الحالة الاقتصادية إلى حالة يرثى لها ، (فأصابها الفقر والعوز والجهل والبطالة والكسل ، والشلل العام في شتى المواقف الاقتصادية ، وحيث ضعف الاستمداد الفقهي والتشريعي من الشريعة الإسلامية لم تجد الأمة الإسلامية نظاماً اقتصادياً شاملاً يفي باحتياجاتها ، ويُصَرفُ طاقاتها وإنتاجها ، ويُنظِّم الحياة الاقتصادية ، ويُسَيِّر خيرات البلاد نحو التنمية والعمران) [العقل ، ١٣٩٣هـ ، ص ٣٩] .

والدولة العثمانية جزء أكبر من أجزاء العالم الإسلامي ، حيث تضررت الناحية الاقتصادية فيها ، ووصلت في آخر أيامها إلى أقصى درجات الضعف المالي ، وقد أشار السلطان عبد الحميد إلى ذلك بقوله : (عندما توليت الحكم كانت ديوننا العمومية تقرب من ثلاثمائة مليون ليرة ، وُفِّقتُ إلى تخفيضها إلى ثلاثين مليون ليرة ، أي إلى العشر ، وذلك بعد دفع ما تطلبته حربان كبيرتان وعدة تمردات داخلية ، أما (ناظم بك) ورفاقه فقد رفعوا هذا الرقم من ثلاثين مليون ليرة حيث تركته إلى أربعمائة مليون ليرة ، أي إلى ثلاثة عشر أمثاله) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ٢٢] .

وسرّ هذه الديون الذي رفع من حجمها كان بسبب الاتكال على الدول الأخرى الأوروبية التي غزت أسواق العالم الإسلامي ببضائعها ومنتجاتها ، فسلبت خيرات البلاد ، كما تحدث عن ذلك السلطان عبد الحميد بقوله : (أما عن الوضع المالي ، فالبلاد مثقلة بالديون ، الدخل يقلّ عاماً بعد عام ، والإنتاج المحلي كان يضمحلّ يوماً بعد يوم ، فقد كنا منذ فترة التنظيمات نأتي بكل أشيائنا من أوربا ، المنسوجات الأوروبية غطت كل مكان ، أضحت عدة مصانع في طريق الزوال ، وهبط دخل الجمارك إلى الحدّ الذي لا يُجزي ، بسبب تلك المعاهدات المعقودة مع الدول الكبرى لم تعد تكفينا زيوتنا ، الطرق غير موجودة ، التخابر صعب ، وبدأ الأمر كأن أراضي الإمبراطورية تُرِكَت لأقدارها) [عبد الحميد ، ١٩٧٨م ، ص ٦٣] .

وازداد الأمر سوءاً بعد سقوط الدولة العثمانية وإعلان الجمهورية ، حيث وصل إلى (أزمات يلاحق بعضها بعضاً ، وصفوفٍ طويلة تأخذ من الإنسان ساعات للحصول على لتر من البنزين ، أو صفيحة من الزيت ، أو قليل من الدهن ، أو حتى لمبات للإضاءة ، والمصانع معطلة أو شبه معطلة ، ثراء فاحش ، يزداد فحشاً في جانب على حساب طبقات كثيرة تكاد تشكل كل الشعب التركي تئن تحت وطأة الغلاء وانخفاض قيمة الليرة التركية ، حتى تكاد لا تساوي قيمة الورق الذي تطبع عليه) [محمد ، ١٤٠٤هـ ، ص ٢٢٩] .

وهكذا وصلت الحالة الاقتصادية في عهد النورسي ـ رحمه الله تعالى ـ ، ولا شك أن لذلك تأثيره على الجوانب العلمية والفكرية والاجتماعية وغيرها .

المبحث الخامس : تأثره بها وتأثيره فيها .

الإنسان ابن بيئته ، يتأثر بما يجري فيها من الحوادث والتقلبات ، فإن كانت البيئة صالحة كان ابنها صالحاً – بإذن الله – ، وإن كانت فاسدة كان حال ابنها كحالها ،

وخاصة في بداية حياته وتنشئته ، وكثير من سلوكياته وقناعاته تكون نابعة مما عرفه عن بيئته وتشبع به منها ، قال ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يُهَودانه ، أو يُنَصرانه ، أو يُمَجسانه ، كما تُنْتِجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء » ؟. [أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي ، ج٢ ، ص٥٧٦ ، برقم ١٢٦٧] .

ويظهر هنا دور التربية حسب الأهداف التي تختلف باختلاف الأديان والعقائد ، وقال ﷺ : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلَّ على راهب ، فأتاه فقال : أنه قتل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟. فقال : لا ، فقتله ، فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلَّ على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟. فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟!. انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله ﷻ ، فاعبد الله تعالى معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء ... الحديث » [أخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل ، ج٤ ، ص ١٦٨٣] .

والحديث بيَّن دور الصحبة في التربية ، فأهل الصلاح والتقوى يدلون المصاحب لهم إلى الخير والهدى ويعينونه على ذلك ، وأهل السوء على العكس تماماً ، يدلونه إلى طرق الضلال والغواية والفساد ، ويعينونه على ذلك ، فالعالم أوصى التائب بترك قريته التي كان يقترف الذنوب بها ، لأن أهلها أهل سوء ، ويذهب إلى قرية أخرى ، لأن أهلها يعبدون الله تعالى ، وهم – بلا شك – سيكونون قدوة له في الطاعة التي تعمل على ردع الإنسان عن المعاصي بإذن الله ، والنورسي ــ رحمه الله ــ ممن تأثر بما جرى في العالم الإسلامي بشكل عام وبما جرى في بلده تركيا بشكل خاص ، ولكنه رجل تشبع قلبه بالإيمان ، فحماه – بإذن الله تعالى – من الانجراف إلى المفاسد والضلالة والانحراف الذي وقع فيه كثير من أبناء بيئته ، ولذلك دفعه ما رأى في مجتمعه من الانحراف الفكري والبدع والخرافات إلى العمل على مقارعة أهل الباطل بسيفه ولسانه وقلمه ، وتمثل جهاده بالسيف أثناء الحرب العالمية الأولى عندما أعد العدة مع طلابه لملاقاة الأعداء على الجبهة الشرقية لروسيا ، وكان (النظام الذي وضعه بديع الزمان لطلابه الفدائيين نظاماً فريداً من نوعه ، كانوا يدرسون ويحفظون القرآن ، ويتلقون الدروس ، وكانوا من جانب آخر يتدربون على القتال ، ويسهرون الليالي على قمم الجبال يحرسون ، أو يهاجمون الأعداء في عمليات فدائية ، القرآن في يد ، والبندقية في يد أخرى) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦١] .

بل في سنة ١٩١٢م (وفي الأسابيع الأولى من حرب البلقان عين بديع الزمان قائداً للقوات الفدائية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرقي الأناضول للاشتراك في هذه الحرب) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٠] .

ثم جاهد بلسانه وقلمه ، وخاصة عندما رأى القصور العلمي والفكري في عهد الدولة العثمانية ، فذهب إلى السلطان عبد الحميد ـ رحمه الله تعالى ـ طالباً الدولة القيام بفتح المدارس التي تجمع بين العلم الشرعي الأصيل والعلم الكوني الحديث ، لأنه يرى ذلك ضرورة للمجتمع وعدم الفصل بينهما ، حيث المنهج الإسلامي الصحيح يجمع بين العلوم الكونية والدينية ، وكان جريئاً في طلبه حين قال : (إن مقام الخلافة لا ينحصر في إقامة صلاة الجمعة ، فكما أن للخلافة قدرة وقوة معنوية ، فيجب أن تكون لها القدرة المادية التي تكفل مصالح الأمة المحمدية في أقطار الأرض جميعاً) [عبد الحميد ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤] .

ثم كان التأثر أبلغ عندما أُسْقِطت الخلافة وأُعْلِنَت الجمهورية ، وأعلن حكامها الحرب على الله ورسوله والمؤمنين ، بتغيير معالم الدين بما فيها المناهج العلمية والفكرية ، (فحصل للأمة أحداث دامية مرعبة لفت تركيا الحديثة من أقصاها إلى أقصاها ، وأغرقتها بطوفان هائل مخيف من أفكار الكفر والجحود والإنكار ، وفُرِضت بعد سقوط الخلافة على الشعب المسلم – بقوة الحديد والنار ، من مذاهب الغرب وأفكاره ونظرياته – كل ما يبعده عن دينه ، ويحجزه عن إيمانه) [الدباغ ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٩] .

فوقف صامداً ، وأعلنها صراحة بأنه ضد تغيير فكر الأمة ودينها ، ولذلك كان (ينتفض في محبسه انتفاضة غاضبة ، ويزأر زئيراً مرعباً كلما بلغ مسامعه – في ليل تركيا – عداءُ أعداء الله ، ونباحُ الفاسقين المسعور على الإيمان والإسلام ، وكان يحس بما يشبه الحمّى تسري في كيانه ، وتدب في عروق دمائه ، فيقوم من مكانه ، ويذرع المكان الذي هو فيه جيئةً وذهوباً ، مستغرقاً في تأملات فكرية غاية في العمق ، ومتوغلاً في أمداءَ ذهنية بعيدة ، مستحضراً بذلك كل قواه النفسية والفكرية ، ومستجمعاً كل طاقاته الإيمانية ، ثم يشرع بإملاء ردوده التي تدحض أفكارهم ، وتنسف – من الأساس – مرتكزات عقائدهم ، تفند ما يأتون به من أباطيل ، وما ينشرون من أوهام) [الدباغ ، ١٤٠٦هـ ، ص.ص ٨٤-٨٥] .

وهكذا تأثر النورسي بالحالة الفكرية السيئة ، وهكذا أثر فيها .

وأما الحالة السياسية فقد تأثر بها أول الأمر ، حيث شارك في المؤتمرات السياسية والندوات ، وبدأ أول حياته العملية (بالعمل السياسي ، فبعد أن أعدّ نفسه بالعلوم والمعارف ، أدرك أن هناك مؤتمرات تُدار في الخفاء للقضاء على الخلافة الإسلامية ، وكان يتزعم العمل ضد الخلافة جمعيةُ الاتحاد والترقي ، وشعر الشيخ بأن واجبه الديني الدفاع عن الخلافة وحمايتها من الهجوم الوحشي الموجه إليها ، فشمر عن ساعديه ، وخاض معركة سياسية ضارية) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٤٠٥ - ٤٠٦] .

وقد كانت له عدة مقالات سياسية تنشر في الصحف ، وعارض دخول تركيا الحرب العالمية الأولى ، ولما رأى الإصرار في الدخول في الحرب شارك وتلاميذه مشاركة فعلية في المعارك ، وأصدر مع مجموعة من العلماء فتوى تهيب بالمسلمين الاشتراك في الجهاد في سبيل الله ، ثم ساهم في جمعية الاتحاد المحمدي لكي يتصدى لمخططات جمعية الاتحاد والترقي وأهدافها الماسونية الخبيثة ، وكانت سياسته عسكرية أمنية ، ثم وجه بعض الانتقادات إلى الخليفة العثماني علانية ، وحصل له من المتاعب والمحاكمات والنفي والسجن الشيءُ الكثير ، فقرر اعتزال السياسة ، لأنه (اعتبرها من وساوس الشيطان ، وذلك إثر عدة مواجهات ومصادمات بينه وبين مصطفى كمال الذي كان يحاول استدراجه إلى صفه ، حيث غادر (أنقرة) عام ١٩٢١م إلى (وان) تاركاً السياسة خلف ظهره ، جاعلاً تعويذته في ذلك ، أعوذ بالله من الشيطان والسياسة ، ووصف هذا التاريخ بأنه فاصل بين مرحلتين : سعيد القديم ، وسعيد الجديد) [الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤٠٩هـ ، ص٥٢٣ بتصرف] .

ومن بعد ذلك لم يكن للنورسي أي تأثير في الجانب السياسي كما أثر في الجانب العلمي والفكري ، وهي من المآخذ التي أخذت على النورسي وعلى طلابه من بعده ، حيث ابتعدوا عن مسرح الأحداث بعد الخلافة العثمانية ، وتركوا أهل الزندقة والإلحاد يعيثون في الأرض فساداً .

ولذلك قال الشاعر[1] :

لا يصلح الناس فوضى لا سَراة لهم ولا سَراة إذا جُهّالهم سادوا

(١) من قصيدة للأفوه الأودي . [الميمني ، ١٩٣٧م ، ص ١٠] .

والبيت لا يبتنى إلا لـه عمـد ... ولا عماد إذا لم تُرسَ أوتاد

تُلفى الأمور بأهل الرشد ما صلحت ... فإن تولوا فبالأشرار تنقاد

إذا تولى سَراة القوم أمرَهم ... نما على ذاك أمر القوم فازدادوا

وأما الجانب الاجتماعي : فلا شك أنه تأثر بما آلت إليه أوضاع المجتمع التركي المسلم وغيره من بلاد المسلمين ، وخاصة في جوانب الحياة الأسرية ، ويظهر ذلك واضحاً من قوله : (لما كنت في هذه السنة معتزلاً الناس ، مبتعداً عن الحياة الاجتماعية ، نظرت إلى الدنيا نزولاً لرغبة إخوة وأخوات من النوريين ، فسمعت من أغلب من قابلني من الأصدقاء شكاوى عن حياتهم الأسرية ، فتأسفت من الأعماق وقلت : أوَدبّ الفساد في هذه الحياة أيضاً ؟. إن الحياة الأسرية هي قلعة الإنسان الحصينة ، ولا سيما المسلم ، فتشت عن السبب الذي أدى إلى فسادها ، وعلمت أن هناك منظمات سرية تسعى لإضلال الشباب وإفسادهم ، بتذليل سبل الشهوات أمامهم ، وسوقهم إلى السفاهة والغواية لإفساد المجتمع الإسلامي ، والإضرار بالدين الإسلامي ، كما أحسست أن منظمات أيضاً تعمل في الخفاء وتسعى سعياً جاداً مؤثراً لدفع الغافلات من النساء اللطيفات إلى طرق خاطئة آثمة ، وأدركت أن ضربة قاصمة على هذه الأمة الإسلامية تأتي من تلك الجهة ، إن العلاج الناجح لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهن وأخراهن معاً ، وإن الوسيلة الوحيدة لصون سجاياهن الراقية اللاتي في فطرتهن من الفساد ، ليس إلا في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١٠] .

وفي كلام النورسي إشارة إلى أن التربية لا بد وأن تتناول جميع جوانب الحياة الدنيا من معاملات وأخلاق وآداب ، وجميع الجوانب الدينية من اعتقاد وعبادة ، وأن يكون هناك توازن بين الجوانب ، فلا يطغى جانب على جانب ، بل يأخذ كل جانب ما يستحقه من التربية .

وأما الجانب الاقتصادي : فإن النورسي ــ رحمه الله ــ لم يتأثر به كثيراً كغيره من الجوانب ، رغم ما آلت إليه الحالة الاقتصادية للدولة التركية ، وخاصة في عهد الاتحاديين ، حيث أصبحت في عداد الدول ذات العوز والفقر ، لأن النورسي جعل القناعة كنزاً يدخره عنده في كل الأحوال ، فقد ردّ على من أراد أن يدفع إليه بعض زكاة أمواله قائلاً لهم : (رغم أن نقودي قليلة جداً ، إلا أنني أملك الاقتصاد ، وقد تعودت على القناعة ، فأنا أغنى منكم بكثير) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٦٦] .

ولم ينتظر النورسي جمع المال ليقوم بتربية طلابه أو نسخ رسائله ، بل أخلص النية ، وجاهد حتى اجتمع له الكثير من الطلاب ، وجُمِعت له الكثير من الرسائل دون اعتمادات مالية أو مؤسسات مصرفية ، بل الإخلاص والتوكل مع دوام الصبر والقناعة ، ومما كان يوصي به طلابه : الاتصاف بالقناعة وعدم النظر إلى ملذات الحياة الدنيا الفانية ، ومن ذلك توجيهه رسالة إلى طالبات النور قال لهن : (اعملْنَ على كسب نفقاتكن بعمل أيديكنّ ، كما تفعل نساء القرى الطيبات ، واكتفين بالاقتصاد والقناعة المغروزتين في فطرتكنّ ، وهذا أولى من بخس أنفسكن بسبب هموم العيش بالرضوخ لسيطرة زوج فاسد سيء الخُلُق متفرنج) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١٢ - ٣١٣] .

وهكذا المسلم لا بد أن يكون كالغيث ، أينما وقع نفع بإذن الله تعالى ، ولا خير في مسلم لا يهتم بأمر المسلمين ، أو ينتظر الجزاء العاجل من الناس ، بل عليه أن يعمل ويبذل الأسباب ، ويوكل النتائج إلى توفيق الله ، والله ﷻ يختبر عبده ويبتليه ، فعلى العبد المؤمن الصبر والاحتساب والمجاهدة ، وكلما كان أقوى في الصبر والتحمل كان عند الله أحب وأعظم ، وذلك كما أخبر به الصادق المصدوق – صلوات الله وسلامه عليه – حيث قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ماينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قَدَّر الله وما شاء فعل ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان) [رواه مسلم في كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة بالله ، ج٤ ، ص ١٦٢٩ ، برقم ٢٦٦٤] .

ثم يتذكر المسلم أن أمره كله إلى خير ، فإن وُفِّقَ كان خيراً ، وإن لم يوفَّق أو أصابه شيء من جراء ذلك العمل فهو إلى خير ، كما ورد عن رسول الله ﷺ حيث قال : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » [أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ، ج٤ ، ص ١٨١٥ ، برقم ٢٩٩٩] .

والنورسي نحسبه ، والله حسيبه ممن اتصف بهذه الصفات ، حيث كان شاكراً لأنعم الله تعالى عليه بالتوفيق في هدايته للناس وقت الشدة والمحنة ، ثم صبره وتوكله على الله مع ما لاقاه من الأذى والتعذيب والسجن وغيرها ، وأنصبَ اهتمامه بالمسلمين وبتربية أبنائهم التربية الإيمانية التي تحصنهم من تربية

أهل الإلحاد والضلالة ، فأعد خطة تربوية ليواجه بها خطط الأعداء ، فأثمرت وآتت ثمارها اليانعة بإذن الله تعالى ، (فبَنَت - على الرغم من العقبة الكؤد - مدرسة إسلامية روحية ثقافية كبيرة وارفة الظلال ، انتهت إلى إحداث وعي إسلامي قوي وقف أمام الكفر ، وأهوى بمعاول التوحيد الحق على مراكز الثقافة الفكرية والاجتماعية التي تفرعت من المدارس المادية التي سادت في القرن الأخير) [عبد الحميد ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٤٧] .

وكل ذلك حصل بإذن الله رغم ما حصل له من السجن والنفي والمضايقة المتلاحقة ، وعدم السماح له بمقابلة الناس والاجتماع بهم ، ولكن أمر الله وحكمه فوق أمرهم وحكمهم ، ﴿ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف : آية ٢١] .

الباب الثاني : الإنسان والتربية في فكر النورسي

توطئة :

الإنسان والتربية أمران متلازمان تلازم الماء والحياة ، والحياة السعيدة للإنسان تكمن في حسن تربيته ، ويتطلب حسن التربية معرفةً لما أودعه الله تعالى من أجهزة عديدة (وذلك لا يمكن إلا عن طريق معرفة حقائق هذه الطبيعة ، إذ لا يمكن التحكم في الشيء وتسخيره إلا بعد العلم بما في ذلك الشيء من الحقائق والقوانين التي يخضع لها ، مع ملاحظة الفرق بين الإنسان وغيره في ذلك ، ولهذا اهتم المربون بمعرفة الطبيعة الإنسانية ، ورأوا ضرورة إعطاء الأهمية الكبرى لدراسة الطبيعة الإنسانية ، لأن ذلك ضروري لتكوين أساس علمي للتربية عموماً) [يالجن ، ١٤١١هـ ، ص ٤٨] .

والنورسي رحمه الله ممن اهتم بمعرفة الإنسان ومعرفة طبائعه وسلوكه ، ولذلك تضمنت رسائله العديد من المقالات التي تحدثت عن أصل خلقه ومكوناته الإنسانية ، ثم مكانته وكماله الإنساني ، وأنه مخلوق يختلف عن غيره من المخلوقات ، فيحتاج إلى تربية خاصة ، لأن عنده استعدادات وآمالاً وأهدافاً ، وهو في نهاية المطاف مخلوق مكرم ذو وظيفة سامية يجب أن يُربى عليها ليحققها في حياته ، فيسعد في الدنيا والآخرة ، ومن هذا المفهوم فإن للنورسي آراء في التربية التي يُرَبَّى عليها هذا الإنسان من حيث مفهومها ونوعها وشمولها ، والمصادر التي تُستَقَى منها ، وبعد أن تمت معرفة ملامح سيرته ، ومعرفة جوانب شخصيته ، ثم معرفة عصره الذي عاش فيه وتأثره بذلك وتأثيره فيه ، رأى الباحث أن يُضَمن هذه الرسالة رأي النورسي في الإنسان وتربيته ، فكان هذا العنوان لهذا الباب ، ويندرج تحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : رأي النورسي في الإنسان .

الفصل الثاني : الكمال والسعادة في حياة الإنسان وآخرته .

الفصل الثالث : رأي النورسي في التربية .

الفصل الأول

رأي النورسي في الإنسان

تمهيد :

إن الإنسان الذي خلقه الله تعالى في أحسن صورة ، ثم ميزه عن غيره بعقل مدرك مميز ، هو في أصله ذرات من تراب ، ثم من ماء مهين ، جعله الله في قرار مكين ، يمكث فيه إلى أن يأذن الله بتكونه من أجزاء متعددة ذات وظائف مختلفة ، ثم يكتمل خَلقُه وصورته ، فيخرج إلى هذه الدنيا إنساناً سوياً ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، الذي لم يدع للأسباب المادية أيّ قدرة في خلق أي جزئية صغيرة كما يدعيه عبدة الأسباب ، فهو سبحانه وتعالى – وحده دون سواه – تفرد بالخلق والإيجاد ، فكل شيء في الوجود شاهد بذلك ، مُنْكِرٌ على من أسند الخلق إلى الأسباب أو الطبيعة أو المصادفة أو العشوائية .

والنورسي – رحمه الله تعالى – تحدث عن ذلك مبيناً أصل خلق الإنسان ، ثم أورد ردوداً متعددة على الماديين وعبدة الأسباب أثبت لهم من خلالها أن ما توهموه في قدرة الله على خلق جميع الخلائق لوحده ، متحقق في قدرة الأسباب مجتمعة لخلق جزئية واحدة ، ثم أوضح أن هذا الإنسان لا يخرج عن تكوينه الإنساني ، حيث له قوى مختلفة لا تستقيم إلا بالسير على المنهج الوسط ، فلا إفرط ولا تفريط ، ثم له لطائف ذات وظائف مهمة في حياته تحتاج إلى التربية السليمة المستقيمة على المنهج الرباني الذي تضمنه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وقد تم تلخيص آرائه وأفكاره في الإنسان ضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : أصل خلق الإنسان .

يعتبر النورسي – رحمه الله تعالى – من المربين الذين أخلصوا في تربيتهم ، وأيّ مربٍّ يريد النجاح لتربيته لا بد من أن يتعرف على جوانب الإنسان المختلفة ، ليعرف قدراته واستعداداته التي زُود بها من أصل خلقته ، ليتمكن المربي من طَرْقِ السبل التي يراها مناسبة لتلك القدرات والاستعدادات .

والنورسي سلك طرقاً مختلفة في تعليمه وتربيته لتلاميذه تتناسب ومقام المكان والزمان والعمر والمسؤولية ، ورأْيُ النورسي في أصل الإنسان لا يختلف عن غيره من العلماء والدعاة والمفكرين المسلمين ، وذلك لأن المنهل واحد ، والهدف واحد ، والأصل في العلم والمعرفة للجميع كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، ومعلوم خبر القرآن الكريم عن أصل

الإنسان كما ورد في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً ، فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ** ﴾ [سورة المؤمنون : الآيات ١٢،١٣،١٤] .

(وقد يصدق هذا على كون الإنسان هو خلاصة عناصر شتى استحالت إلى نطفة الفحل ، ثم استحالت إلى علقة ، فمضغة ، فنفخ فيها الروح ، فصارت إنساناً آخر بعد أن كانت جماداً لا روح فيها) [الجزائري ، ١٤١٤هـ ، ج٣ ، ص ٥٠٨] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ** ﴾ [سورة الحجر : آية ٢٦] .

(إن أصل الإنسان وأصل الحياة كلها من طين هذه الأرض ، ومن عناصره الرئيسية التي تتمثل بذاتها في تركيب الإنسان الجسدي وتركيب الأحياء أجمعين ، وأن هنالك أطواراً بين الطين والإنسان تشير إليها كلمة " سلالة ") [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ج٤ ، ص٢١٣٨] .

وقد اختلف في معنى الصلصال والحمأ المسنون على أقوال عدة ، وخلاصتها (أن التراب لما بُلَّ صار طيناً ، فلما أنتن صار حمأً مسنوناً ، فلما يبس صار صلصالاً ، فأصل الصلصال هو الحمأ المسنون ، ولهذا وصف بها) [الشوكاني ، ١٣٨٣هـ ، ج٣ ، ص١٣٠] .

والنورسي تحدث كغيره من العلماء عن أصل الإنسان من خلال رسائله المتعددة ، وأوضح رأيه في خلقه ، والأطوار التي مرّ بها ، والسلسلة التي تنتظم خلقه بعناية وحكمة وقدرة الخلاق العليم ، وذلك عندما تحدث عن تفسير قوله تعالى : ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٨] حيث قال رحمه الله : (اعلم أن الإنسان باعتبار جسده بينما كان ذرات جامدة منتشرة في العالم ، إذ تراها دخلت بقانون مخصوص ونظام معين تحت انتظام ، ثم بينما تراها متسترة ساكنة في عالم العناصر إذ تراها انتقلت مُتَسَلِّلَةً بدستور معين وانتظام يومئ إلى مقدرة وحكمة عالم المواليد ، ثم بينما تراها متفرقة ساكنة في ذلك العالم إذ تراها تحزبت بطرز عجيب وصارت نطفة ، ثم بانقلابات متسلسلة علقة ، فمضغة ، فلحماً وعظاماً ، وهلم جرا ، فكل من هذه الأطوار وإن كان مكملاً بالنسبة إلى سابقه إلا

أنه ميت وموات) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢١٥] .

ويقصد بذلك تركيب الجسد دون الروح ، حيث أشار في بداية حديثه بقوله : اعلم أن الإنسان باعتبار جسده ، و لم يتطرق إلى الروح ، وذلك ليبين أصل خلق الإنسان وأطوار تركيبه العجيبة الدالة على قدرة الرب تبارك وتعالى ، حيث قال في موضع آخر : (اعلم أن الله خلق الإنسان في تركيب عجيب ، ووحدة في كثرة ، بسيط وهو مركب ، فرد وهو جماعة ، له أعضاء وحواس ولطائف) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٧٩] .

ومن ضمن اللطائف الروح ، حيث ذكرها النورسي بقوله : (ولكن للإنسان لطائف كثيرة جداً كالقلب ، منها العقل والروح) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص٥٨٢] .

وقد تطرق إلى المراحل التي يمر بها خلق الإنسان قبل أن تنفخ الروح فيه ، وهي النطفة ، ثم العلقة ، ثم المضغة ، ولا تنفخ الروح في الإنسان إلا بعد هذه المراحل ، كما ذكر ذلك الصادق المصدوق محمدٌ ﷺ ، حيث قال : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يُرْسَلُ الملك ، فينفخ فيه الروحَ ... » الحديث . [أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ، ج٤ ، ص ١٦١٦ ، برقم ٢٦٤٣] .

المبحث الثاني : ردّه على الماديين وعبدة الأسباب .

سبق القول بأن النورسي يدعو الإنسان إلى التأمل في عجيب صنع الله فيه ، لكي يهتدي إلى قدرة الله وعظمته اللتان تقودانه إلى توحيد الله في الشكر والطاعة والعبادة ، وأنه المتفرد بالخلق ، الموجد لهذا الكون وما فيه دون شريك أو ظهير أو معين ، ولكن من هؤلاء الناس – الذين هم عجب من عجائب قدرته وصنعه – من ضل عن الطريق الصحيح ، وتنكب طريق الكفر والإلحاد والجحود والنكران ، وهم الماديون والطبيعيون من الفلاسفة وغيرهم ، حيث أسندوا إيجاد هذا الكون إلى الأسباب وإلى الطبيعة ، بل منهم من يقول : (إن الكون خُلِقَ بلا خالق ! أو إنه وُجِدَ مصادفة ! أو إنه أزلي أبدي موجود دائماً ، فلا يحتاج أن يُخْلَق !) [قطب ، ١٤١٣هـ ، ص ٩٧] .

ولذلك قال الله ﷻ رداً عليهم وأمثالهم ممن يسندون خلق أي جزئية بسيطة إلى غير الله تبارك وتعالى ﴿ **أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُون ۞ أَمْ خَلَقُواْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُون** ﴾ [سورة الطور : آية ٣٥-٣٦] .

والنورسي رحمه الله تعالى ذكر أن هناك كلمات تخرج من أفواه الناس تُشَمُّ منها رائحة الكفر ، وقد تخرج من أفواه بعض المسلمين دون معرفة لمعناها ، حيث قال : (أيها الإنسان ! اعلم أن هناك كلمات رهيبة ، تفوح منها رائحة الكفر النتنة ، تخرج من أفواه الناس ، وترددها ألسنة أهل الإيمان دون علمهم بخطورة معنى ما يقولون ، وسنبين ثلاثاً منها ، هي الغاية في الخطورة :

أولها : **قولهم** عن الشيء : " أوجدته الأسباب " ، أي أن الأسباب هي التي توجد الشيء المعين .

ثانيها : **قولهم** عن الشيء : " تشكل بنفسه " ، أي أن الشيء يتشكل من تلقاء نفسه ، ويوجِدُ نفسَهُ بنفسه ، وينتهي إلى صورته التي انتهى إليها كما هي .

ثالثها : **قولهم** عن الشيء : " اقتضته الطبيعة " ، أي أن الشيء طبيعي ، والطبيعة هي التي أوجدته واقتضته) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٦٨] .

وهذه الكلمات موجودة فعلاً في كثير من المجتمعات الآن ، حيث يتلفظ بها بعض الناس دون علم لمعناها الحقيقي ، فيجب على العبد أن يحذر من كل ما يخدش إيمانه أو يبطله بالكلية ، فلا يقلد غيره في القول أو الفعل حتى يمحص ما يريد نقله وتقليده ليتبين له صوابه من خطئه ، وفائدته من ضرره ، فيتبع الصواب ، ويحذر الخطأ ، ويأخذ بالمفيد ، ويتجنب المضرّ ، ولكن بِمَ يعرف ذلك ؟. إنه بعَرضه على المصدرين الأساسيين لهذا الدين الإسلامي الشامل الكامل ، وهما : كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، حيث (هما المصدران الأساسيان للمنهج الإسلامي ، ذلك المنهج الكامل الشامل للحياة البشرية ، إنما أنزله الله إلى هذه الأرض ليواجه الحياة البشرية ، ويحكمها وينظمها على الحق والعدل ، ويسيرها - بنور الله - إلى السعادة في الدنيا والآخرة ، ويربطها بخالقها سبحانه وتعالى .

والسنة النبوية كذلك هي التطبيق والهدي العملي والمسلك المبين ، والشارح للقرآن الكريم) [العقل ، ١٣٩٣هـ ، ص ١٠٥] .

قال ﷺ : « إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » [أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ج٢ ، ص ٤٩٦ ، برقم ٨٦٧] .

وللنورسي على هؤلاء الملاحدة ردود جيدة كثيرة منتشرة في ثنايا رسائله ، عَمِلَ الباحث على تلخيصها :

الرد الأول : المحاكمات العقلية السالمة من الشبهات والأهواء تصل بصاحبها إلى اليقين الجازم بوحدانية خلق الخالق لهذا الكون وما فيه :

حيث أشار النورسي إلى أن العقل حسب موازينه لا يستطيع أن يخرج عن أربع طرق يمكن أن يتخيل واحدة منها أنها السبيل إلى إيجاد هذا الكون ، وذكر هذه الطرق بقوله : (ما دامت الموجودات موجودة وقائمة أمامنا بمالا يمكن إنكارها مطلقاً ، وأن كل موجود يأتي إلى الوجود في غاية الإتقان والحكمة ، وهو ليس بقديم أزلي ، بل هو محدث جديد ، فيا أيها الملحد ! إما أنك تقول : إن هذا الموجود توجده أسباب العالم ، أي أنه يكتسب الوجود نتيجة اجتماع الأسباب المادية ، أو إنه تشكل بنفسه ، أو إنه يُرَدُّ إلى الوجود بمقتضى الطبيعة ويظهر بتأثيرها ! أو عليك أن تقول : إن قدرة الخالق القدير ذي الجلال هي التي توجده ، لأنه لا سبيل إلى حدوثه غير هذه الطرق الأربعة ، حسب موازين العقل) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٦٨] .

ويبرهن النورسي على بطلان الطرق الثلاث الأولى ، وإثبات الطريق الرابع ، وأن الإنسان الذي يريد الحق يصل به تأمله وتفكيره إلى التسليم بوحدانية الخالق في إيجاد هذا الكون دون شريك أو معين أو ظهير ، حيث قال : (فإذا ما أثبت[1] إثباتاً قاطعاً أن الطرق الثلاثة الأولى محالة باطلة ممتنعة غير ممكنة ، فبالضرورة والبداهة يُثْبِتُ الطريق الرابع ، وهو طريق وحدانية الخالق بيقين جازم لا ريب فيه) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٢٦٨] .

ثم يتناول دحض الطرق الثلاث الأولى وبَيَّنَ عدداً من المحالات تحت كل طريق .

الطريق الأول : القول باجتماع الأسباب في إيجاد الموجودات ، وهذا محال من عدة وجوه :

المحال الأول : إن التركيب العجيب للكائنات الحية والنباتات يدل دلالة قاطعة على وجود حكمة وعلم وإرادة شاملة مع الإحاطة بكل شيء ، وهذا محال في جانب الأسباب ، لأنها صماء عمياء ، (وإلا فما أشقاه من يتوهم أن هذه الموجودات هي نتاج عناصر الكون الكلية ، وهي العمياء الصماء في جريانها وتدفقها ، أو هي من شؤون طبائع المواد ، أو من عمل الأسباب المادية) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٧٠] .

المحال الثاني : من خاصية الأسباب ، التباين والتناظر فيما بينها ، فمحال اجتماعها بانتظام وتوازن دقيق ، واتفاق متكامل في جسم المخلوق ، حيث (إن اجتماع الأسباب

---

(١) يقصد به العقل .

المتضادة والمتباينة فيما بينها بانتظام تام ، وبميزان دقيق ، وباتفاق كامل في جسم مخلوق صغير - كالذباب مثلاً - هو محال ظاهر إلى حد يرفضه من له عقل بمقدار جناح ذبابة ، ويردّه قائلاً : هذا محال ، هذا باطل ، هذا غير ممكن) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٢٧٠] .

المحال الثالث : وجود الدقة والتوازن والانتظام في حياة الكائن تدل على وحدانية الموجِدِ له ، والوحدانية محال في جانب الأسباب ، لتعددها وتنافرها ، (لذا فإن إسناد الموجود المنتظم المتناسق الموزون الواحد إلى أيدي الأسباب الطبيعية العمياء الصماء الجامدة غير المنضبطة ، والتي لا شعور لها ولا عقل ، وهي في اختلاط شديد يزيد من عماها وصممها ، ثم الادّعاء بأن تلك الأسباب هي التي تقوم بخلق ذلك الموجود البديع واختياره من بين إمكانات واحتمالات لا حدّ لها ، أقول : إن قبول هذا الإسناد والادّعاء هو في الحقيقة قبول لمائة محال ومحال) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٧١] .

الطريق الثاني : القول بأن الشيء تشكل بنفسه ، وكما ذكر النورسي ، فإن تحت هذا القول محالات كثيرة تبين بطلانه ، ذكر منها ثلاثة ، وهي :

المحال الأول : إن تَكَوُّن جسم الإنسان من ذرات صغيرة تسير بانتظام حسب قوانين معينة في طاعة تامة تظهر أنها موظفات لقدرة قدير أزلي وليست هي قادرة بذاتها ، وبذلك خاطب كل جاحد معاند بقوله : (إن لم تعتقد أن تلك الذرات موظفات صغيرات لدى القدير الأزلي ، ومأمورات مسخرات منقادات لقوانينه سبحانه ، لزمك أن تقول : إن لكل ذرة عاملة - في عينك مثلاً - عيناً واسعة بصيرة ترى جميع أجزاء جسدك ونواحيه ، وتشاهد جميع الكائنات التي ترتبط بها ، وتعلم جميع ماضيك ومستقبلك ، وتعرف أصلك وآباءك وأجدادك مع نسلك وأحفادك ، وتدرك منابع عناصرك وكنوز رزقك ، فهي إذن ذات عقل جبار !! فيا مُعَطِّلاً عقلَه في مثل هذه المسائل ! أليس في إسناد هذا العلم والشعور والعقل إلى ذرة في عقل من لا يملكه مثلك ، خرافة خرقاء ، وبلاهة بلهاء) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٢٧٢-٢٧٣] .

المحال الثاني : إن تعاون الذرات التي يتكون منها الجسم في انتظام تام وموازنة كاملة كونت بناءً خارقاً ، وصنعة رائعة بدرجة تدل على استحالة التعاون والانتظام بذاتها ، (فلو لم تكن هذه الذرات مأمورة منقادة لأمْرِ الصانع القدير ، فإن كل ذرة منها إذن لا بد أن تكون حاكمة حكماً مطلقاً على بقية ذرات الجسد ومحكومة لها حكماً مطلقاً كذلك ، وأن تكون مناط أغلب الصفات الجليلة التي لا يتصف بها إلا الله سبحانه

وتعالى ، وأن تكون مقيدةً كلياً ، وطليقة كلياً في الوقت نفسه ! فالمصنوع الواحد المنتظم والمنسق الذي لا يمكن أن يكون إلا أثراً من آثار الواحد الأحد محال أن يُسْنَدَ إلى تلك الذرات غير المحدودة ، بل هو مائة محال في محال ، يدرك ذلك كل من له مسكة من عقل !) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٢٧٣،٢٧٤] .

المحال الثالث : إسناد خلق جسم الإنسان إلى الطبيعة والأسباب يلزم منه وجود قوالب طبيعية بعدد ذرات الجسم التي تبلغ ألوف الألوف ، وهذا محال ، حيث قال النورسي مخاطباً ذلك الجاحد لقدرة الله وحده في خلق الإنسان : (فإن لم يكن وجودك هذا قد كتب بقلم الواحد الأحد القدير الأزلي ، وكان مطبوعاً بمطابع الطبيعة والأسباب ، فيلزم عندئذٍ وجود قوالب طبيعية بعدد ألوف الألوف من المُرَكّبات المنتظمة العاملة في جسمك ، والتي لا يحصرها العد ، ابتداءً من أصغر الخلايا العاملة بدقة متناهية ، وانتهاءً بأوسع الأجهزة العاملة فيه ، .. فأفهم من هذا مدى سقم هذا الفكر الذي يتضمن محالات وخرافات بعدد ذرات جسمك ، فيا أيها الجاحد : عُدْ إلى عقلك وانبذ هذه الضلالة المشينة !) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٢٧٤-٢٧٥] .

الطريق الثالث : القول عن الشيء : " اقتضته الطبيعة " ، وذكر النورسي أن هذا القول يلزم منه محالات كثيرة ، ذكر منها ثلاثة على سبيل العدد لا الحصر ، وهي :

المحال الأول : إتقان الصنعة وإجادتها ببصيرة وحكمة في الموجودات ، ولاسيما الأحياء منها ، محال أن يسند إلى الطبيعة العمياء الصماء التي تجهل حالها فضلاً عن غيرها ، (وفي ضوء هذا إن لم يسند خلق الموجودات والأحياء إسناداً مباشراً إلى تجليات أسماء الله الحسنى الذي هو نور السماوات والأرض ، يلزم الاعتقاد إذن بوجود طبيعة وقوة تملكان قدرة مطلقة وإرادة مطلقة مع علم مطلق وحكمة مطلقة في كل موجود من الموجودات ، ولاسيما الأحياء ، أي يلزم قبول ألوهية وربوبية في كل موجود ! فهذا النمط من التفكير المعوج لهو أشد بطلاناً من أي محال آخر ، وأكثر خرافة منه ، فالذي يُسند ما أبدعه الخالق العظيم من صنعة رائعة دقيقة ظاهرة جلية حتى في أصغر مخلوق إلى يد الطبيعة الموهومة التافهة التي لا تملك شعوراً ، لا شك أنه يتردى بفكره إلى درك أضل من الحيوان) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٢٧٥-٢٧٦] .

المحال الثاني : تنوع الزهور والثمار في حفنة من التراب دليل على قدرة الفاطر الجليل ، واستحالة إسناد إيجادها وتنوعها إلى الطبيعة الصماء العمياء ، حيث (أن هذه

الموجودات التي هي في غاية الانتظام وفي منتهى الروعة والميزان ، وفي تمام الإتقان ، وكمال الحكمة والاتزان إن لم تُسند إلى من هو قدير مطلق القدرة ، وحكيم مطلق الحكمة ، وأسندت إلى الطبيعة ، يلزم الطبيعة أن تُحضِر في كل حفنة تراب معاملَ ومطابعَ بعدد معامل أوربا ومطابعها ، كي تتمكن تلك الحفنة من أن تكون منشأ الأزهار والأثمار الجميلة اللطيفة ، لأن تلك الحفنة من التراب التي تقوم بمهمة مشتل صغير للأزهار تُظْهِر قابليةً فعلية لاستنبات وتصوير ما يُلْقَى فيها بالتناوب من بذور جميع أزهار العالم وثماره ، وبأشكالها وهيآتها المتنوعة ، وألوانها الزاهية ، فإن لم تسند هذه القابلية إلى قدرة الفاطر الجليل القادر على كل شيء ، فلا بد إذن أن توجد في تلك الحفنة ماكنة معنوية طبيعية خاصة لكل زهرة من أزهار العالم ، وإلا لا يمكن أن يظهر ما نشاهده من أنواع الأزهار والثمار إلى الوجود ، فيالبعدِ ما يحمله الطبيعيون من فكر إلحادي[1] عن جادة العقل السليم ! اعلم هذا وقس مدى بُعد أولئك الذين يدعون أنهم عقلاء وعِلْميون عن موازين العقل والعلم بتوهمهم أن الطبيعة مُوجِدَةٌ للأشياء ، أولئك الذين اتخذوا خرافة ممتنعة وغير ممكنة إطلاقاً مسلكاً لهم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٢٧٦-٢٧٧] .

المحال الثالث : الجهل بحقيقة القوانين والسنن الكونية التي أودعها الله في الكون يجعلها فاعلة بذاتها دون تسيير وتقدير الله لها ، وهذا محال ، حيث يصل الجهل في هذا الأمر بصاحبه إلى تصوره الإلحادي (فيتصور " القوانين المعنوية " التي يشاهد آثارها في ربط أنظمة الكون البديع ، والنابعة من " الحكمة البالغة " للبارئ المصور سبحانه ، يتصورها كأنها قوانين مادية ، فيتعامل معها في أبحاثه كما يتعامل مع المواد والأشياء الجامدة ، ويتخيل أحكام قوانين الربوبية التي هي قوانين اعتبارية ودساتير الشريعة الفطرية الكونية للمعبود الأزلي ، والتي هي بمجموعها معنوية بحتة ، وليس لها وجود سوى وجود علمي ، يتخيلها وكأنها موجودات خارجية ومواد مادية ، ويقيم تلك القوانين الصادرة من العلم الإلهي والكلام الرباني التي لها وجود علمي فقط مقام القدرة الإلهية ، ويُمَلِّكُها الخلق والإيجاد ، ويطلق عليها اسم " الطبيعة " ، متصوراً القوة التي هي تجلٍ من تجليات القدرة الربانية أنها صاحب قدرةٍ فاعلة ، وقديرٌ مستقلٌ بذاته ، أفبعد هذا جهالة وغباء ؟.) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٨٢] .

ثم يخلص النورسي رحمه الله تعالى بعد هذه المحاكمات العقلية وإبطال الطرق الثلاث لما يلزم من القول بواحدة منها من وجود محالات عديدة يخلص إلى إثبات الطريق

---

(١) هكذا في الترجمة ، وأظن الصواب : (حاد) ، لأن ما بعده يستلزم ذلك .

الرابع ، وهو وحدانية الخلق والإيجاد للكون المُبدَع والمتقَن لحكيم قدير أزلي ، هو الله رب العالمين ، المتنزه عن النقص والتعب والاحتياج إلى المعين أو الشريك سبحانه وتعالى عما يصفون ، ولذلك قال رحمه الله : (وما دامت الموجودات موجودة فعلاً ، والعقل يعجز عن تصور أكثر من أربعة طرق للوصول إلى حدوث الموجود ، وقد أُثبت إثباتاً قاطعاً بطلان ثلاثة من تلك الطرق الأربعة ، وذلك ببيان ثلاثة محالات ظاهرة جلية في كل منها ، فلا بد وبالضرورة والبداهة أن يثبتَ بيقين لا سبيل مطلقاً إلى الشك فيه الطريقُ الرابع ، وهو طريق الوحدانية ، ذلك الطريق الذي تنيره الآية الكريمة ﴿ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة إبراهيم : آية ١٠] ، والتي تدل بداهة ويقيناً على وجود واجب الوجود[1] ، وعلى ألوهيته المهيمنة ، وعلى صدور كل شيء من يد قدرته ، وعلى أن مقاليد السماوات والأرض بيده سبحانه وتعالى) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٢٨٣] .

الرد الثاني : عدم التسلسل الأزلي للكائنات والمخلوقات يدل على حدوثها ، (فالله تعالى أعطى لكل فرد ولكل نوع وجوداً خاصاً هو منشأُ آثاره المخصوصة ، ومنبع كمالاته اللائقة ، إذ لا نوع يتسلسل إلى الأزل لإمكانه ، ولبطلان التسلسل ، ولأن هذا التغير في العالم يثبت حدوث بعضٍ بالمشاهدة ، وبعضٍ آخر بالضرورة العقلية ، ثم إنه قد ثبت بعلم الحيوانات والنباتات تكثُّر الأنواع إلى أزيد من مائتي ألف نوع ، ولكل نوع آدم وأب عال ، فبسر الحدوث والإمكان يثبت بالضرورة صدور تلك الأوادم والآباء للأنواع عن يد القدرة الإلهية بلا واسطة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٥٢] .

فما دامت حادثة وليست أزلية ، ثم إنها ليست قادرة على خلق نفسها ، فغيرها من باب أولى .

الرد الثالث : حقيقة الأسباب دالة على عجزها وضعفها عن إيجاد الأشياء ، حيث يقول النورسي : (نعم ، كيف يتصور أن تكون الأسباب الطبيعية البسيطة الجامدة التي لا شعور لها ولا اختيار قابلة لإيجاد تلك السلاس التي تحيرت الأفهام فيها ، ولاختراع أفرادها التي كل منها صنعة عجيبة من معجزات القدرة ، فكل الأفراد مع سلاسلها تشهد بلسان حدوثها وإمكانها شهادة قاطعة على وجوب وجود خالقها ﷻ) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٥٢] .

---

(١) يقصد به وجود الله سبحانه وتعالى .

الرد الرابع : النظر السطحي التَّبعِيّ يوهم بصحة الباطل ، حيث قال : (إن الإنسان إذا نظر نظراً سطحياً تبعيّاً إلى الأمر الباطل و لم يرَ العلة الحقيقية احتمل صحته عنده ، إلا أنه إذا نظر إليه قصداً وبالذات ، وتحراه مشترياً له لا يمكن أن يقبل شيئاً من تلك المسائل التي يطنطنون بها في الحكميات ، إلا أن يتبله) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٥٣] .

الرد الخامس : في الوحدانية يسر وسهولة بدرجة الوجوب ، وفي الشرك صعوبة ومشكلات بدرجة الامتناع ، حيث ذكر النورسي ضمن ردوده على الماديين أنه (إذا فُوضَ أمر جميع الأشياء إلى ذات الواحد الأحد فإن خلق الكون كله وتدبير أمره يكون سهلاً كسهولة خلق شجرة ، ويكون خلق الشجرة وإنشاؤها سهلاً كسهولة خلق ثمرة واحدة ، ويكون إبداع ربيع كامل وإدارته سهلاً كسهولة إدارة زهرة واحدة ، وتكون تربية نوع يضم مالا يحد من الأفراد وتدبير أمرها سهلاً وبلا مشكلات كسهولة إدارة فرد واحد ، بينما إذا فُوضَ في طريق الشرك خَلْقُ فرد واحد إلى الأسباب والطبيعة فإنه يكون صعباً كصعوبة خلق النوع(١) ، بل الأنواع ، ويكون إيجاد بذرة واحدة عسيراً كخلق الشجرة ، بل مائة شجرة ، ويكون إيجاد شجرة وإنشاؤها وإحياؤها وإدارتها ورعايتها وتدبير أمورها ذات مشكلات عويصة كإدارة الكون كله ، بل أكثر منها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨] .

الرد السادس : ما يتوهمه عبدة الأسباب والطبيعة في قدرة الله على خلق الأشياء مجتمعة متحقق في قدرة الأسباب والطبيعة مجتمعة لإيجاد شيء واحد من المخلوقات ، حيث ألزم النورسي رحمه الله عبدة الأسباب بأن توهمهم في قدرة الله تعالى في خلق الأشياء مجتمعة متحقق دون وهم أو شك في قدرة الأسباب في خلق شيء بسيط ، فأصبح ما توهموه – لقصر بصرهم وبصيرتهم – في جانب الله متحققاً في جانب الأسباب ، ولذلك قال : (يا من أحاطت به الغفلة ، وأظلمت عليه الطبيعة حتى صار " أعمى وأصم " يعبد الأسباب في ظلمات الطبيعة الموهومة ! إن الموجودات إما فاعلها جانب الإمكان والكثرة ، وإما جانب الوجوب والوحدة ، فما يُتَوَهَّم بقصور النظر من الكُلفة والاستبعاد ، والاستغراب في إسناد كل شيء إلى الواجب الوجود ، تصير محققة عند الإسناد إلى الكثرة ، لقصور أي سبب كان ، وضعفه عن تحمل أي مُسَبَّبٍ كان في

---

(١) كنوع الإنسان مثلاً ، أو نوع النبات ، أو الحيوان ، وهكذا ، أو مجتمعة .

جانب الكثرة دون الوحدة ، فما يتوهم هناك[1] متحقق هنا[2] ، ثم بعد هذا تتضاعف الكُلْفة والاستبعاد والاستغراب عدد أجزاء الكائنات مع أنها في الإسناد الأول كانت واحدة موهومة ، وصارت هنا حقيقة متضاعفة عدد أجزاء الكائنات ، إذ في الإسناد إليه تعالى نسبة كثير غير محدود إلى واحد مباين الماهية لها ، وفي جانب الكثرة نسبة واحدٍ إلى كثير غير محدود متماثلة الماهية) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٨٤] .

وبالنظر إلى هذه الردود يتضح دور التربية ، فالنورسي يتناول الرد على عبدة الأسباب والقائلين بدور الطبيعة في خلق الأشياء لجهلهم وعدم معرفتهم بحقيقة الأمر وإن ادّعوا العلم والمعرفة ، والسبب في ذلك يعود إلى سوء التربية التي تربّوا عليها ، ومنها التقليد الأعمى لأقوال غيرهم وعدم التفكر السليم في الآفاق والأنفس ببصيرة وحسن قصد لكي يصلوا إلى الحق ، وشتان بين النورسي الذي تربى على القرآن والسنة وبين أبناء جلدته الذين تربوا على الفلسفة الأوروبية الجاحدة التي لا تؤمن إلا بالماديات دون التفكر والتبصر في خلق الله ، ولكن كما وصفهم الرب تبارك وتعالى بقوله : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَار ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور** ﴾ [سورة الحج : آية ٤٦] ، (أي ليس العمى عمى البصر ، وإنما العمى عمى البصيرة ، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر ، ولا تدري ما الخبر) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٤ ، ص ٦٥٢] .

وما أحسن ما قاله أبو محمد عبد الله بن محمد بن حيان الأندلسي الشنتريني[3] :

يا من يصيخ إلى داعي الشقاء وقد ... نادى به الناعيان الشيب والكبر
إن كنت لا تسمع الذكرى ففيم ترى ... في رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل ... لم يهده الهاديان العين والأثر
لا الدهر يبقى ، ولا الدنيا ولا الفلك الـ ... أعلى ، ولا النيّران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وإن كرها ... فراقها الثاويان البدو والحضر

(١) يقصد به في حق الله تعالى .

(٢) يقصد به في حق الأسباب .

(٣) ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٤ ، ص ٦٥٢ .

المبحث الثالث : مكوناته الإنسانية .

الإنسان مخلوق عجيب من أعجب مخلوقات الله ، بما رُكِّبَ فيه من الأجهزة الدقيقة ذات الوظائف المتعددة ، وكل جهاز له أهمية في استمرار حياة الإنسان ، وهي مقسمة إلى الإرادية واللا إرادية ، ولذلك جعل الله خلقه وتركيبه آية دالة على قدرته تعالى ، حيث وجه الإنسان إلى النظر والتفكر في ذاته هو ، فقال : ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون** ﴾ [سورة الذاريات : آية ٢١] ، (أي وفي أنفسكم أيها الناس من الدلائل والبراهين المتمثلة في خلق الإنسان وأطواره التي يمرّ بها من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى طفل شاب فكهل ، وفي إدراكه وسمعه وبصره ونطقه إنها آيات أخرى دالة على وجود الله وتوحيده وقدرته على البعث والجزاء) [الجزائري ، ١٤١٤هـ ، ج٥ ، ص ١٥٨] .

والنورسي رحمه الله تعالى تحدث عن جوانب من هذه الأجهزة ذات الأهمية في تلقي العلم وقبول التربية ، وذلك ضمن كلام طويل لخص الباحث مضمونه في النقاط التالية :

١- **الإنسان مكون من جسم ذات أجزاء** ، ولذلك قال النورسي : (إن في جسد الإنسان تقريباً ستمائة عظم كلٌ لمنفعة ، وستة آلاف عصب هي مجارٍ للدم كلٌ لفائدة ، ومائة وأربعة وعشرين ألف مسامة وكوة للحجيرات التي تعمل في كل منها خمس قوى من الجاذبة والدافعة والممسكة والمصورة والمولدة ، كل منها لمصلحة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ٦٢] .

فسبحان الله القائل : ﴿ **صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ، إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُون** ﴾ [سورة النمل : آية ٨٨] .

٢- **له قوى ثلاث** ، هي : الشهوية ، والغضبية ، والعقلية ، لأن الله تعالى (لما أسكن الروح في البدن المتحول المحتاج المعروض للمهالك أودع لإدامتها فيه قوى ثلاثاً :

إحداها : القوة الشهوية البهيمية الجاذبة للمنافع .

وثانيتها : القوة الغضبية الدافعة للمضرات والـمُخَرِّبَات .

وثالثتها : القوة العقلية الملكية المميزة بين النفع والضر) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٣٢] .

ويرى النورسي أن هذه القوى الثلاث لم يُجْعل لها حدود منتظمة في أصل الخلقة ، بحيث تميل إلى جانب الخير دائماً ، أو إلى جانب الشر دائماً ، أو تسير في الوسطية بين الأمرين ، ولكن الله ﷻ قيد هذه القوى ، وبين حدودها بما أنزله في الشريعة من الدعوة إلى الوسطية والاعتدال ، والبعد عن الإفراط والتفريط ، وأشار إلى ذلك

بقوله : (لكنه تعالى - بحكمته المقتضية لِتكمل البشر بسر المسابقة[1] - لم يحدد بالفطرة تلك القوى كما حدد قوى سائر الحيوانات ، وإن حددها بالشريعة ، لأنها تنهى عن الإفراط والتفريط ، وتأمر بالوسط ، يصدع عن هذا ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** ... ﴾) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٢] ، وتمام الآية ﴿ ... **وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [سورة هود : آية ١١٢] .

ثم بين رحمه الله أنه نظراً لعدم تحديد هذه القوى فطرة ، فإن كل واحدة منها يندرج تحتها ثلاث صور ، هي (**النقصان** ، وهي التفريط ، **والزيادة** ، وهي الإفراط ، **والوسط** ، وهي العدل . فتفريط القوة العقلية الغباوة والبلادة ، وإفراطها الجربزة[2] الخادعة والتدقيق في سفاسف الأمور ، ووسطها الحكمة ، ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً** ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٦٩] .

وتفريط القوة الشهوية الخمودة[3] وعدم الاشتياق إلى شيء ، وإفراطها الفجور ، بأن يشتهي ما صادف حَلَّ أو حَرُم ، ووسطها العفة ، بأن يرغب في الحلال ويهرب عن الحرام ، وقس على الأصل كل فرع من فروعاته من الأكل والشرب واللبس وأمثالها .

وتفريط القوة الغضبية الجبانة : أي الخوف مما لا يُخافُ منه والتوهم ، وإفراطها التوهم الذي هو والدُ الاستبداد والتحكم والظلم ، ووسطها الشجاعة : أي بذل الروح بعشق وشوق لحماية ناموس الإسلامية وإعلاء كلمة التوحيد ، وقس عليها فروعها ، فالأفراط الستة ظلم ، والأوساط الثلاثة هي العدل الذي هو الصراط المستقيم ، أي العمل بـ ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** ﴾ [سورة هود : آية ١١٢] ، ومن مرّ على هذا الصراط يمرّ على الصراط الممتد على النار) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٣٢-٣٣] .

ولا شك في أهمية التربية الإسلامية في بيان العدل من غيره في هذه القوى الثلاث ، وذلك ببيان ما ورد من الآيات والأحاديث التي تبين الحق وتأمر بامتثاله ، وتبين الباطل وتنهى عن امتثاله ، حتى يسير المسلم في طريق الحق ويحذر طريق الباطل ، وأمة محمد ﷺ هي خير الأمم بشهادة الله تبارك وتعالى كما في قوله تعالى : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] .

---

(١) يقصد أن تكمل البشر لا يحصل إلا بالعمل والمسابقة في الخير ، وهذا سر الكمال الذي يتميز به عن غيره .

(٢) مصدر جَرْبَزَ الرجل ، ذهب ، أو انقبض ، أو سقط ، والجُرْبُزُ بالضم الخِبُّ الخبيث ، معرَّب كُرْبُزْ . [الفيروز آبادي ، ١٤٠٧هـ ، ص ٦٤٩] .

(٣) من خمدت النار خَمْداً وخُمُوداً : سكن لهبها و لم يطفأ جمرُها . [الفيروز آبادي ، ١٤٠٧هـ ، ص ٣٥٧] .

ثم أخبر سبحانه وتعالى بأنها أمة العدل والوسط ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا** ﴾ [سورة البقرة : آية ١٤٣] . و(وسط كل شيء خياره ، والمراد منه أن أمة محمد ﷺ خير الأمم وأعدلها) [الجزائري ، ١٤١٤هـ ، ج١ ، ص ١٢٤] .

ولأهمية التربية الصحيحة لهذه القوى أشار النورسي إلى أن الإفراط والتفريط كما يحصلان لسوء التربية في أمور المعاش واللباس والخوف والوهم يحصلان في جانب الاعتقاد ، وضرب لذلك مثلاً عند حديثه عن القوة العقلية فقال : (اعلم أنه كما تنوع أصل هذه القوة إلى تلك المراتب ، كذلك كل فرع من فروعها يتنوع إلى هذه الثلاث : مثلاً في مسألة خلق الأفعال : مذهب أهل السنة وسط الجبر والاعتزال ، وفي الاعتقاد : مذهب التوحيد وسط التعطيل والتشبيه ، وعلى هذه القياس) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٣٢] .

ولا يعرف ذلك إلا بالتربية ، فمن تربّى على مذهب أهل السنة والجماعة كان من أهل العدل والوسط ، ومن تربّى على مذهب الجبرية كان مُفْرطاً في سلب الإنسان من القدرة والمشيئة على الأفعال ، ومن تربى على مذهب المعتزلة كان مفرطاً في قدرة الله تعالى ومشيئته التي هي فوق قدرة الخلق ومشيئتهم ، وهكذا في تنزيه أسماء الله وصفاته من التعطيل والتشبيه ، فإن أهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، وينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، مع اعتقاد ثبوت كمال ضده لله تعالى ، ويتوقفون عما لم يرد فيه إثبات ولا نفي مما تنازع الناس فيه ، كالجسم ، والحيز ، والجهة ، إلا أنهم يستفصلون عن معناه ، فإن أريد به باطل نُزه الله عنه ، وإن أريد به حقٌّ لا يمتنع على الله قبلوه ، (وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة ، وهي القول الوسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل) [العثيمين ، ١٤١٧هـ ، ص ١٣] .

٣- له لطائف ذات وظائف ، وهي الروح والعقل والقلب والسر ، حيث يقول النورسي : (للإنسان لطائف كثيرة جداً كالقلب ، منها العقل ، والروح ، والسر ، كل لطيفة منها مكلفة بوظيفة ، ومأمورة للقيام بعمل خاص بها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٨٢] .

ولأهمية هذه اللطائف للجسم وأهمية تربيتها تربية إسلامية صحيحة فإن الباحث يورد هنا رأي النورسي في هذه اللطائف من حيث أهميتها ومن حيث وسائل تربيتها .

أولاً : الروح :

أ – مفهوم الروح : يرى النورسي رحمه الله أن الروح حقيقة ثابتة ، وأنها ذات حياة وشعور ونور ، وأنها أُلْبِسَت الجسم الموجود المحسوس الذي حياته دليل على

وجودها ، ولذلك قال : (الروح قانون أمري ، حي ، شاعر ، نوراني ، وذات حقيقة جامعة ، مُعَدّة لاكتساب الكلية والماهية الشاملة ، وقد ألبست وجوداً خارجياً) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٦١١] .

ويتفق مع ابن القيم في بعض جوانب التعريف ، حيث قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تعريفه للروح : (أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد ، وسريان الدهن في الزيتون ، والنار في الفحم) [ابن القيم ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٢٢] .

ولكن معرفة حقيقة الروح وكنهها لا يدركها إلا الله ، ولذلك قال النورسي : (الروح بنص القرآن الكريم " من أمر ربي " آت من عالم الأمر) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٦١٢] ، إلا (أن الجسد يستند إلى الروح ويقوم بها وتبعث فيه الحياة بها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٨٨] .

ب – أنها مخلوقة محدثة : يرى النورسي رحمه الله تعالى أن الروح مخلوقة محدثة وليست قديمة أزلية كما يراها بعض الفلاسفة وغيرهم ، ولذلك رد على من زعم أنها ليست مخلوقة كابن عربي الذي قال : (إن مخلوقية الروح عبارة عن انكشافها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٥٢] .

فرد عليه النورسي بقوله : (إن قول الشيخ ابن عربي أن الروح ليست مخلوقة ، وإنما هي حقيقة آتية من عالم الأمر وصفة الإرادة ، مخالف لظاهر نصوص كثيرة ، كما قد التبس عليه الأمر وانخدع إذ لم يشاهد الموجودات الضعيفة ، فلا يمكن أن تكون مظاهر (الخلاق والرزاق) من الأسماء الإلهية الحسنى مظاهر وهمية خيالية ، فما دامت تلك الأسماء ذات حقيقة فإن مظاهرها أيضاً لها حقائق خارجية) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٥٦] .

وعندما عرف النورسي الروح بأنها قانون أمري أي أنها مأمورة ، وليس من قول من قال إنها من أمر الله ، وأمر الله غير مخلوق ، لأنه كلامه ، ولذلك وصفها بأنها حية وشاعرة وذات حقيقة ، ومُعَدّة لاكتساب الكلية والماهية الشاملة بذاتها ، ثم إن لها وجوداً خارجياً عن الجسد وتحيى بدونه ، (فبالحدس القطعي ، بل بالمشاهدة نرى أن الجسد قائم بالروح ، أي ليست الروح قائمة بالجسد ، وإنما الروح قائمة ومسيطرة بنفسها ، ومن ثم فتفرق الجسد وتبعثره بأي شكل من الأشكال وتجمعه ، لا يضر باستقلالية الروح ولا يخل بها أصلاً) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٦١٠] .

ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله : (وأما قوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الإسراء : آية ٨٥] فمعلوم قطعاً أنه ليس المراد هاهنا بالأمر الطلب الذي هو أحد أنواع الكلام ، فيكون المراد أن الروح كلامه الذي يأمر به ، وإنما المراد بالأمر هاهنا المأمور ، وهو عُرْفٌ مستعمل في لغة العرب وفي القرآن الكريم منه كثير) [ابن القيم ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٦٢] .

والقول (بأن روح الآدمي مخلوقة ، مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة ، والقائلون بقدم الروح صنفان ، صنف من الصابئة الفلاسفة يقولون هي قديمة أزلية ، لكن ليست من ذات الله ، كما يقولون ذلك في العقول والنفوس الفلكية ، ويزعم من دخل من أهل الملل فيهم أنها هي الملائكة ، وصنف من زنادقة هذه الأمة وضلالها من المتصوفة والمتكلمة والمحدثة يزعمون أنها من ذات الله ، وهؤلاء أشرّ قولاً من أولئك ..) [ابن تيمية ، ١٣٨١هـ ، ص.ص ٢١٦،٢٢٢ بتصرف] .

جـ – وسائل تربية الروح : الإنسان يتكون من جسم وروح ، والتربية الصحيحة تهتم بالجانبين ، فيُرَبّى الجسم على ما يقيم صلبه ويحفظ كيانه متناسقاً بالغذاء والشراب ، وما يحميه ويستره بالكساء ، ثم مداواة ما اعتلّ من أجزائه بالبحث عن العلاج الناجع ، وهذا مطلب شرعي ، لكن ذلك لا يكفي في مفهوم التربية ، بل الأهم الاهتمام بتربية الروح ، لأنها (أثمن ما عند الإنسان وأعظم ما يحرص عليه ويدافع عنه ، ويجهد في الحفاظ عليه) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣١٨] ، فإذا (كان الجسد الذي لا أهمية له بالنسبة إلى لُبهِ بتلك الدرجة من عدم الإسراف ، فكيف يُتَصَوّر إهمال جوهر الروح ، وإسراف كل آثاره من المعنويات والآمال والأفكار ؟.) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٦٢] .

ولذلك يحث النورسي رحمه الله على تربية الروح التربية الصحيحة السليمة ، لأنها جوهر الجسم ولبّه ، ولا يعقل الاهتمام بالجسم دون اللب ، ومن الوسائل التي تُربي الروح وتُصْلِحُها ما يلي :

١) الإيمان : والذي يتضمن الصبر والتوكل والاطمئنان ، وبذلك (يُخلّصُ الروح من ظلمات الإعدام ووحشة الأكوان ، ومن المأتم العمومي ، ومن إلى مالا يُحَدّ من الأهوال المحرقة للروح) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٣٥] .

٢) الصلاة : وذلك لأن (الروح المتعلقة بأغلب الموجودات الآتية والراحلة سريعاً في هذه الدنيا الفانية لا تشرب ماء الحياة إلا بالتوجه بالصلاة إلى ينبوع رحمة المعبود الباقي ، والمحبوب السرمدي) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٩٨] .

٣) القرآن الكريم : تلاوة وحفظاً وتأملاً ، (إن القرآن الكريم قد بدل الحياة الاجتماعية تبديلاً هائلاً ، ونور الآفاق وملأها بالسعادة والحقائق ، وأحدث انقلاباً عظيماً سواء في نفوس البشر وقلوبهم ، أو في أرواحهم وعقولهم ، أو في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية ، وأدام هذا الانقلاب وأداره ، بحيث أن آياته البالغة ستة آلاف وستمائة وستاً وستين آية يتلى منذ أربعة عشر قرناً في كل آن بألسنة أكثر من مائة مليون شخص في الأقل بكل إجلال واحترام ، فيربي الناس ، ويزكي نفوسهم ، ويصفي قلوبهم ، ويمنح الأرواح انكشافاً ورقياً ، والعقول استقامة ونوراً ، والحياة حياة وسعادة ، فلا شك أنه لا نظير لمثل هذا الكتاب ، ولا شبيه له ولا مثيل ، فهو خارق ، وهو معجزة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٤] .

٤) التقوى والعمل الصالح : حيث (هما أعظم أساسين في نظر القرآن الكريم بعد الإيمان ، فالتقوى هي ترك المحظور والاجتناب عن الذنوب والسيئات ، والعمل الصالح : هو فعل المأمور لكسب الخيرات ، ففي هذا الوقت الذي يتسم بالدمار الأخلاقي والروحي ، وبإثارة هوى النفس الأمارة ، وبإطلاق الشهوات من عقالها ، تصبح التقوى أساساً عظيماً جداً ، بل ركيزة الأسس ، وتكسب أفضلية عظيمة ، حيث أنها دفع للمفاسد وترك للكبائر ، إذ أن درء المفاسد أولى من جلب المنافع قاعدة مطردة في كل وقت ، وحيث أن التيارات المدمرة أخذت تتفاقم في هذا الوقت ، فقد أصبحت التقوى أعظم أساس وأكبر سد لصدّ هذا الدمار الرهيب) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص١٦٨-١٦٩] .

وقد يظن ظان أن التقوى في نظر النورسي هي ترك المحظور والاجتناب عن الذنوب والسيئات ، ولكن الحقيقة أنه يقصد بالتقوى ترك المحظور مع امتثال المأمور به ، حيث قال : (ثم إن هناك نوعاً من عمل صالح ضمن التقوى نفسها ، لأن ترك الحرام واجب ، والقيام بالواجب ثوابه أكثر بكثير من السنن والنوافل) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص١٦٩] .

٥) الأسلوب الأدبي البليغ : حيث تحدث النورسي عن الأسلوب القرآني البليغ ، وأن من خاصية الناطقية الإنسانية الأدب والبلاغة ، فكأنه يشير إلى حكمة اختيار اللغة العربية الفصحى والتي هي لغة القرآن الكريم وأن ذلك لما فيها من أدب وبلاغة يؤثران في نفوس الناس ، ولذلك قال : (ثم تدبر في أن أعلى ما يربي روح البشر والطف ما يصفي وجدانه ، وأحسن ما يزين فكره ، وأبسط ما يوسع قلبه إنما هو نوع من الأدبيات ، ولأمرٍ ما ترى هذا النوع أبسط الفنون وأوسعها مجالاً ، وأنفذها وأشدها تأثيراً وألصقها بقلوب البشر ، حتى كأنه سلطانها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٤٠] .

وهكذا فإن الروح تحتاج إلى تعويدها على فعل الخير ، ولا يكون ذلك إلا باستخدام الوسائل التي تعمل على صلاحها إذا فسدت أو تكدرت ، ثم وقايتها من الفساد إذا صلحت ، ولا ريب أن الإيمان بكل معانيه وأركانه ، ثم القرآن الكريم بما له من معجزة خارقة وأسلوب أدبي بليغ (في لفظه ، في معناه ، في أحكامه ، في مقاصده) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٨١] ، ثم التقوى التي هي وصية الله للأولين والآخرين ، ثم العمل الصالح في السر والعلانية ، هي وسائل ناجحة بإذن الله في تربية الروح على الخير وفعله ، وعلى الامتثال والطاعة وتجنب الفساد والمعصية ، ولا يكون ذلك إلا بالتربية الإسلامية الصحيحة .

ثانياً : القلب :

أ – **وظائف القلب** : تحدث النورسي عن أهم وظائف القلب في ثنايا رسائله لخصها الباحث في الوظائف التالية :

١) أنه القائد لجميع أعضاء البدن ، وخاصة الروح والعقل ونحوهما ، (فيسوق القلبُ كلَّ لطيفة منها ويوجهها نحو الحقيقة بطريق عبودية خاص بها ، عند ذلك تسير الكثرة الكاثرة من اللطائف جنوداً في ركب عظيم وفي ميدان واسع فسيح) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٨٢] ، وفي ذلك إشارة إلى أن صلاح القلب هو صلاح لجميع الأجزاء الأخرى ، وفساده فساد لها حساً ومعنىً ، وذلك كما ورد عن الرسول ﷺ « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسد كله ، وإذا فَسَدَت فَسَدَ الجسد كله ، ألا وهي القلب » [أخرجه مسلم في كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، ج٣ ، ص ٩٨٨ ، برقم ١٥٩٩] .

نعم (إن القلب ملك البدن) [ابن القيم ، د.ت ، ج١ ، ص ١٣٦] .

٢) أنه محل الإيمان ، حيث تحدث عند تفسير قوله تعالى ﴿ **خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَة ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [سورة البقرة : آية ٧] .

فقال رحمه الله تعالى : (وأما " قلوبهم " قدّمه على السمع والبصر لأنه محل الإيمان) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٨٤] .

ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم** ﴾ [سورة الأنفال : آية ٢] .

وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِم الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْه ﴾ [سورة المجادلة : آية ٢٢] .

ومعنى كتب في قلوبهم الإيمان (خلقه ، وقيل : أثبته ، وقيل : جعله ، وقيل : جمعه ، والمعاني متقاربة) [الشوكاني ، ١٣٨٣هـ ، ج٥ ، ص ١٩٣] .

وقال الحسن : (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ، ولكنه ما وقر في القلب ، وصدقته الأعمال) [آل الشيخ ، ١٣٨٦هـ ، ص ٤٨] .

والإيمان هو سلاح المؤمن الذي يتحصن به من الأعداء ، وخاصة إذا تغلغل في القلب ووقر فيه ، حيث أنه (من المعلوم يقيناً أن الإيمان با لله الواحد الأحد حين يتغلغل في النفوس ويستقر في القلوب ، هو أول سلاح يتسلح به المؤمن في مواجهة صراع الحياة) [علوان ، ١٤١٢هـ ، ص ١] .

٣) أنه (محل الحب والبغض) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٥٧] .

ويشير النورسي إلى أن القلب لا يحب إلا لله ، ولا يبغض إلا من أجل ا لله بما فيها حسب الأعمال الصالحة وتمثلها ، وبغض الأعمال السيئة ونبذها ، ولذلك قال : (إن لم تكن تصرفات المؤمن وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف " الحب في ا لله والبغض في ا لله "(1) والاحتكام إلى أمر ا لله في الأمور كلها ، فالنفاق والشقاق يسودان) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٤٨] .

٤) أنه ينشر الحياة الحسية والمعنوية في الجسم ، فالقلب له وظيفتان : حسية تتوقف الحياة عليها ، حيث يقوم بضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم صغيرها وكبيرها ، ومعنوية إذ هو مصدر صلاح الأعضاء من حيث العبادة والطاعة ، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، لأنه محل الإيمان ، (فكما أن ذلك الجسم ماكينة حياتية تنشر ماء الحياة لأقطار البدن ، وإذا انسد وسكن جمد الجسد ، كذلك تلك اللطيفة تنشر نور الحياة الحقيقية لأقطار الهيئة المجسمة من معنوياته وأحواله وآماله ، وإذا زال نور الإيمان - العياذ با لله - صارت ماهيته التي يصارع بها الكائنات كشبح لا حراك به وأظلم عليه) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٨٤] .

---

(١) كامل الحديث « أوثق عرى الإيمان الحب في ا لله والبغض في ا لله » [أخرجه أحمد في المسند ، وابن أبي شيبة في المصنف ، وإسناده حسن] [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج٢ ، ص ٧٣٥،٧٣٤ ، برقم ٩٩٨] .

وقلب الإنسان (مثلما ينشر الحياة إلى أرجاء الجسم ، فالعقدة الحياتية فيه ، وهي معرفة الله تنشر الحياة إلى آمال الإنسان وميوله المتشعبة في مواهبه واستعداداته غير المحدودة كل بما يلائمه) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٣١] .

والحياة المعنوية أهم من الحياة الحسية ، لأن البقاء لتلك لا لهذه ، وهي الفارق بين حياة الإنسان وحياة الحيوان ، فالطاعة والعمل الصالح والاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ هي الحياة الحقيقية ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ [سورة الأنفال : آية ٢٤] .

(قال الجمهور من المفسرين : المعنى استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهي ، ففيه الحياة الأبدية السرمدية) [الشوكاني ، ١٣٨٣هـ ، ج٢ ، ص ٢٩٩] .

ب – وسائل صلاح القلوب : يرى النورسي أن صلاح القلب يتوقف على وسائل إذا تربى عليها الإنسان صلح قلبه ، وبذلك تصلح جوارحه بإذن الله تعالى ، من أهمها :

١) الإيمان : والإيمان هو أهم ما يتغذى عليه القلب ، لأنه (نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده ، أي بعد صرف الجزء الاختياري ، ويُلْقي في القلب قوة معنوية يقتدر بها الإنسان أن يصارع مع جميع الحوادث والمصيبات ...) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥١] .

فإذا تربى الإنسان على الإيمان الصحيح واستقر في قلبه ظهر صدق ذلك على جوارحه قولاً وعملاً كما أشار إلى ذلك الرسول ﷺ في قوله : « الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، ج١ ، ص٦٦ ، برقم ٣٥] .

٢) الذِّكر : حيث تحدث النورسي عن وجوب الفرار إلى الله تعالى للخلاص من الاضطرابات والأوهام والشكوك ، ثم ذكر أن ذكر الله يؤدي إلى اطمئنان القلوب ، فقال : (وبذكره تطمئن القلوب ، فلا ملجأ ولا منجا ولا مناص ولا مخلص إلا الالتجاء والفرار إلى الله والتفويض إليه ، كما قال الله تعالى ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللهِ** ﴾ [سورة الذاريات : آية ٥٠] ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب** ﴾ [سورة الرعد : آية ٢٨] [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ١١٤] .

٣) تلاوة القرآن الكريم : حيث أن في تلاوته وسماعه وتدبر معانيه حياة للقلوب ، وشفاء لها ، فبعد كلام طويل عن القرآن وحاجة الروح والقلب إلى تكرار تلاوته ، كما يحتاج الجسد إلى تكرار تناول الغذاء والماء واستنشاق الهواء ، قال النورسي : (والحاصل أن القرآن الحكيم كتابُ ذكر ، وكتاب فكر ، وكتابُ حُكم ، وكتابُ علم ، وكتاب حقيقة ، وكتابُ شريعة ، وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٣١] .

فالقرآن الكريم فيه غذاء للقلوب وشفاء للأرواح والأجسام وهدى ورحمة للمؤمنين قاطبة ، كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [سورة يونس : آية ٥٧] أي (جاءتكم في ذلك الكتاب الذي ترتابون فيه ، جاءتكم الموعظة " من ربكم " فليس هو كتاباً مفترى ، وليس ما فيه من عند بشر ، جاءتكم الموعظة لتحيي قلوبكم ، وتشفي صدوركم من الخرافة التي تملأها ، والشك الذي يسيطر عليها ، والزيغ الذي يمرضها ، والقلق الذي يحيرها ، جاءت لتفيض عليها البرء والعافية واليقين والاطمئنان والسلام والإيمان ، وهي لمن يرزق الإيمان هدى إلى الطريق الواصل ، ورحمة من الضلال والعذاب) [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ج٣ ، ص ١٧٩٨] .

٤) المداومة على أداء الصلوات الخمس : الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، وهي العهد بين العبد وربه ، كما قال ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » [أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص٣٤٦ . والترمذي في السنن ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في ترك الصلاة ، برقم ٢٦٢١ ، وقال حسن صحيح غريب ، وصححه ابن حبان ، والحاكم في المستدرك ، وقال : حديث صحيح الإسناد لا تعرف له علة ، وأقره الذهبي] [البغوي ، ١٤٠٧هـ ، ج١ ، ص ٢٥٣-٢٥٤ ، برقم ٤٠١] .

ولذلك يقول النورسي : (أما إذا صرفنا ساعة واحدة في أداء الصلوات الخمس ، فكل ساعة من ساعات الابتلاء وأوقات المحن تتحول إلى يوم من العبادة ، فكأن الساعات الفانية قد اكتسبت - ببركة هذه الساعة - صفة الخلود ، وأصبحت في حكم ساعات أبدية باقية ، فتنزاح عن القلب سحب اليأس ، ويتبدد عن الروح ظلام القنوط ، وتصبح هذه الساعة من العبادة كفّارة لبعض ما ارتكب من أخطاء وذنوب) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٤٢] .

وكأن النورسي رحمه الله يشير إلى حديث رسول الله ﷺ « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات »؟. قالوا : بلى ، يا رسول الله ، قال : « إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » [أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ، ج١ ، ص ١٨٥ ، برقم ٢٥١] .

ويشير رحمه الله أن المداومة على الصلاة فيه غذاء للقلوب ، كما أن تكرار الغذاء والشراب والهواء حاجة ملحة للجسم ، حيث قال مخاطباً نفسه : (يا نفسي الشرهة ، إنكِ يومياً تأكلين الخبز ، وتشربين الماء ، وتتنفسين الهواء ، أما يورث هذا التكرار مللاً وضجراً ؟... كلا ، دون شك ، لأن تكرار الحاجة لا يجلب الملل ، بل يجدد اللذة لهذا ، فالصلاة التي تجلب الغذاء القلبي ، وماء الحياة الروحي ، ونسيم الهواء للطيفة الربانية الكامنة في جسمي ، لا بد أنها لا تجعلكِ تملين ولا تسأمين أبداً) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٩٨] .

وهنا يبرز دور التربية الإسلامية التي تربي الفرد والجماعة على الإيمان الصادق ، وتعيدهم إلى الأصل الأصيل لجميع شؤون حياتهم ينهلون من معينه ، ويقرأون آياته ، ويتدبرون معانيه ، ثم الارتباط الوثيق المستمر مع أركان الإسلام قولاً وعملاً ، سراً وعلانية ، ويتضح دور التربية بضرب الأمثال للأمور الحسية لتقريب معرفة الأمور المعنوية .

جـ – **أسباب فساد القلوب** : إن القلوب على قسمين : صالح ، وفاسد ، وذلك كما ورد عن رسول الله ﷺ في قوله : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أُشْرِبها ، نُكِتَ فيه نُكْتَة سوداء ، وأي قلب أنكرها ، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بيضاء حتى تصيرَ على قلبين : على أبيض مثل الصفا ؛ فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مُجَخِّياً ؛ لا يعرف معروفاً ؛ ولا ينكر منكراً ؛ إلا ما أُشْرِب من هواه » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، ج١ ، ص١١٧ ، برقم ١٤٤].

وقد سبق ذكر وسائل إصلاح القلب ، أما أسباب فساده كما يراها النورسي فهي كالتالي :

١) **الكفر** : فلا ذنب بعد الكفر ، ومن تلبس بذلك فلن يتورع من أن يغشى جميع الذنوب والمحرمات ، لعدم الخوف من العذاب وعدم الرجاء في الرحمة ، ولذلك عده النورسي من أسباب فساد القلب ، ولا شيء بعده أفسد للقلوب ، حيث (أن من احتجبت بصيرته بالنفاق ، وفسد قلبه بالكفر ، رأى كل شيء قبيحاً مبغوضاً ، يحصل في قلبه عناد وحقد مع كل البشر ، بل كل الكائنات) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٠٠].

٢) **النفاق** : حيث أنه يأتي في المرتبة الثانية بعد الكفر ، مع أن (المنافق – كما هو معلوم – أشد خطراً من الكافر وأفسد منه) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٥٨] ، والسبب في ذلك أنه اتضح أمره ، فتؤخذ الحيطة والحذر ، بعكس المنافق الذي يُظْهِر الإسلام ويبطن الكفر والحقد على الإسلام وأهله ، فيغترّ به المسلمون ، والإسلام (ما رأى من شيء ضرراً مثل ما رأى من أنواع النفاق وشعباته المنتشرة كالسم في عناصر العالم الإسلامي) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٩٥] .

ولا شك في فساد القلب بالنفاق ، ولذلك يقول النورسي : (ثم لما كان النفاق مفسداً للقلب ، وفساده ينتج يُتْم الروح ، أي عدم الصاحب ، والحامي ، والمالك ، فيتولد الخوف وهو يُلْجِئُه إلى التستر ، أشار إليه بلفظ " وإذا خلوا ") [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٠٦] ، ويقصد بذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُون** ﴾ [سورة البقرة : آية ١٤] .

ولذلك كان عذاب المنافقين أشد من غيرهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّار** ﴾ [سورة النساء : آية ١٤٥] .

٣) **الغفلة** : وهي مرض عضال إذا أصيب به الإنسان وقع في ما حرم الله تعالى ، لأنه يغفل عن امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وينسى الله تعالى ، وينسى عظمة الله وقدرته وعلمه المحيط بكل شيء ، فيصبح عديم البصيرة ، وإن كان له بصر ، كما قال تعالى : ﴿ **فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَار ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور** ﴾ [سورة الحج : آية ٤٦] ، ولذلك فإن (العين لا ترى ما يراه القلب والروح ، ولاسيما مع البعد ، ولاسيما عند موت القلب بانقلاب الغفلة إلى الطبيعة ، ﴿ ... **طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِم** ﴾(١)) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٠٧] .

---

(١) سورة النحل : آية ١٠٨ .

وهنا يشير النورسي إلى أن الغفلة تؤدي إلى موت القلب الذي ينتج عنه البعد عن الطاعة ، وعدم الامتثال لله ولرسوله ﷺ ، وذلك بالنسيان ، وهو عقوبة عاجلة لمن نسي الله ، فالله تعالى ينسيه نفسه ، فلا يعمل لما يُصْلِحُها في الدنيا والآخرة ، فيُنْقِذُها من الهلاك والدمار الأبدي ، كما قال الله ﷻ في حق المنافقين : ﴿ **نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [سورة التوبة : آية ٦٧] .

٤) **إغارة أهل الضلالة** : إن أهل الضلالة يتحينون الفرص في الإغارة على أهل الإيمان ، ويستخدمون جميع الوسائل المتاحة لإفساد أهل الإيمان والتقوى وتفريق صفوفهم ، وقد كثرت وتعددت تلك الوسائل والأساليب ، وخاصة في هذا العصر ، ولذلك (فإن أهل الضلالة المغيرين على أهل الإيمان أصبحوا روحاً خبيثة تسري في الأمة ، وشخصية معنوية حاملة لروح الجماعة والتنظيم الخاص تفسد وجدان الناس وقلوبهم عامة في العالم الإسلامي ، ويمزق الستار الإسلامي السامي الذي يحيي العقائد التقليدية لدى عوام المسلمين) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٢٢] ، وهذا تأكيد من النورسي أن أهل الضلالة لا ينخدع بأباطيلهم وحيلهم ودسائسهم الخبيثة إلا العوام لا المتعلمون الذين تربوا تربية إسلامية ، وعرفوا العلم الصحيح من الفاسد ، لأن العامي لا علم عنده يستطيع بموجبه تمييز الحق من الباطل ، والنافع من الضار ، وذلك كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون** ﴾ [سورة الزمر : آية ٩] ، وكما قال بعض أهل العلم : (الجاهل صغير وإن كان شيخاً ، والعالم كبير وإن كان حدثاً) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٤٩] ، واستشهد بقول الشافعي(١) رحمه الله تعالى :

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفّت عليه الجحافل
وإن صغيرَ القوم إن كان عالماً ... كبير إذا ردت إليه المحافل

٥) **حب الشهرة والحصول على الشرف الدنيوي** : العمل لغير وجه الله عمل مردود على صاحبه وغير مقبول عند الله تعالى ، سواء كان هذا العمل واجباً عمله أو مندوباً إليه ، وذلك كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً** ﴾ [سورة الفرقان : آية ٢٣] ، ويكون ذلك (يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر ، فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من

(١) ديوان الشافعي ، ١٣٩٢هـ ، ص.ص ٧٠،٧١ .

الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيءٌ ، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي ، إما الإخلاص فيها ، وإما المتابعة لشرع الله ، فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية فهو باطل) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٥ ، ص ١٤٤] .

ولذلك يخاطب النورسي هؤلاء بقوله : (يامن تطلب الشهرة المسماة في العرف بـ (شان وشرف) ، اسمع مني : فقد شاهدتُ الشهرةَ عينَ الرياء وموتَ القلب ، فلا تطلبها لئلا تصير عَبْدَ الناس ، فإن أُعطيتها فقل : " **إنا لله وإنا إليه راجعون** "[1]) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٧١] .

ومن هنا يتضح أهمية التربية الإسلامية للأفراد والجماعات ، وتعليم الجاهل لكي يميز الحق من الباطل ، والغث من السمين ، ويتحصن الجميع من أخطار أهل الضلالة والإلحاد ، فلا يستطيع أهل الضلالة تحقيق مآربهم ، مما لا يجد الكفر والنفاق وحب الجاه والشهرة بإذن الله تعالى سبيلاً إلى قلوب المؤمنين مما يزكيهم ويطهرهم من الغفلة والنسيان ، والله المستعان .

ثالثاً : العقل : رأى الباحث تأخير الحديث عنه إلى أن يأتي الحديث عن التربية الفكرية في الفصل الثاني من الباب الثالث ، لئلا يتكرر الكلام فيُمل ويُسأم .

٤- له آمال بلا حدود وآلام بلا نهاية :

حب البقاء في هذه الدنيا جعل أمل الإنسان أطول من أجله حسب نظره ورغبته ، ولا يزال على هذه الحال وإن تقدم به العمر ، بل إذا وصل مرحلة الشيخوخة زادت آماله وتعلقه بالدنيا ، يؤكد ذلك قول الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه في الحديث « لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين : في حب الدنيا ، وطول الأمل » [أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب من بلغ ستين سنة ، ج٨ ، ص ٤٥٧ ، برقم ١٢٨٧] ، ومع أن آماله طويلة إلا أن آلامه كثيرة ، حيث يتألم من أقل القليل ، فهو من أضعف المخلوقات ، فلو نظر الإنسان إلى الذرة الصغيرة لرآها تصبر وتتحمل ، حتى ولو قطع نصفها ، أما هو فإن الشوكة الصغيرة تعطل سيره وحركته ، وتنكد عليه حياته .

والنورسي رحمه الله يرى أن على الإنسان أن يوظف تلك الآمال في طاعة الله تبارك وتعالى ، وأن يجعل غاية آماله الفوز بالجنة الواسعة ، ثم يوظف خوفه وآلامه الكثيرة

---

(١) سورة البقرة : آية ١٥٦ .

في تذكر يوم الفزع الأكبر يوم لا ينجو " **إلا من أتى الله بقلب سليم** " [سورة الشعراء : آية ٨٩] ، فيسارع إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي لكي يفوز بحياة دائمة ، وعيشة رغيدة باقية في جنة عالية واسعة .

ولذلك قال رحمه الله تعالى : (إن الإنسان الضعيف الذي ينشد فطرة الحياة الدائمة الخالدة والعيش الأبدي الرغيد ، والذي له آمال بلا حدود وآلام بلا نهاية ، لا بد أن تكون جميع الأشياء والكمالات هابطة تافهة بالنسبة إليه ، بل ليس لأكثرها أية قيمة تذكر ، ما عدا الإيمان بالله ومعرفته ، وما عدا الوسائل التي تأخذ بيده إلى ذلك الإيمان الذي هو أُس الأساس لتلك الحياة الأبدية ومفتاحها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٣٥] .

وهنا يبرز دور التربية الإسلامية التي تعرف الإنسان بحقيقة مآله ومصيره ، حتى يوجه كل آماله وطموحاته إلى ما يحقق له الفوز بالدار الآخرة ، فيسخر جميع أعماله وأقواله لتحقيق ذلك ، ثم تعرفه بأن كل شيء في هذه الدنيا حقير ، وأن حقيقتها كما قال ﷺ : « والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يَجْعَلُ أحدكم إصبعَه هذه في اليم ، فلينظر بم يرجع » [رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة ، ج٤ ، ص ١٧٣٨ ، برقم ٢٨٥٨] .

٥- تأثره بالبيئة المحيطة به :

الإنسان ابن بيئته يتأثر بما فيها من عادات وأخلاق ، وبما يسودها من أجواء مناخية مختلفة وأقاليم جغرافية متباينة ، فيختلف أهل المدن عن أهل القرى ، وأهل المناطق الحارة عن أهل المناطق الباردة ، وأهل السهول عن أهل الجبال ، وذلك مشاهد وملموس ، ولا مشاحة فيه ، ولذلك يقول النورسي : (إن طبائع الأوروبيين باردة جامدة كمناخهم ، أما هنا في بلاد العالم الإسلامي خاصة فهي من البلدان الحارة قياساً على أوربا ، ومعلوم مدى تأثير البيئة في أخلاق الإنسان ، ففي تلك الأصقاع الباردة ، ولدى أناس باردين ، قد لا يؤدي التبرج الذي يثير الهوى الحيواني ويهيج الرغبات الشهوانية إلى تجاوز الحدود مثلما يؤدي إلى الإفراط والإسراف في أناس حساسين يثارون بسرعة في المناطق الحارة[1]) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٠٤] .

---

(١) النورسي عندما يتحدث عن المجتمع الإسلامي فإنما يقصد به جميع بلدان العالم الإسلامي ، وأغلبها تعيش في مناطق حارة ، وليس مقصده المجتمع التركي الذي لا تختلف بيئته المناخية عن أوربا إلا في بعض أقاليمه .

فالتربية إذن يجب أن تراعي هذا ، حيث تختلف من مجتمع لآخر ، فمنهج المجتمع المسلم في التربية يجب أن يخالف المناهج التربوية في المجتمعات غير المسلمة ، والوسائل والأهداف في المجتمع المسلم يجب أن تتميز عن غيرها في المجتمعات الأخرى ، (والمجتمع المسلم - على أي حال - ضرورة لازمة للتربية الإسلامية ، فالجهد الذي يبذل في تنشئة أفراد المسلمين عرضة لأن يضيع كله هباءً حين لا يوجد المجتمع المسلم ، أو حين يوجد المجتمع الذي يعادي الفكرة ، ويعمل على تحطيمها) [قطب ، ١٤٠٣هـ ، ج١ ، ص ٢١٧] .

الفصل الثاني

قيام الإنسان بوظيفته يحقق له الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة

تمهيد :

الإنسان هو محور العملية التعليمية والتربوية ، وله وظيفة عظيمة خُلِقَ من أجلها ، هي عبادة الله وحده دون سواه ، ثم طاعته باتّباع أوامره واجتناب نواهيه ، ولا يتأتى ذلك إلا عن علم وتربية سليمة ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات** ﴾ [سورة محمد : آية ١٩] .

وكمال الإنسان يكمن في كمال عبادته وتقواه ، ولا يكون كمال عبادته إلا في صحة علمه وحسن تربيته ، والإنسان أكرم المخلوقات ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرّ وَالبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَات ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا** ﴾ [سورة الإسراء : آية ٧٠] .

والإنسان (أكرم ضيف في قصر الكون ، وهو أنشط موظف مأذون له بالتصرف في سكنة ذلك القصر ، وهو المأمور المكلف عن حرث مزرعة الأرض ، والناظر المسؤول عن وارداتها ومصاريفها بما جُهز من مئات العلوم وألوف المؤهلات ، وهو خليفة الأرض ، والمفتش الباحث في مملكة الأرض ، والمرسل من لدن سلطان الأزل والأبد ، والعامل تحت رقابته ، وهو المتصرف في شؤون الأرض مع تسجيل كامل لأعماله بجزئياتها وكلياتها ، وهو عبد كليّ مكلف بعبادة واسعة شاملة ، والحامل للأمانة الكبرى التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها ، فانفرجت أمامه طريقان : إحداهما للأشقياء ، والأخرى للسعداء) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٢٧٢-٢٧٣] .

ومن خلال هذه الكلمات وغيرها كما وردت في مؤلفات النورسي ، استخلصَ الباحث آراءه في حقيقة كمال الإنسان وسعادته في الدنيا والتي تنبني عليها سعادة الحياة الآخرة أو شقاوتها ، وذلك ضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : مكانة الإنسان ووظيفته .

الإنسان خلقه الله تبارك وتعالى ومنحه مكانة ومنزلة تميزه عن جميع المخلوقات ، ومكن له في هذه الأرض من أجل تحقيق الوظيفة العظيمة المنوطة به ، وزوده بقدرات وأجهزة ذات استعداد تعمل على تحقيق ذلك في يسر وسهولة ، لأن الله لا يكلف نفساً إلا

وسعها ، كما قال تعالى : ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَت** ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٨٦] ، وتلك الوظيفة هي عبادة الله وحده دون سواه عبادة شاملة جامعة لجميع مناحي الحياة ، لأن الغاية من خلق هذا الإنسان وتمييزه عن غيره هي العبادة لا غير ، كما أخبر الله بذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون** ﴾ [سورة الذاريات : آية ٥٦] ، فهو المكلف مع الجن دون سائر المخلوقات بالعبادة والطاعة ، وفي ذلك تكريم وتكليف ، لا يتحقق ذلك التكريم إلا إذا تحقق ذلك التكليف ، كما قال تعالى : ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] .

وبذلك أمر الله الملائكة الكرام بالسجود له تكريماً وتشريفاً لما خلق من أجله ، مع أن الله خلقهم من نور ، ويتصفون بدوام الطاعة للرب سبحانه وتعالى ، قال الله : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُون ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِين ۞ فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون ...** ﴾ [سورة الحجر : الآيات ٢٨،٢٩،٣٠] ، فلا شك ولا ريب في مكانته ووظيفته .

١) مكانته :

مادام هذا الإنسان له مكانة فلا بد من التعرف على عناصر هذه المنزلة كما يراها النورسي في رسائله .

أ – مخلوق مكرم :

الإنسان كرمه الله تعالى على سائر خلقه ، حيث باشر خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر ملائكته الأطهار بالسجود له ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِين ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِين ۞ فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُون ۞ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِين ۞ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِين** ﴾ [سورة ص : الآيات ٧١-٧٥] ، وفي ذلك دلالة على شرف الإنسان ومكانته وتكريمه ، حيث (قد اتفقت الفنون ، وشهدت العلوم على أن الإنسان هو أكمل ثمرة في شجرة الخليقة ، وأنه أهم مخلوق بين المخلوقات ، وأغلى موجود

بين الموجودات) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٧٦] .

وما ورد التكريم في القرآن الكريم إلا للإنسان ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [سورة الإسراء : آية ٧٠] ، والتكريم ذو جوانب متعددة ، حيث (كرمه بخلقته على تلك الهيئة ، بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة ، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان ! وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته ، والتي استأهل بها الخلافة في الأرض ، يُغير فيها ويبدل ، وينتج فيها وينشئ ، ويركب فيها ويحلل ، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة ، وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض ، وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك ، وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود ، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق – جلّ شأنه – تكريم هذا الإنسان ! وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقي في الأرض – القرآن –) [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ج٤ ، ص ٢٢٤١] .

ب – خير بطبيعته :

خلق الله الإنسان وفطره على الدين الإسلامي الذي هو خير كله ، لذلك فالإنسان في أصل خلقته خير بطبيعته ، وذلك كما قال ﷺ : « الخير عادة ، والشر لجاجة ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » [رواه ابن حبان في صحيحه ، وأخرجه ابن ماجة في سننه بإسناد حسن كما ذكر ذلك الألباني في [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج٢ ، ص ٢٥٥ ، برقم ٦٥٢] .

والإنسان هو محور العملية التربوية ، فلا بد من معرفة ما تحمله النفس البشرية من طبائع وعادات لكي يكون مساعداً على تحديد نوع التربية التي تقدم له ، ولذا لا بد من معرفة هذا الإنسان هل هو خير محض ؟. أو شرّ محض ، أو بين هذا وذاك ؟. والفلاسفة والمربون سبقوا النورسي في هذا الأمر ، وقد ذهبوا مذاهب شتى ، وتباينت آراؤهم ، (فمنهم من يرى أن الطبيعة الإنسانية طبيعة خيرة في أصل الخلقة ، ومنهم من يرى أن الإنسان شرير في طبيعته الأساسية ، ومنهم من يرى أن بعض الناس أخيار وبعضهم أشرار بالطبع ، وفيهم من هو متوسط بين الأمرين ، ومنهم من يرى أن في طبيعة الإنسان جانباً خيراً وآخر شريراً ، ومنهم من يرى أن الطبيعة الإنسانية محايدة ، ليست خيرة ولا شريرة في ذاتها وفي أصلها الخلقي ، بل هي محايدة ، وفيها استعداد لأن تكون خيرة أو شريرة على

حسب التربية وظروف البيئة ، ولكل من هذه الآراء أنصاره ومؤيدوه) [يالجن ، ١٣٩٧هـ ، ص.ص ٢٨٨،٢٨٤ بتصرف] .

وجميع الآراء على اختلافها لا تتفق مع النظرية الإسلامية حول طبيعة الإنسان إلا أصحاب الاتجاه الأول ، حيث يرون أن الطبيعة الإنسانية خيرة من أصل الخلقة ، وهذا ما أشار إليه قول الله ﷻ : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّم** ﴾ [سورة الروم : آية ٣٠] .

فالإسلام يثبت أن الإنسان مجبول على الخير ومفطور عليه ، قال ﷺ : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا : كل مالٍ نَحَلْتُه عبداً حلالٌ ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ... » الحديث [أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ج٤ ، ص ١٧٤١ ، برقم ٢٨٦٥] .

(فالشر يحدث للإنسان من سوء التربية والتوجيه ، ومن اتّباع الهوى وطاعة النفس الأمارة بالسوء والسير مع الشياطين في طريق الغواية والضلال) [الحجاجي ، ١٤٠٨هـ ، ص ١٢٣] .

وأما رأي النورسي في ذلك (أن الإنسان خلق ممتازاً ومستثنى من جميع الحيوانات بمزاج لطيف عجيب أنتج ذلك المزاج فيه ميل الانتخاب ، وميل الأحسن ، وميل الزينة ، وميلاناً فطرياً إلى أن يعيش ويحيى بمعيشة وكمال لائقين بالإنسانية) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٧] ، وهذا المزاج اللطيف يميل إلى الخير لا إلى الشرّ بطبعه الذي خلق عليه ، وهو الميل إلى الاختيار الأحسن والأفضل ذي الجمال والكمال الأكثر ، ثم الميل الفطري إلى الحياة والكمال الذين يليقان بالإنسانية ، ويقول رحمه الله في معرض حديثه عن المنافقين كما في قوله تعالى : ﴿ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُون** ﴾ [سورة البقرة : آية ١٠] .

يقول : (وفي لفظ " المرض " رمز إلى قطع عذرهم وإلقامهم الحجر بأن الفطرة مهيأة للحقيقة ، وما الفساد والخراب إلا مرض عارض) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٩٥] .

ويقول رحمه الله عند حديثه عن الصلاة وعن أهميتها وأن من فوائدها تعود

الإنسان على النظام ، والنظام طبع الإنسان ، فقال : (وفيها إدامة تصور عظمة الصانع في القلوب وتوجيه العقول إليها لتأسيس إطاعة قانون العدالة الإلهية ، وامتثال النظام الرباني ، والإنسان يحتاج إلى تلك الإدامة من حيث هو إنسان ، لأنه مدني بالطبع) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٥٣] .

وبذلك اعتبر النورسي الصلاة من الأساليب التربوية الناجحة التي تنمي في الإنسان الاستمرار على الخير ومجانبة الشر ، ولا شك ، فقد أخبر الله تبارك وتعالى أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ** ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٥] ، وإذا ذهب الخير حل مكانه الشر والفساد ، وإقامة الصلاة إقامة تامة كما أمر الله بها ، وعلى الصورة التي أقامها الرسول ﷺ تكون بإذن الله مانعة للشر والفساد ، ضامنة استمرار الخير والصلاح .

جـ – مستعدّ للتعلم :

الأجهزة التي زود الله بها الإنسان تختلف عن غيره في المخلوقات الأخرى ، فالله تبارك وتعالى قد هيأ أجهزة الإنسان فطرة للتعلم وكسب المعرفة .

ولقد (جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء ، لأن كل شيء فيه موجه إلى العلم ، ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد ، فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها " معرفة الله تعالى " ، كما أن أس هذا الأساس هو " الإيمان بالله جلّ وعلا ") [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٥] .

وفي هذا إشارة من النورسي – رحمه الله – إلى أن التربية السليمة الصالحة لا بد وأن تقوم على أساسين ، هما : " الإيمان الصادق " و " العلم النافع " ، وإلا كانت تربية جاهلة معوجة .

د – فطرته شاملة جامعة :

يُقْصَدُ بالفطرة (صدقة الفطر والخِلْقَة التي خُلِقَ المولود عليها في رحم أمه ، والدين) [الفيروز آبادي ، ١٤٠٧هـ ، ص ٥٨٧] .

والفطرة هنا هي عبادة الله وحده دون سواه ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** ﴾ [سورة الروم : آية ٣٠] ،

وكذلك يراد بها (الملة ، وهي الإسلام والتوحيد) [الشوكاني ، ١٣٨٣هـ ، ج٤ ، ص ٢٤٤] ، وكما قال ﷺ : « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه ، أو يمجّسانه ... » الحديث [أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ، ج٢ ، ص ٥٧٦ ، برقم ١٢٦٧] .

فذكر الرسول ﷺ اليهودية والنصرانية والمجوسية ، وسكت عن الإسلام لأنه الموافق للفطرة الصحيحة دون غيره من الأديان ، والنورسي يُذَكِّر بأهمية هذا الإنسان لما له من فطرة شاملة جامعة ، فيقول : (لا يَخْطُرَنّ على بال أحد ويقول : ما أهمية هذا الإنسان الصغير ؟. وما قيمته حتى تنتهي هذه الدنيا العظيمة وتفتح دنيا أخرى لمحاسبته على أعماله ! لأن هذا الإنسان هو سيد الموجودات رغم أنه صغير جداً ، لما يملك من فطرة شاملة جامعة ، فهو قائد الموجودات ، والداعي إلى سلطان ألوهية الله ، والممثل للعبودية الكلية الشاملة ومُظْهِرها ، لذا فإن له أهمية عظمى) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص.ص٦٣-٦٤] .

ويرى كذلك أن الله ﷻ (وهب هذا الإنسان استعداداً فطرياً سامياً يمكنه من حمل الأمانة الكبرى التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٩٤] .

إن الله تعالى لم يكلف هذا الإنسان إلا ما يطيق تحمله ، فما كُلِّفَ به وفق طاقته وقدرته واستعداده ، لعلم الله بذلك أزلاً ، والله تعالى أعلم بخلقه أكثر من علم الخلق بأنفسهم .

هـ - له إرادة ومشيئة :

الإنسان له حرية التفكر ومعرفة الصالح من الطالح ، والمفيد من المضرّ ، وله اختيار حسب رغباته وشهواته ، زوده الله بذلك لئلا يحتج بالقدر ، أو أنه مسلوب الإرادة والمشيئة ، والنورسي يؤمن بذلك ، ويرى أن هذا الإنسان له إرادة ومشيئة تقوده مع السمع والبصر على علم وبصيرة إلى النظر في الكون ، والاعتبار بما أودعه الله فيه ، والذي هو مرآة لتجليات صفات الرب تبارك وتعالى ، فقال : (لقد علمت بجزئيات صفات العلم والسمع والبصر والكلام والإرادة التي تتصف بها حياتي الخاصة وأفعالي التي أؤديها بشعور ، علمت بها - بنسبة صغري إلى عِظم الكون - الصفات الكلية المحيطة لخالقي من علم وإرادة وسمع وبصر وحياة

وقدرة ، وفهمت بها كذلك شؤونه الجليلة أمثال المحبة والغضب والرأفة والشفقة ، فآمنت بتلك الصفات والشؤون الجليلة ، وصدقت بها ، وشهدت عليها ، ووجدت منها طريقاً آخر إلى معرفة الله) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٨٣] .

ومعلوم أن ما ذكره النورسي هنا من صفات الإنسان هي صفات كمال ، والذي أعطاه إياها هو الله ، حيث (أنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال ، والله سبحانه هو الذي أعطاه إياها ، فمعطي الكمال أولى به) [العثيمين ، ١٤١٧هـ ، ص ٢٢] .

والنورسي رحمه الله له آراء في الإرادة والمشيئة الإنسانية ، منها :

١- أنها جزئية مهما كانت ، لأنها تحت الإرادة الكلية المطلقة التي هي لله وحده دون سواه ، حيث قال : (إنه مهما كان الإنسان فاعلاً ذا اختيار ، إلا أن المشيئة الإلهية هي الأصل ، والقدر الإلهي حاكم مهيمن ، والمشيئة الإلهية ترد المشيئة الإنسانية بمضمون قوله تعالى : ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ الله** ﴾ [سورة الإنسان : آية ٣٠] ، وإذا جاء القدر عمي البصر ، فينفذ حكمه ، وإذا تكلم القدر تسكت القدرة البشرية ، ويصمت الاختيار الجزئي) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٥] .

٢- ضرورة التربية الإيمانية للإرادة ، حيث (أن الإيمان يمنح ذلك الجزء الضئيل من الجزء الاختياري الذي يملك كسباً جزئياً للغاية وثيقة يستند بها إلى قدرة مطلقة ، وينتسب بها إلى رحمة واسعة ضد تلك الكثرة الكاثرة من الأعداء والظلمات المحيطة ، بل إن الإيمان نفسه يكون وثيقة بيد الجزء الاختياري ، ثم إن هذا الجزء الاختياري الذي هو السلاح الإنساني ، وإن كان في حد ذاته ناقصاً عاجزاً قاصراً ، إلا أنه إذا استعمل باسم الحق سبحانه ، وبذل في سبيله ولأجله ، يمكن أن ينال به - بمقتضى الإيمان - جنة أبدية) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٣٥٣-٣٥٤] .

٣- أن لها تعلق بالخير والشر ، حيث يرى أن الإنسان يجازى على فعل الحسنات بالحسنى تفضلاً من الله ، لأن الله خلق الخير وأراده لعباده ، فأمرهم بالطاعة ، وحثهم على فعل الخير ، وكذلك يعاقب على فعل الشر ، لأنه أراد ذلك ، والله لم يرضه لهم ، فالله خلق الشر ولم يرضه لعباده ، بل نهاهم عنه وحذرهم منه ، إلا أنه تحت إرادة الله ﷻ ومشيئته ، ولذلك قال تعالى : ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ [سورة البلد : آية ١٠] .

(قال سفيان الثوري عن عاصم عن ذر عن عبد الله بن مسعود "وهديناه النجدين" الخير والشر) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٧ ، ص ٢٩٤] .

ولذلك قال النورسي رحمه الله تعالى في رده على من سأله عن الحكمة في كون جهنم جزاء عمل ، والجنة فضل إلهي : (إن الإنسان يكون سبباً لتدمير هائل ، وشرور كثيرة بإرادة جزئية بلا إيجاد ، وبكسب جزئي ، وبتشكيله أمراً عدمياً أو اعتبارياً وإعطاء الثبوت له ، ولأن نفسه وهواه يميلان إلى الإضرار والشرور دائماً ، لذا يتحمل هو مسؤولية السيئات الناتجة من ذلك الكسب الجزئي اليسير ، ذلك لأن نفسه هي التي أرادت ، وكسبه الذاتي هو المسبب ، ولأن ذلك الشر عدميٌّ أصبح العبد فاعلاً له ، والله سبحانه خلقه ، فصار الإنسان مستحقاً لتحمل مسؤولية تلك الجريمة غير المحدودة بعذاب غير محدود ، أما الحسنات ، فما دامت وجودية أصيلة(١) ، لا يكون الكسب الإنساني والإرادة الجزئية علّة موجدة لها ، فالإنسان ليس فاعلاً حقيقياً لها ، لأن نفس الإنسان الأمارة بالسوء لا تميل إلى الحسنات ، بل الرحمة الإلهية هي التي تريدها ، وقدرته سبحانه هي التي تخلقها ، إلا أن الإنسان يمكن أن يكون مالكاً لتلك الحسنات بالإيمان وبالرغبة وبالنية ، وأما بعد تملكها فإن تلك الحسنات هي بذاتها شكرٌ للنعم الإلهية غير المحدودة التي أسبغها الله سبحانه وتعالى على الإنسان ، وفي مقدمتها نعمة الوجود ونعمة الإيمان ، أي أن تلك الحسنات شكرٌ للنعم السابقة ، لذا فالجنة التي وعدها الله لعباده توهب بفضل رحماني خالص ، فهي وإن كانت ظاهراً مكافأة للمؤمنين ، إلا أنها في حقيقتها تفضّل منه سبحانه وتعالى) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ١٢٩-١٣٠] .

فيتضح مما سبق أن الإنسان له إرادة ومشيئة لا تخرج عن إرادة الله ومشيئته سبحانه وتعالى ، فليس مسلوب الإرادة كما تدعي الجبرية ، ولا مطلق الإرادة كما تدعي المعتزلة ، ولهذا رد النورسي عليهما بقوله : (فنحن معاشر أهل السنة والجماعة نقول : يا أهل الاعتزال ! إن العبد ليس خالقاً للحاصل بالمصدر كالحاصل من المصدر ، بل هو مُصَدرُ المصدر فقط ، إذ لا مؤثر في الكون إلا الله ، والتوحيد هكذا يقتضي ، ثم نقول : يا أهل الجبر ! ليس العبد مضطراً ، بل له جزء اختياري ، لأن الله حكيم ، وهكذا يقتضي التنزيه) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٨٠] .

---

(١) يقصد النورسي بهذا الكلام وما سبقه أن الخير أصيل في الفطرة الإنسانية ، وأما الشر فإنه عدمي بالنسبة لها ، وإلا فهما مخلوقان غير عديمين ، كما يشير إليه عموم سياق الكلام .

فالله سبحانه وتعالى (خالق الخير والشر جميعاً لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته ، فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقاً وإيجاداً ، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً واكتساباً ، والله أعلم) [النووي ، ١٣٩٢هـ ، ج١ ، ص ١٥٤] .

٢) وظيفته :

الإنسان خلق وكلف بوظيفة مهمة عظيمة ، فلم يُخْلَق عبثاً ، بل خُلِق لعبادة الله تعالى ، وكلف بالاستخلاف في هذه الأرض ، ليقيم فيها العدل والميزان ، ولا يطغى أو يتجبر أو يخرج عن الخط المستقيم الذي رسمه الله تعالى له في قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون** ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٥٣] .

والنورسي يعرف هذا الإنسان بوظيفته ، حيث هو مستخلف وضيف راحل ، فعليه أن يحقق معنى الاستخلاف ، وأن يلتزم بآداب الضيافة ما دام في قصر هذا الكون ، **فما معنى الاستخلاف ، وما آداب الضيافة ؟.**

أ – معنى الاستخلاف : هذا الإنسان الضعيف العاجز الفقير اختاره ربه سبحانه وتعالى ليكون خليفة الأرض ، يقوم بعمارتها الحسية المتمثلة في الحرث والزرع وعمل ما تقوم به الحياة من مال ونظام ونحوه ، ثم المعنوية ، وهي تسخير هذه الأرض بما فيها لأجل الغاية التي خلق من أجلها ، وهي عبادة الواحد الأحد ، واختيار الله له على سائر المخلوقات لعلم الله الأزلي بقدرته على القيام بهذه العمارة دون غيره من سائر المخلوقات ، لما أودعه فيه من استعداد فطري شامل ، ولما حباه من مواهب وطموحات متعددة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَة ، قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَك ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَالا تَعْلَمُون** ﴾ [سورة البقرة : آية ٣٠] .

إنها مشيئة الله العليا (تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض ، وتطلق فيها يده ، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين والتحليل والتركيب ، والتحوير والتبديل ، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات ، وتسخير هذا كله – بإذن الله – في المهمة الضخمة التي أوكلها الله إليه ، وإذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة ، والاستعدادات المذخورة كفاء ما في

هذه الأرض من قوى وطاقات ، وكنوز وخامات ، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية) [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ج١ ، ص ٥٦] .

ومع اعتراض الملائكة على ذلك لأنهم أكثر طاعة ، وخلقوا من نور ، إلا أن الإنسان يتفوق عليهم – فطرة – بأشياء ، حيث جهزه الله تعالى (بملكات خاصة ، وميزه بصفات فريدة ، وفطرهُ على أشياء تفوق فطرة الملائكة ، وعنده الاستعداد الخاص الذي يمتاز به ، ويؤهله للخلافة) [الزحيلي ، ١٤١٥هـ ، ص ٣٢] .

والنورسي رحمه الله يرى أن سر استخلاف الإنسان في الأرض دون غيره يعود إلى عدة أسباب ، منها :

الأول : الإيمان : هو الذي يؤهل الإنسان تأهيلاً كاملاً لحمل الأمانة ، (فبالإيمان تزيد قيمة الإنسان إلى أن تصير الجنة ثمنه ، وتكون الخلافة رتبته ، ويطيق على حمل الأمانة) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٤١] .

ثم يُذَكِّر النورسي هذا الإنسان المستخلف والحامل للأمانة أنه تحت المراقبة الإلهية ، وأن جميع تحركاته وتصرفاته في هذه الأرض التي ملكه الله إياها محفوظة ومعلومة ، فلا يعبث ، ولا يتجاوز أو يتهاون ويكسل ، بل عليه أن يقابل هذا الاستخلاف بالشكر والطاعة والانقياد والإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

ولذلك قال النورسي مخاطباً الإنسان : (اعلم أن من يحفظ بيضات الهوام والسمك وبذور الحشرات والنباتات حفظاً رحيماً نظيماً حكيماً ، كيف يليق بحفيظيته وحكمته أن يهمل ولا يحفظ أعمالك التي هي نواتات لأشجار مثمرة في الآخرة ، وأنت حامل الأمانة وخليفة الأرض) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٣٢٠] .

فاستخلاف الإنسان للأرض دون غيره كان عن علم عليم ، وعن حكمة حكيم ، ﴿ **وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ، وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ [سورة يونس : آية ٦١] .

فالإنسان الذي وهبه الله فطرة شاملة نقية استعداداً للتعلم ، وعقلاً للتفكر ، وقوى مختلفة تضبط بالقلب والعبادة ، لا شك في قدرته واستطاعته للقيام بمهمة الخلافة وحمل الأمانة متى خلصت النية وصلح العمل ، وكانت التقوى رائده في السر والعلن ، والتربية أساساً قوياً في توجيهه قلباً وقالباً إلى خير الدنيا ونعيم الآخرة .

الثاني : **العبادة الحقة لله وحده** : حيث ميزت الإنسان عن غيره ، فاستحق الاستخلاف ، لذلك تحدث النورسي عن الصلاة عند قول الله تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلاةَ** ﴾ [سورة البقرة : آية ٤٣] ، فأشار إلى أن الصلاة عبادة عظيمة توحد المسلمين ، وتجمع صفوفهم ، فتكسبهم قوة رغم ما يتصف به الإنسان من الضعف والصغر ، ومن ذلك استحق الاستخلاف ، فقال : (وبهذا الاتحاد صار الإنسان – وهو المخلوق الضعيف الصغير الذي هو كالذرة في هذه العوالم – عبداً محبوباً لدى خالق السماوات والأرض من جهة عظمة عبوديته له ، وأصبح خليفة الأرض وسلطانها) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٩٤] .

الثالث : **قدرته على التعلم** الذي فاق به الملائكة حين علمه ربه سبحانه وتعالى الأسماء كلها ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين ۞ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيم ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمون** ﴾ [سورة البقرة : الآيات ٣١،٣٢،٣٣] .

ولذلك قال النورسي : (فالآية الكريمة " علم آدم الأسماء كلها " تبين أن تعليم الأسماء معجزة من معجزات سيدنا آدم عليه السلام تجاه الملائكة ، إظهاراً لاستعداده للخلافة ، وهي وإن كانت حادثة جزئية ، إلا أنها طرف لدستور كلي هو : أن تعليم الإنسان – المالك لاستعداد جامع – علوماً كثيرة لا تحدّ ، وفنوناً كثيرة لا تحصى حتى تستغرق أنواع الكائنات ، فضلاً عن تعليمه المعارف الكثيرة الشاملة لصفات الخالق الكريم – سبحانه – وشؤونه الحكيمة ، إن هذا التعليم هو الذي أهّل الإنسان لينال أفضلية ، ليس على الملائكة وحدهم ، بل أيضاً على السماوات والأرض والجبال في حمل الأمانة الكبرى) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٧٠] .

الرابع : **عدم الحدّ من قواه ولطائفه ومشاعره** ، كما هو الحال في سائر الحيوانات ، حيث : (لم يحدد سبحانه قوى الإنسان ولطائفه ومشاعره كما هو الحال في الحيوانات ، بل أطلقها واهباً له استعداداً يتمكن به من السياحة والجولان ضمن مقامات لا تحدّ ، فهو في حكم ألوف الأنواع ، وإن كان نوعاً واحداً ، ومن هنا أصبح الإنسان في

حكم خليفة الأرض ، ونتيجة الكون ، وسلطان الأحياء) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٢٥٨] .

ب – **آداب الضيافة** : هذا الإنسان المخلوق المكرم له نهاية محدودة وموعد معلوم مع هاذم اللذات ومفرق الجماعات ، مع الموت ، والانتقال من هذه الحياة الفانية إلى تلك الدار الآخرة ، فالدنيا دار ممر ، ويجب أن تستغل بالعمل الصالح قبل فوات الأوان ، والآخرة دار مقر للصالحين في الجنة ، أو للكافرين والمنافقين والمشركين في النار ، وما دام الأمر كذلك ، فلا بد من الاستعداد ليوم الرحيل ، والتزود بزاد التقوى والعمل الصالح لذاك السفر ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَاب** ﴾ [سورة البقرة : آية ١٩٧] .

فالله ﷻ (لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة ، وهو استصحاب التقوى إليها) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج١ ، ص ٤٢٤] .

وما دام هذا الإنسان راحل ، فإن النورسي اعتبره ضيفاً في قصر هذا الكون ، حيث أخذ يصف الإنسان بأوصاف ، منها : أنه (أكرم ضيف في قصر الكون ، وهو أنشط موظف مأذون له بالتصرف في سكنة ذلك القصر ..) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٧٢] .

ثم يقول مخاطباً نفسه وهو في مدينة استانبول وفي إحدى غرف جامع أبي أيوب الأنصاري ﷺ : (إنما أنا ضيف ! وضيف من ثلاثة أوجه : إذ كما أنني ضيف في هذه الغرفة الصغيرة ، فأنا ضيف كذلك في استانبول ، بل أنا ضيف في الدنيا وراحل عنها كذلك ، وعلى المسافر أن يفكر في سبيله ودربه) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٦٣] .

والضيف لا بد من أن يرتحل ، فعليه أن يحسن الأدب مع من هو ضيف عنده ، والإنسان ضيف في قصر الكون الفسيح الذي خلقه الله تعالى ، فلا بد من أن يحسن الأدب مع الله ، وذلك بالطاعة والعبادة ، فيتبع الأوامر ويجتنب النواهي ، لأنه في ضيافة كريم جواد ، كرمه في الدنيا لخلقه كثير ، وفي الآخرة للمؤمنين أكثر وأكبر ، كما قال تعالى : ﴿ **انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْض ، وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا** ﴾ [سورة الإسراء : آية ٢١] .

ولذلك يخاطب النورسي رحمه الله تعالى هذا الضيف بقوله : (واعلم أنها دار

ضيافة ، وأنت فيها ضيف مكرم ، فكلْ واشرب بإذن صاحب الضيافة والكرم ، وقدم له الشكر ، ولا تتحرك إلا وفق أوامره وحدوده ، وارحل عنها دون أن تلتفت إلى ورائك ، وإياك أن تتدخل - بفضول - بأمور لا تعود إليك ولا تفيدك بشيء ، فلا تُغْرِق نفسك بشؤونها العابرة التي تفارقك) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٢٥] .

المبحث الثاني : مراتب الكمال الإنساني .

كمال الإنسان ورقيه هدف أسمى تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه من جميع الجوانب الدينية والدنيوية ، ضمن عبودية شاملة كاملة لله تبارك وتعالى ، يتحقق من خلالها التوازن بين الجانب الروحي والجانب الجسمي ، كما قال تعالى : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْك ، وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِين** ﴾ [سورة القصص : آية ٧٧] .

ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنه عند قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ﴾ (احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) [الجزائري ، ١٤١٤هـ ، ج٤ ، ص ٩٩] .

وفي هذا التوازن (يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم ، المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة ، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة ، بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً ، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها) [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ج٥ ، ص ٢٧١١] .

والإنسان هو أفضل ما في هذا الكون ، حيث هو (ثمرة شجرة الخلقة ، والثمرة تكون أكمل الأجزاء وأبعدها من الجرثوم ، وأجمعها لخصائص الكل ، وهي التي من شأنها أن تبقى وتُستَبْقَى) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٢١٩] .

وبقاء هذه الثمرة واستبقاؤها صالحة يكون عن طريق التربية الإسلامية كي لا تجتالها شياطين الإنس والجن ، فتعفن وتخرب .

والكمال الإنساني له أسباب وله مراتب :

١) أسباب الكمال :

حيث يرى النورسي رحمه الله أن للكمال الإنساني أسباباً ، إذا تربى عليها الإنسان وصل إلى تلك المرتبة ، وذكر منها :

أ – الإيمان : إن الإنسان يسمو بنور الإيمان حتى تصبح الجنة الغالية قيمته ومنزله ، (فبالإيمان تزيد قيمة الإنسان إلى أن تصير الجنة ثمنه ، وتكون الخلافة رتبته ، ويطيق على حمل الأمانة) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٤١] .

ثم يذكر رحمه الله (أن التفاوت بين مجيء الحيوان والإنسان إلى هذه الدنيا يدل على أن اكتمال الإنسانية وارتقاءها إلى الإنسانية الحقة إنما هو بالإيمان وحده) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٤] .

والوصول إلى الإيمان الصحيح يكون بالتربية الصحيحة على حقائق الإيمان لا صورته .

ب – العبادة : والعبادة لله وحده هي الهدف الأسمى من خلق الإنس والجن ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون** ﴾ [سورة الذاريات : آية ٥٦] ، ويقصد بالعبادة الشاملة الكاملة التي تتناول جميع مناحي الحياة ، وذلك واضح من تعداد ثمراتها التي يجنيها العابد في الدنيا والآخرة ، حيث قال رحمه الله : (إن الإنسان مع صغر جرمه وضعفه وعجزه ، يحتوي على استعداد كامل ، ويتبطن ميولاً لا حصر لها ، ويشتمل على آمال لا نهاية لها ، ويحوز أفكاراً غير محصورة ، ويتضمن قوى غير محدودة ، مع أن فطرته عجيبة ، كأنه فهرسة للأنواع والعوالم ، فالعبادة هي السبب لانبساط روحه وجلاء قيمته ، وأيضاً هي العلة لانكشاف استعداده ونموه ليناسب السعادة الأبدية ، وكذا هي الذريعة لتهذيب ميوله ونزاهتها ، وهي الوسيلة لتحقيق آماله وجعلها مثمرة ريانة ، وكذلك هي الواسطة لتنظيم أفكاره وربطها ، وأيضاً هي السبب لتحديد قواه وإلجامها ، وأيضاً هي الصَّيْقَلُ لرين الطبيعة على أعضائه المادية والمعنوية التي كل منها كأنه منفذ إلى عالم مخصوص ، وأيضاً هي الموصل للبشر إلى شرفه اللائق وكماله المقدر ، إذا كانت بالوجدان والعقل والقلب والقالب ، وكذلك هي النسبة اللطيفة العالية ، والمناسبة الشريفة الغالية بين العبد والمعبود ، وتلك النسبة هي نهاية مراتب كمال البشر) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٩] .

جـ - **العلم** : العلم والعبادة قرينان لكمال الإنسان ، والله ﷻ مع تكريمه لهذا الإنسان ، إلا أنه أرسله إلى الدنيا لا يعلم شيئاً ، كما قال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [سورة النحل : آية ٧٨] .

وهنا (ذكر تعالى منته على عباده في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً ، ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون به الأصوات ، والأبصار التي بها يحسون المرئيات ، والأفئدة وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح ، وقيل : الدماغ ، والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٤ ، ص ٢١٣] .

والنورسي يرى أن من كمال الإنسان العلم والعبادة ، وأنه يتميز عن الحيوانات بحاجته إلى ذلك وتربيته التربية المتكاملة ، والله تعالى خلق الحيوانات مزودة بالعلم العملي الذي يفيدها في حياتها ، والناظر إلى صغارها يدرك ذلك جيداً حينما يهتدي الصغير عند ولادته إلى مكان الأثدية في الأمهات من دون أحد يدله أو يرشده ! إلا خالقه ورازقه الذي خلقه وهداه وتكفل برزقه ، وكذلك صغار الطيور والحشرات تهتدي إلى مواقع الغذاء والماء منذ الصغر ، أما الإنسان فلا يستطيع ذلك إلا بالتعلم والتكمل بالتربية ، حيث (أنه يفهم من كمال ذكاوة الحيوان وقت خروجه إلى الدنيا ومهارته في العلم العملي المتعلق بحياته ، أن إرساله إلى الدنيا للتعمّل لا للتكمل بالتعلم ، ويفهم من كمال جهالة الإنسان وعجزه وقت إخراجه إلى الدنيا واحتياجه إلى التعلم في كل مطالبه وفي جميع عمره ، أن إرساله إلى الدنيا للتكمل بالتعلم والتعبد لا للتعمل ، وما عملُه المطلوب إلا تنظيمُ أعمال ما سخره الله له من النباتات والحيوانات ، والاستفادة من نواميس الرحمة ، وإلا الدعاءُ والالتجاءُ والسؤال والتضرع والتعبد لمن سخر له مع نهاية ضعفه وعجزه وغاية فقره واحتياجه هذه الموجودات ، وما علمُه المقبول إلا معرفةُ من كرّمه وسخّر له وجهزه للعبادة والسعادة بتعلم حكمة الكائنات بوجه ينتج معرفةَ خالقها بأسمائه وصفاته وجلاله وجماله وكماله) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٨٠] .

ثم يشير النورسي إلى أن وظيفة هذا الإنسان الفطرية (إنما هي التكمل بالتعلم ، أي الترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة ، والعبودية بالدعاء) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٥] .

ويشير النورسي هنا إلى أن التربية ضرورة ملحّة لحياة الإنسان ، وهي ليست دفعة واحدة ، بل تكون بالتتابع حسب المراحل والمدارك ، وأنه لا غنى له عن التعلم لكي تحصل له معرفة دينه ودنياه على الوجه الأكمل ، وأن يكون ذلك بواسطة التربية العلمية والعملية .

ولكن ما العلم الذي يتكمل به الإنسان ويصل به إلى درجة الكمال والرقي الإنساني ، إنه العلم المستخلص من القرآن الكريم ، (فالعلم المستفاد من القرآن الكريم المتعلق بالكائنات أعلى وأغلى بما لا يحدّ من العلم المستفاد من فنون الفلسفة) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٣٧٨] .

وهنا إشارة إلى أهمية بل ضرورة تأصيل العلوم والمعارف والعودة بها إلى المصادر الأساسية الصافية : القرآن والسنة ، لأنهما شاملان لأمور الدنيا والآخرة ، ثم تصفية هذه العلوم من الشوائب التي علقت بها فأضعفتها ، حيث هي صادرةٌ عن علوم الفلسفة وغيرها .

٢) مراتب الكمال :

الناس من حيث الخلقة سواء ، حيث هم لآدم ، وآدم من تراب ، فلا فضل لأحد على أحد في أصل الخلقة وعناصر التركيب ، وإن اختلفت الألوان ، وتعددت اللغات ، وتباعدت الأمصار والأزمان ، كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم** ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٣] ، والذكر والأنثى (هما آدم وحواء ، والمقصود أنهم متساوون لاتصالهم بنسب واحد ، وكونه يجمعهم أب واحد وأم واحدة ، وأنه لا موضع للتفاخر بينهم بالأنساب) [الشوكاني ، ١٣٨٣هـ ، ج٥ ، ص ٦٧] ، وإنما التفاضل بينهم بيّنته الآية السابقة بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم** ﴾ ، فالتقوى إذن هي ميزان التفاضل ، (إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج١ ، ص ٣٨٧] .

وسئل رسول الله ﷺ عن أكرم الناس ، فقال : « أتقاهم » [أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب اتخاذ الله إبراهيم خليلا ، ج٤ ، ص ٥٩٧ ، برقم ١٥٠٩] .

ولأهمية التقوى في حياة المسلم كان النورسي رحمه الله يوجه طلابه ويرشدهم إلى

اتخاذها أساساً في كل الأعمال ، ومما قاله لهم : (إن أهم وظيفة تقع على عاتق طلاب النور خدام القرآن الكريم في هذا الوقت هي اتخاذ التقوى أساساً في الأعمال كلها ، ثم التحرك وفقها أمام تيار الدمار الرهيب المهاجم ، والآثام المحيطة بهم ، إذ يواجه الإنسان ضمن أنماط الحياة الاجتماعية الحاضرة مئات من الخطايا في كل دقيقة ، فالتقوى هي التي تجعل - دون ريب - الإنسان كأنه يقوم بمئات من الأعمال الصالحة ، وذلك باجتنابه تلك المحرمات) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٦٩] .

ولكن ما هي مراتب الكمال في نظر النورسي ؟. إنها ثلاث مراتب ، هي :

المرتبة الأولى : مرتبة النبوة : لا شك في أفضلية الأنبياء والمرسلين على الناس ، وأن الله تعالى اصطفاهم لما لهم من قدرة في تحمل الأمانة ، وتبليغ الرسالة ، والصبر على الأذى ، وتحمل المصاعب والمتاعب في سبيل ذلك ، قال الله ﷻ : ﴿ **اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ، إنّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِير** ﴾ [سورة الحج : آية ٧٥] .

فالله ﷻ أخبر (أنه يصطفي ، أي يختار من الملائكة رسلاً كما اختار جبرائيل وميكائيل ، ومن الناس كما اختار نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً ﷺ) [الجزائري ، ١٤١٤هـ ، ج٣ ، ص ٤٩٩] .

ومحمد ﷺ لا ريب ولا شك أيضاً في أفضليته على سائر الأنبياء والمرسلين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَات ...** ﴾ الآية . [سورة البقرة : آية ٢٥٣] ، (يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيّينَ عَلَى بَعْضٍ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورا** ﴾[1] ، وقال هاهنا : ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ الله** ﴾ يعني موسى ومحمداً ﷺ ، وكذلك آدم كما ورد في الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر ﷺ) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج١ ، ص ٥٣٩] .

ولذلك اعتبره النورسي أفضل الأنبياء ، ولا شك في ذلك ، حيث قال : (إن محمداً عليه السلام نبي ، وأنه أكمل الأنبياء ، وأنه خاتم الأنبياء ، وأنه مرسل لكافة الأقوام ، وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع ، وجامعة لمحاسنها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٩] .

---

(١) سورة الإسراء : آية ٥٥ .

وكأن النورسي رحمه الله يبين سبب اعتباره أفضل الأنبياء والمرسلين لما يتصف به من هذه الصفات وغيرها ، ومنها : أنه النبي الوحيد الذي أرسل إلى الناس كافة دون غيره من الأنبياء ، وفي ذلك دلالة على علو مكانته وكمال صفاته أكثر من غيره ، قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيرا ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون** ﴾ [سورة سبأ : آية ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا** ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٥٨] ، والخطاب لمحمد ﷺ ، ورسالة محمد هي الرسالة الأخيرة ، (فهي الرسالة الشاملة التي لا تختص بقوم ولا أرض ولا جيل ، ولقد كانت الرسالات قبلها رسالات محلية قومية محدودة بفترة من الزمان) [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ج٣ ، ص ١٣٧٩] .

وقال ﷺ : « فُضلتُ على الأنبياء بستٍّ : أُعطيتُ جوامع الكلم ، ونُصِرْتُ بالرعب ، وأُحِلَّتْ لي الغنائم ، وجُعِلَتْ لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأُرْسِلْتُ إلى الخلق كافة ، وخُتِمَ بي النَّبِيُّون » [أخرجه مسلم في كتاب المساجد دون ذكر الباب ، ج١ ، ص ٣١١ ، برقم ٥٢٣] .

وذكر النورسي أربعة شواهد دلت على علو كمال محمد ﷺ ، وهي :

الأول : بشارة الكتب السماوية السابقة بنبوته ورسالته ، وهذه الكتب : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وذكرت أوصافه التي تؤهله لهذه الوظيفة السامية العالية ، فقال : (اعلم أن هذا البرهان النوراني الذي دلّ على التوحيد وأرشد البشر إليه ، كما أنه يتأيد بقوة مافي جناحيه نبوةً وولايةً من الإجماع والتواتر ، كذلك تصدقه مئات إشارات الكتب السماوية من بشارات التوراة والإنجيل وزبر الأولين ، وكذلك تصدقه رموز ألوف الإرهاصات الكثيرة المشهودة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٥٥] .

الثاني : تأييده ﷺ بمعجزات كونية خارقة للعادة ، حيث قال : (وكذا تصدقه دلالات معجزاته من أمثال : شق القمر ، ونبعان الماء من الأصابع كالكوثر ، ومجيء الشجر بدعوته ، ونزول المطر في آن دعائه ، وشبع الكثير من طعامه القليل ، وتكلم الضب والذئب والصبي والجمل والحجر ، إلى ألف من معجزاته ، كما بينه الرواة والمحدثون المحققون) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٥٥] .

الثالث : شمول شريعته لأمور الدنيا والآخرة ، حيث قال : (وكذا تصدقه الشريعة الجامعة لسعادات الدارين) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٥٥] .

الرابع : اجتماع جميع معالي الأخلاق الحميدة في ذاته وسيرته ، حيث قال : (واعلم أنه كما تصدقه هذه الدلائل الآفاقية ، كذلك هو كالشمس يدل على ذاته بذاته ، فتصدقه الدلائل الأنفسية ، إذْ اجتماع أعالي جميع الأخلاق الحميدة في ذاته بالاتفاق ، وكذا جمعُ شخصيته المعنوية في وظيفته أفاضل جميع السجايا الغالية والخصائل النزيهة ، وكذا قوة إيمانه بشهادة قوة زهده وقوة تقواه وقوة عبوديته ، وكذا كمال وثوقه بشهادة سيره ، وكمال جديته ، وكمال متانته ، وكذا قوة أمنيته في حركاته بشهادة قوة اطمئنانه ، تصدقه كالشمس الساطعة في دعوى تمسكه بالحق وسلوكه على الحقيقة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٥٦] .

إنها العناية الإلهية ، والتربية الربانية للمصطفى ﷺ ، وإلهامه السير في طريق الحق والصواب ، واجتناب طريق الشر والضلال ، فمنذ صغره ﷺ لم يلحظ عليه اعوجاج في السيرة ، أو خطأ في القول ، بل كان أنموذجاً يُحتذى في كل تصرفاته وحركاته من الصدق في القول والأمانة والإخلاص في العمل ، حتى لُقِّبَ بالصادق الأمين يوم أن فُقِدت الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة في ذلك المجتمع الجاهلي حتى عند زعمائه وقادته مما ارتضوه حكَماً ﷺ فيما شجر بينهم لصدقه وأمانته ووفائه وحسن خلقه (إلى غير ذلك من الآداب الرفيعة التي أدب الله بها رسوله ، مما جعله أكمل الناس أدباً وخلقاً) [الجزائري ، ١٤١٤هـ ، ج٥ ، ص ٤٠٧] ، ولا غرابة في ذلك ، فقد وصفه ربه بذلك فقال : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [سورة القلم : آية ٤] .

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : " فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن " [أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب جامع صلاة الليل ، ج١ ، ص ٤٣٢ ، برقم ٧٤٦] ، (ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخُلُقاً تطبعه ، وترك طبعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخُلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم ، وكل خُلق جميل) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٧ ، ص٨١] .

المرتبة الثانية : مرتبة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين : أفضل الناس على الإطلاق هم الأنبياء والمرسلون ، وأفضلهم نبوة وأكملهم رسالة محمد ﷺ ، ظهر ذلك في شمول رسالته وصدق دعوته ، وقوة إيمانه ، وتحمله المصاعب والمتاعب في تبليغ الرسالة ،

وفي جهاده وحسن خُلُقه ، وهو القدوة لأتْباعه ، فربّاهم على ذلك ، فاكتسبوا الإيمان بعد الكفر ، والصدق بعد الكذب والنفاق ، وحب الدار الآخرة بدلاً من الدنيا ، والتي كانت سائدة في جاهليتهم ، فقُرْبُهُم من النبي ﷺ أكسبتهم مراتب عالية استحقوا بها السبق على من أتى بعدهم من الأمة ، وتجاوزا بها من سبقهم من أتباع الأنبياء قبلهم ، قال ﷺ : « لا تسبوا أصحابي ، لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه » [أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ، ج٤ ، ص ١٥٦٢ ، برقم ٢٥٤٠] .

نعم ، (إن إجماع أهل السنة والجماعة لهو حجة قاطعة بأن الصحابة الكرام هم أفضل البشر بعد الأنبياء عليهم السلام) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٧٣] ، ولا غرو في ذلك ، فالله تعالى امتدحهم مع نبيهم محمد ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانا ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُود ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّار ، وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيما** ﴾ [سورة الفتح : آية ٢٩] .

والنورسي رحمه الله تعالى يرى أن الأسباب التي جعلت الصحابة في المرتبة الثانية بعد مرتبة النبوة هي :

الأول : العمل في دائرة النبوة : أي صحبتهم لمحمد ﷺ وقربهم منه ، والتربي على يديه ﷺ مباشرة ، فجميع (الأصفياء والأولياء الصالحين الذين بلغوا من الكمال ما بلغوا إنما كان بتربيته السامية وبهدي شريعته الحقة ، فهو مرشدهم وسيدهم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٥٢] .

ويقول في موضع آخر : (لذا فإن الصحابة الكرام ﷺ الذين وُهِبوا فِطَراً سليمة ومشاعرَ سامية ، وهم التواقون لمعالي الأمور ومحاسن الأخلاق ، شدوا أنظارهم إلى الذي تسنم قمة أعلى عليي الكمال ، والداعي إلى الخير والصدق والحق ، بل هو المثال الأكمل والنموذج الأتم ، ذلكم الرسول الكريم حبيب رب العالمين محمد ﷺ ، فبذلوا كل ما وهبهم الله سبحانه من قوة للانضواء تحت لوائه) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٥٧٤] .

الثاني : كمال فهمهم للقرآن الكريم والقدرة على استنباط الأحكام منه : وهم بلا شك أكثر الناس فهماً للقرآن الكريم ، لأنه نزل بلغتهم ، وعلى رسولهم ، وهو لا يزال حياً بين أظهرهم يبين لهم ما عجزوا عن فهمه ، ولذلك فإنه (لا يمكن اللحاق بالصحابة الكرام في الاجتهاد ، أي في استنباط الأحكام ، أي إدراك مرضاة الله سبحانه من خلال كلامه ، لأن محور ذلك الانقلاب الإلهي العظيم الذي حدث في ذلك الوقت كان يدور على مرضاة الرب من خلال فهم أحكامه الإلهية ، فالأذهان كلها كانت مفتوحة متوجهة إلى استنباط الأحكام ، والقلوب كلها كانت متلهفة إلى معرفة ماذا يريد منا ربنا ، فالمحادثات والمحاورات كانت تتضمن هذه المعاني ، والظروف والأحداث تجري في ضوئها ، لذا كانت تلك الظروف تكمل قابليات الصحابة الكرام ، وتنور أفكارهم ، وتهيء استعداداتهم لقدح زنادهم للاجتهاد واستنباط الأحكام ، إذ كانوا يكسبون من الملكة على الاستنباط والاجتهاد في يوم واحد أو في شهر واحد ما لا يمكن أن يحصل عليها في هذا الوقت من هو في مستوى ذكائهم واستعدادهم في عشر سنوات ، بل في مائة سنة ، لأن الأنظار في الوقت الحاضر متوجهة إلى نيل حياة دنيوية رغيدة دون سعادة الآخرة الأبدية وحياة النعيم المقيم فيها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٧٧] .

الثالث : أنهم أشد قرباً إلى الله من غيرهم : ويقصد بذلك حسن طاعتهم لله وعبادتهم له وحده دون سواه ، لأنهم وصلوا إلى درجة الإحسان في عبادة الله ﷻ من تذكر كمال عظمة الله وكمال علمه وإحاطته وقدرته ، (ولم يكن الله تعالى ليختار – وهو العليم الحكيم – لصحبة نبيه إلا من هم أكمل الناس وأرجحهم عقولاً ، وأمضاهم عزماً ، وأهداهم طريقاً) [العثيمين ، ١٤١٧هـ ، ص ٨] .

والصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بلغوا درجة كبيرة في علمهم بمراقبة الله لهم في السر والعلن ، وتربوا على ذلك ، ولذا وصفهم النورسي بقوله : (لا يمكن اللحاق بالصحابة الكرام في قربهم من الله بخطى الولاية ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى أقرب إلينا من حبل الوريد) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٧٨] .

الرابع : أسبقيتهم إلى تأسيس صرح الإسلام ونشر فضائله : إن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أبلوا بلاءً حسناً في نشر تعاليم الإسلام ، ومحاربة أعدائه ، والتصدي لهم بكل ما استطاعوا من قوة علمية وفكرية أو بدنية ، فجاهدوا بأنفسهم وأموالهم يبتغون إحدى الحسنيين : إما النصر وإما الشهادة ، فلا (يمكن إدراك الصحابة الكرام في فضائل

الأعمال وثواب الأفعال وجزاء الآخرة ، كذلك الأمر في جهاد الصحابة الكرام عند إرساء دعائم الإسلام ، ونشر أحكام القرآن ، وإعلانهم الحرب على العالم أجمع باسم الإسلام ، فهو مرتبة عظيمة وخدمة جليلة لا ترقى سنة كاملة من العمل لدى غيرهم إلى دقيقة واحدة من عملهم ... نعم ! إن الصحابة الكرام إنما يمثلون اللبنة الأولى في تأسيس صرح الإسلام ، وهم الصف الأول في نشر أنوار القرآن ، فلهم إذن قسط وافر من جميع حسنات الأمة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٧٩] .

الخامس : أنهم جعلوا دنياهم مزرعة لآخرتهم : الصحابة رضوان الله تعالى عليهم علموا بصدق اليقين أنهم راحلون من هذه الدنيا إلى الآخرة ، ولذلك عملوا هنا ما ينفعهم هناك ، ﴿ **يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُون ، إِلاّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيم** ﴾ [سورة الشعراء : آية ٨٨،٨٩] ، واقتداءً بالرسول ﷺ الذي قال : « يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » [أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب سكرات الموت ، ج٨ ، ص٤٨٦ ، برقم ١٣٧٩] ، فهم زرعوا الحسنات في الدنيا وجنوا ثمارها في الآخرة ، ولذلك قال النورسي في حقهم : (إن للدنيا ثلاثة وجوه : فإبداء المحبة إلى وجهي الدنيا المتطلعَيْن إلى الأسماء الحسنى والآخرة ليس نقصاً في العبودية ، بل هو مناط كمال الإنسان وسمو إيمانه ، إذ كلما جهد الإنسان في محبته لذينك الوجهين كسب مزيداً من العبادة ومزيداً من معرفة الله سبحانه ، ومن هنا كانت دنيا الصحابة الكرام متوجهة إلى ذينك الوجهين ، فعدوها مزرعة الآخرة ، وزرعوا الحسنات ، وجنوا الثمرات اليانعة من الثواب الجزيل والأجر العظيم ، واعتبروا الدنيا وما فيها كأنها مرايا تعكس أنوار تجليات الأسماء الحسنى ، فتأملوا فيها ، وفكروا في جنباتها بلهفة وشوق ، فتقربوا إلى الله أكثر ، وفي الوقت نفسه تركوا الوجه الثالث من الدنيا ، وهو وجهها الفاني المتطلع إلى شهوات الإنسان وهواه) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٨١] .

وما بلغ الصحابة هذه المنزلة إلا بحسن تربية محمد ﷺ لهم ، وحسن قيادته وإدارته ، فبعد أن كان أحدهم ذا قلب غليظ قاسي يدفن ابنته حية كما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَت** ﴾ [سورة التكوير : آية ٨،٩] ، أصبح بفضل التربية الحسنة ذا قلب رحيم رقيق يشفق على الطيور والحشرات ، فكيف بالإنسان الذي عرف تكريم الله له ، وتفضيله إياه على خلقه ؟. نعم ، إنها التربية الصالحة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في مدرسة النبوة الشريفة التي كان مربيها ومعلمها خير من عرفته الدنيا ،

محمد ﷺ ، فتخرج منها علماء ومربون قادوا الناس إلى خيري الدنيا والآخرة ، بعد أن كانوا رعاة إبل وغنم ، وسادة جهل ووثنية ، (إنهم في الحقيقة جيل فريد لا كالأجيال ، ورجال متميزون لا كالرجال ، وأمة رائدة لا كالأمم ، إنهم من قدر الله ، وممن تربوا في مدرسة محمد رسول الله ، وممن أخلصوا في الطاعة والاتّباع والعمل) [علوان ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٠] .

نعم ، أنهم كما وصفهم الرسول ﷺ بقوله : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ... » الحديث . [أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أصحاب النبي ، ج٥ ، ص ٦١ ، برقم ١٧٤] .

وإنهم كما قال الفرزدق لجرير[(١)] :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

المرتبة الثالثة : **كمال عموم المؤمنين** : بعد عرض كمال مرتبة النبوة ثم مرتبة من تربى في مدرسة النبوة ، أراد النورسي أن يبين كمال عموم المؤمنين على غيرهم ، فالله تعالى خلق جنس الإنسان في أحسن صورة ، ثم أضاف الله له تكريماً آخر يتمثل في هدايته إلى الإيمان ، وتوفيقه إلى عمل الطاعات ، واجتناب المعاصي ، ولذلك أرجع النورسي كمال الإنسان إلى عدة أسباب ، وهي :

الأول : صدق الإيمان : إن الإنسان الذي ركب في أحسن صورة وزود بأدق الأجهزة التي تعمل على المحافظة على حسنه وبهائه وجماله مطالب بأن ينظر في نفسه ليرى حسن الخِلْقة ودقة الصنعة ، ليؤمن بأن هناك خالقاً عظيماً ، وصانعاً حكيماً ، خلق فأحسن ، وصنع فأحكم ، إنه الله رب العالمين ، كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾ [سورة الإنفطار : آية ٦، ٧، ٨] ، والإيمان بالله يقتضي التصديق بجميع أركانه ، ولذا يرى النورسي أن التصديق بعموم الأركان يسمو بمنزلة الإنسان حتى يجعله إنساناً ذا سلطة على جميع الحيوانات ، وذا قوة أمام جميع الكائنات ، حيث يقول : (إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين ، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة ، بينما يتردى بظلمة الكفر أسفل سافلين ، فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم ، ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل ، ويربطه بوثاق شديد ونسبة إليه ، فالإيمان إنما هو انتساب ،

(١) ديوان الفرزدق ، ١٤٠٤هـ ، ج١ ، ص ٤١٨ .

لذا يكسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية من حيث تجلي الصنعة الإلهية فيه ، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده ، أما الكفر فيقطع تلك النسبة وذلك الانتساب ، وتغشى ظلمته الصنعة الربانية ، وتطمس على معالمها ، فتنقص قيمة الإنسان ، حيث ينحصر في مادته فحسب ، وقيمة المادة لا يُعتد بها ، فهي حكم المعدوم ، لكونها فانية زائلة ، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٤٨] .

الثاني : تسخير جميع اللطائف التي يمتاز بها لعبادة الله وحده : أكرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بلطائف ، منها : الروح ، والعقل ، والقلب ، مما يستوجب عليه مقابلة ذلك بالشكر القولي المتمثل في الدعاء ، والفعلي المتمثل في العبادة العملية من صلاة وزكاة وصوم وحج ، وبهذا نال الصحابة الكرام مرتبة الكمال الإنساني ، فمن أراد الكمال فعليه أن يسير في طريقهم ، ويستنّ بسنتهم ، وخاصة الخلفاء الراشدين الذي قال في حقهم المصطفى ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » [أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، ج٥ ، ص١٣ ، برقم ٤٦٠٧ . والترمذي في السنن ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، ج٥ ، ص٤٤ ، برقم ٢٦٧٦ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح] [البغوي ، ١٤٠٧هـ ، ج١ ، ص ١٥٩ ، برقم ١٢٩] .

ولذلك قال النورسي : (فالإنسان الكامل هو كالصحابة الكرام ، يسوق جميع تلك اللطائف إلى مقصوده الأساس ، وهو عبادة الله ، فيسوق القلبُ - كالقائد - كلَّ لطيفة منها ، ويوجهها نحو الحقيقة بطريق عبودية خاص بها ، عند ذلك تسير الكثرة الكاثرة من اللطائف جنوداً في ركب عظيم ، وفي ميدان واسع فسيح ، كما هو لدى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وإلا فإن تركَ القلب جنوده دارجاً وحده لإنقاذ نفسه ، ليس من الفخر والاعتزاز) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٨٢] .

الثالث : التعلم : العلم مطلب أساسي لتحقيق معنى الإيمان الكامل ، ولمعرفة معنى العبودية والطاعة ، وتسخير جميع اللطائف الإنسانية في طاعة الله وعبادته ، ولذلك بدأ الله بالعلم قبل القول والعمل ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** ﴾ [سورة محمد : آية ١٩] ، (أي اعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي له العبادة وتصلح له إلا الله الذي هو خالق كل شيء ومالكه) [الجزائري ، ١٤١٤هـ ، ج٥ ، ص ٨١] ، وهذا ما رآه

النورسي : حيث قال : (لقد جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء ، لأن كل شيء فيه موجه إلى العلم ، ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد ، فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو " معرفة الله تعالى " ، كما أن أس هذا الأساس هو " الإيمان بالله جل وعلا ") [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٥] .

الرابع : **الإخلاص الصادق في التوجه إلى الله وحده دون سواه** : حيث أشار النورسي إلى أن العمل الموصل إلى مرتبة الكمال الإنساني يكون بثلاثة أمور :

١- توجه قلب الإنسان طوال حياته إلى الله وحده بصدق وإخلاص .

٢- إخلاص العبودية لله تعالى دون سواه .

٣- اقتران الإيمان والعمل ، والنورسي جَمَعَها عند ذكر فوائد رسائل النور فقال : (العمل للوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل ، وذلك بالتوجه القلبي إلى الله طوال سيره وسلوكه ، وأثناء معاناته الروحية التي تسمو بحياته المعنوية ، أي الوصول إلى مرتبة المؤمن الحق والمسلم الصادق ، أي نيل حقيقة الإيمان والإسلام ، لا صورتيهما ، ثم أن يكون الإنسان عبداً خالصاً لرب العالمين ، وموضع خطابه الجليل ، وممثلاً عن الكائنات من جهة ، ووليّاً لله وخليلاً له ، حتى كأنه مرآة لتجلياته سبحانه ، وفي أحسن تقويم حقاً ، فيقيم الحجة على أفضلية بني آدم على الملائكة ، وهكذا يطير بجناحي الإيمان والعمل بالشريعة إلى المقامات العليا والتطلع من هذه الدنيا إلى السعادة الأبدية ، بل الدخول فيها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٥٩٣] .

الخامس : توحيد الخالق ﷻ : التوحيد يتضمن ثلاثة أمور :

الأول : توحيد الله سبحانه وتعالى بأفعاله ، كالرزق ، والخلق ، والإحياء ، والإماتة ، ونحوها ، ويسمى توحيد الربوبية .

والثاني : توحيد الله سبحانه وتعالى بأفعال العباد ، كالذبح ، والنذر ، والخوف ، والرجاء ، والعبادة ، ونحو ذلك ، ويسمى توحيد الألوهية .

والثالث : توحيد الله ﷻ بأسمائه وصفاته ، فلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ، بل إثبات وتنزيه ، ويسمى توحيد الأسماء والصفات .

والنورسي رحمه الله أشار إلى أن توحيد الإنسان لله تعالى سر من أسرار كماله ، فلا كمال له بدونه ، حيث قال : (إن الإنسان بسر التوحيد ، صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات ، وهو أثمن ثمرات الكون ، وألطف المخلوقات وأكملها ، وأسعد ذوي الحياة ومخاطب رب العالمين ، وأهل ليكون خليله ومحبوبه ، حتى أن جميع المزايا الإنسانية وجميع مقاصد الإنسان العليا مرتبطة بالتوحيد ، وتتحقق بسر التوحيد ، فلولا التوحيد لأصبح الإنسان أشقى المخلوقات وأدنى الموجودات ، وأضعف الحيوانات ، وأشد ذوي المشاعر حزناً ، وأكثرهم عذاباً وألماً) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٨] .

والنورسي هنا لا يقصد بكمال الإنسان الكمال المطلق الذي لا خطأ فيه ، لأن الإنسان مهما بلغ من درجة العبودية الخالصة والتوجه الصادق ، والتوحيد السليم عن علم ودراية ، فلا بد من الخطأ ، لأنه إنسان ، ولذلك قال ﷺ : « كل ابن آدم خطّاء ، وخير الخطّائين التوابون »[أخرجه الترمذي في السنن ، كتاب صفة القيامة ، باب ٤٩ ، ج٤ ، ص٦٥٩ ، برقم ٢٤٩٩ . وابن ماجة في السنن ، كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة ، ج٢ ، ص١٤٢٠ ، برقم ٤٢٥١ ، وحسنه البغوي في المصابيح ، ١٤٠٧هـ ، ج٢ ، ص ١٧٠ ، برقم ١٦٧٩] .

ولذلك يذكر الكمال الإنساني في مواضع عدة من رسائله ، ويقصد به الكمال الذي لا يتجاوز بالإنسان عن منزلته ، حيث يقول : (إن الصحابة الكرام هم في قمة الكمال الإنساني) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص٥٧٤] بمعنى أن غيرهم لهم أخطاء أكثر منهم في درجة أقل من درجة الصحابة .

ثم النورسي تحدث عن الكمال في جانب الأمة الإسلامية ، ولم يتطرق لغيرهم ، لأن أمة محمد ﷺ خير الأمم بشهادة الرب تبارك وتعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] ، ثم بشهادة خير الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه » [أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، ج٥ ، ص ٣١ ، برقم ٨٧] .

المبحث الثالث : سعادة الإنسان وشقاوته .

١) حقيقة السعادة :

الحديث عن السعادة يُذَكّر باختلاف وجهات نظر الناس وتفاوت آرائهم في معنى السعادة وحقيقتها ، فمنهم من يراها في الحصول على الأموال الكثيرة ، ومنهم من يراها في الحصول على الزوجة ذات الأوصاف المرغوبة ، ومنهم من يراها في الحصول على الوظائف ذات المناصب العالية ، ومنهم من يراها في امتلاك الأراضي المتعددة والقصور العالية ، ومنهم من لا يراها في هذا ولا في ذاك ، وإنما يكفيه ما يستر به جسمه ويسدّ به رمق جوعه ، دون إتعاب الجسم أو إشغاله ، ومنهم من يراها في الانفلات وعدم التقيد بالأوامر والنواهي ونحو ذلك ، وكل ما ذكر لا يتفق مع معنى حقيقة السعادة ، وإنما حقيقتها كما قال الحطيئة[(١)] :

ولستُ أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقي هو السعيد

والنورسي رحمه الله يتفق مع الحطيئة ، ويخالف ما ذكر قبله من الآراء ، حيث يرى أن السعادة تتحقق إذا تحققت أسبابها وانتفت أضدادها ، فيرى أن السعادة تتحقق ضمن الدائرة المشروعة ، سواء اختلفت الآراء أو اجتمعت ، فيقول : (إذا استند الإنسان إلى أنانيته وغروره ، واتخذ الحياة الدنيا غاية آماله ، وكان جهده وكده لأجل الحصول على لذات عاجلة في سعيه وراء معيشته ، فسوف يغرق في دائرة ضيقة ، ويذهب سعيه أدراج الرياح ، وستشهد عليه يوم الحشر جميع الأجهزة والجوارح واللطائف التي أودعت فيه ، شاكية ضده ، ساخطة ثائرة عليه ، أما إذا أدرك أنه ضيف عزيز ، وتحرك ضمن مرضاة من نزل عليه ضيفاً ، وهو الكريم ذو الجلال ، وصرف رأس مال عمره ضمن الدائرة المشروعة فسوف يكون نشاطه وعمله ضمن دائرة فسيحة رحبة جداً تمتد إلى الحياة الأبدية الخالدة ، وسيعيش سالماً آمناً مطمئناً ، ويتنفس تنفس الصعداء ويستروح ، وبإمكانه الصعود والرقي إلى أعلى عليين ، وستشهد له في الآخرة ما منحه الله من الأجهزة والجوارح واللطائف) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٦٥] .

٢) أسباب السعادة :

حيث يرى النورسي أن للسعادة أسباباً ذكر منها :

الأول : الإيمان الحقيقي : حيث يرى أن حقيقة السعادة تكمن في الإيمان الصادق

---

(١) ديوان الحطيئة ، ١٤١٦هـ ، ص ٧٥ .

المتوجه إلى الحي القيوم ، فيقول مخاطباً نفسه : (إن أصفى لذة وأنقى سعادة لحياتي هذه إنما هو في الإيمان ، أي الإيمان الجازم بأني مخلوق من خلقني ورباني ، فأنا مصنوعه وعبده وتحت رعايته وعنايته ، ومحتاج إليه كل حين ، وهو ربي وإلهي ، وهو الرحيم والرؤوف بي ، فإيماني هذا لذة ما بعدها لذة ، لذة كافية وافية دائمة ، وسعادة خالصة نقية لا يعكرها ألم) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٨٤] .

الثاني : التوكل والرضى والتسليم : الذي يتصف بالإيمان يتصف بالتوكل على الله والرضى بما قسمه الله له ، ثم التسليم والتفويض لأمر الله تعالى ، وإلا فلا حقيقة لإيمانه ، حيث يشوبه النقص لعدم التسليم بأن الأمور بيد الله يصرفها حيث شاء متى شاء حسب ما تقتضيه حكمته ومشيئته سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون** ﴾ [سورة يس : آية ٨٢] ، ولذلك يقول النورسي رحمه الله : (فالإيمان إذن يقتضي التوحيد ، والتوحيد يقود إلى التسليم ، والتسليم يحقق التوكل ، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص٣٥٣] .

الثالث : معرفة الله وطاعته : معرفة الله تعالى بتصور عظمته وكمال قدرته وإحاطة علمه ، يقود إلى طاعته وعبادته ، ومن ذلك تتحقق للإنسان سعادة الدارين ، حيث (أن من عرف الله وأطاعه سعيد ، ولو كان في غياهب السجون ، ومن غفل عنه ونسيه ، شقي ولو كان في قصور مشيدة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، الشعاعات ، ص ٢٦١] .

ثم (إن سعادة الدنيا أيضاً كالآخرة ، هي في العبادة وفي الجندية الخالصة لله ، فعلينا إذن أن نردد دائماً : الحمد لله على الطاعة والتوفيق ، وأن نشكره سبحانه وتعالى على أننا مسلمون) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ١٤] .

وكما ذكر النورسي فإن العبادة تقتضي ثلاثة أشياء : (وجود المعبود ، ووحدته ، واستحقاقه للعبادة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٥٧] ، وهذه لا تتحقق إلا لله تعالى .

الرابع : في السعي والعمل : لا تتحقق السعادة إلا بالعبادة لله تعالى كما سبق ، ولا تتحقق العبادة بمعناها الشامل إلا عن طريق السعي والعمل ، لأن العبادة

بمعناها العام هي : (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة) [ابن تيمية ، ١٤٠٧هـ ، ص ٣٨] .

والنورسي رحمه الله يخاطب المتكاسل عن العمل قائلاً له : (يامن لا يدرك مدى اللذة والسعادة في السعي والعمل ، أيها المتكاسل ! اعلم أن الحق تبارك وتعالى قد أدرج لكمال كرمه جزاء الخدمة في الخدمة نفسها ، وأدمج ثواب العمل في العمل نفسه) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٨٨] .

فالعبد المؤمن يجد لذة وسروراً وسعادةً عند قيامه بالأعمال الصالحة وتقديمه العون والمساعدة للآخرين طاعة لله ولرسوله ، ومحبة في الحصول على الأجر والثواب ، وهذا مشاهد ومحسوس مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ : « ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهنّ وجد حلاوة الإيمان ، ج١ ، ص ٦٨ ، برقم ٤٣] .

والحلاوة هنا : (هي التي يعبّر عنها بالذوق ، لما يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه ، وهي شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم) [آل الشيخ ، ١٣٨٦هـ ، ص ٢٧٥] .

الخامس : اتباع السنة المحمدية : اتّباع الرسول ﷺ يتمثل في سنته القولية والفعلية ، لأنه معصوم بعصمة الله له ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** ﴾ [سورة النجم : الآيات ٣،٤،٥] .

فكل أقواله وأفعاله ﷺ تحت المراقبة الربانية ، متى أخطأ - لأنه بشر - وجهه الله وأرشده ، وهذه عصمة الأنبياء والمرسلين ، ويتضمن اتّباع السنة طاعة الرسول ﷺ فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وألا يُعْبَد الله إلا بما شرع ، وهذه سعادة ما بعدها سعادة ، وشرف للعبد ما بعده شرف ، أشار إليه النورسي بقوله : (فيا سعادة من وفقه الله لاتّباع السنة في أعماله ومعاملاته حتى أورث عمره الفاني أثماراً باقية) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٨١] .

فالإنسان الذي هداه الله تعالى إلى اتّباع سنة الرسول ﷺ يجد السعادة في الدنيا والآخرة ، لأن (الهدى يمنح السعادة لحياة الإنسان في الدارين ، وينشر فيهما النور والضياء ، ويدفع الإنسان إلى الرقي) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٥٨] .

فالسعادة للعبد تكمن في توفيق الله له بأن يكون صالحاً في الدنيا طائعاً لله ولرسوله ، عاملاً بما تضمنه كتاب الله من أحكام ، وبما حوَتْه السنة النبوية الشريفة من توجيهات وإرشادات ، ليحظى برضى ربه ، فيفوز بجنة ﴿ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٣٣] .

والنورسي رحمه الله أجملَ هذه الأسباب المذكورة وغيرها في ثلاثة عناصر رئيسة تحقق السعادة ، وذلك بقوله : (فإن كنتم تريدون أن تستمتعوا بالحياة وتلتذوا بها فأحيوا حياتكم بالإيمان ، وزينوها بأداء الفرائض ، وحافظوا عليها باجتناب المعاصي) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٧٥] ، وذلك ضمن التوجيهات التي وجه بها مجموعة من الشباب عندما طلبوا منه ذلك .

ولا شك أن من سعادة الإنسان ما ذكره الرسول ﷺ بقوله : « أربع من السعادة : المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنيء ... » الحديث ، [أخرجه ابن حبان في صحيحه ، والخطيب في التاريخ ، وسنده صحيح على شرط الشيخين] [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص ٥٠٩ ، برقم ٢٨٢] .

وهذه الأربع تنحصر ضمن الدائرة المشروعة ، فلا تخرج عن دائرة رضى الله تبارك وتعالى ، فالمرأة الصالحة تعرف ما لها وما عليها ، فتقوم بحق ربها وحق زوجها ، وتعمل على تربية أبنائها التربية الصالحة ، وتحفظ زوجها في ماله ، وفي نفسها ، وأثناء حضوره وغيابه . والجار الصالح يعين جاره على الطاعة والعمل الصالح ، ويكف الأذى عن جاره ، ويكون عوناً له بعد الله وقت الحاجة إليه ، وهاتان الخصلتان سعادة يفتقدها الكثير من الناس ، لبعد المرأة أو الجار عن تعاليم الدين الإسلامي الصحيح . ثم البيت الواسع ، والمركب الهنيء ، فيهما سعادة للمرء في حله وترحاله ويساعدان على الطاعة لمن استغلهما في ذلك ، فلا بد من مصاحبة التقوى للإنسان في نفسه وماله ، وفي أثناء سفره وإقامته ، وعند نومه ويقظته ، وهذه عين السعادة في الدنيا ، وسر النجاة في الآخرة بإذن الله تبارك وتعالى .

٣) أسباب الشقاوة :

الإنسان في هذه الدنيا قد يكون شقياً ويظن أنه سعيد ، والسبب هو فقدان الميزان الحقيقي الذي تُعْرَف به حقيقة السعادة من الشقاوة ، فكما سبق في معنى السعادة قد يرى بعض الناس أنه سعيد لوجود الأموال الكثيرة عنده ، وهو لا يدري أنها تكون سبباً في شقاوته إذا صرفها في معصية الله ، أو حصل عليها بطرق غير مشروعة ، وكذلك قد يرى الإنسان الذي أفلت لنفسه الزمام ، فطغت وتجبرت وعصت أنه على سعادة ، وهو على العكس من ذلك ، وقد يظن صاحب الوظيفة أو المنصب أنه من السعداء لحصوله على المكانة الاجتماعية المرموقة بين الناس كما يحلو له ، مع أنه قد يستغل هذه الوظيفة أو ذاك المنصب في معصية الله أو في ظلم الناس والتعدي على حقوق الغير بدون وجه حق ، فهو في الحقيقة شقي وإن ظن أنه سعيد ، لأن حقيقة السعادة الدنيوية تتضمن سعادة الآخرة ، أما السعادة الدنيوية لذاتها فإنها لذة زائلة قد تقود إلى الشقاوة والتعاسة في الآخرة .

والنورسي رحمه الله تعالى يرى أن للشقاوة عوامل وأسباب ، ومن أهمها :

الأول : الكفر :

الكفر بالله تعالى والمتمثل في إنكار فضائله وجحدان نعمه ، وأنه ذو العظمة والجلال والكبرياء ، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين ، المدبر لكل شيء ، والعالم بكل شيء ، وأنه هو وحده المستحق دون غيره للشكر على الخلق والإيجاد ، إنكار ذلك يعتبر شقاوة وتعاسة في الدنيا وفي الآخرة ، كما قال الله ﷻ : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾ [سورة طه : آية ١٢٤] ، ثم نهاية صاحبه نار جهنم وبئس المصير ، حيث قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ، وَبِئْسَ الْمَصِيرِ** ﴾ [سورة التحريم : آية٩] .

والنورسي رحمه الله تعالى تحدث عن بشاعة الكفر وقبحه وأنه في حد ذاته رذيلة ، وشنع على أهله ، ونفّر منه في كثير من رسائله ، ومما قاله عند الحديث عن قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُون ۞ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَة ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم** ﴾ [سورة البقرة : آية ٦،٧] ، حيث قال : (إن مجموع هذه الآية إلى ﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم** ﴾ سيقت مشيرة بعقودها إلى تقبيح الكفر وترذيله ، والتنفير منه ، والنهي الضمني عنه ،

وتذليل أهله ، والتسجيل عليهم ، والترهيب عنه ، وتهديدهم ، منادية بكلماتها بأن في الكفر مصائب عظيمة ، وفواتَ نعيم جسيمة ، وتولدَ آلام شديدة ، وزوالَ لذائذ عالية .. مصرحة بجملها بأن الكفر أخبث الأشياء وأضرها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٧٧] .

الثاني : النفاق :

كما سبق ذكر النفاق وأنه سبب من أسباب فساد القلوب ، وأنه أشد خطراً من الكفر على الإسلام والمسلمين ، ذكر النورسي جملة أسباب ، منها : (أن العدو إذا لم يُعْرَف كان أضد ، وإذا كان مخنساً كان أخبث ، وإذا كان كذاباً كان أشد فساداً ، وإذا كان داخلياً كان أعظم ضرراً ، إذ الداخلي يفتت الصلابة ، ويشتت القوة ، بخلاف الخارجي فإنه يتسبب لتشدد الصلابة العصبية ، فأسفاً ! إن جناية النفاق على الإسلام عظيمة جداً .

ومنها : أن المنافق لاختلاطه بالمؤمنين يستأنس شيئاً فشيئاً ، ويألف بالإيمان قليلاً قليلاً ، ويستعدّ لأن يتنفر عن حال نفسه بسبب تقبيح أعماله وتشنيع حركاته ، فيتقطر كلمة التوحيد من لسانه إلى قلبه .

ومنها : أن المنافق يزيد على الكفر جنايات أخَر ، كالاستهزاء ، والخداع ، والتدليس ، والحيلة ، والكذب ، والرياء .

ومنها : أن المنافق في الأغلب يكون من أهل الكتاب ، ومن أهل الجربزة الوهمية ، فيكون حيّالاً دسّاساً ذا ذكاء شيطاني ، فالإطناب في حقه أغرق في البلاغة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٨٨-٨٩] .

وبهذه الحالة فلا شك أن المنافق يعيش في شقاوة في الدنيا تتمثل في خوفه من انكشاف حاله ، ثم في الآخرة باستحقاقه الدرك الأسفل من النار ، ولذلك قال النورسي في حقه : (إن المنافق يظن أن العالم بأجزائه ينعى عليه بمصائبه ، ويهدده ببلاياه ، ويصيح عليه بحادثاته ، ويحيط به بنوازله ، كأن الأنواع اتفقوا على عداوته فانقلب النافع ضاراً) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٣٤] .

الثالث : الغفلة والنسيان :

الإنسان إذا غفل عن الله تبارك وتعالى ونسي أنه مخلوق مكرم مأمور باتّباع الأوامر واجتناب النواهي ، فإن مصيره إلى التجبر والظلم والتعدي ، والوقوع في حرمات الله ، ثم الجزاء الرادع في الآخرة . ولذلك يقول النورسي : (أن من عرف الله وأطاعه سعيد ، ولو كان في غياهب السجون ، ومن غفل عنه ونسيه ، شقي ولو كان في قصور مشيدة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٦١] .

الرابع : اتّباع الهوى :

يترتب على الغفلة والنسيان اتّباع ما تهواه الأنفس دون رادع من شرع ، أو تأنيب لضمير ، لأنه قطع الحبل بينه وبين الله ، وجعل هواه وما تشتهيه نفسه معبوده من دون الله ، كما قال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَة ، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ ، أَفَلا تَذَكَّرُون** ﴾ [سورة الجاثية : آية ٢٣] .

ولذلك يقول النورسي في حق من اتصف بهذا : (ويا خسارة من خذله الله باتّباع الهوى ، فاتخذ إلهه هواه حتى صار عمره وعمله هباءً) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص٤٨١] .

الخامس : الوقوع في المحرمات :

إن الله تعالى حرم على الإنسان أشياء ، لعلمه تعالى بالأضرار الناتجة عن اقترافها ، سواء كانت هذه الأضرار جماعية أو فردية ، وهذه رحمة بعباده ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ ، قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما** ﴾ [سورة البقرة : آية ٢١٩] ، ولكن البعض من الناس يقع في المحرمات ويترك المباحات ، وهم كثير ، إلا من رحمه الله ، ومن هنا فإنه وإن شعر بلذة وسعادة حين اقتراف المحرم ومزاولته إلا أنه سيولد له الشقاء والعناء في الدنيا والآخرة ، ولذلك يخاطب النورسي من تسول له نفسه الوقوع في المحرمات بقوله : (إن كنت تريد أن تتحقق من هذا فاسأل المستشفيات ، والسجون ، والخمارات ، والمقابر ، فستسمع حتماً أنات وآهات ، وبكاءً مريراً ، وحسرات الندم ، وأصوات الأسى والأسف ، يطلقها – على الأغلب – شباب أشقياء ، تلقوا الصفعات الموجعة ، والضربات الأليمة لخروجهم

عما أباح الله لهم من الطيبات بدافع نزواتهم ، وإسرافهم ، وسيّء أعمالهم ، وارتكابهم المحرمات ، وانسياقهم وراء اللذات المشؤومة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٢٥٦] .

السادس : أن يجعل الإنسان الدنيا أمله وغايته :

الإنسان في هذه الحياة مطالب بأن يعيش عيشة سوية يسعى ويكسب ، ولكن من خلال ما أحله الله تعالى له بواسطة الطرق المشروعة ، وهي كثيرة ، ومجالها واسع وفسيح ، بشرط أن يجعل نصب عينيه طاعة ربه ، والحصول على رضاه ، ليكسب رحمته وجنته في الآخرة ، وبذلك فإن السعادة تتحقق له في الدنيا والآخرة – بإذن الله – ، أما إذا حاد عن الصواب ، وسلك طريق الباطل ، فجعل أمله وغايته الحياة الدنيا ، فإنه سيبوء بالندم والخسران ، وإن ظن غير ذلك .

يقول النورسي في ذلك : (إن كل من يجعل الحياة الدنيا مبتغاه فسيكون في جهنم حقيقة ومعنى ، حتى لو كان يتقلب ظاهراً في بحبوحة النعيم) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٧] .

ويقول في موضع آخر : (إذا استند الإنسان إلى أنانيته وغروره ، واتخذ الحياة الدنيا غاية آماله ، وكان جهده وكدّه لأجل الحصول على لذات عاجلة في سعيه وراء معيشته ، فسوف يغرق في دائرة ضيقة ، ويذهب سعيه أدراج الرياح ، وستشهد عليه يوم الحشر الأجهزة والجوارح واللطائف التي أودعت فيه ، شاكية ضده ، ساخطة ثائرة عليه) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٦٥] .

نعم ، إن جميع الجوارح ستكون شاهدة عليه يوم القيامة ، مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُون ۞ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُون** ﴾ [سورة فصلت : آية ١٩، ٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون** ﴾ [سورة يس : آية ٦٥] .

ومن هنا فإنه ينبغي للإنسان الذي يريد السعادة ويحذر الشقاوة أن يربي نفسه على طاعة ربه ومولاه ، وأن يجعل نصب عينيه الفوز بالسعادة الأبدية في الآخرة ، لأنها دائمة ، وسعادتها دائمة ، لا الحياة الدنيا الفانية ذات اللذائذ الزائلة ، اللهم اجعلنا في هذه الدنيا من السعداء بطاعتك ، وفي الآخرة من السعداء بجنتك ورحمتك .

الفصل الثالث
رأي النورسي في التربية

تمهيد :

إن التربية ذات دور فعال في توجيه سلوك الفرد والجماعة حسب الغايات والأهداف ، فإن خيراً فخيرٌ ، وإن شراً فشرٌ ، والنورسي رحمه الله تعالى ممن عرف ذلك ووعاه ، فما أن أحس بالخطر الداهم الذي أخذ يجتاح بلاد الإسلام بعامة وتركيا بخاصة ، والمتمثل في ظهور الفلسفات المادية الإلحادية ، والنظريات العلمية الفاسدة ، والقادمة من الشرق والغرب على السواء ، حيث كان أعظم خطر على المسلمين في ذلك الزمان (فساد القلوب ، وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة والعلوم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص١٥٨] .

فما أن أحس بذلك رحمه الله إلا وسارع إلى ترك الدنيا وملذاتها ، والسياسة وأحزابها قائلاً قولته المشهورة : (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة) [عبد الحميد ، ١٤١٤هـ ، ص ٥١] .

ونزل إلى الساحة مجاهداً بلسانه وقلمه ، ومربياً أفراد الأمة على الإيمان والطاعة للواحد الديان ، ومبيناً سبب ابتعاده عن السياسة وتعوذه منها قائلاً : (إن العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنما هو النور وإراءة النور ، فلو عُمل بهراوة السياسة وصولجانها وأُحرز النصر تدنى أولئك الكفار إلى درك المنافقين ، والمنافق - كما هو معلوم - أشد خطراً من الكافر وأفسد منه ، فصولجان السياسة إذاً لا يُصلح القلب في هذا الوقت ، حيث ينزل الكفر إلى أعماق القلب ، ويتستر هناك وينقلب نفاقاً) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٥٨] .

وبذلك وَضُحَ سبب ترك النورسي السياسة في عهده ، حيث أصبحت غير صالحة كميدانٍ من ميادين التربية بسبب فساد القلوب واختلاف المقاصد ، ووجود الأحزاب ذات الصراعات التي تفسد القلوب وتوغر الصدور ، فأنَّى لها أن تكون صالحة للتربية ، والعداوة والبغضاء والحقد ديدنها ، ولما حل بالأمة من بُعد عن الإيمان الصحيح والدين القويم ، أخذ النورسي يجول بفكره ويكتب بقلمه رسائله المعروفة برسائل النور مبيناً خطر ما أصيبت به العقول من عقم في فكرها الإيماني ، وأنه لا إنقاذ لها إلا بالرجوع إلى تغذية هذا الفكر بالزاد الصافي الصالح لجميع جوانب التربية ، والمأخوذ من كتاب الله ومن سنة

رسوله ﷺ ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَاب** ﴾ [سورة البقرة : آية ١٩٧] .

فأخذ يؤلف الرسائل ويرسلها إلى طلابه ومحبيه متضمنة تربية القلوب والعقول والأرواح على نور الإيمان وسعادة القرآن والسنة النبوية المطهرة ، فكان له طلابه ومريدوه ، وانتشرت رسائله داخل تركيا وخارجها ، مما كان لها الأثر الكبير بإذن الله في توجيه كثير من أفراد الأمة للرجوع إلى الدين والتمسك به والثبات على الحق ، فكانت له بذلك آراء وتوجيهات حول التربية وأهدافها وغاياتها وطرق التوفيق لسالكها بإذن الله تعالى ، وقد اندرج تحت هذا الفصل المباحث التالية :

المبحث الأول : مفهوم التربية .

١- المفهوم العام .

٢- المفهوم عند النورسي .

٣- التطابق والتوافق بين المفهومين .

المبحث الثاني : الشمولية والتنوع .

المبحث الثالث : آراء تربوية مفيدة .

١- قواعد التوفيق في التربية .

٢- حقائق تربوية .

٣- معوقات التربية .

المبحث الأول : مفهوم التربية .

١) **المفهوم العام** : ويقصد الباحث به هنا التعريف اللغوي كما ورد في معاجم اللغة العربية ، والتعريف الاصطلاحي كما ورد في كتب التربية التي تحدثت عن ذلك حسب الأفكار التربوية الصادرة عن المفكرين المسلمين وغيرهم .

أ – **المفهوم اللغوي** : بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية تبين أن كلمة التربية تعود إلى أصول لغوية ثلاثة ، هي : (رَبَا ، ورَبِيَ ، ورَبَّ) [الباني ، ١٤٠٣هـ ، ص ٧] .

الأول : ربا يربو ، أي : نما ينمو ، ومنه ما ورد في لسان العرب (رَبَا الشيءُ يَرْبوا رُبُوّاً ورِبَاءً : زاد ونما ، وأَرْبَيْتُهُ : نَمَّيْتُه ، وفي التنزيل العزيز ﴿ **وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** ﴾[1] ، ومنه أُخِذَ الربا الحرام ، قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُواْ عِنْدَ الله** ﴾[2] ، وفي حديث الصدقة : « وتَرْبُو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل »[3] [ابن منظور ، ١٣٧٥هـ ، ج١٤ ، ص.ص ٣٠٤-٣٠٥] .

وورد في الصحاح : (رَبَا الشيء يَرْبو رَبْواً : أي زاد ، والرّابِيَةُ الرَّبْوُ ، وهو ما ارتفع من الأرض) [الجوهري ، ١٣٩٩هـ ، ج٦ ، ص ٢٣٤٩] .

الثاني : رَبِيَ يَرْبَى ، أي نشأ وترعرع ، ومنه ما ورد في لسان العرب (وقد رَبَوْتُ في حجره رُبُوّاً ، ورَبَيْتُ رِباءً وَرُبِيّاً ، كلاهما : نَشَأْتُ فيهم .

وأنشد اللحياني لمسكين الدارمي :

ثلاثة أَمْلاكٍ رَبَوْا في حُجُورِنا فهل قائلٌ حقاً كمن هو كاذبُ

وابن الأعرابي قال : رَبيتُ في حُجْرِهِ ورَبَوْتُ أَرْبَى رَباً ورُبُوّاً ، وأنشد :

فمن يك سائلاً عني فإني بمكة منزلي وبها رَبَيتُ

(١) سورة البقرة : آية ٢٧٦ .

(٢) سورة الروم : آية ٣٩ .

(٣) تمام الحديث : « ما تصدق أحد بصدقة من طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، إلا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة ، فتربوا في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فَلُوَّهُ أو فصيله » [أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، ج٢ ، ص ٥٨١ برقم ١٠١٤] .

وعن الأصمعي ، رَبَوْتُ في بني فلان أَرْبُوه نشأت فيهم ، وربَّيْتُ فلاناً أُرَبيَهُ تَرْبِيَةً ، وتَرَبَّيْتُهُ وربَيْتُهُ وربَّيْتُهُ بمعنى واحد) [ابن منظور ، ١٣٧٥هـ ، ج١٤ ، ص.ص ٣٠٦-٣٠٧] .

وفي الصحاح (وربَّيْتُهُ تَرْبِيَةً وتَرَبَّيْتُهُ ، أي غَذَّوْتُهُ ، هذا لكل ما ينمي : كالولد والزرع ونحوه) [الجوهري ، ١٣٩٩هـ ، ج٦ ، ص ٢٣٥٠] .

الثالث : رَبَّ يَرُبُّ ، أي أصلحه وتولى أمره ، وساسه وقام على رعايته ، ومنه ما ورد في لسان العرب (رَبَّ الشيء إذا أصلحه ، ورَبَّ ولده والصَّبي يَرُبُّه رَبّاً ، ورَبَّبَهُ تَرْبيباً وتَرِبَّةً . عن اللحياني : بمعنى رباه ، وفي الحديث : « هل لك من نعمة تَرُبُّها ؟. »[1] أي تحفظها وتراعيها وتُرَبِّيهَا كما يُرَبِّي الرجل ولده .

وفي حديث ابن ذي يزن : أُسْدٌ تُرَبِبُ في الغيضات أشبالاً ، أي تُرَبِي ، وتَرَبَّبَهُ ، وارْتَبَّهُ تَرْبِيَةً ، وتَرَبَّاهُ ، أحسن القيام عليه ، ووليه حتى يفارق الطفولة ، كان ابنه أو لم يكن ، والسحاب يَرُبُّ المطر ، أي يجمعه وينميه ، والمطر يَرُبُّ النبات والثرى وينميه ، والنعمةَ يَرُبُّها رَبّاً ورِباباً ورِبَابةً ، ورَبَّبَها : نَمَّاها ، وزادها وأتمها ، وأصلحها . ورَبَبْتُ الأمر أَرُبُّه رَبّاً ورِبَابَةً : أصلحته ومَتَّنْته ، ورَبَبْت الدهن طَيَّبْتُه وأَجَدْتُهُ ، والرُّبُّ ، الطلاء الخاثر ، وقيل : هو دبس كل ثمرة ، وهو سلافة خثارتها بعد الاعتصار والطبخ ، والجمع الرُّبُوبُ والرِبَابُ ، ومنه سقاء مَرْبُوبٌ إذا رَبَبْتَهُ ، أي جعلت فيه الرُّبَّ وأصلحته به ، يقال : ربَّ فلانٌ نِحْيَهُ يَرُبُّهُ ربّاً إذا جعل فيه الرُّبَّ ومتنه به) [ابن منظور ، ١٣٧٥هـ ، ج١ ، ص ٤٠١-٤٠٦] .

وورد في الصحاح (رَبَّ الضيعة ، أي أصلحها وأتَمَّها ، ورَبَّ فلان ولده يَرُبُّه رَبّاً ورَبَّبَه وتَرَبَّبَه ، أي رَبَّاه) [الجوهري ، ١٣٩٩هـ ، ج١ ، ص ١٣٠] .

وورد في تاج العروس (رَبَّ ولده ، والصبيَّ يَرُبُّه رَبّاً (رَبّاه) أي أحسن القيام عليه ووليه حتى أدرك ، أي فارق الطفولية كان ابنه أو لم يكن) [الزبيدي ، ١٣٠٦هـ ، ج١ ، ص ٢٦١] .

---

(١) تمام الحديث : « أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟. قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها ؟. قال : لا ، غير أني أحببته في الله ﷻ ، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل الحب في الله ، ج٤ ، ص ١٥٧٨ ، برقم ٢٥٦٧] .

وفي معجم مقاييس اللغة (رَبَّ ، الراء والباء يدلان على أصول :

الأول : إصلاح الشيء والقيام عليه ، فالرَّبُّ : المالك ، والخالق ، والصاحب ، والرَّبُّ : المصلح للشيء ، يقال : رَبَّ فلان ضيعته ، إذا قام على إصلاحها ، والله جل ثناؤه الرَّبُّ ، لأنه مصلح أحوال خلقه .

الثاني : لزوم الشيء والإقامة عليه ، وهو مناسب للأصل الأول ، يقال : أَرَبَّتْ السحابة بهذه البلدة إذا دامت ، وأرض مَرَبٌّ ، لا يزال بها مطر ، ولذلك سمي السحاب رباباً .

الثالث : ضم الشيء للشيء ، وهو أيضاً مناسب لما قبله ، يقال للخِرْقَةِ التي يُجْعَلُ فيها القداح رِبَابَة ، وسمي العهد رِبَابَةً لأنه يجمع ويؤلف) [ابن فارس ، ١٤٠٢هـ ، ج٢ ، ص.ص ٣٨١-٣٨٣] .

ومن الأصول اللغوية الثلاثة السابقة للتربية وما تفرع عنها من التعريفات المختلفة خلص الباحث إلى أمور ، منها :

١- أهمية التربية للإنسان وضرورة ملازمتها له من المهد إلى اللحد ، فلا غنى له عن ذلك .

٢- ضرورة استخدام الأساليب المختلفة في الإصلاح والتوجيه حسبما يقتضيه المقام .

٣- نجاح التربية منوطٌ بصلاح الأهداف والوسائل والأساليب التربوية .

٤- عناصر التربية الكاملة ثلاثة :

أ - عنصر الغذاء : حيث يحتاج الكائن إلى النمو والزيادة لجميع أجزاء جسمه بما في ذلك عقله المدرك ، وقلبه النابض الذي به حياتي المعنى والمبنى ، الروح والجسم ، فلا بد من التغذية السليمة ذات الكسب الحلال ، كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾ [سورة البقرة : آية ١٦٨] .

ومن ذلك : ألا يقوم على (حضانته وإرضاعه إلا امرأة متدينة تأكل الحلال ، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه) [الغزالي ، د.ت ، ج٣ ، ص ٧٢] .

ب - عنصر المكان : أي البيئة التي يترعرع وينشأ فيها الإنسان ، وسبق

الحديث عن تأثير البيئة على الإنسان وتأثره بها ، فصلاح الأسرة والمجتمع بجميع مؤسساته التعليمية والإعلامية وغيرها عنصر قوي وفعال في توجيه سلوك الفرد والجماعات .

جـ – عنصر الإصلاح والرعاية : وهو من أهم العناصر وأكثرها خطراً ، حيث هو الهدف والغاية من الحرص على انتقاء الغذاء الحلال والتنشئة في البيئة الصالحة ، ثم هو الركيزة الأساسية التي تسعى التربية الإسلامية في نهاية المطاف إلى تحققها في الأفراد والجماعات ، بل هو الوسيلة الحقيقية لسعادة الدارين : الدنيا والآخرة ، ولن تُنال السعادة في الآخرة إلا بصلاح حياة الإنسان في الدنيا قلباً وقالباً ، الذي يؤدي إلى سلامة الفكر وصلاح العقيدة ، وتربية الأفراد والجماعات تربية صالحة تتطلب وجود رجال مصلحين نذروا أنفسهم في سبيل ذلك ، ليعملوا على التنشئة الصالحة والرعاية الحقة لمن هم تحت إمرتهم وولايتهم ، ولا يكون ذلك إلا بالتربية المستمرة والمتابعة الجادة حتى يتحقق هذا العنصر ، فتكتمل العناصر الثلاثة محققة بإذن الله تربية شاملة كاملة وصالحة سليمة ، وما بُعِث الأنبياء والمرسلون – عليهم صلوات الله وسلامه – إلا لتحقيق هذا العنصر ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوت ، فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى الله وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَة** ﴾ [سورة النحل : آية ٣٦] .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عامل أساسي للإصلاح والمتابعة ، بل هو ركيزة أساسية من ركائز الأمة الإسلامية الدالة على تميزها عن غيرها من الأمم ، ووجوده دلالة الخير فيها ، كما قال الله ﷻ : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] .

ب – المفهوم الاصطلاحي : يختلف المفهوم الاصطلاحي للتربية عند المفكرين التربويين وأساتذة العلم والفكر ، وسبب ذلك يعود إلى اختلاف المقاصد والغايات من وظيفة التربية التي يجب أن تتحقق ، هل هي مقصورة على الجانب الجسمي دون الروحي ، أم على الروحي دون الجسمي ، أم تتناولها معاً ؟. ثم هل تعمل على تحقيق سعادة الدنيا والآخرة ، أم على واحدة منهما دون الأخرى ؟. ولا ريب أن ما يدين به الشخص ويعتقده عامل أساسي في اختلاف وجهات النظر تلك ، فالمسلم غير اليهودي والنصراني ، والكافر غير ذلك تماماً . والباحث استعرض عدداً من المراجع التي تطرق أصحابها إلى المفهوم الاصطلاحي للتربية ، فكان الاختيار لبعض الآراء دون بعض ، وذلك حسب التقسيم الآتي :

الأول : التربية في نظر غير المسلمين :

أ – إفلاطون – ١٠٨١-٩٩٩ ق ـ هـ /٤٢٧ – ٣٤٧ ق ـ م ، وهو فيلسوف يوناني ، حيث قال : (غاية التربية أن تفيض على الجسم والنفس كل جمال وكمال ممكن لهما) [الباني ، ١٤٠٣هـ ، ص ١٧] .

ب – بِسْتالوتْزي – ١١٦٠هـ – ١٢٤٢ هـ / ١٧٤٦م – ١٨٢٧م ، وهو مربٍّ سويسري من رواد التربية في أوربا ، قال : (التربية إعداد بني الإنسان للقيام بواجباتهم المختلفة في الحياة) [الباني ، ١٤٠٣هـ ، ص ١٨] .

جـ – جون ديوي – ١٢٧٥هـ – ١٣٧١هـ / ١٨٥٩م – ١٩٥٢م ، وهو مربٍّ أمريكي ، بنى مذهبه على أساس الخبرة ، حيث قال : (التربية هي العملية التي بها يعاد تكوين خبرة الفرد تكويناً يجعل لها قيمة اجتماعية كبيرة ، وذلك عن طريق تجارب الفرد الشخصية نفسها التي تمكنه من ضبط قواه المختلفة والسيطرة عليها) [الباني ، ١٤٠٣هـ ، ص ١٨] .

وبالنظر إلى هذه الآراء يلحظ الإنسان الجوانب التالية :

١– ضرورة التربية للكائن الإنساني .

٢– صلاح الفرد في أي مجتمع مرهون بحسن تربيته .

٣– المجتمع الغربي اهتم بجانب التربية العلمي دون الأخلاقي .

٤– التركيز على الحياة الدنيا دون الآخرة .

٥– غاية التربية الفرد لا المجتمع .

الثاني : التربية عند المفكرين والمربين المسلمين :

إذا ذُكِر المفكر المسلم أو المربي المسلم فيقصد به الذي لا تخرج وجهة نظره في التربية عن تعاليم الدين الإسلامي عقيدة وشريعة ، والباحث أورد عدداً من آراء أولئك المفكرين قديماً وحديثاً ، ومنهم :

أ – الإمام الغزالي رحمه الله تعالى – ت ٥٠٥هـ ، حيث قال : (الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عُود الخير وعُلِّمَه نشأ عليه ، وسعد في الدنيا

والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عُـود الشر وأُهْمِـل إهمـال البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القَيـم عليه والـوالي لـه ، وقـد قـال الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[1] ، ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا ، فبأن يصونـه مـن نـار الآخـرة أولى ، وصيانتـه بـأن يؤدبـه ويهذبـه ويعلمـه محاسـن الأخلاق ، ويحفظه من القرناء السوء ، ولا يعوّده التنعـم ، ولا يحبـب إليـه الزينـة وأسـباب الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر ، فيهلك هلاك الأبد ، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره) [الغزالي ، د.ت ، ص ٧٢] .

ب – ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى ، ت ٧٥١ ، حيث قال : (ومما يحتـاج إليـه الطفل غاية الاحتياج والاعتناء بأمر خُلقه ، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره ، ولهـذا تجد أغلب الناس منحرفة أخلاقهم ، وذلك من قِبل التربية التي نشـأ عليهـا ، وممـا ينبغـي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها ، فيعلم أنه مخلوق لـه ، فـلا يحمله على غيره ما كان مأذوناً فيه شرعاً ، فإنه إن حمل على غير ما هو مستعد له لم يفلـح فيه ، وفاته ما هو مهيأ له) [ابن القيم ، ١٤٠٣هـ ، ص.ص ١٦٨-١٧١] .

جـ – الدكتور مقداد يالجن ، وهو أستاذ مشارك بقسم التربيـة الإسـلامية في كليـة العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، حيث قال : (التربية الإسلامية هي إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميـع النواحـي في جميـع مراحـل نمـوه للحيـاة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيـم وطـرق التربيـة الـتي جـاء بهـا الإسـلام) [يـالجن ، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٠٠] .

ويتضح اختلاف وجهـات نظـر العلمـاء والمربـين المسـلمين في تحديـد مفهـوم دقيـق للتربية ، إلا أنهم متفقون على أهمية التربية الإسلامية في تنشـئة الجيـل الصـالح على أسـس سليمة مصدرها كتاب الله وسنة رسوله ، تتناول حياة الدنيا والآخرة من جميع جوانبهما .

٢) مفهوم التربية عند النورسي :

من خلال تتبع الباحث لما دونه النورسي في رسائله وجد الاهتمام البالغ منه – رحمه الله تعالى – بالتربية الإسلامية الصحيحة التي تتضمن جميع مناحي الحياة ، ومحققـة سـعادتي الدنيا والآخرة ، مع تحذيره الشديد من تربية الناشئة على خلاف ذلـك ، إلا أن البـاحث لم

(١) سورة التحريم : آية ٦ .

يعثر على تحديد دقيق شامل لمفهوم التربية عنده ، وإنما أورد في ذلك تعريفاً مختصراً في لفظه وشاملاً في معناه ، وذلك عند حديثه عن التربية الإسلامية وأهمية تنوعها ، حيث قال : (التربية هي دفع المضار وجلب المنافع ، وهما الأساسان للتربية) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨] .

واعتبار جلب المنافع ودفع المضار أساسان في التربية يشيران إلى وجود أمور عدة تتفرع من هاذين الأساسين ليكتمل معنى التربية الشامل ، ولا شك أن النورسي قد أوجز في التعريف مما قد يشكل على القارئ هدفه ومقصده ، ولكن إذا أوغل في بطون رسائله عرف ذلك ، ولذا رأى الباحث تقديم نماذج تبين وتوضح رأي النورسي في التربية ، وتحدد التعريف ، ومن أهمها :

أ – أهمية تربية الأولاد على الإيمان ، وخاصة في البيوت ، حيث قال : (اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة ، وموضع تلقي العلم والعرفان ، كي يتربى الأولاد على الإيمان ، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة ، وأبناء بررة في هذه الدنيا) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٤٠٣] .

ب – كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مصدران أساسيان للتربية الإسلامية ، حيث قال عند حديثه عن النفس الأمارة : (بل نمتطيها بتلك التربية المنبثقة من القرآن الكريم ، فتصبح النفس الأمارة طوع إرادتنا ، وتغدو وسيلة نافعة ، ووساطة خير للفوز بحياة خالدة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٩] .

وقال عن السنة : (فيا سعادة من وفقه الله لاتّباع السنة في أعماله ومعاملاته) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٨١] .

وقال : (إن السنة النبوية المطهرة في حقيقة أمرها لهي أدب عظيم ، فليس فيها مسألة إلا وتنطوي على أدب ونور عظيم ، فمن يُمعن النظر في السيرة النبوية ويُحط علماً بالسنة المطهرة يدرك يقيناً أن الله سبحانه وتعالى قد جمع أصول الآداب وقواعدها في حبيبه محمد ﷺ ، فالذي يهجر سنته المطهرة ويجافيها فقد هجر منابع الأدب وأصوله) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٨٧] .

جـ – صلاح الزوجين عامل قوي في صلاح الأولاد ، حيث وجه النورسي طالبات النور إلى اختيار الزوج الصالح الذي تربى تربية إسلامية ، فقال : (أخاطب بناتي طالبات

النور اللائي يرغبن في حياة العزوبة ، ويفضلن البقاء باكرات ، فأقول : يجب ألا يعن أنفسهن رخيصات سافرات كاشفات ، عندما لا يجدن الزوج المؤمن الصالح ذا الأخلاق الحسنة الملائم لهن تماماً ، بل عليهن البقاء في حياة العزوبة إن لم يجدنَ ذلك الزوج الكفء ، حتى يتقدم لطلبها من يلائمها ممن تربى بتربية الإسلام) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٣٤٢] .

د – من أسس التربية الإخلاص ، لأنه (ألزم شيء وأهم أساس في التربية الإسلامية وأعمال الآخرة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٠٩] .

هـ – خطر التربية غير الإسلامية ، حيث قال : (إن التربية الأوروبية التي حلت محل التربية الإسلامية في الوقت الحاضر تجعل واحداً أو اثنين من كل عشرة أبناء ابناً باراً بوالدته) [الملاحق ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٤٢] .

و – الاهتمام بتربية المرأة تربية إسلامية ، حيث قال : (إن العلاج الناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهن وأخراهن معاً ، وإن الوسيلة الوحيدة لصون سجاياهن الراقية اللاتي في فطرتهن من الفساد ليس إلا في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١٠] .

ز – التدرج في التربية حسب مراحل العمر ، حيث أشار إليه بقوله : (فكما تتحول الأدوية والألبسة في الفصول الأربعة ، وطرز[١] التربية والتعليم في طبقات عمر الشخص ...) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٩] .

٣) مدى التطابق والتوافق :

الناظر إلى مفهوم التربية العام بقسميه اللغوي والاصطلاحي ، مع الاختلاف في وجهات النظر ، ثم إلى مفهومها عند النورسي ، يجد هناك توافقاً وتطابقاً بين المفهومين ، وخاصة عند المفكرين المسلمين ، ويتضح ذلك من خلال النقاط التالية :

أ – الاهتمام بالناشئة وتربيتهم تربية إسلامية صالحة تحصنهم من الانحراف والفساد .

---

(١) الطَّرْز : الهيئة ، وطرزه تطريزاً ، أعلمه فتطرز ، والموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة والنمط . [الفيروز آبادي ، ١٤٠٧هـ ، ص ٦٦٢] .

ب – شمولية المفهومين لجميع مناحي الحياتين الدنيا والآخرة ، وأن تكون التربية ضمن نطاق الإسلام الشامل .

جـ – توافق الأهداف والغايات ، والتي تصل بالناشئ إلى تحقيق سعادته في الدنيا والآخرة ، فتجلب له المنافع ، وتدفع عنه الأضرار .

د – أصالة مصادر التربية وصلاحها ، حيث تشير كل المفاهيم للتربية الإسلامية إلى أن تكون التربية ضمن نطاق الإسلام الشامل الذي يعتمد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصادر في الأحكام والمعاملات والأخلاق والآداب .

هـ – أهمية صلاح المربّي ، وخاصة الوالدين ، والذي ينطوي على حسن اختيار الزوجين لبعضهما ، لما في ذلك من التعاون والتناصح والاتفاق على نمط موحد للتربية ، وعدم التنافر والتناقض أمام المربَّى .

و – أهمية التدرج في التربية حسب مراحل عمر الإنسان حتى يصل به المربي إلى كمال التربية مع اكتمال مراحل العمر ، لأن لكل مرحلة ما يناسبها من الطرق التربوية .

ز – أن التربية هي علاج ناجع – بإذن الله – لما فسد من الأخلاق والآداب ، وهي كذلك وقاية من الانحراف والوقوع في الأخلاق المرذولة .

المبحث الثاني : شمولية التربية وتنوعها .

التربية التي تبناها النورسي ودعا إليها غيره كما ظهرت من خلال رسائله كانت شاملة لجميع طوائف الأمة ومتنوعة حسبما تحتاجه كل طائفة ، بل اهتم بالنساء كما اهتم بالرجال ، وحيث ظهرت في عصره القومية العنصرية في أقطار عديدة من العالم الإسلامي ، وخاصة بلده تركيا بعد أن رزحت تحت حكم العلمانيين أتباع الغرب الذين تبنوا القومية التركية ودعوا إليها ، وركزوا على نشرها بين الشباب خاصة ، متجاهلين الطوائف الأخرى ، ولذلك أخذ النورسي يدحض فكرتهم ويبين خطرها على الأمة بما فيهم الشباب أنفسهم ، حيث قال : (أقول لأولئك الملحدين أدعياء النخوة والغيرة ، المتسترين تحت ستار القومية التركية ، وهم في الحقيقة أعداء الأمة التركية ، أقول لهم : إنني على علاقة وثيقة جداً بمؤمني هذا الوطن الذين يسمون بالأتراك المرتبطين ارتباطاً قوياً بأخوة صادقة بالأمة الإسلامية ، وأكُنُّ حباً عميقاً وولاءً بفخر واعتزاز – باسم الإسلام – لأبناء هذا الوطن الذين رفعوا راية القرآن خفاقة عزيزة في ربوع

العالم أجمع زهاء ألف عام) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٥٤٢] .

ثم أخذ يتساءل قائلاً : (هل الأمة التركية عبارة عن شباب غافلين سارحين وراء الأهواء ، ممن تتراوح أعمارهم بين العشرين والأربعين من العمر فقط ؟. وهل ما تستوجبه النخوة القومية من منافع تمسهم محصورة في تربية متفرنجة تزيد غفلتهم ، وتعودهم على الفساد وسوء الأخلاق ، وتحثهم على ارتكاب الموبقات ؟. وهل هي في دفعهم إلى متعة مؤقتة وضحك آني يبكون عليها أياماً في شيخوختهم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص٥٤٢-٥٤٣] .

وبذلك يوضح لأدعياء القومية حقيقة تربيتهم الفاسدة ، وأن نهايتها الندم والخزي لمن استجاب لهم وتربى عليها .

ثم بين لهؤلاء الأدعياء أقسام الأمة التي يجب أن تشملهم التربية ، وأن المجتمع يتكون من هذه الأقسام لا قسماً واحداً ، حيث قال : (إن أبناء هذا الوطن الذين يسمون بالأتراك ينقسمون إلى ستة أقسام ، هم : أهل التقوى والصلاح ، والمرضى وأهل الضر والمصائب ، والشيوخ ، والأطفال والصبيان ، والفقراء والمعوزين ، والشباب) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٥٤٣] .

ويوضح النورسي حقيقة تربيته وإنها تتناول الجميع دون تمييز ، وأن الكل محتاج إلى الإيمان الحقيقي الذي يحقق سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، وأن القرآن الكريم هو مصدر تلك التربية ، حيث قال : (إنني من حيث العنصر لا أُعد من الترك ، ولكن سعيت وما زلت أسعى بكل ما أوتيت من قوة لصالح المتقين ، وللمبتلين بالمصائب ، وللشيوخ ، وللأطفال ، وللفقراء من الأتراك ، وأحاول أيضاً صرف الشباب - وهم الطائفة السادسة - عن أفعال غير مشروعة تسمم حياتهم الدنيوية وتبيد حياتهم الأخروية ، وتسوق إلى سنة من البكاء على ضحك لم يدم ساعة ، وهذا هو دأبي منذ عشرين سنة ، إذ ما نشرته من رسائل باللغة التركية واستلهمتها من نور القرآن الكريم موجودة أمام الجميع) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٥٤٧] .

والنورسي - رحمه الله - اهتم بتربية جميع الفئات ، إلا أنه ركز على ثلاثة أقسام من مجموع هذه الفئات ، وهم : الأطفال ، والشباب ، والنساء ، لأهمية صلاح هذه العناصر الثلاثة في المجتمع .

١) فئة الأطفال : حيث قال في حقهم : (إن الأطفال الأبرياء هم في مقدمة الذين سيكونون طلاباً حقيقيين لرسائل النور ، وذلك وفق ما تقتضيه فطرتهم وتتطلبه الأوضاع الراهنة ، لأن الطفل الذي لم يتلقَّ في صغره درساً إيمانياً قوياً يصعب عليه بعد ذلك أن يقر في روحه أركان الإيمان والإسلام ، بل يكون عسيراً عليه ، شأنه شأن تقبل غير المسلم الإسلام ، بل يستغرب من الإسلام أكثر منه ، ولاسيما إن لم يَرَ والديه على دين وتقوى ، وربى ذهنه بالعلوم الدنيوية وحدها) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٤٥] .

وهنا يشير إلى أهمية التربية في الصغر ، لأن الطفل إذا (أُهْمِلَ في ابتداء نشوه خرج في الأغلب رديء الأخلاق) [الغزالي ، د.ت ، ص ٧٢] .

٢) فئة الشباب : ومرحلة الشباب مرحلة خطيرة ، وحسن اختيار طرق التربية في هذه المرحلة مهم ، لأن مرحلة المراهقة تتخللها ، ولذلك اهتم النورسي بالشباب ، ويرى أن مرحلتهم أنفس مرحلة من مراحل العمر وأقواها ، فيجب أن تصاحبها التقوى والاستقامة ، لأن (عهد الشباب يحزن الجميع بزواله ، ويجعل الكل يشتاقون إليه وينبهرون به ، كما قال الشاعر(١) الباكي على شبابه بحسرة مريرة :

ألا ليت الشباب يعود يوماً   فأخبره بما صنع المشيب

نعم ، إن الذين لم يتبينوا سر الشباب وماهيته من الشيوخ يقضون شيخوختهم بالحسرة والنحيب على عهد شبابهم كهذا الشاعر ، والحال أن فترة الشباب ونضارته إذا ما حلت في المؤمن المطمئن الحصيف ذي القلب الساكن الوقور ، وإذا ما صُرفت طاقةُ الشباب وقوته إلى العبادة والأعمال الصالحة والتجارة الأخروية ، فإنها تصبح أعظم قوة للخير ، وتغدو أفضل وسيلة للتجارة ، وأجمل وساطة للحسنات ، بل ألذها . إن عهد الشباب نفيس حقاً وثمين جداً ، وهو نعمة إلهية عظمى ، ونشوة لذيذة لمن عرف واجبه الإسلامي ولمن لم يسيء استعماله ، ولكن الشباب إن لم تصحبه الاستقامة ، ولم ترافقه العفة والتقوى ، فدونه المهالك الوبيلة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٥٧] .

ولذلك قال الرسول ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » وذكر منهم : « وشابٌ نشأ في عبادة ربه » [أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ، ج١ ، ص ٣٢٢ ، برقم ٦٢١] .

---

(١) هذا البيت من قصيدة لأبي العتاهية ضمن ديوانه المطبوع عام ١٣٨٤هـ ، ص ٣٢ .

ومما يدل على اهتمامه رحمه الله بتربية الشباب تربية إسلامية أكثر من غيرهم ، أنه (ألف رسالة أسماها " رسالة الشباب " ، وملخصها هو دعوة الشباب للتفكير في سبب مجيء الإنسان إلى الدنيا ، وأنه ليس مخلوقاً سائباً قد ألقى حبله على غاربه ، بل هو مخلوق مسؤول ومكلف بالعبودية لله تعالى ، كائن مخلوق لحياة أبدية ، وأن عليه ألاّ ينقاد لأهواء النفس ، بل يصون نفسه ويزكيها ، لقد أدرك الأستاذ النورسي رحمه الله وهو يدعو الشباب للعودة إلى الإسلام أن عليه أولاً إزالة الشبهات التي تحوم حول عقول الشباب ، فألف قبل هذه الرسالة رسالة " الآية الكبرى " ، ورسالة " الحشر " ، ورسالة " الملائكة " وغيرها من الرسائل التي أجاب فيها عن الكثير من الأسئلة التي كانت تشغل بال الشباب وتبعده عن الإسلام) [مجلة المجتمع ، ١٢٦٥ ، في ١٤١٨/٤/٢٩هـ ، ص ٥١] .

٣) الاهتمام بتربية النساء : وقد أخبر النورسي أنهن (القسم الثاني من طلاب النور) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٤٦] .

وقال في حقهن : (إن العلاج الناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهن وأخراهن معاً ، وإن الوسيلة الوحيدة لصون سجاياهنّ الراقية اللاتي في فطرهن من الفساد ، ليس إلا في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١٠] ، وخاصة بعد أن (أضلت النساءُ البشريةَ بخروجهن من بيوتهن ، فعليهن العودة إليها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٧٤] .

أهم الأسس التي تُرَبَّى عليها المرأةُ :

١- الإيمان والعمل الصالح : حيث ضمن رسائله إلى النساء توصية لهن بذلك ، فقال : (اعلمن يقيناً ! أن اللذة الحقيقية في هذه الدنيا إنما هي في الإيمان وفي حدود الإيمان ، وأن في كل عمل صالح لذة معنوية ، بينما في الضلالة والغي آلاماً منغصة في هذه الدنيا أيضاً) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١٣] .

٢- التخلق والتأدب بآداب القرآن الكريم : حيث خاطب النساء قائلاً لهن : (إذا زُين ذلك الجمال بزينة آداب القرآن الكريم ، وروعي الرعاية اللائقة ضمن نطاق التربية الإسلامية ، فسيظل ذلك الجمال الفاني باقياً - معنى - ، وستمنح المرأة جمالاً هو أجمل وأبهى وأحلى من جمال الحور العين في الجنة الخالدة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٠٦] .

٣- الاحتشام والعفة : وهمـا أمـران مهمـان لحيـاة المـرأة الشـريفة ، لذلـك ركـز النورسي على ذلك ، وجعل السبيل إلى تحققهما عن طريق الحجـاب الـذي أمـر الله بـه في كتابه الكريم ، وقد وجه إلى النساء رسالة مهمة سماها " رسـالة الحجـاب " ، وعدهـا مـن أهم رسائل النور ، ابتدأها بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِنْ جَلابِيبِهِنّ** ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٥٩] .

ثم قـال : (هـذه الآيـة تـأمر بالحجـاب ، بينمـا تذهـب المدنيـة الزائفـة إلى خـلاف هـذا الحكـم الربـاني ، فـلا تـرى الحجـاب أمـراً فطريـاً للنسـاء ، بـل تعـده أسـراً وقيـداً لهن) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٩٩] .

وفي ذلك دليل على اهتمام النورسي بتربية المرأة تربية إسلامية صحيحة تُحَصن المرأة من خطر أهل الضلالة والسفه الذين يحبون أن تتربى المرأة على غير الإسلام ، وخاصـة بعـد أن عايش ذلك في عهد علمنة الدولة التركيـة ابتـداءً مـن كمـال أتـاتورك ومـروراً بتلاميـذه العلمانيين الذين لا زالوا في غيهم سامدين ، (فكـل يـوم نسـمع عـن قـرار جديـد لحكومـة يلماظ ، فمن إغلاق مدارس الأئمة والخطباء ، إلى إغلاق مراكز تحفيظ القرآن الكريم ، إلى منع ارتداء الحجاب في الدواوين الحكومية ودور التعليم ، إلى منع إطلاق اللحى ، إلى حظـر ارتداء العمامة والجبـة ، إلى منـع ممارسـة الشـعائر الإسـلامية في الجامعـة) [مجلـة المجتمـع ، عدد ١٢٦٥ ، تاريخ ١٤١٨/٤/٢٩هـ ، ص ٩] .

واهتم النورسي بأمر الحجاب لما في ذلك من فوائد تربوية تعود على المـرأة والأسـرة والمجتمع ، ومن أهمها :

أ – أنه أستر لحال المرأة ، لأن (ما يقرب من سبعة أعشار النساء إما متقدمـات في العمر ، أو دميمات لا يرغبن في إظهار شيبهن أو دمامتهن ، أو أنهن يحملن غيرة شديدة في ذواتهن يخشين أن تفضل عليهن ذوات الحسن والجمال ، وأنهن يتوجسن خيفة من التجاوز عليهن ، وتجنباً من أن يكنّ موضع تهمة في نظر أزواجهن ، بل نجد المسـنات أحـرص علـى الحجاب من غيرهن) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٠٠] .

ب – أنه صيانة للمـرأة مـن الوقـوع في الرذيلـة ، حيـث (أن أمـر القـرآن الكريـم بالحجاب – فضلاً عن كونه فطريـاً – يصـون النسـاء مـن المهانـة والسـقوط ، ومـن الذلـة والأسر المعنوي ، ومن الرذيلة والسفالة ، وهنّ معدن الرأفة والشـفقة ، ولوقـوع مثـل هـذه الاحتمالات بكثرة تتخوف النساء فطرة خوفاً حقيقياً من غـير المحارم ، وتتجنبهـم جبلـة ،

فتنبهها خلقتها الضعيفة تنبيهاً جاداً إلى التحفظ وتدفعها إلى التستر ، ليحول دون إثارة شهوة غير المحارم ، وليمنع التجاوز عليها ، وتدلها فطرتها على أن حجابها هو قلعتها الحصينة ، وخندقها الأمين) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٣٠٠-٣٠١] ، ثم ليعلمن أن (الطهر زينتهن ، والخلق هيبتهن ، والعفة جمالهن ، والشفقة كمالهن ، والأطفال لهوهن) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٧٤] .

جـ – أنه يتفق مع فطرة النساء ، حيث هو (أمر فطري للنساء تقتضيه فطرتهن ، لأن النساء جُبلن على الرقة والضعف) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٠٠] .

د – أنه يقوي الثقة المتبادلة بين الزوجين ، لأن (سعادة العائلة في الحياة واستمرارها إنما هي بالثقة المتبادلة بين الزوجين ، والاحترام اللائق والودّ الصادق بينهما ، إلا أن التبرج والتكشف يخل بتلك الثقة ، ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٠٢] .

هـ – أنه يدعو إلى كثرة النسل بسبب كثرة الزواج ، (وكثرة النسل مرغوبة لدى الجميع ، فليس هناك أمة ولا دولة لا تدعو إلى كثرة النسل ، وقد قال الرسول الكريم ﷺ : « تناكحوا تكثروا ، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة »[1] ، بيد أن رفع الحجاب وإفساح المجال أمام التبرج والتكشف يحد من الزواج ، بل يقلل من التكاثر كثيراً ، لأن الشاب مهما بلغ فسوقه وتحلله ، فإنه يرغب في أن تكون صاحبته في الحياة مصونة عفيفة ، ولا يريدها أن تكون مبتذلة متكشفة مثله ، لذا تجده يفضل العزوبة على الزواج ، وربما ينساق إلى الفساد ، أما المرأة فليست كالرجل ، حيث لا تتمكن من أن تحدد اختيار زوجها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٠٣] .

و – أنه يعمل على منع انتشار الرذيلة في المجتمع ، لأن (التبرج وعدم الحجاب هو الذي يثير النفس ، ويطلق الشهوات من عقالها يؤدي حتماً إلى الإفراط وتجاوز الحدود) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٠٤] .

ولهذه الفوائد وغيرها فإن النورسي اعتبر الحجاب مدرسة تربوية يربي المرأة على الحشمة والعفة وصيانة النفس والعرض مما يدنسهما ، وعصر النورسي كان بداية الانبهار

(١) هذا اللفظ لم يعثر الباحث على سند له ، ولكن ورد ما يتضمن معناه ، كما في قوله ﷺ : « تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة »[أخرجه الحاكم في المستدرك ، ج٢ ، ص ١٦٢ ، وقال صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي] [البغوي ، ١٤٠٧هـ ، ج٢ ، ص ٤٠١ ، برقم ٢٢٩٦] .

الشديد بحضارة أوربا ومدنيتها ، مما جعل الكثير من المسلمين يعجب بها ، ويحاول تقليد ما فيها دون تمييز أو تمحيص ، حتى ولو على حساب دينه وعرضه وشرفه ، فأسرع النورسي بتوجيه تلك الرسالة إلى نساء المسلمين تحذيراً لهن من الانخداع بمدنية الغرب السفيهة ، حتى لا يقعن فريسة التقليد الأعمى ، وصوناً لكرامتهن وشرفهن من الوقوع في الرذيلة باسم المدنية والتقدم ، وخاصة بعد أن (أطلقت المدنية السفيهة النساء من أعشاشهن ، وامتهنت كرامتهن ، وجعلتهن متاعاً مبذولاً ، بينما شرع الإسلام يدعو النساء إلى أعشاشهن رحمة بهن ، فكرامتهن فيها ، وراحتهن في بيوتهن ، وحياتهن في دوام العائلة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٧٤] .

المبحث الثالث : آراء تربوية مفيدة .

لكل داعية ومربٍّ طريقته وآراؤه في التربية ، قد تتوافق وقد تختلف حسب ظروف الزمان والمكان ، والنورسي له عدة آراء تربوية مفيدة ، منها :

١) **قواعد التوفيق في التربية** : حيث يرى أن التوفيق في التربية لها قواعد تسير عليها ، وأرجع ذلك إلى ما كان عليه الرسول ﷺ ، حيث رد على من يرى تغيير الأفكار والأخلاق بواسطة الترهيب والتخويف ، وأن ذلك لا يجدي وإن ظهرت بعض الإيجابيات ، فإن ذلك لزمن محدود ، حيث قال : (إن تدوير أفكار العموم وإرشادها بحيل الترهيب والترغيب والخوف والتكليف إنما يكون تأثيرها جزئياً سطحياً مؤقتاً يسد طريق المحاكمة العقلية في زمان ، أما من نفذ في أعماق القلوب بإرشاده ، وهيج دقائق الحسيات ، وكشف أكمام الاستعدادات وأيقظ الأخلاق ، وأظهر الخصائل المستورة ، وجعل جوهر إنسانيتهم فواراً ، وأبرز قيمة ناطقيتهم ، فإنما هو مقتبس من شعاع الحقيقة ومن الخوارق للعادة ، بينما ترى شخصاً في قساوة قلبه يقبر بنته حية ولا يتألم ولا يتأثر ، إذ تراه بعد يوم - وقد أسلم - يترحم على نحو النمل ، ويتألم بألم حيوان ، فبالله عليك أينطبق هذا الانقلاب الحسي على قانون ؟. فانتخب أيها المعاند من أكمل الفلاسفة مائة ، فليسعوا مائة سنة ، فإن فعلوا جزءاً من مائة جزء مما فعله محمد العربي عليه الصلاة والسلام بالنسبة إلى زمانه ، فإن لم تفعل ولن تفعل فاتقِ عاقبة العناد !) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٦٩-١٧٠] .

ثم ذكر بعد ذلك مباشرة أن من أراد التوفيق في التربية يلزم عليه أن يلتزم بقواعد ثابتة ، ومن أهمها :

أ – الإيمان بسنن الله الجارية في الكون والحياة .
ب – الاحترام لروابط المجتمع المختلفة .

وقد أشار إلى هاتين القاعدتين بقوله : (اعلم أن من أراد التوفيق يلزم عليه أن يكون له مصافاة مع عادات الله ، ومعارفة مع قوانين الفطرة ، ومناسبة مع روابط الهيئة الاجتماعية ، وإلا أجابته الفطرة بعدم الموفقية) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٧٠] .

جـ – التمسك بالحق والثبات عليه ، وأشار إليه بقوله : (من ساعده التوفيق في ذلك الجريان كمحمد ﷺ يثبت أنه متمسك بالحق) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٧٠] .

د – أن تكون الشريعة الإسلامية مصدرَ التربية ، وأشار إلى ذلك بقوله : (تأمل حقائق الشريعة مع تلك المصادمات العظيمة والانقلابات العجيبة ، وفي هذه الأعصار المديدة تراها قد حافظت على موازنة قوانين الفطرة وروابط الاجتماعيات ، إن الإسلامية هي الدين الفطري لنوع البشر ، وإنها حق ، لهذا لا ينقطع إن رقّ) النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٠] .

هـ – الثقة والاطمئنان بنجاح التربية .
و – الاتصاف بالأخلاق الحسنة في جميع المناسبات .
ز – معرفة عادات وأخلاق الأفراد والمجتمعات السيئة والعمل على اقتلاعها بحكمة وحسن معاملة .
حـ – القدرة على غرس الأخلاق الفاضلة بحكمة .

وقد أشار إلى هذه القواعد الأربع بقوله : (اعلم أن محمداً الهاشمي – عليه الصلاة والسلام – مع أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب ، ومع عدم قوته الظاهرية وعدم حاكميته له أو لسلفه ، وعدم ميلِ تحكمٍ وسلطنة ، قد تشبث بقلبه بوثوق واطمئنان في موقع في غاية الخطر وفي مقام مهم ، بأمر عظيم ، فغلب على الأفكار ، وتحبب إلى الأرواح ، وتسلط على الطبائع ، وقلع من أعماق قلوبهم العادات والأخلاق الوحشية المألوفة الراسخة المستمرة الكثيرة ، ثم غرس في موضعها في غاية الإحكام والقوة أخلاقاً عالية وعادات حسنة) النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص١٧٠-١٧١] .

ط – الصدق في القول والعمل ، وأشار إليه بقوله : (أفلا تدل هذه الحالة على أن

مسلكه حقيقة ، وأنه صادق في دعواه) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧١] .

فطريقة محمد ﷺ هي الأمثل والأصوب والأسلم ، فعلى المربين التمسك بها ليتحقق معنى التربية الإسلامية الحقة .

٢) حقائق تربوية :

هناك حقائق تربوية أشار إليها النورسي في رسائله قد يتفق مع غيره في بعضها ، وقد ينفرد بالبعض الآخر ، ومن أهم هذه الحقائق :

أ – المربي الحق هو الله تعالى ، حيث تحدث عن قوله تعالى : ﴿ **الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين** ﴾ فقال : (أي الذي يربي العالم بجميع أجزائه ، واعلم أن الله ﷻ عين لكل شيء نقطة كمال ، وأودع فيه ميلاً إليها ، كأنه أمره أمراً معنوياً أن يتحرك به إليها ، وفي سفره يحتاج إلى ما يمده ، ودفع ما يعوقه ، وذلك بتربيته ﷻ) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨] .

ثم يقول في موضع آخر : (على الرغم من أن النتيجة الظاهرة لصلاة الاستسقاء هي نزول المطر ، فإن نتيجتها الحقيقية والأصلية والنافعة وثمراتها الجميلة الطيبة هي إدراك الجميع أن الذي يربيه ويغذيه ليس والديه ، ولا محله ، ولا دكانه ، بل من يرسل السحاب الثقال بالماء الثجاج ، فهو الذي يرسل إليه الرزق) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٤١] .

نعم ، (إن المربي الحق على الإطلاق هو الله تعالى ، لأنه هو الخالق ، خالق الفطرة وواهب المواهب ، وهو الذي سن سنناً لنموها وتدرجها وتفاعلها ، كما أنه شرع شرعاً لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها) [الباني ، ١٤٠٣هـ ، ص ١٣] .

ب – الأم هي أستاذ التربية والتعليم الأول ، حيث قال : (إن أول أستاذ الإنسان وأكثر من يؤثر فيه تعليماً إنما هو والدته) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٠٨] .

ثم يؤكد على ذلك بما حصل له في حياته من تربية حسنة رسخت في ذهنه حتى عند كبره ، وأنها كانت من أمه ، فيقول : (أقسم بالله أن أرسخ درس أخذته وكأنه يتجدد عليّ إنما هو تلقينات والدتي – رحمها الله – ودروسها المعنوية ، حتى استقرت في أعماق فطرتي ، وأصبحت كالبذور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين ، رغم أني قد أخذت دروساً من ثمانين ألف شخص ، بل أرى يقيناً أن سائر الدروس إنما

تبنى على تلك البذور) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٠٩] .

فالأم مدرسة مهمتها تربية الأجيال ، فصلاحها صلاحٌ للأمة ، وفسادها فساد للأمة ، لذلك يجب الاعتناء بها ، وتربيتها تربية إسلامية ، لأن الأمة إذا أرادت أن تنهض كما نهضت من قبل لتحتل مكانها المنوط بها والذي شرفها الله به ، فما عليها إلا (أن تحسن تربية المحاضن الأولى وتهذيبهن بآداب الإسلام ، وتعلمهن بعلومه ، حتى تتحول فعلاً إلى مدرسة ، كما قال حافظ إبراهيم - رحمه الله -) :

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعباً طيب الأعراق

[البار ، ١٤١٥هـ ، ص ٧٣] .

جـ - التربية الإسلامية سعادة وهناء ، والتربية الأوربية شقاء وتعاسة ، ولذلك ضرب مثلاً بحسن عشرة الزوج - الذي تربى تربية إسلامية - لزوجته ، وتعاسة عشرة الزوج الذي تأثر بالتربية الأوربية ، فقال : (إن زمننا هذا لا يشبه الأزمنة الغابرة ، فلقد تمكنت التربية الحديثة " الأوروبية " في المجتمع عوضاً عن التربية الإسلامية طوال نصف قرن من الزمان ، إذ بينما الذي يتزوج ليحصن نفسه من الآثام ، وليجعل زوجته صاحبته الأبدية ومدار سعادته الدنيوية بدافع من تربية الإسلام ، تراه يجعل تلك الضعيفة المنكوبة - بتأثير التربية الأوروبية - تحت سطوته وتحكمه الدائم ، ويحصر حبه لها في عهد شبابها وحده ، وربما يزجها في عنت ومشقات تفوق كثيراً ما هيأ لها من راحة جزئية ، فتمضي الحياة في عذاب وآلام ، ولاسيما إن لم يكن الزوج كفؤاً - بالاصطلاح الشرعي - ، حيث الحقوق الشرعية لا تراعى) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٤١] .

د - مهمة المربي الإخلاص في العمل ، وأما التوفيق والقبول فمن الله وحده ، حيث وجه طلابه إلى العمل بالقرآن والإخلاص فيه ، أما التوفيق في ذلك وقبول الناس له فليس مهمتهم ، وإنما هو بيد الله تعالى ، فإذا غُلِب الإنسان أو أوذي في سبيل الله فلا ينهزم أو يتقاعس عن الدعوة والتربية بحجة عدم التوفيق والقبول ، حيث قال : (إن وظيفتنا العمل للإيمان والقرآن ، أما أحراز التوفيق ، وحمل الناس على القبول ودفع المعارضين فهو مما يتولاه الله سبحانه ، نحن لا نتدخل فيما هو موكول إلى الله ، حتى إذا غُلبنا فلا يؤثر هذا في قوانا المعنوية وخدماتنا ، وينبغي القياس وفق هذه النقطة ، فقد قيل لجلال الدين خوارزم شاه - وهو القائد العظيم في عهده - : ستنتصر على جنكيزخان ، فقال : إن مهمتنا الجهاد ، أما جعلنا غالبين أو مغلوبين فهذا ما يتولاه الله سبحانه ، ولا

أتدخل أنا فيه) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٤٥] .

هـ – صلاح التربية في حسن اختيار المنهج التربوي ، فالمربي يختار من العلوم أسلمها وأصلحها ، ويسلك من الطرق أيسرها وأنفعها حتى يسهل على المربّى تقبلها ويشعر بفائدتها ، ولذلك قال النورسي في حق المربي : (إن العالم المرشد ينبغي أن يكون كالشاة لا كالطير ، فالشاة تطعم بَهْمَتَها اللبن ، والطير تُلْقِم فراخها القيء) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٠٣] .

فعلى المربي أن يميز بين ما هو صالح للتربية ، فيكون صافياً سائغاً تَقَبّله كما وصف الله اللبن بقوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِين** ﴾ [سورة النحل : آية ٦٦] .

وبين ما هو مضر لا تقبله النفوس وتنفر منه الطبائع كما هو حال القيء الذي لا يستسيغه إلا الكلب ، كما وصف الرسول ﷺ العائد في هبته أو عطيته بقوله : « العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه » [أخرجه مسلم في كتاب الهبات ، باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض ، ج٢ ، ص ١٠٠٦] .

و – تربية الجاهل الأمي أيسر من تربية الجاهل المتعلم ، فالأمي يقع في الخطأ عن جهل به ، ومتى علم خطأ عمله رجع إلى الصواب إذا صُوب ، أما إذا وقع المتعلم في الخطأ وهو يعلم ذلك فقد يكون من قبيل العناد والتكبر ، وهذا ما منع الكثير من أحبار ورهبان اليهود والنصارى من قبول الحق ، مع علمهم به ، وأنه في دين الإسلام وفي رسالة محمد ﷺ ، ولحق بهم زعماء قريش وسادتهم ، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةَ ، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ ، أَفَلا تَذَكَّرُون** ﴾ [سورة الجاثية : آية ٢٣] ، فقوله تعالى : ﴿ **وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ** ﴾ (يحتمل قولين : أحدهما : وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك ، والآخر : وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه ، والثاني يستلزم الأول ، ولا ينعكس) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٦ ، ص ٢٦٨] .

ولذلك قال النورسي : (إن دفع الضلالة والفساد سهل ويسير إن كانت آتية من الجهل ، بينما إزالتها عسير جداً إن كانت آتية من العلم ، ففي هذا الزمان تأتي الضلالة من العلم ، لذا لا يمكن إزالتها وإنقاذ من تردى فيها من الجيل المقبل إلا بأن يكون لديهم مؤلفاً كاملاً كرسائل النور) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٣٥] .

٣) معوقات التربية :

الصراع بين الحق والباطل قديمٌ قِدَمَ خلق آدم عليه السلام ، وعصيان إبليس عن السجود له ، وكل عمل صالح فهو من قبيل الحق ، فلا بد له من معوقات تعترض سبيله ، والتربية الإسلامية عنصر أساسي في الحق ، فلا بد لها من معارضين ، ولا بد لها من معوقات ، ولكن الصبر والاحتساب والإخلاص أسس قوية لاستمرارها ونجاحها ، والنورسي ذكر في رسائله عدداً من المعوقات للتربية في عصره ، من أهمها :

أ – أهل الضلالة والشر : حيث لا يرغب هؤلاء في انتشار الخير بين الناس ، بل يريدون انتشار الشر والفساد في المجتمع لتحقيق مآربهم ، ولذلك يعملون على وضع العراقيل والمعوقات في سبيل أهل الخير والصلاح ، وكما قال النورسي رحمه الله : (إن الضلالة والشر بأكثريتها المطلقة شيء عدمي وسلبي وغير أصيل ، وهي إخلال وتخريب ، أما الهداية والخير فهي بأكثريتها المطلقة ذات وجود ، وشيء إيجابي وأصيل ، وهي إعمار وبناء ، ومن المعلوم أنه يتمكن رجل واحد في يوم واحد أن يهدم ما بناه عشرون رجلاً في عشرين يوماً ، ولهذا سار المثل " التخريب أسهل من التعمير " ، فهذا هو السر في أن أهل الضلالة بقدرتهم الضعيفة حقاً يغلبون أحياناً أهل الحق الأقوياء جداً ، ولكن لأهل الحق قلعة منيعة ما أن يتحصنوا بها ويلوذوا بها ، فلا يجرؤ أن يتقرب إليهم أولئك الأعداء المخيفون ، ولا يمكنهم أن يمسوهم بسوء ، ولئن أصابهم شيء منهم مؤقتاً فالفوز والثواب الأبدي الذي ينتظرهم في بشرى القرآن الكريم ﴿ **وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٢٨] ، يذهب أثر ذلك الضر والقرح ، وتلك القلعة الشامخة ، وذلك الحصن المنيع هي الشريعة الإسلامية وسنة النبي ﷺ) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١١٠] .

ب – أهل النفاق : لأن (الإسلام ما رأى ضرراً مثل ما رأى من أنواع النفاق وشعباته المنتشرة كالسم في عناصر العالم الإسلامي) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٩٥] .

والمنافق أشد خطراً من غيره ، لأنه يتظاهر لأهل الحق بأنه معهم ، ولكن في الخفاء يبطن العداوة والبغض للإسلام وأهله ، ولذلك قال الله في حقهم : ﴿ **وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَواْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئون** ﴾ [سورة البقرة : آية ١٤] ، وبهذه الصفات للمنافقين قد يغتر بهم كثير من الناس ظناً منهم أنهم على الحق ، وهم على العكس من ذلك ، فيقلدونهم في الأعمال

ويصدقونهم في الأقوال ، ولا شك بأن المجتمعات الإسلامية ابتليت بهم ليس في عصر النورسي ولا بعده ، بل منذ عهد رسول الله ﷺ ، فهم من المعوقين لانتشار الخير والصلاح على الوجه الصحيح .

ج - **أهل البدع والزندقة** : حيث ذكر النورسي أنهم يعملون على تهوين شخصية المربي لدى طلابه ، ويشيعون لديهم أن الدين ليس محصوراً لدى ذلك المربي ، حتى يصرفون الأنظار عنه ، بل يعمدون إلى السذج من أهل الدين والعلماء ، فيجعلونهم أداة للزندقة ونشر الإرهاب والفوضى ، فقال في ذلك : (ويبينون نقائصي وضعف شخصي بالذات للأركان من طلاب النور ، بجنب أشخاص ذوي دين مشهورين من أهل البدعة قائلين لهم : ونحن أيضاً مسلمون ، فليس الدين محصوراً بمسلك سعيد ، ويستغفلون السذج من أهل الدين والعلماء ويجعلونهم أداة للزندقة ونشر الإرهاب والفوضى) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٨١] .

د - **مصاحبة الفاسقين** : الصحبة والمخالطة إما مفيدة وإما مضرة ، فعلى المرء أن ينظر إلى من يصاحبه ، فإن كان صالحاً فصحبة مباركة مفيدة بإذن الله ، وإن كان فاسقاً فصحبة مضرة مؤثرة ، فعليه أن يمتنع عن ذلك ، وفي حديث رسول الله ﷺ ما يوضح ذلك ، حيث قال : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ، ج٤ ، ص ١٦٠٨ ، برقم ٢٦٢٨] .

ويوضح النورسي لطلابه أن أهل الضلالة والنفاق قد غيروا خططهم تجاههم من العداوة إلى المخالطة والمصاحبة ، ليصدوهم عن التربية ، فقال : (ولقد غيروا خطتهم هنا ، إذ بدأوا باسم الصداقة والحلول بين طلاب رسائل النور - تاركين الهجوم العدائي - ليحملوهم على التخلف عن خدمة رسائل النور ، فيوجدون لهم مشاغل الوظائف ، أو يرفعون من مرتبهم ويحولونهم إلى وظائف أخرى أو أية مشغلة أخرى) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٦٧-١٦٨] ، وكما قال الشاعر[(١)] :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

(١) هذا البيت لعدي بن زيد ، كما ذكره صاحب لآلئ الشعر ، ١٩٩٦م ، ص ١٣٣ .

فعلى المربي أياً كانت مسؤوليته في التربية أن يختار الصحبة الصالحة لمن هم تحت رعايته ، وإبعادهم عن مصاحبة الفاسدين ، حتى لا يقعوا فيما يخل بدينهم أو أخلاقهم ، وخاصة في زماننا هذا الذي كثر فيه الأشرار ، وتنوعت طرق الإفساد ، وأصبحت التربية أمراً صعباً ، ولكن بالصبر والمجاهدة وحسن الطرق يبلغ المربي مراده بإصلاح من هم تحت رعايته ومسؤوليته بإذن الله تبارك وتعالى .

الباب الثالث : أهم الجوانب التربوية في فكر النورسي

توطئة :

إن القارئ للتراث العلمي الذي خلفه النورسي - رحمه الله تعالى - يجد الأفكار والآراء التربوية ذات الجوانب المختلفة ، والتي تتناسب ومكانة هذا الإنسان ووظيفته السامية ، مراعية الشمولية والفردية والجماعية ، والدنيا والآخرة ، جاعلة الإنسان (يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين ، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٤٨] ، ظهر ذلك جلياً في أغلب رسائله ، وبعد دراسة متأنية من الباحث لهذا التراث وجد أن أهم الجوانب التربوية التي تحدث عنها النورسي وركز عليها اهتمامه ، هي أربعة جوانب ، أولها الجانب الإيماني الذي هو أساسها وأُسها ، لأن (أساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو " معرفة الله تعالى " ، كما أن أس هذا الأساس هو " الإيمان بالله جل وعلا ") [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٥] .

ثم يأتي الجانب الفكري المقترن بنور الإيمان الذي يدعو الإنسان إلى (التأمل والتفكر في خلق الله) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٩] .

ثم يتبعه الجانب الخلقي وأهمية التحلي بمكارم الأخلاق والتربية عليها منذ التنشئة مشيراً إلى أن أكمل الناس أدباً وأفضلهم خلقاً هو " محمد ﷺ " لأن من (يمعن النظر في السيرة النبوية ويُحِطْ علماً بالسنة المطهرة يدرك يقيناً أن الله سبحانه وتعالى قد جمع أصول الآداب وقواعدها في حبيبه محمد ﷺ) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٨٧] .

ثم اهتم بالجانب الاجتماعي وتحدث عن الجوانب الاجتماعية في المجتمع الإسلامي محذراً الأمة من الأخطار المحدقة بهم عن طريق هذه الجوانب ، ومن التهاون بتفشي الأمراض الاجتماعية في الأمة موضحاً أسبابها ، داعياً إلى علاجها عن طريق الرجوع إلى الإيمان الحقيقي ، وخاصة الإيمان باليوم الآخر الذي هو (أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية ، وأساس جميع كمالاته ومُثِله وسعادته) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ١٠٤] .

وقد تم استخلاص هذه الأفكار التربوية الأربعة مع الجوانب المتعـددة لكـل فكـر من واقع رسائل النورسي في أربعة فصول ، هي :

الفصل الأول : التربية الإيمانية .

الفصل الثاني : التربية الفكرية .

الفصل الثالث : التربية الأخلاقية .

الفصل الرابع : التربية الاجتماعية .

الفصل الأول
التربية الإيمانية

تمهيد :

بالإيمان بمفهومه الشامل الكامل هو سر سعادة حياة الأفراد والجماعات في الدنيا والآخرة ، فلا سعادة ولا حياة حقيقية بدونه ، لأن (أسمى غاية للخلق ، وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية هو الإيمان با لله ، وأعلى مرتبة للإنسانية وأفضل مقام للبشرية هو معرفة ا لله ، وإن أزهى سعادة للإنس والجن ، وأحلى نعمة هي محبة ا لله النابعة من تلك المعرفة . إن جميع أنواع السعادة الحقة ، والسرور الخالص ، والنعمة التي ما بعدها نعمة ، واللذة التي لا تفوقها لذة ، إنما هي في معرفة ا لله ، في محبة ا لله ، فلا سعادة ولا مسرة ولا نعمة حقاً بدونها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٨٩] .

فالمال وإن كثر ينفد ، والجاه وإن عظُم يصغر ، والمناصب وإن تعددت لا تغدُ شيئاً ، وجميعها زائلة بزوال ذواتها ، أو بزوال أصحابها ، وأما الإيمان الحقيقي الذي استقر في القلب فإنه سَيُكْسِب صاحبه السعادة والطمأنينة والأمن والسلام في الدنيا ، ثم الفوز بجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ، (فكل من عرف ا لله حق المعرفة ، وملأ قلبه من نور محبته ، سيكون أهلاً لسعادة لا تنتهي ، ولنعمة لا تنضب ، ولأنوار وأسرار لا تنفد ، بينما الذي لا يعرف خالقه حق المعرفة ، ولا يكن له ما يليق من حب وودّ ، يصاب بشقاء مادي ومعنوي دائمين ، ويظل يعاني من من الآلام والأوهام ، ويضطرب من تفاهة حياته وعدم جدواها ولو كان سلطان الدنيا كلها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٨٩] .

والإيمان أساس التقوى والعمل الصالح ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، كما قال ا لله تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُون ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُون** ﴾ [سورة التوبة : آية ١٢٤،١٢٥] .

والإيمان أساس لجميع تحركات الفرد والجماعة كما في قوله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا ا لله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » [أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان ، ج١ ، ص ٦٦ ، برقم ٣٥] .

والتربية لها دور كبير في تنمية الإيمان وتقويته في النفوس بوسائل متعددة ، ثم في المحافظة عليه ، ومعالجة جوانب النقص إن حصلت ، ورسائل النور تحدثت عن الإيمان وأهميته في الدنيا والآخرة ، وذكرت بعض الوسائل التي تقوي الإيمان في النفوس ، أو تحافظ على صحته وسلامته من البدع والأهواء ، ثم المعالجة في حالة النقص والفتور .

والتربية الإيمانية ضرورة ملحة لكل فرد من أفراد الأمة ، ولذلك ركز عليها النورسي كثيراً في جوانب متعددة في رسائله ومؤلفاته ، لخصها الباحث في المباحث التالية :

المبحث الأول : مفهوم الإيمان .

١- تعريفه .

٢- مفهومه عند النورسي .

٣- التطابق والتوافق بين التعريف والمفهوم .

المبحث الثاني : أهمية الإيمان في حياة الإنسان .

المبحث الثالث : أساليب التربية الإيمانية .

١- الأساليب البنائية .

٢- الأساليب الوقائية .

٣- الأساليب العلاجية .

المبحث الرابع : ثمار التربية الإيمانية .

المبحث الأول : مفهوم الإيمان .

الحديث هنا عن الإيمان سيكون بمفهومه الشامل الذي يتضمن التعريف اللغوي والاصطلاحي ، ثم ما هو في مفهوم النورسي ، وما مدى التطابق والتوافق بين المفهومين .

١) تعريف الإيمان :

أ – المعنى اللغوي : الإيمان في اللغة معناه التصديق ، ومنه قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليه السلام : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [سورة يوسف : آية ١٧] ، أي يقولون : (ونحن نعلم أنك لا تصدقنا) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٤ ، ص١٤] .

فالإيمان إذاً هو مصدر (آمن يؤمن إيماناً ، فهو مؤمن ، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق) [ابن منظور ، ١٣٧٥هـ ، ج١٣ ، ص٢٣] .

ب – المعنى الاصطلاحي : تعددت آراء وأقوال الطوائف والفرق الإسلامية في المعنى الشامل للإيمان ، ولكن أحسن ما قيل في معناه ما ذكره جمهور العلماء ، وفي مقدمتهم السلف الصالح ، ثم سار على ذلك أعظم أهل السنة ، وهو (تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله ، مع إظهار الخضوع والقبول لما أتى به ، فهو اعتقاد بالجَنان ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان) [الزحيلي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٢] ، ومن ذلك قول الزجاج رحمه الله ، حيث قال : (الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشريعة ، ولما أتى به النبي ﷺ ، واعتقاده وتصديقه بالقلب ، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاكّ ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه لا يدخله في ذلك ريب) [ابن منظور ، ١٣٧٥هـ ، ج١٣ ، ص ٢٣] .

فحقيقة الإيمان الكامل أن يشتمل على ثلاثة أمور : (التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح) [النووي ، ١٣٩٢هـ ، ج١ ، ص ١٤٧] ، أي يدخل الإسلام في الإيمان ضمناً ، لأنه إذا ذكر الإيمان لوحده اشتمل على معنى الإسلام ، وكذلك العكس ، فهنا تعريف الإيمان اشتمل على معنى الإسلام ، لأن النطق والعمل بالجوارح إيمان ظاهر .

٢) مفهوم الإيمان عند النورسي رحمه الله تعالى :

لا يختلف مفهوم الإيمان عند النورسي عن المفهوم العام ، إلا أنه رحمه الله انطلق في تعريفه له من تقسيمه للإيمان إلى قسمين ، هما : إيمان تقليدي ، وإيمان تحقيقي ، وأوضح

أن (الإيمان التقليدي معرض لهجمات الشبهات والأوهام ، وأما الإيمان التحقيقي فهو أوسع منه وأقوى وأمتن ، وله مراتب كثيرة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٧٨] .

واهتمام النورسي بالإيمان التحقيقي المبني على العلم والذي هو الإيمان الحق ، وهو (قول اللسان ، وعقد القلب ، وعمل الجوارح ، أو بعبارة أخرى ، شهادة وعقيدة وعبادة) [جريشة ، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٥] .

وذكر النورسي ثلاث مراتب من مراتب الإيمان التحقيقي والذي يظهر أنه قصد بالمراتب الدرجات ، لأن الإيمان له درجات ، كما أشار إلى ذلك المصطفى ﷺ بقوله : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله ﷻ من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ... » الحديث [أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، ج٤ ، ص١٦٢٩ ، برقم ٢٦٦٤] .

من تلك المراتب ثلاثة هي على الترتيب : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ، وهي أقواها ، حيث قال : (ومنها مرتبة علم اليقين التي تقاوم الشبهات المهاجمة بقوة ما فيها من براهين ، بينما الإيمان التقليدي لا يثبت أمام شبهة واحدة ، ومنها مرتبة عين اليقين التي تضم مراتب كثيرة جداً ، بل لها مظاهر بعدد الأسماء الإلهية حتى تجعل الكون يتلو آيات الله كالقرآن الكريم ، ومرتبة أخرى منها هي مرتبة حق اليقين ، وهذه تضم مراتب كثيرة جداً ، فصاحب هذا الإيمان لا تنال منه جيوش الشبهات إذا هاجمته) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٧٨] .

وتوضيحاً لمعنى هذه المراتب الثلاث فإن (علم اليقين ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر ، وعين اليقين ما شاهده وعاينه بالبصر ، وحق اليقين ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار) [ابن تيمية ، ١٣٨١هـ ، ج١٠ ، ص ٦٤٥] .

ولهذا فإن (الفرق بين علم اليقين وعين اليقين كالفرق بين الخبر الصادق والعيان ، وحق اليقين فوق هذا ، وقد مُثِّلَت المراتب الثلاثة بمن أخبرك أن عنده عسلاً ، وأنت لا تشك في صدقه ، ثم أراك إياه ، فازددتَ يقيناً ، ثم ذقتَ منه ، فالأول علم اليقين ، والثاني عين اليقين ، والثالث حق اليقين) [ابن قيم الجوزية ، ١٣٩٣هـ ، ج٢ ، ص ٤٠٣] .

ومن منطلق هذا التقسيم للإيمان وذكر مراتب الإيمان الحق ، فإن النورسي رحمه الله يرى أن الإيمان (نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٥١] .

وهنا يشير إلى أن التوفيق للدخول في الإيمان هو بيد الله ، ولن يملكه غيره حتى حبيبه ومصطفاه محمد ﷺ لم يستطع هداية عمه أبي طالب إلى ذلك رغم حرصه عليه ، ولذلك قال الله تعالى في حقه : ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** ﴾ [سورة القصص : آية ٥٦] ، وهذه تسمى هداية التوفيق ، وأما هداية الدلالة والإرشاد فهي للرسل وأتباعهم من الدعاة المصلحين ، فلهم أن ينمو هذا النور في القلوب بما آتاهم الله من حسن التربية ، وذلك كما قال الله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلا الإيمان ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم** ﴾ [سورة الشورى : آية ٥٢] .

ولكن متى يسمى هذا النور إيماناً ؟. إنه عندما يشتمل على عنصرين : التصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ مع اليقين ، حيث (أن الإيمان هو النور الحاصل بالتصديق بجميع ما جاء به النبي عليه السلام تفصيلاً في ضروريات الدين وإجمالاً في غيرها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥١] .

وكذلك هو كما (علمنا القرآن الكريم أنه التصديق القلبي بوجود الخالق جل وعلا بصفاته المقدسة وبأسمائه الحسنى ، مستنداً إلى شهادة الكون جميعاً ، إنه – أي الإيمان – تطبيق لما جاء به الرسل الكرام عليهم السلام) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٩٥] .

وهنا جمع بين التصديق القلبي والنطق باللسان والعمل بالجوارح ، لأن تطبيق ما جاء به الأنبياء عليهم السلام يتطلب هذه العناصر الثلاثة ، فلا تطبيق حقيقي بدونها ، ولذلك قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُم** ﴾ [سورة البقرة : آية ٢١] : (إن المخاطب مكلف بجهات ثلاث : باعتبار قلبه بالتسليم والانقياد ، ومن جهة عقله بالإيمان والتوحيد ، وبالنظر إلى قالبه بالعمل والعبادة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٥٨] .

ثم أشار رحمه الله إلى أن الدين يشتمل على الإيمان الذي هو التصديق والعمل الصالح الذي لا يخرج عن مسمى الإسلام ، فقال : (إن الدين ليس عبارة عن الإيمان فقط ، بل العمل الصالح أيضاً هو الجزء الثاني من الدين) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٣٣٨] .

والعمل لا يكون إلا ظاهراً ، وهو الإسلام الذي ذكره رحمه الله تعالى بأنه دين التوحيد الخالص والعبودية الخالصة ، فقال : (إن الإسلام دين التوحيد الخالص ، يُسْقِط الوسائط والأسباب عن التأثير ، ويُهَوِّنُ من شأن أنانية الإنسان ، مُؤسِّساً العبودية الخالصة لله وحده ، فيقطع دابر كل نوع من أنواع الربوبيات الباطلة ، ويرفضها رفضاً باتاً بدءاً من ربوبية النفس الأمارة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٥٦٣] .

ثم أشار إلى أن الإيمان - الذي هو التصديق - لا يكفي لوحده ، كما أن الإسلام لوحده لا يكفي أيضاً ، بل لا بد من أن يجمع المؤمن بينهما ، فيجمع بين الاستسلام الباطن والظاهر حتى ينجو ويفوز ، ولذلك قال : (إن الإسلام بلا إيمان لا يكون سبباً للنجاة ، كذلك الإيمان بلا إسلام - على علم - لا يصمد ولا يَمْنَحُ النجاة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٩١] .

فالعمل المجرد من الإخلاص ، والإخلاص المجرد من العمل لا يتحقق مع أحدهما دون الآخر فوز في الآخرة ولا ثبات أمام الأهواء والشبهات والضلالات في الدنيا ، لأن (الذي يواجه الشيوعية في هذه البلاد ليس إلا الإيمان والإسلام ، فليس هناك دين أو مذهب آخر يجابههما) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٤٦] ، وهنا إشارة إلى الجمع بين الإيمان والإسلام في مسمى أحدهما .

٣) التطابق والتوافق بين التعريف والمفهوم :

الناظر إلى التعريف للإيمان في اللغة والاصطلاح ضمن المفهوم العام وبين مفهومه عند النورسي يجد توافقاً في كثير من الجوانب ، منها :

أ - **التوافق في التعريف اللغوي** الذي هو بمعنى التصديق حتى يصل إلى درجة اليقين .

ب - **التوافق في المفهوم الاصطلاحي** الذي يشمل الاعتقاد والنطق والعمل .

جـ - **أن الدين يتكون من الإيمان والإسلام** الذي هو التصديق والعمل الصالح .

د - **شمول معناهما عند ذكر أحدهما دون الآخر** ، لأن أحدهما لا يكفي في الفوز والنجاة والثبات للمؤمن في الدنيا والآخرة ، بل لا بد من شمول معناهما وتطبيقهما عند المؤمن أو المسلم حسب المسمى المراد .

هـ - **أن الإيمان المحقق الذي على علم ويقين أقوى بكثير من الإيمان التقليدي** الذي يسير على الجهل والأهواء ، وتتخلله البدع والخرافات .

و - **أن مصدر القول فيه ما جاءت به الأنبياء** ، وأولهم وإمامهم في ذلك محمد ﷺ ، وبذلك يتضح مدى التطابق والتوافق ، والنورسي يعتبر رسائل النور تفسيراً للقرآن الكريم ، والقرآن نزل ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾ [سورة الشعراء : آية ١٩٥] ، ويلحظ اهتمامه باللغة العربية في رسائله ، فالمصدر موحد ، والمنهل واحد ، والمقاصد والأهداف متقاربة .

المبحث الثاني : أهمية الإيمان لحياة الإنسان .

لا يعرف أهمية الإيمان في الحياة إلا أهل الإيمان الذين وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ**

زَادَتْهُمْ إِيمَانا ، وَعَلَى رَبِهِمْ يَتَوَكَّلُون ﴾ [سورة الأنفال : آية ٢] ، وكذلك من وصفهم الرسول ﷺ بقوله : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على من رضي بالله رباً ، ج١ ، ص ٦٥ ، برقم ٣٤] .

والمؤمن الصادق في هذه الحياة يشعر بذلك ، حيث يجد الإيمان بالله وحده دون سواه سلاحاً قوياً فعالاً في مصارعة أعدائه من شياطين الجن والإنس وهوى النفس الأمارة ، فلا يعتريه خوف ولا هلع ، ولا يصاحبه جبن أو إحجام عن الإقدام تطيراً أو تشاؤماً ، بل عزم صادق وتوكل قوي على الله تعالى ، وتفويض لأمر الله تعالى وقضائه وقدره مستشعراً قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ، هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون** ﴾ [سورة التوبة : آية ٥١] ، (أي نحن تحت مشيئته وقدرته ، وهو سيدنا وملجأنا ، ونحن متوكلون عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ص ٤٠٨] .

فالإيمان نور يضيء الطريق لمعرفة الحق من الباطل ، ويمنح صاحبه قوة تحصنه من الخوف والجبن والخور ، نعم ، (إن الإيمان نور ، وهو قوة أيضاً ، فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث ، مستنداً إلى قوة إيمانه ، فيبحر متفرجاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الإيمان والإسلام ، قائلاً : توكلت على الله ، ويسلم أعباءه الثقيلة أمانة إلى يد القدرة للقدير المطلق ، ويقطع بذلك سبيل الدنيا مطمئن البال في سهولة وراحة حتى يصل إلى البرزخ ويستريح ، ومن ثم يستطيع أن يرتفع طائراً إلى الجنة للدخول إلى السعادة الأبدية ، أما إذا ترك الإنسان التوكل فلا يستطيع التحليق والطيران إلى الجنة فحسب ، بل ستجذبه تلك الأثقال إلى أسفل سافلين) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٢] .

ولا غنى للإنسان عن الإيمان ، (لأنه أول سلاح يتسلح به المؤمن في مواجهة صراع الحياة ، وفي مجابهة مغريات الحياة ، سواء أكان المسلم مدافعاً أو كان مهاجماً ، وسواء أكان منتصراً أو كان ممتحناً ، وسواء أكان حاكماً أو محكوماً ، وسواء أكان فقيراً أو كان غنياً !!! فبدون الإيمان يبطل كل سلاح ، ويبطل كل إعداد ، وتبطل كل ذخيرة) [علوان ، ١٤١٢هـ ، ص ٢] .

ولذلك فإن النورسي عرف أهمية الإيمان لحياته ، وأنه لا سعادة له بدونه ، فكان تركيزه عليه لنفسه ولطلابه ، حيث أخذ يحدث نفسه قائلاً : (ترى ما اللذة الحقيقية لحياتي الدنيوية هذه ؟. وما سعادتها ؟.) فكانت الإجابة منه لنفسه : (راجعت الآية

الكريمة ﴿ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾[1] ، لأجد الجواب ، فرأيت وفهمت منها : أن أصفى لذة وأنقى سعادة لحياتي هذه إنما هو في الإيمان ، أي الإيمان الجازم بأني مخلوق مَن خلقني ورباني ، فأنا مصنوعُه وعبده وتحت رعايته وعنايته ومحتاج إليه كل حين ، وهو ربي وإلهي ، وهو الرحيم والرؤوف بي ، فإيماني هذا لذة ما بعدها لذة ، لذة كافية دائمة ، وسعادة خالصة نقية لا يعكرها ألم ، ففهمت من تلك الآية الكريمة كم يكون إذن عبارة " الحمد لله على نعمة الإيمان " عبارة جديرة ولائقة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٨٤] .

وهذه الآية الكريمة التي أشار إليها النورسي لها في القرآن ما يشابهها من مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُه ﴾ [سورة الطلاق : آية ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّواْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ ، لاَ إِلَهَ إِلاّ هُو ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم ﴾ [سورة التوبة : آية ١٢٩] .

وكلما زاد توكل الإنسان بناءً على زيادة إيمانه وقوته ، زاد توجهاً إلى الله تعالى وتعلقاً به دون غيره ، فلا يكترث بقصر العمر ، أو بما يواجهه في هذه الحياة التي (كلما توجهت[2] إلى الحي القيوم الباقي ، وكان الإيمان حياة وروحاً ممداً لها ، اكتسبت البقاء ، بل أعطت ثماراً باقية ، بل رقت وعلت إلى درجة الحظوة بتجلي السرمدية[3] ، وعندها لا ينظر إلى قصر العمر وطوله) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٨٤] .

والإيمان الصادق يحقق توحيد الإنسان لخالقه في كل شيء وتفويض الأمر إليه ، لأنه (يقتضي التوحيد ، والتوحيد يقود إلى التسليم ، والتسليم يحقق التوكل ، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٣] .

فالإيمان الصحيح يربي في الإنسان التوكل وتفويض الأمر إلى الله ، والتسليم بقضاء الله وقدره ، والعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه حسب تقدير الله ومشيئته ، وأن الأمة بأكملها لا تستطيع أن تجلب له نفعاً لم يقدّره الله له ، ولن تستطيع أن تدفع عنه ضراً قدّره الله عليه ، وهذا ما ربى الرسول ﷺ أصحابه عليه ، حيث قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنه ضمن توجيهات نبوية عدة : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » [أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٢٩٣ ، والترمذي في السنن ، كتاب

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٧٣ .

(٢) يقصد بها النفس ، لأن ما سبقها يدل على ذلك .

(٣) يقصد بها رؤية المؤمنين لله في الجنة .

صفة القيامة ، باب ٥٩ ، برقم ٢٥١٦ ، ج٤ ، ص ٦٦٧ وقال حسن صحيح ، وحسنه البغوي في المصابيح ، ١٤٠٧هـ ، ج٣ ، ص ٤٤٧ ، برقم ٤٠٩٥] ، فالمؤمن حق الإيمان يعلم أن الآجال والأرزاق بيد الله وحده دون سواه ، وبذلك يصل إلى منزلة عالية من الصبر والاحتساب والقناعة والشجاعة والكرم والبذل والعطاء .

فالإيمان إذاً يصنع في المؤمن الإخلاص في القول والعمل ، والمراقبة الذاتية في جميع حركاته وسكناته متذكراً مراقبة الله له في السر والعلن ومعيته له كما في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ، وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ، وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ القِيَامَةِ ، إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم** ﴾ [سورة المجادلة : آية ٧] ، وبهذا الإيمان والاعتقاد والانقياد والتسليم لله رب العالمين في كل ما يأخذ ويذر (يتحرر المؤمن من ربقة الهوى ، ونزعات النفس الأمارة ، وهمزات الشياطين ، وفتنة المال والنساء ، ويتحلى بالمراقبة لله والإخلاص له ، والاستعانة به ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع ، ويندفع بكليته إلى العمل بكل أمانة وجدية وإتقان ، بل يكون إذا مشى في الناس إنساناً سوياً ، وبراً تقياً ، وريحانة طيبة الشذى ، وشامة في المجتمع يشار إليه بالبنان) [علوان ، ١٤١٢هـ ، ص ٥] .

وهذا ما صنعه الإيمان في جيل الصحابة والتابعين الذي نهلوا من معين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فكانوا في سرهم وعلانيتهم سواء ، ينطبق عليهم قول الحسن بن هاني :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوتُ ولكن قل عليّ رقيبُ
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تُخفي عليه يغيب

المبحث الثالث : أساليب التربية الإيمانية .

تتنوع وسائل تربية الإيمان في النفوس بين وسائل تقويته ووسائل المحافظة عليه ، ثم وسائل المعالجة في حالة الضعف والنقص ، والمؤمن يعيش في هذه الدنيا بين أعداء متعددين يتمثلون في شياطين الإنس والجن ، وفي هوى النفس الأمارة بالسوء وشهواتها ، ولا شك أن أول هذه الوسائل وأهمها هي وسائل البناء والزيادة ، لأنها الأصل ، والنورسي يرى أن الوظائف في هذه الدنيا على قسمين : حسية ، ومعنوية ، واعتبر الإيمان – أي تربية الإيمان في النفوس – من الوظائف المعنوية ، وهو أهم وأجلّ وظيفة توجد بين البشر ، حيث (لا تنحصر الوظائف التي تستند إلى احترام الناس وطاعتهم في وظائف اجتماعية وسياسية وعسكرية تخص حياة الأمة الدنيوية ، إذ كما أن تزويد المسافرين بتذاكر سفر وجواز مرور وظيفة ، فإن منح وثيقة سفر للمسافرين إلى ديار الأبد ومناولتهم نوراً لتبديد ظلمات الطريق وظيفة جليلة ... فما دامت هناك وظائف معنوية تستند إلى حاجات

ضرورية معنوية ، وإن أهم تلك الوظائف هي الإيمان وتقويته والإرشاد إليه ، إذ هو جواز سفر في طريق الأبدية ، ومصباح القلب في ظلمات البرزخ ، ومفتاح دار السعادة الأبدية) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٦١] .

فوظائف المسلم ومسؤولياته في هذه الحياة تتعدد ، ولكن أهمها وظيفة تربية الناس على وسائل تقوية إيمانهم ، والعمل للمحافظة عليه ، ثم اتخاذ وسائل العلاج الناجحة المفيدة عند ضعفه أو نقصه ، وهذه الأساليب الثلاثة المهمة يندرج تحت كل واحد منها أساليب متنوعة ومتعددة .

١) الأساليب البنائية :

الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وقد وردت الأدلة بإثبات ذلك من القرآن والسنة وأقوال السلف ، فمن القرآن قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِم** ﴾ [سورة الفتح : آية ٤] ، وهذه الآية (نزلت لما رجع النبي ﷺ وأصحابه من الحديبية ، فجعل السكينة موجبة لزيادة الإيمان) [ابن تيمية ، د.ت ، ص ١٣٤] .

وكانت دليلاً عند الإمام (البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٦ ، ص ٣٣٠] .

ومن السنة قول الرسول ﷺ في حق النساء : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكنّ » [أخرجه البخاري في كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم ، ج١ ، ص ١٩٣ ، برقم ٢٩٣] .

فالآية أثبتت زيادة الإيمان ، والحديث أثبت نقصه ، (وكل نص يدل على زيادة الإيمان فإنه يتضمن الدلالة على نقصه وبالعكس ، لأن الزيادة والنقص متلازمان لا يُعْقَل أحدهما بدون الآخر) [العثيمين ، ١٤١٧هـ ، ص ٩٦] ، وكذلك سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه ، فقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان عنهم ، فهم أقرب عهداً لرسول الله ﷺ ، وأكثر فهماً لنصوص الكتاب والسنة من غيرهم ، وهم أعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، وقد وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء والمرسلين ، وأدركوا بهما حقائق الإيمان والعلوم ، فمن أقوالهم في زيادة الإيمان ونقصانه ما روي عن (عمير بن حبيب الخطمي ، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال : الإيمان يزيد وينقص ، قيل له : وما زيادته وما نقصانه ؟. قال : إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبّحناه فتلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا فتلك نقصانه) [ابن تيمية ، د.ت ، ص ١٣٢] ، وقال : (جندب بن عبد الله وابن عمر

وغيرهما : تعلمنا الإيمان ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً) [ابن تيمية ، د.ت ، ص١٣٣] .

والنورسي يرى أن الإيمان يزيد وينقص كذلك ، ولكن ما هو رأيه في الأساليب التي تزيد الإيمان وتنميه وتقويه في النفوس ؟. لقد أورد عدداً من الأساليب التي يُرَبَّى عليها الإنسان فتكونَ كفيلة بإذن الله في زيادة الإيمان وقوته ، ومن أهمها :

الأول : النظر في الآفاق والأنفس :

حيث أن (دلائل الوجود قسمان : آفاقي ، وأنفسي) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٥٧] ، وذلك إشارة إلى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحقّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِكَ أَنَّهُ عَلَى كُلّ شَيْءٍ شَهِيد** ﴾ [سورة فصلت : آية ٥٣] ، قال عطاء رحمه الله : (في الآفاق يعني أقطار السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال وغير ذلك ، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ، كما في قوله : ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرون** ﴾[1] [الشوكاني ، ١٣٨٣هـ ، ج٤ ، ص ٥٢٣] .

١) النظر في آيات الله الكونية :

ما خلقه الله سبحانه وتعالى في هذا الكون الواسع آيات دالة على وجود الله تعالى وعلى كمال عظمته وقدرته وشمول إحاطته وتدبيره ، وإنه الخالق المبدع المتصرف في شؤون هذا الكون كله دون شريك أو معين ، والمتأمل في أجزاء هذا الكون من الذرات إلى المجرات بصدق نية وتجرد من الأهواء والضلالات والبدع لا يسعه إلا أن يردد قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَاب ۞ الّذينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا ، سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النّار** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٩٠-١٩١] .

إن السماء ذات البعد الشاسع وذات الوسع الفسيح ، ثم الأرض ذات الانبساط ، وما أودعه الله فيهما (من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب وسيارات ، وثوابت

(١) سورة الذاريات : آية ٢١ .

وبحار ، وجبال وقفار ، وأشجار ونبات ، وزرع وثمار ، وحيوان ومعادن ، ومنافع مختلفه الألوان والطعوم والروائح والخواص) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٢ ، ص ١٧٥] ، كل ذلك براهين واضحة على عظم الخالق سبحانه وكمال قدرته ، ثم اختلاف الليل والنهار ، يدل على أن هناك خالقاً مدبراً يصرف الأمور بعلم وحكمة ، (فتارة يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يعتدلان ، ثم يأخذ هذا من هذا ، فيطول الذي كان قصيراً ، ويقصر الذي كان طويلاً ، وكل ذلك تقدير العزيز العليم) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٢ ، ص ١٧٥] ، ولكن من يدرك حقيقة هذا الكون وأنه من صنع عليم خبير قدير ، إنهم أولو الألباب ، الذين هم (أولو الإدراك الصحيح ، يفتحون بصائرهم لاستقبال آيات الله الكونية ، ولا يقيمون الحواجز ، ولا يغلقون المنافذ بينهم وبين هذه الآيات ، ويتوجهون إلى الله بقلوبهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، فتتفتح بصائرهم وتشف مداركهم ، وتتصل بحقيقة الكون التي أودعها الله أياه ، وتدرك غاية وجوده ، وعلة نشأته ، وقوام فطرته) [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ج١ ، ص ٥٤٤] .

والنورسي رحمه الله ركز كثيراً في رسائله ودروسه لطلابه على التربية الإيمانية ، لأنه رأى ضعف الإيمان في النفوس بسبب هجوم أهل الكفر والزندقة والإلحاد باستخدام الوسائل المتعددة ، ولهذا حرص كثيراً على توجيه العقول إلى التأمل والتفكر والتدبر فيما أودعه الله تعالى في هذا الكون من عجائب قدرته وصنعته ، لأن ذلك يصل بالملحد الكافر إلى الإيمان بربه وخالقه إذا أطلق لبصره وعقله حرية النظر والتفكر السليمَين ، فضلاً عن أن يكون ذلك من مؤمن ضَعُف إيمانه ، ولذلك ضمَّن رسائله المتعددة ما يدعو طلابه إلى ذلك ، حيث تحدث في كثير من أجزاء رسائله عن جزئيات هذا الكون وما فيه من علامات واضحات تدل على وجود الله ووحدانيته وكمال عظمته وقدرته ، لأن (كل من أتى ضيفاً إلى مملكة هذه الدنيا ويحل في دار ضيافتها ، كلما فتح عينيه ونظر رأى مضيفاً في غاية الكرم ، ومعرضاً في غاية الإبداع ، ومعسكر تدريب في غاية الهيبة ، ومنتزهاً جميلاً في غاية الروعة ، ومشهداً في غاية الإثارة للشوق والبهجة ، وكتاباً مفتوحاً ذا معانٍ في غاية البلاغة والحكمة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤١] .

وقد أفرد الحديث عن الكون برسالة خاصة أطلق عليها " الآية الكبرى " ، وجعلها ضمن الشعاع السابع من كتاب الشعاعات ، وأوضح قصده بهذا العنوان بقوله : (مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤١] .

وابتدأ رحمه الله رسالته هذه بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُورا** ﴾ [سورة الإسراء : آية ٤٤] مذكراً هذا السائح بأن كل ما في الوجود في حالة تسبيحٍ وعبادةٍ وذكرٍ لله سبحانه وتعالى اعترافاً وتذللاً وطاعة للخالق الرازق المبدع ، وإن كان لا يسمع الإنسان هذا الدعاء وهذا الذكر والتسبيح ، لأن حقيقة هذا الكون بخلاف ما قد يظهر لهذا الإنسان ، لأن سمعه وبصره لهما حدود وقدرة ، وذلك كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا وُضِعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت : قدموني ، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها : يا ويلها ، أين يذهبون بها ، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعه الإنسان لصعق » [أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب قول الميت قدموني ، ج٢ ، ص ٥٦١ ، برقم ١٢٢٨] .

فالسائح في هذا الكون عليه أن يفكر في هذه الكائنات المسبحات لله وحده دون سواه ، فينضم إليها معترفاً بخالقه ، موحداً له ، منزهاً إياه من الشركاء والأنداد والأشباه ، ثم يتوجه إلى الله وحده في عبادته وطاعته .

وابتدأ النورسي رسالته بدعوة هذا الضيف السائح بالنظر إلى السماوات وما فيها من أجرام سماوية ، لأنها من أعجب دلائل التوحيد ، حيث (أن آيات كثيرة في القرآن الكريم – أمثال هذه الآية العظمى – تذْكر في مقدمة تعريفها لخالق هذا الكون " السماوات " التي هي أسطع صحيفة للتوحيد ، بحيث ما يتأمل فيها متأملٌ إلا تغمره الحيرة ويغشاه الإعجاب ، فيستمتع بمطالعتها بكل ذوق ولذة ، فالأولى إذن أن يُستَهَلَّ بها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤١] .

ويقول رحمه الله تعالى : (وبينما يولع الضيف السائح أن يعلم ويتعرف على صاحب هذه الضيافة الكريمة ، وعلى مؤلف هذا الكتاب الكبير ، وعلى سلطان هذه المملكة المهيبة إذا بوجه السماوات الجميل المتلألئ بالنجوم النيرة يطلّ عليه منادياً : انظر إليّ فأنا أعرفك بالذي تبحث عنه ، فينظر السائح ويرى أن ربوبية ظاهرة تتجلى في رفعها مئات الألوف من الأجرام السماوية بلا عمد ولا سند ، منها ما هو أكبر من أرضنا ألف مرة ، وما هو أسرع انطلاقاً من القذيفة بسبعين مرة ، وفي تسييرها وجريها تلك الأجرام معاً بسرعة فائقة بلا مزاحمة ولا مصادمة ، وفي إيقادها تلك القناديل المتدلية التي لا تعد بلا زيت ولا انطفاء ، وفي إدارتها تلك الكتل الهائلة التي لا حد لها بلا ضوضاء ولا صخب ولا

اختلال ، وفي تسخيرها تلك المخلوقات العظيمة في مهام معينة كاستسلام الشمس والقمر لأداء وظائفهما دون إحجام أو تلكؤ ، وفي تصريفها هذا العدد الهائل الذي لا تحدّه الأرقام ضمن ذلك البعد الشاسع غير المتناهي ما بين دائرة القطبين تصريفاً يجري في الوقت نفسه ، وبالقوة نفسها ، وبالطراز نفسه ، وبسكة الفطرة نفسها ، وبالصورة نفسها ، ومجتمعة دون أن تصاب بأدنى نقص أو خلل ، وفي إخضاعها تلك السيارات الضخمة التي تملك قوى هائلة منقادة مطيعة لقانونها دون أن تتجاوز أو تنحرف ، وفي جعلها وجه السماء صافياً نقياً يتنظف طاهراً مما تلوثه أنقاض تلك الأجرام المزدحمة دون أن يُرى عليه قذى ولا أذى ، وفي سوقها تلك الأجرام كأنها مناورة عسكرية منسقة وعرضها أمام المخلوقات المشاهدين كأنها مشاهد فِلم سينمائي بتدوير الأرض بالليل والنهار ، وتجديدها أنماط المناظر الطبيعية الخلابة المثيرة للخيال لتلك المناورة الرائعة وإبرازها في كل ليلة ، وهاله ما يرى من تجلي الربوبية الجليلة الظاهرة ، وما تظهر ضمن فعالياتها من حقيقة جلية مركبة من " التسخير والتدبير ، والإدارة ، والتنظيم ، والتوظيف " تشهد على وجوب وجود خالق تلك السماوات وعلى وحدته بعظمتها المهيبة هذه ، وبإحاطتها الكلية هذه ، وتشهد - كما هو مشاهد - بأن وجوده جلّ وعلا أجلى من وجود هاتيك السماوات) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٤٢-١٤٣] .

ثم يقول : (إن الفضاء الذي هو محشر العجائب ومعرض الخوارق ، والمسمى بـ " الجو " نادى بصوت هادرٍ ذلك الضيفَ السائحَ إليّ لأرشِدَك إلى من تبحث عنه بشوق ولهفة ، وأعرفَك بذاك الذي أرْسلك إلى هنا ، فينظر ، فيرى السحاب الذي عُلّق بين السماء والأرض يسقي روضة الأرض سقياً يتفجر حكمة ورحمة ، ويُمد سكنتها بالماء الباعث للحياة ملطفاً به شدة الحرارة ، ويدرك توا أينما كانت الحاجة ، فيُرْجِع بصره إلى عقله ، ويساور نفسه قائلاً : إن هذا السحاب الجامد الخالي من الشعور ، والمنفوش كالعهن ، لا شك أنه يجهلنا ولا يعرفنا ، ولا يمكن أن يسعى بنفسه لإمدادنا رأفةً بنا ورقّة لحالنا ، ولا يمكن أن يظهر بادياً في السماء ويختفي منقشعاً بدون آمر ، بل لا بد أنه يسعى في وظيفته وفق أمر صادر من آمر قدير مطلق القدرة ، ورحيم مطلق الرحمة ، حيث يختفي دون أن يعقب ، ثم يظهر فجأة ، متسلماً مهام عمله ، فيملأ عالم الجو ويفرغه بين الفينة والفينة ، تنفيذاً لأمر سلطان جليل مُتَعالٍ فعّال ، ثم ينظر السائح إلى الرياح التي تجول ، فيرى أن الهواء يستخدم في وظائف كثيرة في منتهى الحكمة والكرم استخداماً كأن كل ذرّة من ذرّات ذلك الهواء الجامد - وهي لا تملك شعوراً - تسمع وتعي ما يُلْقَى إليها من الأوامر الصادرة من سلطان هذا الكون ، فتؤدي خدمتها بقوة ذلك الآمر وهيمنته ،

وتنفذها بكل انتظام ودقة دون أن تتوانى في شيء منها ، ثم يحاور ذلك المسافر الشغوف عقله قائلاً : إن هذا الهواء الجامد الذي لا حياة له ولا شعور ، ولا ثبات له ولا هدف ، وهو في اضطراب دائم ، وهيجان لا يسكن ، وذا عواصف وأعاصير لا تهدأ ، تأتي إلى الوجود وتبرز مئات الألوف من الأعمال والوظائف والنعم والإمدادات العامرة بالحكمة والرحمة والإتقان ، مما يثبت - بداهة - أنه ليست لهذه الرياح الدائبة حركة ذاتية ، فلا تتحرك بذاتها أبداً ، وإنما يحركها أمر صادر من آمر قدير عليم مطلق ، وحكيم كريم مطلق ، وكأن كل ذرّة من ذرّاته تَفْهَمُ وتَسْمَع - كالجندي المطيع - كل أمر صادر من لدن ذلك الآمر وتدركه فتنقاد له ، وتقوم بهمة تنفس الأحياء جميعها ، وتساهم في إدامة حياتها ، وتشارك في تلقيح النباتات ونموها ، وتعاون في سَوْق المواد الضرورية لحياتها ، وسَوْقِ السحب وإدارتها ، وسير السفن التي لا وقود لها وتمخيرها وسياحتها ، وتتوسط خاصة في إيصال الأصوات والمكالمات والاتصالات عبر أمواج اللاسلكي والبرق والراديو ، وأمثال هذه الخدمات العامة الكلية ، فضلاً عن أن ذرّات الهواء مركبة من مواد بسيطة كالأوزون ومولد الحموضة " الأوكسجين " ، ومع تماثل بعضها لبعض ، فلا أراها إلا أنها تستخدم بيد حكيمة وبانتظام كامل في مئات الألوف من أنماط المصنوعات الربانية ، لذا حكم السائح قائلاً : حقاً مثلما صرّحت به الآية الكريمة ﴿ **وَتَصْرِيفِ الرِيَاحِ وَالسَّحَابِ الـمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ﴾ [سورة البقرة : آية ١٦٤] ، فإن الذي يجري أمره على الهواء ويستعمله في خدمات ووظائف ربانية غير محدودة ، بتصريف الرياح ، وفي أعمال رحمانية غير محدودة ، بتسخير السحاب ، ويوجد الهواء على تلك الصورة ، ليس إلا ربّاً واجب الوجود ، قادراً على كل شيء ، وعالماً بكل شيء ، ذا جلال وإكرام) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٤٣-١٤٥] .

ثم ينظر " ذلك السائح " إلى المطر فيرى أن تلك القطرات اللطيفة البراقة العذبة التي أُرسلت وأُغْدقت من خزينة الرحمة الغيبية تزخر بهدايا ووظائف غزيرة ، ولهذا أُطلق على المطر اسم الغيث والرحمة ، ثم يرجع بنظره إلى " الغيث " فيرى أنه مثقل بمنافع بعدد شآبيبه ، ويحمل تجليات رحمانية بعدد زخاته ، ويظهر حكيماً بقدر رشحاته ، ويرى أن تلك الفطرات العذبة اللطيفة المباركة تُخلَق في عناية الانتظام ، وفي منتهى الجمال والبهاء ، وبخاصة البَرَد الذي يُرْسَل - وينزل حتى صيفاً - بانتظام وميزان ، بحيث أن العواصف والرياح العاتية - التي تضطرب من هولها الكتل الضخمة الكثيفة - لا تخل في موازنة ذلك البَرَد ولا انتظامه ، ولا تجعله كتلاً مضرة جمعاً بين حباته ! فهذا الماء الذي هو جماد بسيط لا يملك شعوراً ، يستخدم في أمثال هذه الأعمال الحكيمة ، وبخاصة استخدامه في الإحياء

والتروية ، وهو المركب من مادتين بسيطتين جامدتين خاليتين من الشعور ، هما : مولد الماء ، ومولد الحموضة – الهيدروجين والأوكسجين – ، إلا أنه يستخدم في مئات الآلاف من الخدمات والصنائع المختلفة المشحونة بالحكمة والشعور ، فهذا الغيث إذاً ما هو إلا رحمة متجسمة بعينها ، ولا يتم صنعه إلا في خزينة الغيب رحمة " الرحمن الرحيم " ، وهو بنزوله وانصبابه على الأرض يُفَسِّر عملياً وبوضوح الآية الكريمة ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنْشُرُ رَحْمَتَه** ﴾ [سورة الشورى : آية ٢٨] .

ثم يصغي " ذلك السائح " ذاهلاً إلى الرعد ، وينظر مندهشاً إلى البرق ، فيرى أن هاتين الظاهرتين الجويتين العجيبتين تفسران تماماً الآيتين الجليلتين : ﴿ **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِه** ﴾ [سورة الرعد : آية ١٣] ، و ﴿ **يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَار** ﴾ [سورة النور : آية ٤٣] ، فإنهما تخبران كذلك عن قدوم الغيث ، فتبشران المعوزين الملهوفين ، نعم ، إن انطاق الجو المظلم بغتة بصيحة هائلة تزمجر وتجلجل ، وملء الظلام الدامس بنور يكاد يذهب بالأبصار ، وبنار ترعب كل موجود ، وإشعال السحب العظيمة كالجبال ، والمنفوشة كالعهن ، المحملة بالبرد والثلج والماء ، وما شابهها من هذه الأوضاع الحكيمة الغريبة ، لتنبه الإنسان الغافل وتوقظه ، وتلوح بالدُّرَّةِ على رأسه المخفوض قائلة : يا هذا ! ارفع رأسك وانظر إلى غرائب الصنعة وبدائع الخلقة للفعال القدير الذي يريد أن يعرِّف نفسه لعباده ، فكما أنك لست طليقاً سائباً مفلوت الزمام في هذا الوجود ، فلن تكون هذه الحوادث سدى ولا عبثاً ، بل كل منها تساق إلى وظائف حكيمة ، بخضوع واستسلام ، وكل منها يستخدم من لدن ربٍّ مدبر حكيم ، وهكذا يسمع هذا السائح الولوع شهادة سامية جلية لحقيقة مركبة من تسخير السحاب ، وتصريف الرياح ، وإنزال الغيث ، وتدبير الظواهر الجوية ، فيقول : آمنت بالله ، لا إله إلا الله الواجب الوجود الذي دل على وجوب وجوده الجو بجميع ما فيه ، بشهادة عظمةِ إحاطةِ حقيقةِ التسخير ، والتصريف ، والتنزيل ، والتدبير ، الواسعة المكملة بالمشاهدة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٤٥-١٤٧] .

ثم يدعو النورسي رحمه الله ذلك السائح المتفكر بعد أن تعرف على السماء وما فيها من عجائب قدرة الله ، يدعوه إلى النظر إلى الأرض وما أودعه الله فيها من الآيات المسبحات لله ، الدالات على وجوده وربوبيته سبحانه وتعالى ، فيقول : (ثم إن ذلك السائح المتفكر ، المعتاد على السياحة الفكرية ، هتفت به كرة الأرض بلسان حالها قائلة : لِمَ تجول في الهواء ، وتدور في أرجاء السماء والفضاء ؟. هلمّ إليّ لأُعَرّفك بالذي تبحث

عنه ، تأمل فيما أُزَاوِل من وظائف ، واقرأ مـا هـو مكتـوب في صحـائفي ، فـأخذ السـائح ينظر ، فيرى أن الأرض تخط بحركتيها في أطراف ميـدان الحشـر الأعظـم دائـرة تحصـل بهـا الأيام والسنون والفصول ، وهي كسفينة ربانية عظيمة حاملة لأكثر من مائة ألف نوع مـن أنواع ذوي الحياة ، مع جميع أرزاقها ومتطلباتها المعاشية ، فتمخر عباب الفضاء ، وتطـوف في رحلـة سياحية وتجـوال حـول الشـمس بكمـال الموازنـة والانتظـام الأتمّ ، ثـم ينظـر إلى صحائفهـا فـيرى أن كـل صحيفـة منهـا تعـرّف ربهـا بـآلاف آياتهـا ، " ومـن هـذه الصحائف " :

فصل الربيع المتجدد كل عام ، فيشاهد ذلك السـائح أن أفـراداً غـير محدوديـن لمائـة ألف من الأنواع تنفتح صورها وتنبسط من مـادة بسيطة بمنتهـى الانتظـام ، وتُربـى بمنتهـى الرحمة ، وتُنشر في الأرجاء بمنتهى السعة ، وتُمنح بذور قسم منها جنيحات رقيقـة للطـيران في غاية الإعجاز ، وأنها تُـدار بمنتهـى التدبـير ، وتُعيّـش وتغـذى بمنتهـى الشـفقة والرأفـة ، وتؤمَّن أرزاقها الوفيرة اللذيذة الطيبة بمنتهى الرحمة والإرزاق ، فتوافى من غير شـيء ، ومـن تـراب يـابس ، ومـن جـذور صلبـة كالعظـام ، ومـن بـذور متماثلـة ، ومـن قطـرات مـاء متشابهة ، وتُبعث من خزينة الغيب إلى ذوي الحياة كل ربيع - كحمولة قطار مشـحون - مائـة ألـف نـوع ونـوع مـن الأطعمـة واللـوازم بكـامل الانتظـام والاتسـاق . لقـد فهـم السـائح بمشـاهدة الصحيفـة الحياتيـة لـلربيع الجميـل أنهـا صـورة مـن صـور الحشـر والنشور بمئات الآلاف من النماذج والنظائر ، فهي تفسر عملياً تفسيراً محسوساً رائعاً الآيـةَ الكريمة ﴿ **فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ ا للهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا ، إِنَّ ذَلِـكَ لَمُحْيِـي الـمَوْتَى ، وَهُوَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير** ﴾ [سورة الروم : آية ٥٠] .

ثم أصبح ذلـك المسـافر المتفكـر كلمـا قـرأ صحيفـة قـوي إيمانـه الـذي هـو مفتـاح السعادة ، وزادت معرفته با لله التي هي مفتاح المدارج المعنوية ، وانكشفت لبصيرتـه درجـة أخرى من حقيقة الإيمان بـا لله الـذي هـو الأسـاس القويـم لجميـع الكمـالات ومنبعهـا الـثر العذب ، وبينما هو كذلك إذ به ينظر فيرى أن البحار التي تتماوج بحيويـة وتتلاطـم بشـدة دوماً ، والتي من شأنها التشتت والانسكاب والإغراق ، قد أحاطت بكـرة الأرض ، فهمـا تسيران معـاً في منتهـى السـرعة ، وتجريـان في سـنة واحـدة ضمـن دائـرة مقدارهـا خمـس وعشرون ألف سنة ، وعلى الرغم من كل هذا فهي لا تتفرق أبداً ، ولا تنسـكب مطلقـاً ، ولا تستولي على جارتها اليابسة ، فلا بد من أنها تسكن وتُسيَّر وتُحفظ بأمرِ من له القـدرة المطلقة ، والعظمة المطلقة .

ثم ينظر إلى " جوف البحر " فيرى علاوة على لآلئه المشعة التي هي في غاية الجمال والزينة والانتظام ، فإن إعاشة آلاف الحيوانات المتنوعة وإدارتها وتعيين مواليدها ووفياتها تجري في منتهى الانتظام والإتقان ، وأن مجيء أرزاقها ونشوء أقواتها من رمل بسيط ومن ماء أجاج ، ميسور وكامل ، بحيث يُثْبِت بداهة أنه لا يتم إلا بإدارة القدير ذي الجلال ، وإعاشة الرحيم ذي الجمال) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٤٧-١٤٩] .

ثم ينظر ذلك المسافر إلى الأنهار فيرى أن فيها من المنافع والمصالح ، ولها من الخدمات والوظائف وما تنتجه من مصاريف ، وما ترده من موارد محسوب بحكمة واسعة ، وبرحمة عظيمة ، بحيث تُثْبِت بداهة أن جميع الجداول والترع والينابيع والسيول والأنهار العظيمة تنبع وتجري من خزينة الرحمن ذي الجلال والإكرام ، بل إنها تخزن وتدخر ادخاراً خارقاً للمألوف ، فتصرف وتجري جرياً فوق المعتاد ، حتى ورد في الحديث الشريف ما معناه : أن أنهاراً أربعة تجري من الجنة[(١)] ، بمعنى أن جريان هذه الأنهار فوق حسابات الأسباب الأرضية بكثير ، لذا فهي لا تجري إلا من خزينة جنة معنوية لا ينضب ، ومن فيض منبع غيبي لا ينفد ، فمثلاً : هذا نهر النيل الذي حول صحراء مصر القاحلة إلى جنة الدنيا ، يجري كبحر صغير دون نفاد ، وينبع من جبل واقع في الجنوب يدعى جبل القمر ، فلو جُمِّعَت صرفياته لستة أشهر وجُمِّدَت لحصل ما هو أعظم من ذلك الجبل ، والحاصل أن ما خصص له من مكان للخزن لا يبلغ سدس ذلك الجبل . وهكذا رأى السائح شهادة واحدة وحقيقة واحدة من آلاف الشهادات والحقائق ، وفهم أن جميعها تردد معاً بالإجماع وبقوة عظمة البحار " لا إله إلا هو ") [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٥٠] .

ثم تدعو الجبال والصحاري ذلك المسافر المستغرق في السياحة الفكرية قائلة : ألا تقرأ صحيفتنا أيضاً ؟. فهو بدوره يحدق النظر ، ويرى أن وظائف الجبال الكلية وفوائدها العامة هي من العظمة والحكمة مما يحير العقول ، فمثلاً : بروز الجبال واندفاعها من الأرض بأمر رباني يهدئ هيجان الأرض ، ويخفف من غضبها وسخطها وحدتها الناجمة من تقلباتها الباطنية ، ويدعها تتنفس مستريحة بفوران تلك الجبال ومن خلال منافذها ، فتتخلص بذلك من الزلازل المهلكة ، والتصدعات المدمرة ، فلا تعد تسلب راحة الآمنين من سكنتها ، وكما ينصب على السفن الأعمدة والأوتاد حفاظاً على توازنها ووقايتها من التزعزع والغرق ، كذلك الجبال هي أوتاد ذات خزائن لسفينة الأرض ، تقيها من الزلزال

---

(١) إشارة إلى قول الرسول ﷺ : « سَيْحَان وجيحان والفرات والنيل ، كلٌّ من أنهار الجنة » [أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة ، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة ، ج٤ ، ص ١٧٣١ ، برقم ٢٨٣٩] .

وتثبتها ، وتحفظ توازنها ، وقد بين القرآن الكريم هذا المعنى في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ **وَالْجِبَالَ أَوْتَادا** ﴾[1] [سورة النبأ : آية ٧] ، وقوله : ﴿ **وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ** ﴾[2] [سورة الحجر : آية ١٩] ، وقوله : ﴿ **وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا** ﴾[3] [سورة النازعات : آية ٣٢] .

إن في جوف الجبال من أنوع الينابيع والمياه والمعادن والمواد والأدوية التي يحتاج إلى كل منها ذوو الحياة ، قد ادخرت بحكمة ، وأحضرت بكرم ، وخزنت بتدبير ، بحيث تُثْبِت بداهة أن هذه الجبال هي خزائن ومستودعات ادّخار تحت أمر القدير الذي لا نهاية لقدرته ، والحكيم الذي لا نهاية لحكمته ، فيدرك السائح هذا ، ويقيس على هاتين الجوهرتين ما يليهما من وظائف الجبال والصحاري وحِكَمهما - التي هي بضخامة الجبال وسعة الصحاري - ، فيرى أن الجبال والصحاري تشهدان وتوحدان بـ " لا إله إلا هو " بلسان جميع حكمهما ، وبلغة جميع وظائفهما ، فيردد اللسان بخشوع : آمنت بالله) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٥٠-١٥١] .

وبينما كان ذلك المسافر يجول بفكره في الجبال والصحاري ، انفتح أمام فكره باب عالم الأشجار والنباتات يدعوه قائلاً : هلمّ إلينا ، وجُل في رياضنا ، واقرأ سطورنا ، فدخل ورأى أن الأشجار والنباتات قد عقدت مجلساً فخماً رائعاً للتهليل والتوحيد ، وشكلت حلقة مهيبة للذكر والشكر ، ففهم من ألسنة أحوالها كأنها تلهج معاً وتردد بالإجماع " لا إله إلا هو " ، لما رأى من ثلاث حقائق كبرى :

أولاها : حقيقة الإنعام والإكرام المقصودين ، والإحسان والامتنان الإراديين ، التي يُحَسُّ معناها إحساساً ظاهراً في كل نبات وشجر ، مثلما هي حقيقة واضحة وضوح ضوء الشمس في الكل .

ثانيتها : حقيقة التمييز والتفريق المقصودين بحكمة ، والتزيين والتصوير الإراديين برحمة ، وهي واضحة وضوح النهار - حقيقة ومعنى - ، فالتمييز بين تلك الأنواع والأفراد غير المحدودة غرض مقصود ، والاختلاف والتباين بينها حكمة مطلوبة ، ولمسات

---

(١) الآية التي قبلها قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادا** ﴾ [سورة النبأ : آية ٦] .

(٢) الآية كاملة : ﴿ **وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُون** ﴾ [سورة الحجر : آية ١٩] .

(٣) الآيتان قبلها قوله تعالى : ﴿ **وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا** ﴾[سورة النازعات : آية ٣٠،٣١] .

التجميل والتحسين رحمة مرادة ، وهذه الحقيقة واضحة وضوحاً لا يدع مجالاً قط لنسبتها إلى المصادفة ، مما يظهر عياناً أنها آثار الصانع الحكيم ونقوشه البديعة .

ثالثتها : حقيقة فتح صور المصنوعات غير المحدودة بمئات الآلاف من الأنماط المختلفة والأشكال المتنوعة فتحاً من حبوب معدودة متشابهة ، ومن نوى محدودة متماثلة ، واستنباتها في غاية الانتظام والميزان ، وبمنتهى الزينة والجمال ، رغم أنها بسيطة جامدة ومختلطة بعضها ببعض ، ففهم السائح أن هناك شهودَ ودلائل إثبات على تلك الحقيقة بعدد أزهار الربيع ، وبعدد أثماره ، وبعدد أوراقه وموجوداته ، فعبر عما جاش في قلبه من معانٍ كريمة ، فقال : الحمد لله على نعمة الإيمان) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٥٢-١٥٣] .

وبينما كان السائح عائداً من تلك السياحة الفكرية مبتهجاً بلذة وقوفه على الحقيقة وعثوره على جنات الإيمان ، إذا باب عالم الطيور والحيوانات تدعوه بمئات الألوف من الأصوات المتباينة والألسنة المختلفة للدخول في ذلك العالم الفسيح ، فشاهد في ذلك ثلاث حقائق عظيمة محيطة تدل دلالة صادقة على أن تلك الطيور والحيوانات تؤدي شكرها تجاه خالقها ورازقها بتلك الكلمات ، وتشهد على وحدانيته سبحانه بذلك الكلام .

أولاها : حقيقة الإيجاد والصنع والإبداع ، أي حقيقة الإحياء ومنح الروح ، التي لا يمكن نسبتها مطلقاً إلى المصادفة العشواء ، والقوة العمياء ، والطبيعة الصماء ، إذ هي إيجاد من عدم يقع بحكمة ، وإبداع مقرون بإتقان ، وخلق مصحوب بإرادة ، وإنشاء مبني على علم ، وهي برهان على وجوب وجود الحي القيوم .

ثانيتها : حقيقة التمييز والتزيين والتصوير التي من خلال تلك المصنوعات غير المحدودة التي يختلف بعضها عن بعض بعلامات فارقة متميزة في الوجوه ، وبأشكال مزينة جميلة متباينة ، وبمقادير موزونة دقيقة مختلفة ، وبصور منتظمة منسقة ، فهي حقيقة قوية عظمى ، بحيث لا يمكن أن يمتلك هذا الفعل المحيط الذي يُبْرِز عياناً ألفاً من الحِكَم والخوارق سوى القادر على كل شيء ، والعالم بكل شيء .

ثالثتها : حقيقة فتح صور تلك الحيوانات غير المحدودة بمئات الآلاف من الأشكال والأنماط من بيوض وبويضات متماثلة معدودة ، ومن قطرات محدودة متشابهة أو مختلفة بفارق طفيف ، ففتح تلك الصور بانتظام كامل ، وموازنة تامة ، دونما خطأ ولا زيادة أو نقصان ، إنما هو حقيقة ساطعة باهرة . وهكذا شاهد السائح عالم

الطيور والحيوانات ، وتلقّى درساً كاملاً من دلالة هذه الحقائق الثلاث المتفقة دلالة واضحة على أن جميع أنواع الحيوانات تشهد قائلة معاً : " لا إله إلا هو ") [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٥٤-١٥٥] .

وبعد هذه المشاهدات الفردية في أجزاء الكون والتي توصل من خلالها السائح إلى حقيقة وجود خالق لهذا الكون يتصف بالقوة والعظمة والقدرة والحكمة والإحاطة والعلم وغيرها من الصفات الجليلة ، دعا النورسي ذلك السائح أن يعيد فكره على مجموع هذا الكون ليزداد إيماناً ، ويقوى يقيناً ، لأنه بذلك يملك كنزاً عظيماً لا ينفد ، فالإيمان هو أغلى ما يملكه الإنسان ، حيث قال : (ثم إن السائح والمسافر المذكور قد علم يقيناً أن الإيمان الذي توصل إليه هو أعظم رأس مال الإنسان ، لذا خاطب نفسه قائلاً : هيا تقدمي ! لنفز مرتبة[1] أخرى من مراتب الإيمان التي لا يحصرها حدّ ، فلنطلع على مجموع الكون ، ولننصت إليه لنرى ماذا يقول هو أيضاً ، كي نضفي نوراً على تلك الدروس التي تلقيناها من أركان الكون وأجزائه ، فنظر السائح إلى مجموع الكون بمنظار واسع ، فرأى أن هذا الكون منظم تنظيماً بديعاً ، ومنطوٍ على معاني جمة وفيرة ، بحيث يفيد بداهة وجود عليم بكل شيء ، قدير على كل شيء ، وهكذا فإن جميع ما في الكون بأركانه وأنواعه وأجزائه وجزئياته وساكنيه ، ومشتملاته ، ووارداته ، ومصاريفه ، وتبديلاته ذات المصلحة ، وتجديداته ذات الحكمة ، يفيد ويُفَهّم بالاتفاق وجود ووحدانية خالقٍ رفيع الدرجات ، وصانع ليس كمثله شيء ، يعمل بقدرة لا حدّ لها ، وبحكمة لا نهاية لها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٨١-١٨٢] .

ومن خلال الجولة السياحية الفكرية في أجزاء هذا الكون تبرز الحقائق التالية للإنسان :

١- أن الله خلق هذا الكون بجميع ما فيه لحكمة عظيمة ، فلم يخلقه عبثاً ولا باطلاً ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَاب ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا ، سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٩٠-١٩١] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا**

---

(١) هكذا وردت في الكتاب ، والصحيح (بمرتبة) ، لأن (فاز) فعل لازم لا يتعدى إلا بواسطة ، مثل حرف الجر .

السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِين ﴾ [سورة الأنبياء : آية ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ ، فَوَيْلٌ لِلَّذِيـنَ كَفَـرُواْ مِنَ النَّار** ﴾ [سورة ص : آية ٢٧] .

٢- أن الكون وما فيه في عبادة لله تعالى ، إلا عصاة بني آدم ، كما في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَاب** ﴾ [سورة الحج : آية ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُورا** ﴾ [سورة الإسراء : آية ٤٤] .

٣- الكون وما فيه شاهد بوجود الله تعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ ، يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِه ، ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوه ، أَفَلا تَذَكَّرُون** ﴾ [سورة يونس : آية ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُو ، فَأَنَّى تُؤْفَكُون** ﴾ [سورة فاطر : آية ٣] .

٤- الكون يدعو الإنسان إلى التأمل والتفكر ، نعم ، إن ما خلقه الله تعالى في هذا الكون من الذرّات إلى المجرات لتدعو الإنسان إلى التأمل في وجودها وصنعتها وانتظامها وسيرها في مساراتها ، والقيام بوظائفها التي خلقت من أجلها دون تزاحم أو تصادم أو خلل أو تخلف ، إن في ذلك لأمر عجب يأخذ بنظر الإنسان وعقله حتى ينظر ويفكر في عظمة الخالق المدبر سبحانه وتعالى ، فسبحان القائل : ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَاهُمْ مُظْلِمُون ۞ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيم ۞ وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيم ۞ لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون** ﴾ [سورة يس : الآيات ٣٧،٣٨،٣٩،٤٠] .

٥- عظمة المصنوع دليل على عظمة الصانع وإتقان الصنعة دليل على قدرة الصانع وحكمته . إن هذا الكون الواسع الفسيح العظيم في نظر الإنسان القاصر لهو دليل قاطع على عظم الرب الخالق ﷻ ، وإن إتقان وإجادة ما في هذا الكون من مخلوقات

دلالة قاطعة على قدرة وحكمة الخلاق العظيم ، حيث (أنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال ، والله سبحانه هو الذي أعطاه إياها ، فمعطي الكمال أولى به) [العثيمين ، ١٤١٧هـ ، ص ٢٢] .

فالله تبارك وتعالى أعظم وأكبر مما يتصوره الإنسان ، ولا أحدَ يستطيع أن يحيط بعظمته ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِه ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون** ﴾ [سورة الزمر : آية ٦٧] ، وكما ورد في الحديث « ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة » ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة العرشية ، والحديث له طرق ، وقد رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه ، وأحمد في المسند وغيرهم . [العثيمين ، ١٤١٧هـ ، ص ٤١] ، وهذا التفاضل العظيم في حق المخلوقات ، فكيف بعظمة الخالق ﷻ .

٦- أن بعض مظاهر هذا الكون تدل على وجود الحشر والنشر يوم القيامة ، فإنزال المطر على الأرض الميتة ثم إحياؤها ، وخاصة ما يشاهد في فصل الربيع من ظهور مئات النباتات والزهور بعد أن فنيت لَدليل على أن بعد الموت حياة فحشر فنشر فحساب ، فإما جنة للناجين ، أو نار للعاصين ، وذلك كما قال تعالى : ﴿ **وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُور** ﴾ [سورة فاطر : آية ٩] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِ زَوْجٍ بَهِيج ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير ۞ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُور** ﴾ [سورة الحج : آية ٥،٦،٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ، إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى ، إِنَّهُ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير** ﴾ [سورة فصلت : آية ٣٩] .

٧- خلق الله الجبال والبحار والأنهار والصحاري وغيرها لفوائد عظيمة ووظائف جليلة ، كتثبيت الأرض ، وتخزين المياه والمعادن ، وسقي الأشجار والنباتات ، واستخراج الطعام ونحوه ، وكل ذلك يعود على هذا الإنسان ، ولكن الله يستطيع أن يحولها إلى جنود مسخرة تقف في صالح المؤمنين ، وضد الكفار والمنافقين والعاصين ، وقد كثرت الزلازل

والبراكين والفيضانات ، وسقوط الجبال ، ونزول بعض الأماكن ، وهبوب الأعاصير المدمرة ، كل ذلك بأمر الله تعالى ، وإن ظن الملحدون وعبدة الأسباب أنها كوارث طبيعية لا علاقة لقدرة الله وحكمته في ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيما** ﴾ [سورة الفتح : آية ٤] ، وقال : ﴿ **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيما** ﴾ [سورة الفتح : آية ٧] ، فلو (أرسل عليهم ملكاً واحداً لأباد خضراءهم) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٦ ، ص ٣٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ **أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البَرِ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ، ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلا ، أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الريحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ، ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعا** ﴾ [سورة الإسراء : آية ٦٨-٦٩] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالقَارِعَة ۞ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَة ۞ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَة** ﴾ [سورة الحاقة : آية ٤،٥،٦] ، ونحو هذه الآيات التي تخبر أن الله يحول أجزاء هذا الكون الهادئ الوادع إلى جنود متحركة يدمر بها من يشاء متى شاء حسبما تقتضيه حكمته ومشيئته سبحانه وتعالى .

٨- مع عظمة هذا الكون إلا أنه جعله مسخراً لهذا الإنسان تكريماً له وتشريفاً ، حيث سخر له كل شيء بإذن الله تعالى ، فيعيش هذا الإنسان متنقلاً بين أرجائه متنعماً بخيراته وثمراته ، ثم ذلّل له الصعاب ، ولولا تسخير الله وتذليله لما استطاع الإنسان – لصغر حجمه وعجزه وضعفه – أن يعيش ، فعلى هذا الإنسان أن يتذكر مثل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور** ﴾ [سورة الملك : آية ١٥] ، (إن هذه الدابة التي نركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة ، ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالي خمسة وستين ألف ميل في الساعة ، ثم تركض هي والشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل عشرين ألف ميل في الساعة ، مبتعدة نحو برج الجبار في السماء ، ومع هذا الركض كله يبقى الإنسان على ظهرها آمناً مستريحاً مطمئناً معافى لا تتمزق أوصاله ، ولا تتأثر أشلاؤه ، بل لا يرتج مخه ولا يدوخ ، ولا يقع مرة عن ظهر هذه الدابة الذلول !) [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ج٦ ، ص ٣٦٣٧] .

وعليه أن يتذكر قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَواْ أَنّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُون ۞ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُون ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ**

وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُون ﴾ [سورة يس : آية ٧١،٧٢،٧٣] .

ثم يتذكر قوله تعالى : ﴿ **اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِه وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَار ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَآتَاكُمْ مِنْ كُل مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ، إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفّار** ﴾ [سورة إبراهيم : آية ٣٢،٣٣،٣٤] .

ثم يتذكر ما أنعم الله به عليه من تسخير جميع ما في السماوات والأرض ، كما قال تعالى : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْه ، إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُون** ﴾ [سورة الجاثية : آية ١٣] .

نعم ، هذه الحقائق وغيرها آيات وعلامات تثبت قدرةَ الرب تبارك وتعالى وكرمَه وجودَه وعطاءَه على مر العصور والأزمان لهذا الإنسان الذي خطأه أكثر من صوابه ، وعصيانه لربه أكثر من طاعته إلا من رحم الله .

٢) النظر في عالم الإنسان :

إن وجود هذا الإنسان على ظهر هذه الأرض منذ أن خلق الله آدم عليه السلام إلى قيام الساعة هو دليل قاطع على وجود الخالق سبحانه وتعالى ، وأنه الواحد الأحد المتفرد بالخلق والإيجاد ، والنورسي جعل التفكر والتأمل في عالم الإنسانية أسلوباً من أساليب زيادة الإيمان وقوته ، ولكن جعل ذلك على قسمين :

القسم الأول : النظر إلى شهادات جزء كبير من البشر على وجود الخالق بأقوالهم وأفعالهم ، وعقولهم وقلوبهم ، وقد ضمّن ذلك رسالة الآية الكبرى كما سبق ذكرها ، وهذا القسم لخص الباحث مضمونه في النقاط التالية :

أ – إجماع جميع الأنبياء على الدعوة إلى التوحيد الخالص ، حيث أن ذلك السائح أراد (أن يدخل عالم الإنسان ودنيا البشر كي يمضي صُعُداً في مراتب غير محدودة للمعرفة الإلهية ، ويرقى درجة أعلى في أذواقها ، وعندها دعته إلى الدخول صفوة البشر أولاً ، وهم الأنبياء عليهم السلام ، فدخل ومضى يسبر غور الأزمان قبل كل شيء ، فرأى أن جميع الأنبياء عليهم السلام – وهم خيرة نوع البشر وأكملهم قاطبة – يدعون إلى التوحيد الخالص بقوة مالا يحد من معجزاتهم الباهرة المصدِّقة لهم ولدعواهم ، ورأى أنهم جميعاً

يدعون البشرية إلى الإيمان بالله لإخراجها من مرتبة الحيوانية ، فعلم السائح حكمة كون تصديق الرسل كافةً ركناً من أركان الإيمان ، وكيف أنه ينبوع دفاق ، ومصدر قوة عظيمة لإيمانه) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٥٥-١٥٦] .

ب – اتفاق جميع أتباع الأنبياء في كل العصور على أصول الإيمان وأركانه ، فالسائح عندما (رجع من مجلس الأنبياء عليهم السلام ، دعاه أولئك الذين أثبتوا دعاوى الأنبياء بعلم اليقين ، وأقاموا الحجج الدامغة على صدقها من العلماء المحققين والمجتهدين المتبحرين الذين يطلق عليهم جميعاً الأصفياء والصديقون ، دعاه أولئك إلى مدارسهم ، فدخل ورأى مجمعاً حافلاً يضم ألوفاً من العباقرة والأفذاذ ، ومئات الألوف من المدققين من أهل العلم والتحقيق وهم يقيمون الدلائل وينصبون البراهين ، ويثبتون – بتدقيقاتهم العميقة التي لا تدع أدنى شبهة – المسائل الإيمانية المثبتة ، وفي مقدمتها وجوب وجود الخالق سبحانه ووحدانيته ، نعم ، إن اتفاق أولئك العلماء الفطاحل على أصول الإيمان وأركانه ، لهو حجة قاطعة لا يمكن لأحد معارضتها أو دحضها أو المماراة فيها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٥٧] .

جـ – إجماع جميع الصحابة ومن سار على طريقهم على وجوب وجود الله وتوحيده ، فعندما (كان يؤوب ذلك المسافر المتأمل من مدرسة العلماء ألحف عليه شوق مُلِحٌّ إلى زيادة الإيمان وانكشافه ، فدعاه ألوف وملايين " الأولياء والصالحين " المرشدين السامين الذين سعوا إلى الحقيقة ، وبلغوا الحق ، ووصلوا إلى مرتبة عين اليقين بسموهم وعروجهم تحت ظل المعراج الأحمدي وعلى أثر الرسول ﷺ في الجادة المحمدية الكبرى ، دعاه هؤلاء إلى محل ذكر عظيم بهيج ، ومقام إرشاد قويم كريم ، يشع فيضاً ونوراً يملأ الأرجاء كلها ، معلنين به وجوب وجود الرب سبحانه وتعالى ووحدانيته ، مستندين إلى كشفياتهم وكراماتهم ومشاهداتهم) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٥٨] .

وإن قصد النورسي هنا بالكشفيات والكرامات والمشاهدات ما حصل من بيان واضح لهم بسبب اتّباعهم لأثر الرسول ﷺ فهذا حق ، لأن هناك (حوادث صحيحة وقعت للصحابة رضوان الله عليهم ، وأكثر منها وقع في عصر ما بعد التابعين ، فأهل السنة لا ينكرون الكرامات كما ينكرها المبتدعة ، وهم يعلمون أن الله الذي وضع الأسباب ومسبباتها قادر على خرق هذه السنن لعبد من عباده) [العبده وزميله ، ١٤١٣هـ ، ص٧٣] ، وإن قصد بها تلك الكرامات والمشاهدات والكشفيات التي تدعيها الصوفية فهذا باطل ، لأن ما يدعونه مبني على الخرافات والسحر والشعوذة ، وفيما يظهر أن قصده

حق ، لأنه ينكر على الصوفية الكثير من أعمالهم مع ذكره في سياق الكلام السابق أن سبب بلوغ أولئك الصالحين الحق هو اتّباع أثر الرسول ﷺ .

د – توافق العقول المستقيمة والقلوب السليمة في إثبات وجود الله وتوحيده ، حيث (أن ذلك المسافر المتلهف المشتاق انفتح أمامه باب العقول المستقيمة المنورة ، والقلوب السليمة النورانية اللتان لا تخلو منهما طائفة من طوائف البشر ، فباشر يقلب صفحات العقول ، وينشر صفحات القلوب ممعناً النظر ، مطيلاً الفكر ، فرأى أن جميع العقول المستقيمة المنورة تتفق في العقيدة الراسخة الواضحة في الإيمان والتوحيد ، ورأى كذلك أن جميع القلوب السليمة النورانية تتوافق فيما بينها في أركان الإيمان ، وتتطابق في التوحيد رغم تباعد مسالكها وتباين مشاربها . إن اتفاق هذه القلوب والعقول وإجماعها في وجوب وجوده سبحانه ، وفي وحدانيته لهو دليل أكمل ومرشد أكبر لا يتحير ولا يُحَيِّر ، إذ ليس هناك إمكان قط ولا احتمال قطعاً – في أية جهة كانت – أن يَخْدَعَ وهمٌ لا حقيقة له ، وفكر لا يَمِتّ إلى الحقيقة بصلة ، وصفة لا أصل لها ، جميع هذه العيون البصيرة النافذة الحادة لهذه الكثرة الكاثرة من ذوي القلوب الصافية والعقول الرزينة ، وأن يستمر هذا الخداع عبر قرون وبِرسوخ تام ! وأن يوقعهم جميعاً في شُباك التمويه والغفلة ، هكذا فهم السائح ، فقال منسجماً مع عقله وقلبه : آمنت بالله) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٦٠-١٦١] .

هـ – قبول ما أخبر به محمد ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى ، وأنه القول الفصل ، حيث أن ذلك السائح خاطب عقله قائلاً : (ما دمت أبحث عن مالكي وخالقي باستنطاق موجودات الكون ، فمن الأولى لي أن أزور من هو أكمل إنسان في الوجود ، وأعظم من يقود إلى الخير ، ألا وهو محمد ﷺ الذي أضاء بفضائله وبقرآنه أربعة عشر قرناً من الزمان ، حيث أنه قد حول في زمن يسير – وبالنور الذي جاء به – قوماً غارقين في أشد أمية ، وأعرق بداوة ، حوّلهم إلى أساتذة العالم وسادته ، وكذا خاطب عقله قائلاً : علينا قبل كل شيء أن نعرف شيئاً عن عظمة هذه الذات المعجزة ، وذلك من أحقية أحاديثه وصدق أخباره ، ثم نستفسر منه عن خالقنا سبحانه فباشر بالبحث ، فوجد على صدق نبوته من الأدلة القاطعة الثابتة مالا يعد ولا يحصى ، ولكنه خلص إلى تسع منها ، وهي :

أولها : اتصافه بالأخلاق الحسنة وتأييد الله له بالمعجزات الكثيرة القطعية الثبوت .

ثانيها : أن الله تعالى ائتمنه على تبليغ وحيه ، لعلمه تعالى بصدقه وأمانته ، وقدرته على تبليغه .

ثالثها : شمول الدين الذي بُعِث به وثباته وموافقته للفطرة ، وكماله وصفاؤه .

رابعها : بشارة الكتب السماوية السابقة بنبوته ورسالته ﷺ .

خامسها : تحققُ الكمال والفوز والسعادة بسبب الاقتداء بهديه وظهور الكرامات لأولياء الله السائرين على طريقه .

سادسها : صدق تعليمه لأصحابه وحُسن تربيته لهم .

سابعها : إجماع الآل والأصحاب على صدق محمد ﷺ في الحديث وسموه في العلم والمكانة .

ثامنها : اتصافه بالصدق في جميع أقواله وأعماله ، حتى فاق غيره من الأنبياء والمرسلين في ذلك .

تاسعها : ظهور الإخلاص لله تعالى في جميع أعماله وأقواله مع دوام التجائه إلى الله في كل أحواله ، مما جعل السائح يخاطب عقله قائلاً : (لما كانت هذه الحقائق التسع شاهدةَ إثبات على صدق هذا النبي الكريم ﷺ ، فلا ريب أن ما في يده من أمر الرحمن وهو القرآن الكريم المهيمن جلال سلطانه المعنوي على نصف الأرض مع ما يملك من كمالاته الشخصية ، وخصاله السامية يظهران أن أعظم إنسان في الوجود هو هذا النبي العظيم ، فالقول الفصل إذن بحق خالقنا سبحانه هو قوله ﷺ) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٧١] .

نعم ، إن الإيمان برسالة محمد ﷺ والسير على هديه واتّباع طريقه يدلان على الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، ويقويانه في النفوس ، لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا** ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٢١] ، ولقول الرسول ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » [أخرجه النووي في الأحاديث النووية برقم (٤١) ، وقال حديث حسن صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح] [النووي ، د.ت ، ص١٣٤] .

نعم ، (إن محبة الله تستلزم اتباع السنة المطهرة ، فطوبى لمن كان حظه وافراً من ذلك الاتّباع ، وويل لمن لا يقدر السنة الشريفة حق قدرها فيخوض في البدع) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٨٥] .

وأما القسم الثاني من دعوة النورسي إلى الدخول في عالم الإنسان ، فهو النظر

إلى ذات الإنسان وكمال خلقته وحُسن صورته الدالة على كمال عظمة الله وقدرته وحكمته ، وأنه يتصف بصفات الكمال والجمال ، حيث دعا الناظر المتأمل في الكون عند تقاصر نظره أن يمعن النظر (في العالم الأصغر ، وهو الإنسان ، فإن منافع الأعضاء قد شُرِحَ وأُثْبِت ، أن في جسد الإنسان تقريباً ستمائة عظم كلٌ لمنفعة ، وستة آلاف عصب هي مجارٍ للدم كلٌ لفائدة ، ومائة وأربعة وعشرين ألف مسامة وكوة للحجيرات التي تعمل في كل منها خمس قوى من الجاذبة والدافعة والممسكة والمصورة والمولدة كلٌ منها لمصلحة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٦٢] .

ثم أشار إلى أن الله تعالى يُعَرِّف هذا الإنسان بنعمه المتعددة عليه وتجليات معاني أسمائه الحسنى في خلقه ، حيث (أن الله سبحانه وتعالى بألوهيته الجليلة ورحمته الجميلة ، وربوبيته الكبيرة ، ورأفته الكريمة ، وقدرته العظيمة ، وحكمته اللطيفة ، قد زين هذا الإنسان الصغير بحواس ومشاعر كثيرة جداً ، وجمّله بجوارح وأجهزة وأعضاء مختلفة عديدة ، ليشعره طبقات رحمته الواسعة ، ويذيقه أنواع آلائه التي لا تعدّ ، ويعرّفه أقسام إحساناته التي لا تحصى ، ويطلعه عبر تلك الأجهزة والأعضاء الكثيرة على أنواع تجلياته التي لا تُحد لألف اسم واسم من أسمائه الحسنى ، ويحببها إليه ، ويجعله يحسن تقديرها حق قدرها ، فلكل عضو من تلك الأعضاء الكثيرة ، ولكل جهاز وآلة منها وظائفها المتنوعة وعباداتها المتباينة ، كما أن لذائذها مختلفة ، وآلامها متغايرة ، وثوابها متميز) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٧٧٤] .

نعم ، (إن الله خلق الإنسان في تركيب عجيب ، ووحدة في كثرة ، بسيط وهو مركب ، فرد وهو جماعة ، له أعضاء وحواس ولطائف ، لكلٍ في ذاته ألم ولذة مع تألمه وتلذذه من انفعالات الكل ، وتأثرات أخواته ، بدليل سرعة التعاون والإمداد بينها) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٧٩] .

فالإنسان خَلْقٌ عجيب من خلق الله دالٌ على قدرة الله ، زوده الله بأجهزة دقيقة عظيمة توجب الشكر القولي والفعلي لمن خلق فأبدع ، وصور فأحسن ، سبحانه وتعالى عن الأنداد والأضداد والأشباه والأمثال .

الأسلوب الثاني : تلاوة آيات القرآن الكريم وتدبر معانيه :

القرآن الكريم هو كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، فيه خبر ما قبلنا ، ونبأ ما بعدنا ، وحكم ما بيننا ، ﴿ **لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ** ،

﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد ﴾ [سورة فصلت : آية ٤٢] ، الخير والفضل في تعلمه وتعليمه ، كما قال ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » [أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، ج٦ ، ص ٥٩٤ ، برقم ١٤٥٠] ، وقال ﷺ : « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » [أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، ج٦ ، ص٥٩٤ ، برقم ١٤٥١] ، والرفعة والسمو لأهله الذين يحفظونه ويعملون به ، والذل والمهانة لمن عنه أعرض وصدّ ، وذلك كما قال ﷺ : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » [أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، ج١ ، ص ٤٦٨ ، برقم ٨١٧] ، وبه الهداية إلى العمل الصالح في الدنيا ، والفوز والنجاة في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ إِنّ هَذا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِرُ الْمُؤْمِنِينَ الّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحَاتِ أَنّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيرا ﴾ [سورة الإسراء : آية ٩] .

فالله سبحانه وتعالى (يمدح كتابه العزيز الذي أنزله على محمد ﷺ – وهو القرآن – بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ، ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أن لهم أجراً كبيراً ، أي يوم القيامة) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٤ ، ص ٢٨٣] .

والنورسي رحمه الله اعتبر القرآن الكريم – الذي هو كلام الله – أصدق دالّ على وجود الله ﷻ ، ولا شك في ذلك ولا ريب ، حيث (أن السائح الذي لا يناله تعبٌ ولا شبع ، والذي علم أن غاية الحياة في هذه الدنيا بل حياة الحياة إنما هو الإيمان ، حاور هذا السائح قلبه قائلاً : إن كلام من نبحث عنه هو أشهر كلام في هذا الوجود وأصدقه وأحكمه ، وقد تحدى في كل عصر من لا ينقاد إليه ، ذلك القرآن الكريم ذو البيان المعجز ، فلنراجع إذاً هذا الكتاب الكريم ، ولنفهم ماذا يقول) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٧٣] .

وهنا أشار النورسي إلى شرطين لا بد من توافرهما لكي يصل السائح إلى معرفة الله من خلال كلامه : الأول : قراءة القرآن ، والثاني : الفهم لمعانيه ومقاصده ، وإلا لا فائدة من ذلك ، (والقرآن الكريم يعطي العلم المفصَّل فيزيد الإيمان ، كما قال جندب بن عبد الله البجلي وغيره من الصحابة : تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً) [ابن تيمية ، ١٣٨١هـ ، ج٤ ، ص ٣٨] .

ثم أشار النورسي إلى أن السائح لا بد له من الوصول إلى درجة حق اليقين في أن القرآن كلام الله ، ولذلك قال : (ولكن لنقف لحظة قبل دخولنا هذا العالم الجميل لنبحث عما يجعلنا نستيقن أنه كتاب خالقنا نحن ، وهكذا باشر التدقيق والبحث) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٣] .

وبالبحث والتدقيق وصل ذلك السائح إلى قناعة تامة بأن القرآن كلام الله ، وذلك من خلال النقاط التالية :

١- ما أخبر به الرسول ﷺ ، لأنه (بكل معجزاته ودلائل نبوته وكمالاته العلمية معجزة للقرآن الكريم وحجة قاطعة على أن القرآن الكريم كلام الله رب العالمين) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٤] .

٢- سرعة تغييره لأنماط الحياة الاجتماعية الجاهلية ، (إن القرآن الكريم قد بدل الحياة الاجتماعية تبديلاً هائلاً ، ونور الآفاق وملأها بالسعادة والحقائق ، وأحدث انقلاباً عظيماً في نفوس البشر وقلوبهم ، أو في أرواحهم وعقولهم ، أو في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية ، وأدام هذا الانقلاب وأداره) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٤] .

٣- ما اتصف به من فصيح البيان وقوة البلاغة ، نعم ، (إن القرآن الكريم قد أظهر بلاغة أيما بلاغة ، منذ ذلك العصر إلى زماننا هذا ، حتى أنه حط من قيمة المعلقات السبع المشهورة ، وهي قصائد أبلغ الشعراء ، كتبت بالذهب وعلقت على جدران الكعبة ، وكذا فإن آلافاً من أئمة البلاغة وفحول الأدب ، أمثال عبد القاهر الجرجاني ، والسكاكي ، والزمخشري ، قد أقروا بالإجماع أن بلاغة القرآن فوق طاقة البشر ، ولا يمكن أن يدرك) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٧٤،١٧٥] ، بل الله تبارك وتعالى قد تحدى جميع الإنس والجن ، صالحهم وفاسقهم ، وأولهم وآخرهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم ، فقال : ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا** ﴾ [سورة الإسراء : آية ٨٨] ، بل بما هو أقل من ذلك ، حيث قال : ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه ، وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين** ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٣] .

٤- أصالة وتجدد عذوبة القرآن وحلاوته مع التكرار ، وعلى مرّ الأزمان ، حيث قد (أظهر عذوبة وحلاوة ذات أصالة وحقيقة ، بحيث أن التكرار الكثير المسبب للسآمة حتى من أطيب الأشياء لا يورث الملال عند من لم يَفسُد قلبه ويَبْلَد ذوقه ، بل يزيد تكرار تِلاوته من عذوبته وحلاوته ، وهذا أمر مُسَلّم به عند الجميع منذ ذلك العصر ، حتى غدا مضرب الأمثال ، وكذا فقد أظهر القرآن الكريم من الطراوة والفتوة والنضارة والجدّة ، بحيث يحتفظ بها وكأنه قد نزل الآن ، رغم مرور أربعة عشر قرناً من الزمان عليه ، ورغم تيسر الحصول عليه للجميع ، فكل عصر قد تلقاه شاباً نضراً وكأنه يخاطبه) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٧] .

٥- شهادة جميع الأولياء والصالحين على شموله وإعجازه ، حيث (أن الأولياء والصالحين والعلماء والأصفياء هم ثمار استمدت الحياة من شجرة القرآن الكريم ، فتكاملهم الحيوي يدل على أن شجرتهم المباركة هي ذات حياة وعطاء ، وذات فيض دائم ، وذات حقيقة وأصالة ، فالذين عاشوا في ظلاله من أصحاب جميع الطرق الحقة للولاية ، وأرباب جميع العلوم الحقة الإسلامية يشهدون أن القرآن هو عين الحق ومجمع الحقائق ، ولا مثيل له في جامعيته وشموليته ، فهو معجزة باهرة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٧٧] .

٦- عدم تغيره وتبدله على مرّ العصور والأزمان دليل على أن الله تكفل بحفظه ، وأنه ليس من كلام البشر ، فالقرآن الكريم (حصن حصين سماوي في الأرض لا يقوى على خرقه خارق ، ولا ينفذ من جداره نافذ ، وهناك ستة مقامات تؤكد أنه الصدق بذاته ، والحق بعينه ، وأنه ليس بكلام بشر قط ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٨] .

وقد لخص الباحث هذه المقامات في النقاط التالية :

أ - تأييد الله تعالى لهذا القرآن الكريم .

ب - قبول الرسول ﷺ لهذا القرآن واعتقاد جميع ما ورد فيه .

جـ - تبليغ الرسول ﷺ لآياته كما جاءت دون زيادة أو نقصان ، مع بلاغته وفصاحته ﷺ .

د - سرعة إصغاء الأسماع عند تلاوته ، وتعلق القلوب به .

هـ - صلاحه لجميع طبقات البشر على اختلاف مفاهيمهم وآرائهم المبينة على

اختلاف الفروق الفردية .

و – عدم استطاعة أدباء العرب – رغم فصاحتهم – معارضته أو إنكاره أو الإتيان بمثله أو بعضه .

(وبناءً على هذا فإن القرآن الكريم لم يأت ولن يأتي مثله ، ولن يدانيه شيء قط ، ذلك لأن القرآن الكريم إنما هو خطاب من رب العوالم جميعاً وكلامٌ من خالقها ، وليس فيه إمارة تومئ بالتصنع ، ثم أن المخاطَب هو مبعوث باسم البشرية قاطبة ، وهو أكرم من أصبح مخاطباً وأرفعهم ذكراً ، ثم أن القرآن الكريم المعجز البيان قد بين سبيل سعادة الدارين ، ووضح غايات خلق الكون ، وما فيه من المقاصد الربانية معلماً الإنسان صانعه الخالق سبحانه من خلال أطوار الكون وتقلباته ، فلا ريب أنه لا يمكن الإتيان بمثل هذا القرآن أبداً ، ولا يمكن أن تُنالَ درجةُ إعجازه) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٩] .

الأسلوب الثالث : معرفة أسماء ا لله وصفاته :

الإيمان بأسماء ا لله وصفاته هو المرتبة الثالثة من مراتب التوحيد الثلاث : الألوهية ، والربوبية ، والأسماء والصفات ، والنظر إليها بتدبر معانيها ودلالاتها في المخلوقات لا شك أنه يزيد ويقوى الإيمان ، وذلك كما وردت في الكتاب والسنة ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ، وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون** ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٨٠] ، ولقول الرسول ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة » [أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً ، ج٩ ، ص ٧٨٤ ، برقم ٢١٩٤] ، (أي من حفظها وفهم معانيها ومدلولها ، وأثنى على ا لله بها ، وسأله بها ، واعتقدها دخل الجنة) [القحطاني ، ١٤١٥هـ ، ص ٤] .

و(العبد كلما ازداد معرفة بها وبمقتضياتها وآثارها ازداد إيماناً بربه وحباً له وتعظيماً) [العثيمين ، ١٤١٧هـ ، ص ٩٨] .

ولذلك (فإن السائح الذي أتى إلى الدنيا يبحث عن خالقها ارتقى من مقام المعرفة الغيابية إلى مقام الحضور والمخاطبة ، فخاطب هذا الولوع المشتاق روحَه قائلاً : إن الحمد والثناء من بدء سورة الفاتحة إلى " إياك " يورثان طمأنينة تصعد بالإنسان وترقيه إلى مرتبة المخاطبة لِـ " إياك " ، فعلينا إذاً أن نسأل من نبحث عنه منه مباشرة ، وندع البحث الغيابي عنه ، لذا فكما يمكننا أن نرى الشمس ونتعرف عليها من أشعتها وضيائها يمكننا أيضاً

أن نسعى – حسب قابليتنا – في التعرف على خالقنا سبحانه وتعالى من تجليات أسمائه الحسنى ومن أنوار صفاته الجليلة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٨٦] .

وقد تحدث النورسي عن معاني بعض الأسماء والصفات ، وخاصة الصفات السبع الثبوتية حسب رأيه ، وقد سبق القول بأن إثبات هذه الصفات دون غيرها هو اعتقاد الأشاعرة ، وذلك عند الحديث عن عقيدته في الفصل الثاني من الباب الأول ، والنورسي مع إثباته لتلك الصفات إلا أنه يذكر جملة من الصفات الأخرى ، مثل : اليد ، والوجه ، والرحمة ، وغيرها في أماكن عدة من رسائله ، وبالرجوع إلى الحديث عن عقيدته يتضح الأمر .

ومما قاله عن معاني تلك الصفات بعد ذكره لمعاني كلٍ من صفتي العلم والحياة ، (وقياساً على هذا فإن صفات البصر ، والسمع ، والإرادة ، والكلام ، كل منها تُعرِّف الذات الأقدس تعريفاً واسعاً جداً بسعة الكون ، وإن تلك الصفات مثلما أنها تدل على وجود ذاته جل وعلا ، فهي تدل كذلك بداهة على وجود الحياة وتحققها ، وعلى أنه سبحانه حي ، ذلك لأن العلم علامة الحياة ، والسمع أمارة الحيوية والبصر يخص الأحياء ، والإرادة تكون مع الحياة ، والقدرة الاختيارية توجد في ذوي الحياة ، أما التكلم فهو شأن الأحياء المدركين) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٨٨-١٨٩] .

ثم يختم حديثه بقوله : (لا إله إلا الله الواجب الوجود ، الواحد الأحد ، له الأسماء الحسنى ، وله الصفات العليا ، وله المثل الأعلى ، الذي دل على وجوب وجوده في وحدته ، الذات الواجب الوجود بإجماع جميع صفاته القدسية المحيطة ، وجميع أسمائه الحسنى المتجلية ، وباتفاق جميع شؤوناته وأفعاله المتصرفة ، وبشهادة عظمة إحاطة حقيقة أسرار ﴿ **شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُواْ العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ ، لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيم** ﴾[1] [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٩٠] .

الأسلوب الرابع : العبادة المتمثلة في اتّباع الأوامر واجتناب النواهي :

العبادة وسيلة من وسائل تقوية الإيمان ، لأن في امتثال الأوامر واجتناب النواهي طاعةً لله تعالى ، وانقياداً لأمره في السر والعلن دليلٌ على محبة العبد لله ، وهذا يقود إلى الاعتراف بقدرة الله وعظمته ورحمته وفضله ، ولذلك اعتبر النورسي العبادة وسيلة من

(١) سورة آل عمران : آية ١٨ .

وسائل تنمية الإيمان وتقويته في النفوس ، حيث أنها (هي التي ترسخ العقائد وتصيرها حالاً وملكة ، إذ الأمور الوجدانية والعقلية إن لم تنمّها وتربّها العبادة – التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي – تكن آثارها وتأثيراتها ضعيفة ، وحال الإسلام[1] الحاضرة شاهدة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٧] ، واعتبر الصلاة والدعاء عاملين مهمين في زيادة الإيمان وتنميته ، فقال مخاطباً طبقة من طبقات المجتمع ، وهم من وصلوا إلى مرحلة الشيخوخة ، فقال : (نعم يا إخوتي ! فما دمتم تملكون الإيمان ، وما دامت لديكم الصلوات والدعاء اللذان ينوران الإيمان – بل ينميانه ويصقلانه – فإنكم تستطيعون إذن أن تنظروا إلى شيخوختكم من أنها شباب دائم ، بما تكسبون بها من شباب خالد) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٧٣] .

ويشير إلى أن الدعاء سر من أسرار التوحيد ، حيث قال : (إن الدعاء أنموذج لأسرار التوحيد والعبادة ، إذ الداعي في نفسه خُفْيَةً ، لا بد أن يعتقد سماع المدعو لهواجس نفسه ، وقدرته على تحصيل مطلبه ، فيستلزم هذا الاعتقاد اعتقاد أن المدعو عليمٌ بكل شيء ، وقدير على كل شيء) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٧٨] .

ثم ذكر النورسي بعض فوائد امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، ومنها :

١– أنها سبب لسعادة الدارين ، وتنظيم حياة الأمة ، والموصلة إلى الكمال الفردي والجماعي ، ثم هي الصلة بين العبد وربه ، فقال : (واعلم أيضاً أن العبادة سبب لسعادة الدارين ، وسبب لتنظيم المعاش والمعاد ، وسبب للكمال الشخصي والنوعي ، وهي النسبة الشريفة العالية بين العبد وخالقه) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٧] .

٢– أن العبادة تحقق الانقياد والانضباط والاتّباع ، حيث أشار إلى ذلك بقوله : (إن العبادة لتوجيه الأفكار إلى الصانع الحكيم ، والتوجه لتأسيس الانقياد ، والانقياد للاتصال إلى الانتظام الأكمل والارتباط به ، واتّباع النظام لتحقيق سر الحكمة ، والحكمة يشهد عليها إتقان الصنع في الكائنات) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٨] .

٣– أن العبادة ترسخ الأخوة بين أفراد المجتمع الإسلامي ، فبكثير من أنواع العبادة يتعارف الأفراد وتعرف الأحوال ، وتتحد القلوب والأبدان ، لأن (الإنسان المسلم له مناسبات ثابتة ، وارتباط قوي مع كل المسلمين ، وهما سببان لأخوة راسخة ومحبة حقيقية

---

(١) يقصد به العالم الإسلامي ، وليس ذات الإسلام .

بسبب العقائد الإيمانية والملكات الإسلامية ، أما سبب ظهور تلك العقائد وتأثيرها وصيرورتها ملكة راسخة ، فإنما هي العبادة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٨] .

فالمسلم في عصور كثيرة تُعرف أحواله من خلال العبادة الجماعية ، بسبب تخلفه عن الحضور ، لأنه لا يتخلف – وخاصة الصلاة – إلا لعذر ، ولهذا يهبّ الجميع للسؤال عن حاله وزيارته ومساعدته على أمور دينه ودنياه .

٤– العبادة تحقق للإنسان كماله الإنساني في الدنيا الذي يؤهله للفوز بالآخرة ، (فالعبادة هي السبب لانبساط روحه ، وجلاء قيمته ، وأيضاً هي العلة لانكشاف استعداده ونموه ، ليناسب السعادة الأبدية ، وكذا هي الذريعة لتهذيب ميوله ونزاهتها ، وهي الوسيلة لتحقيق آماله وجعلها مثمرة ريانة ، وكذلك هي الواسطة لتنظيم أفكاره وربطها ، وأيضاً هي السبب لتحديد قواه وإلجامها ، وأيضاً هي الصيقل[1] لرين الطبيعة على أعضائه المادية والمعنوية ، وأيضاً هي الموصل للبشر إلى شرفه اللائق وكماله المقدر إذا كانت بالوجدان والعقل والقلب والقالب ، وكذلك هي النسبة اللطيفة العالية ، والمناسبة الشريفة الغالية بين العبد والمعبود ، وتلك النسبة هي نهاية مراتب كمال البشر) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٩] .

والنورسي يرى أن هذه العبادة لا تحقق فوائدها وكونها منمية للإيمان إلا بأربعة شروط ذكرها في معرض حديثه عن العبادة ، وهي :

الشرط الأول : أن تكون موافقة لما جاء به الرسول ﷺ ، حيث قال : (ثم لمحافظة تأثير تلك الشريعة وجريانها لا بد من مقنن وصاحب ومبلغ ومرجع ، وما هو إلا النبي عليه السلام) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٨] ، وفي ذلك إشارة إلى حديث رسول الله ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » [أخرجه مسلم في كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، ج٣ ، ص ١٠٨٣ ، برقم ١٧١٨] .

الشرط الثاني : أن يتصور عظمة الخالق حتى يؤدي العبادة على الوجه الأكمل والأحسن ، فقال : (ثم لتأسيس إطاعة الأوامر وتأمين اجتناب النواهي يحتاج إلى إدامة تصور عظمة الصانع وصاحب الملك في الأذهان ، وما هو إلا تجلي العقائد) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٨] .

---

(١) الصيقل : شحّاذ السيوف وجلاّؤها . [الفيروز آبادي ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٣٢١] .

وهنا يشير إلى درجة الإحسان ، وهي أن يعبد الإنسان ربه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فليعلم أن الله تعالى يراه .

ولذلك كانت إجابة المصطفى ﷺ لجبريل عليه السلام عندما سأله عن الإحسان ، فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ج١ ، ص ٤٦ ، برقم ٨] .

الشرط الثالث : أن تشتمل على الاعتقاد والقول والعمل ، حيث قال النورسي : (وأيضاً هي الموصل للبشر إلى شرفه اللائق وكماله المقدر إذا كانت بالوجدان والعقل والقلب والقالب) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٩] .

الشرط الرابع : الإخلاص في العبادة ، وفسره بقوله : (ثم إن الإخلاص في العبادة هو : أن تُفعَل ، لأنه أُمِر بها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٩] ، فأي عبادة أو عمل خالٍ من الإخلاص فهو مردود ، فعلى المربي أن يتمثل هذه الشروط التي أشار إليها النورسي أثناء تربيته وتعليمه لطلابه ، من الإخلاص في انتقاء المعلومة الصحيحة المفيدة ، ثم اختيار أحسن الطرق إلى إيصالها ، وكذلك عليه أن يستنير بهدي المصطفى ﷺ في تربيته لطلابه قولاً وعملاً ، وسلوكاً ومنهجاً . وكذلك عليه تطبيق ما يقوله حتى لا يخالف قوله عمله ، فلا يؤخذ منه ، ثم عليه أن يستشعر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه مسؤول أمام الله ، لأن الله يعلم سره ونجواه ، وأن تكون المراقبة الذاتية خير دافع له إلى الأفضل والأحسن ، لا مراقبة الناس ومتابعتهم .

الأسلوب الخامس : التفكر في الموت :

الموت نهاية كل حي ، إلا وجه الله تبارك وتعالى ، كما في قوله سبحانه ﷻ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [سورة الرحمن : آية ٢٦،٢٧] ، وهو الطريق الذي يعبر من خلاله الإنسان عند انتقاله من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة ، فهو إذاً (ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون ، فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدنيا) [ابن قيم الجوزية ، ١٤١٤هـ ، ص ١٢٠] .

نعم ، (إن الموت في حقيقته تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا ، وهو تبديل مكان ، وتحويل وجود ، وهو دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة ،

ومقدمة لها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٨] .

والنورسي له آراء جيدة حول الموت ، ذكرها في أماكن عديدة من رسائله ، لخص الباحث أهمها في النقاط التالية :

١- الموت مخلوق كما هي الحياة مخلوقة أيضاً ، استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ۞ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [سورة الملك : الآيات ١، ٢] ، حيث قال : (كما أن مجيء الحياة إلى الدنيا هو بخلق وبتقدير إلهي ، كذلك ذهابها من الدنيا هو أيضاً بخلق وتقدير وحكمة وتدبير إلهي) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٨] .

وقد استدل بهذه الآية غيره على (أن الموت أمر وجودي ، لأنه مخلوق) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٧ ، ص ٦٨] .

٢- حياة الموجودات تدل على وجود الخالق ووحدانيته ، وموتها يدل على سرمديته وبقائه ، حيث أشار إلى ذلك بقوله : (إن الموت كالحياة برهان ساطع للربوبية ، وهو حجة في غاية القوة على الوحدانية ، مثل الحياة ، إذ بدلالة الآية الكريمة ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ ، نعم ، كما أن الموجودات الحية المبثوثة في الأرض كافة تشير بحياتها إلى الخالق الحكيم وإلى وحدانيته ، فتلك الأحياء تشهد بموتها أيضاً على سرمدية ذلك الحي الباقي ، وتشير إلى وحدانيته جلّ شأنه .

إن الموت برهان قاطع على الوحدانية ، وحجة دامغة على السرمدية) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨١٤] .

٣- الموت نعمة للمؤمنين ، ونقمة لأهل الضلالة ، حيث تحدث النورسي عن ذلك عند إجابته على سؤال ورد إليه يتضمن وصف الموت بأنه انحلال وعدم وتفسخ ، وانطفاء لنور الحياة ، وهادم اللذات ، فكيف يكون نعمة ؟. فأجاب بقوله : (سنذكر أربعة وجوه فقط من أوجه النعمة والامتنان الكثيرة للموت :

أولها : الموت إنقاذ للإنسان من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة .

ثانيها : أنه خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب ، ودخول في

رعاية المحبوب الباقي ، وفي كنف رحمته الواسعة ، وهو تنعم بحياة فسيحة خالدة مستنيرة ، لا يزعجها خوف ، ولا يكدرها حزن ولا هم .

ثالثها : أن الشيخوخة وأمثالها من الأسباب الداعية لجعل الحياة صعبة ومرهقة ، تُبيّن مدى كون الموت نعمة تفوق نعمة الحياة ، فلو تصورت أن أجدادك مع ماهم عليه من أحوال مؤلمة قابعون أمامك حالياً مع والديك اللذَيْن بلغا أرذل العمر ، لفهمت مدى كون الحياة نقمة ، والموت نعمة .

رابعها : كما أن النوم راحة للإنسان ورحمة ، ولاسيما للمبتلين والمرضى والجرحى ، كذلك الموت - الذي هو أخو النوم - رحمة ونعمة عظمى للمبتلين ببلايا يائسة قد تدفعهم إلى الانتحار ، أما أهل الضلالة ، فالموت لهم كالحياة نقمة عظمى وعذاب في عذاب) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٩] .

وشتان ما بين المؤمنين وبين الكفار وغيرهم من أهل الفسق والضلالة في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فالحياة الدنيا تُعْتَبَر سجناً ضيقاً للمؤمنين وإن بُسِطَت خيراتها وكثُر نعيمها ، وذلك لما ينتظرهم من النعيم المقيم في حياة الآخرة ، كما ورد في حديث رسول الله ﷺ : « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه » [أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة ، باب في دوام نعيم أهل الجنة ، ج٤ ، ص ١٧٢٩ ، برقم ٢٨٣٦] ، وتعتبر جنة فسيحة لأهل الكفر والفسق والضلالة ، وإن شحت خيراتها ، وقلّ نعيمها ، وذلك لما ينتظرهم من العذاب المهين المقيم في حياة الآخرة ، كما ورد عن رسول الله ﷺ : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشِراكان من نار يغلي منها دماغه كما يغلي المِرْجَل ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذاباً ، ج١ ، ص١٦٦ ، برقم ٣٦٤] .

فالدنيا إذاً كما وصفها ﷺ بقوله : « الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر » [أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب في الزهد في الدنيا ، ج٤ ، ص ١٧٩٧ ، برقم ٢٩٥٦] ، فالجنة هي دار المتقين الأبرار الصابرين على المكاره في الدنيا ، والنار دار الكافرين والمنافقين الواقعين في الملذات المحرمة والشهوات الملهية عن الطاعات ، قال ﷺ : « حفّت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » [أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة ، باب حفت الجنة بالمكاره ، ج٤ ، ص ١٧٢٤ ، برقم ٢٨٢٢] .

فالموت رحمة للمؤمنين وعذاب للكافرين ، وكل ذلك بتقدير الله وحكمته ورحمته وعدله ، فهو إذاً شاهد من شواهد الإيمان الدالة على وجود الله وعظمته وقدرته ووحدانيته ، فهو الذي تفرد بتقدير موت جميع الخلائق ، كما تفرد بتقدير الحياة لها ، والأدلة والشواهد واضحة بينة كوضوح الشمس في رابعة النهار ، كما ورد في قصة إبراهيم عليه السلام مع نمرود بن كنعان ملك بابل عندما ادّعى الألوهية والربوبية ، وأنه يحيي ويميت ، فحاجّه إبراهيم في ذلك فغلبه ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الـمُلْك ، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيت ، قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيت ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الـمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الـمَغْرِب ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَر ، وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِين ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٨] .

فهذه الخمسة الأساليب لتثبيت الإيمان وزيادته في القلوب كافية شافية ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد ﴾ [سورة ق : آية ٣٧] ، ولمن كان صادقاً في دعواه راغباً في الوصول إلى الحق والاهتداء إليه سالماً من الأهواء والشبهات الضالة المضلة ، بعيداً عن مقاصد الدنيا وملذاتها ، ولهذا فإن على المربين الأخذ بهذه الأساليب للوصول بمن هم أمانة في أعناقهم إلى الاقتناع الذاتي بوجود الخالق عز وجل ، وأنه متصف بصفات الجمال والكمال ، ومنزه عن كل عيب ونقص ، وأنه الخالق الرازق المدبر المحيي المميت ، المعزّ ، المذلّ ، سبحانه وتعالى لا شريك له ولا ندّ ولا مثيل ، ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُورا ﴾ [سورة الإسراء : آية ٤٤] .

٢) الأساليب الوقائية :

التربية الإسلامية تختلف عن غيرها في نظرتها إلى الأفراد والجماعات من حيث استمرارية التربية والمحافظة على فطرة الناشئة ، فإذا كان من أساليب التربية الإيمانية تنمية الإيمان وتقويته وغرسه في النفوس ، فإنها لا تقف عند هذا الحدّ ، بل تستمرّ في المحافظة على ذلك الإيمان بواسطة أساليب أخرى نابعة من الشريعة الإسلامية تضمن – بإذن الله تعالى – قوة إيمان العبد وتماسكه ، وكما ورد : الوقاية خير من العلاج . فالمربي المسلم يجب عليه البحث عن تلك الأساليب في الشريعة الإسلامية ، وهي غنية بذلك ، وقد تطرق النورسي لعدد من هذه الأساليب في رسائله ، ومن أهمها :

أ – التمسك بالكتاب والسنة :

حيث قال النورسي في ردّه على من سأله : لماذا أهل الضلالة يغلبون أهل الحق أحياناً ، فأشار إلى أن (لأهل الحق قلعة منيعة ما أن يتحصنوا بها ويلوذوا بها ، فلا يجرؤ أن يقترب إليهم أولئك الأعداء المخيفون ، ولا يمكنهم أن يمسوهم بسوء ، ولئن أصابهم شيء منهم – مؤقتاً – فالفوز والثواب الأبدي الذي ينتظرهم في بشرى القرآن الكريم ﴿ وَالعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِين ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٢٨] ، يُذْهِب أثر ذلك الضر والقرح ، وتلك القلعة وذلك الحصن المنيع هي الشريعة الإلهية ، وسنة النبي ﷺ ، فيا معشر أهل الإيمان ! إن درعكم المنيع لصد أولئك الأعداء ، هو التقوى المصنوعة في دوحة القرآن الكريم ، وإن خنادقكم الحصينة هي سنة نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ١١٠-١١١] .

ب – التقوى والعمل الصالح :

حيث خاطب النورسي طلابه قائلاً : (إن أهم وظيفة تقع على عاتق طلاب النور خدام القرآن الكريم في هذا الوقت ، هي اتخاذ التقوى أساساً في الأعمال كلها ، ثم التحرك وفقها أمام تيار الدمار الرهيب المهاجم ، والآثام المحيطة بهم ، إذ يواجه الإنسان ضمن أنماط الحياة الاجتماعية الحاضرة مئات من الخطايا في كل دقيقة ، فالتقوى هي التي تجعل الإنسان كأنه يقوم بمئات من الأعمال الصالحة ، وذلك باجتنابه تلك المحرمات) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ١٦٨-١٦٩] .

والتقوى تقود إلى العمل الصالح ، فلا بد من مصاحبتها للمؤمن أينما كان ، كما في حديث أبي ذرّ رضي الله عنه حيث قال : (قال لي رسول الله ﷺ : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ») [أخرجه الترمذي في السنن ، في كتاب البر ، باب ما جاء في معاشرة الناس ، برقم ١٩٨٧ ، وقال : حديث حسن صحيح] [البغوي ، ١٤٠٧هـ ، ج٣ ، ص ٣٩٨ ، برقم ٣٩٥٦] .

جـ – التحلي بالصبر :

الصبر درجة عظيمة لا يرقى إليها إلا من وفقه الله تعالى إلى ذلك ، وهو صفة مهمة في جانب سِيَر الأنبياء والمرسلين ، ثم من تبعهم على الحق ، ولا يتصف بالصبر إلا من رُزِقَ عزيمة وقوة وثباتاً ، كما في قوله تعالى حكاية عن لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ

﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [سورة لقمان ، آية ١٧] ، وهو جانب مهم في المداومة على العبادة ، كما في قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ [سورة مريم : آية ٦٥] .

ولأهميته قرنه الله بالصلاة في مواضع عدة ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ، إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [سورة البقرة : آية ١٥٣] ، وهو صفة ثابتة من الصفات المهمة التي يتواصى بها المؤمنون ، كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [سورة البلد : آية ١٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر : آية ٣] ، وغير ذلك من الآيات التي تبين أهمية الصبر للإنسان في جميع أحواله وأزمانه ، ولذلك اعتبره النورسي – رحمه الله تعالى – عدة وذخيرة للإنسان يتدرج من خلاله في حل ما يقابله من مشاكل ومتاعب ، وأنه المفتاح لكل فرج ، ثم له أقسام حسب ما تتطلبه حياة الإنسان ، لذلك قال في جوابه على سؤال من سأله عن حكمة الصبر وغايته : (لقد وضع الله سبحانه وتعالى في وجود الأشياء تدرجاً وترتيباً أشبه ما يكون بدرجات السلم ، وذلك بمقتضى اسمه الحكيم ، فالذي لا يتأنى في حركاته ، إما أنه يَطْفُرُ الدرجات فيسقط ، أو يتركها ناقصة ، فلا يرقى إلى المقصود ، ولهذا فالحرص سبب الحرمان ، والصبر يحل المشاكل حتى غدا من مضرب الأمثال " الحريص خائب خاسر ، والصبر مفتاح الفرج " ، بمعنى أن عنايته سبحانه وتوفيقه مع الصابرين ، إذ الصبر على أنواع ثلاثة :

الأول : الصبر عن المعصية وتجنبها : فهذا الصبر هو التقوى ، ويجعل صاحبه محظياً بسرّ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ١٩٤] .

الثاني : الصبر عند المصيبة : وهذا هو التوكل وتسليم الأمر إليه سبحانه ، مما يدفع صاحبه إلى التشرف بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٥٩] ، ﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٤٦] .

أما عدم الصبر فهو يتضمن الشكوى من الله الذي ينتج انتقاد أفعاله ، واتهام رحمته ، ورفض حكمته .

إن الإنسان الضعيف العاجز يتألم ويبكي من ضربات المصيبة ويشكو ، ولكن يجب

أن تكون الشكوى إليه لا منه ، كما قال سيدنا يعقوب عليه السلام : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ ﴾ [سورة يوسف : آية ٨٦] ، أي شكوى المصيبة إلى الله ، وليس الشكوى من الله إلى الناس والتأفف والتحسر .

الصبر الثالث : الصبر على العبادة : الذي يمكن أن يبلغ صاحبه مقام المحبوبية ، فيسوق إلى حيث العبودية الكاملة التي هي أعلى مقام) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٣٦٢-٣٦٣] .

د – امتثال الأوامر واجتناب النواهي :

إذا امتثل العبد أمر سيده بالطاعة والتنفيذ واحترز من مخالفته فإن ذلك يعني تقدير واحترام العبد لذلك السيد ، وهذا عمل يحبب العبد إلى سيده ، فإذا كان في حق المخلوق مع المخلوق ، فكيف بحق الخالق على المخلوق ، إن مسارعة امتثال أوامر الله والمداومة على ذلك مدى الحياة من قِبل العبد ، تدل على عظمة الله تعالى وقدره ومحبته في نفس ذلك العبد ، ولا يكفي هذا ، بل لا بد من الحذر الشديد من الوقوع في النواهي ، والعبد إذا قام بهذين الأمرين فإنما يقوم بهما تعظيماً لأمر الله وخوفاً من عقابه ، ومن هنا فإنه يداوم على امتثال الإيمان بالله تعالى ، لأن الإيمان الصادق هو الذي دفعه إلى ذلك ، كما ورد في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة ، وذكر أنهم جميعاً اتصفوا بصفات تؤهلهم لذلك الجزاء الحسن ، وأن خوف الله هو الدافع لهم إلى ذلك ، حيث قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ بعبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابّا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » [أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ، ج٢ ، ص ٥٩٠ ، برقم ١٠٣١] .

ولهذا أشار النورسي إلى أن خير زاد للإنسان في رحلة الحياة الدنيا امتثاله لأمر الله واجتنابه لنهيه ، فقال : (إن جميع أهل الاختصاص من العلماء المدققين والأولياء الصالحين متفقون على أن زاد طريق أبد الآباد ، وذخيرة تلك الرحلة الطويلة المظلمة ونورها وبراقها ليس إلا في امتثال أوامر القرآن الكريم واجتناب نواهيه ، وإلا فلا يغني العلم والفلسفة والمهارة والحكمة شيئاً في تلك الرحلة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٩] .

هـ - الإخلاص :

إن الإخلاص سر نجاح أي عمل من الأعمال ، وخاصة في مجال الطاعة ، فإذا العبد لم يخلص العبادة والطاعة لله وحده دون سواه فلن تقبل منه ولو داوم عليها ليلاً ونهاراً ، ولذلك أخبر الله أن أهل الكتاب أُمروا بالإخلاص في العبادة ، إلا أنهم فقدوه فتفرقوا ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلاةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَاةَ ، وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾ [سورة البينة : آية ٥] .

ويخاطب نبيه ﷺ بالإخلاص في العبادة ، فقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّين ﴾ [سورة الزمر : آية ٢] .

ولعلم النورسي بأهمية الإخلاص في وقاية الإيمان من الضعف جعله أساساً قوياً في خدمة تربيته الإيمانية لنفسه وطلابه ، وأوصى طلابه بذلك كثيراً ، حيث قال : (إن القيام بخدمة الإيمان في هذا الزمان - تلك الخدمة التي تستند إلى سر الإخلاص وتأبى أن تستغل لأي شيء كان - تقتضي عدم البحث عن مقامات معنوية شخصية ، بل يجب ألا تومئ حتى حركات المرء إلى طلبها والرغبة فيها ، بل يلزم عدم التفكير فيها أصلاً ، وذلك لئلا يفسد سر الإخلاص الحقيقي) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣١١] .

والمفهوم أنه بفقد الإخلاص فإن المرء يطلب بخدمته للإيمان مراتب دنيوية وشهرة نفسية تفسد عليه عمله ، وتضعف صدق إيمانه ، فلا بد من الإخلاص في القول والعمل والصدق ظاهراً وباطناً .

فالمحافظة على الإيمان واجب حتمي على كل مؤمن ، فعليه أن يسعى بكل صدق وإخلاص إلى تقويته ، ثم المحافظة عليه من النقص الذي يسبب له ضعف اليقين الصادق الذي يحتم عليه التوجه إلى الله قلباً وقالباً ، لأن ضعف الإيمان يوصله إلى سخط الله بسبب إرضائه المخلوق ، بل يتوجه إلى المخلوق في طلب الرزق بدلاً من الخالق ، كما في الحديث : « إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كراهة كاره » [أخرجه أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي ، وقال ضعيف ، وذكره الذهبي في الضعفاء والمتروكين ، ومعنى

الحديث صحيح ، وتمامه « وإن الله بحكمته جعل الرَّوْح والفرح في الرضى واليقين ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط] [آل الشيخ ، ١٣٨٦هـ ، ص ٣٤٨] .

فصدق اليقين وكماله مهم في حياة المؤمن وفي آخرته ، لما يترتب عليه من الرضى والقبول بما شرعه الله ورسوله ﷺ ، ولتقوى محبة العبد لخالقه ورازقه فيعبده حق العبادة ، راضية بها نفسه مقبلاً عليها قلبه ، حتى ينال رضى الرحمن الرحيم ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّة ۞ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا ، رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ، ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّه ﴾ [سورة البينة : آية ٧،٨] .

٣) الأساليب العلاجية :

بعد معرفة الأساليب البنائية ، ثم الأساليب الوقائية في التربية الإسلامية كما يراها النورسي ، فإن الحديث هنا عن الأساليب العلاجية ، حيث إن إيمان العبد يتعرض للزيادة والنقصان حسب قوة الطاعة وضعفها ، ولذلك أخبر ﷺ أن من الإيمان الإحسان إلى الجار وإكرام الضيف وحسن القول أو السكوت ، كما في الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير ، ج١ ، ص ٧٠ ، برقم ٤٧] .

وعلى العكس تماماً ، فإن من نقْصِ الإيمان الإقدام على السرقة والزنى وشرب الخمر ونحوها ، كما ورد عن رسول الله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ، وكان أبو هريرة يلحق معهن « ولا ينتهب نُهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب نقصان الإيمان بالمعاصي ، ج١ ، ص ٧٦ ، برقم ٥٧] ، ولهذا رأى النورسي أن على المسؤول عن التربية أن يربي أبناءه وطلابه على أساليب يتم بموجبها علاج النقص ، لأن المؤمن مبتلى ، وأعداؤه كثيرون ، والأخطاء لا يسلم منها أحدٌ إلا من عصمه الله تعالى ، ومن أهم هذه الأساليب ما يأتي :

أ – **التوبة** : خلق الله ﷻ الإنسان وهو أعلم بأطوار حياته وأنه ضعيف ، وله أعداء يعملون على إغوائه وجره إلى المعصية ، ومن رحمة الله بهذا الإنسان أن جعل له باباً يعبر منه ينجو بنفسه إذا وقع في الذنوب والمعاصي ، فلم يُغْلِق عليه سبحانه وتعالى ، ومنحه إرادة ومشيئة وعقلاً يفكر به ليميز بين الخطأ والصواب ، وهذا الباب هو باب التوبة الذي أعدّه الله للتائبين مفتوحاً غير مغلق ، إلى أن تطلع الشمس من مغربها ، كما في الحديث : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » [أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه ، ج٤ ، ص ١٦٤٩ ، برقم ٢٧٠٣] .

وإذا كان صفوة البشر وأكملهم إيماناً محمد ﷺ يعلن لأمته أنه يتوب في اليوم مائة مرة مع أنه معصوم بعصمة الله ، وغفر له ما تقدم من ذنبه ، فحاجة غيره أولى وأولى ! ثم الله تبارك وتعالى الرحيم بخلقه ينادي المؤمنين إلى التوبة ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ تُوبُواْ إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحا ﴾ [سورة التحريم : آية ٨] ، ثم إنه لا فلاح ولا نجاة لكل مؤمن إلا بالتوبة من الذنوب والمعاصي صغيرها وكبيرها ، وسرها وعلانيتها ، لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتُوبُواْ إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور : آية ٣١] ، وإن ذلك هو العلاج الذي لا يستغني عنه كل مؤمن ، ولهذا يوجه النورسي طلابه إلى استعماله بقوله : (استعملوا علاج الإيمان الحقيقي وأنواره القدسية بالتوبة والاستغفار والدعاء والرجاء) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٣٩] .

وقد أوضح رحمه الله تعالى شروط التوبة بقوله : (فينبغي مقابلة هذا بالالتجاء إلى الله تعالى والدعاء ، مع العبودية الخالصة في حالة من بكاء وانكسار قلب وحزن وتضرع كامل ، وندامة جادة ، وتوبة نصوح ، واستغفار من كل الذنوب ، وأن يجري ذلك كله ضمن دائرة السنة النبوية ، ومن دون تدخل البدع ، وعلى الصورة التي تعينه الشريعة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٤٢] ، فقد أورد شروط التوبة التي قال بها العلماء ، وهي : (أن يقلع عن المعصية ، وأن يندم على فعلها ، وأن يعزم ألا يعود إليها أبداً ، فإن فُقِد أحد الثلاثة لم تصح توبته) [النووي ، ١٤٠٧هـ ، ص ٦٢] ، وزاد صدق الالتجاء إلى الله مع الإخلاص في العبادة بعد التوبة ، وهذا أمر مهم ، فإن الإخلاص في العمل يبين صدق التوبة كما في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ للهِ ، فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النساء : آية ١٤٦] .

ب – الاستغفار : من صفات المتقين الصادقين إذا وقعوا في ذنب أو ظلموا أنفسهم بمعصية ، المسارعة إلى الاستغفار ، لإيمانهم بأن الله غفور رحيم ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ ، وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٣٥] .

نعم ، (إن هذا الدين ليدرك ضعف هذا المخلوق البشري ، إنه لا يغلق في وجه هذا المخلوق الضعيف الضال باب التوبة ولا يلقيه منبوذاً حائراً في التيه ! ولا يدعه مطروداً خائفاً من المآب ، إنه يطمعه في المغفرة ، ويدله على الطريق ، ويأخذ بيده المرتعشة ، ويسند خطوته المتعثرة ، وينير له الطريق لِيَفِيءَ إلى الحِمى الآمن ، ويثوب إلى الكنف الأمين ، شيء واحد يتطلبه ، ألا يجف قلبه ، وتظلم روحه ، فينسى الله) [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ج١ ، ص ٤٧٦] .

ولهذا فإن النورسي يرى أن الإيمان تطبيق لما جاء به الرسل الكرام عليهم السلام من أوامر الله ونواهيه ، فإذا حس العبد المؤمن تقصيراً في ذلك ، أو سولت له نفسه أمراً من الشك أو المخالفة فدونه باب الاستغفار والإنابة ، فعند استعراضه لتعريف الإيمان قال : (إنه – أي الإيمان – تطبيق لما جاء به الرسل الكرام عليهم السلام من أوامره سبحانه وتعالى ونواهيه ، وإذا سولت للإنسان نفسه أمراً فدونه باب الاستغفار والتوبة ، أما أن يقترف كبيرة من الكبائر بلا اهتمام ولا مبالاة بالأوامر ، ودون استغفار وإنابة ، فلا شك أن ذلك دليل خلوه من الإيمان) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٩٥-٢٩٦] .

ويقول في موضع آخر عند حديثه عن الإسلام : (اعلم أن دين الإسلام دين الله الحق ، دين يسر لا حرج فيه ، وأن المذاهب الأربعة كلها على الحق ، فإن أدرك المرء تقصيره تلافاه بالاستغفار الذي هو أثقل ميزاناً من الغرور الناشئ عن إعجابه بالأعمال الصالحة ، لذا فإن يرى مثل هذا الموسوس نفسه مقصراً في عمله ويستغفر ربه خيرٌ له ألف مرة من أن يغتر إعجاباً بعمله) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٠٧] ، ولنا في رسولنا ﷺ الأسوة الحسنة ، حيث قال : « والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة » [أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ، ج٨ ، ص ٤١٧ ، برقم ١١٧٧] .

جـ – أداء الفرائض : وهي التي أمر الله سبحانه وتعالى بأدائها في أوقاتها ، من

صلاة ، وصدقة ، وصوم ، وحج ، ونحو ذلك ، فعندما يقوم العبد بأدائها على الوجه الصحيح لا شك أنه يقصد بذلك تعظيماً لمن فرضها ، وهو الله سبحانه وتعالى ، ومحبة له ، ورجاء في ثوابه ، وخوفاً من عقابه ، وهي أحب ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى ، كما في الحديث القدسي : « وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه » [أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ج٨ ، ص ٤٨٢ ، برقم ١٣٦٧] .

واعتبر النورسي أداء الفرائض علاجاً لنقص الإيمان ، وأن السفاهة والغفلة وهوى النفس مبطلات لذلك العلاج ، فقال : (إن علاج الإيمان يتبين تأثيره بأداء الفرائض ومراعاة تنفيذها ما استطاع الإنسان إليها سبيلا ، وإن الغفلة والسفاهة وهوى النفس واللهو غير المشروع يبطل مفعول ذلك العلاج وتأثيره) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٣٨] ، وكأنه يشير إلى أسباب نقص الإيمان بذكره الغفلة والسفاهة وهوى النفس واللهو عن طاعة الله ﷻ .

وقد جمع بين التوبة والاستغفار والعبادة في توجيهه النصائح للمرضى ، وذلك بقوله : (أيها الإخوان المرضى ! إذا كنتم تشعرون بحاجة إلى علاج قدسي نافع جداً ، وإلى دواء لكل داء يحوي لذة حقيقية ، فمدوا إيمانكم بالقوة واصقلوه ، أي تناولوا بالتوبة والاستغفار والصلاة والعبادة العلاج القدسي المتمثل في الإيمان) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٣٨] .

ولأهمية الصلاة في المحافظة على الإيمان وعلاجه قال ﷺ : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب إطلاق اسم الكافر على من ترك الصلاة ، ج١ ، ص ٨٥ ، برقم ٨٢] .

د – التوكل على الله وحده : الإيمان بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين وأنه هو المحيي المميت ، والمعزّ المذلّ ، كل شيء بيده سبحانه وتعالى ، حيث لا يصيب الإنسان إلا ما قدره الله عليه ، إيمان واجب على العبد ، ولكن قد يحصل للإنسان بعض الحوادث التي تجعله يفكر في أسبابها ومسبباتها ، فيداخله الشك في قدرة غير الله على الضر أو النفع دون تقدير الله تعالى له ، ومن هنا فإن التوكل علاج شاف نافع لمن حصل له ذلك ، حيث يعلم أنه لم يصبه إلا ما كتبه الله وقدره عليه ، وأن الرزق بيده يعطي من يشاء ويمنعه عمن يشاء سبحانه وتعالى ، فيفوض الأمر إلى الله مستسلماً لقضاء الله وقدره ، ولذلك قال

النورسي : (إن الإيمان با لله واليوم الآخر أثمن مفتاحين يحلان لروح البشر طلسم الكون ولغزه ، ويفتحان أمامها باب السعادة والهناء ، وأن توكل الإنسان على خالقه صابراً ، والرجاء من رزاقه شاكراً ، أنفع علاجين ناجعين ، وأن الإنصات إلى القرآن الكريم ، والانقياد لحكمه ، وأداء الصلوات وترك الكبائر أغلى زاد للآخرة ، وأسطع نور للقبر ، وأيسر تذكرة مرور في رحلة الخلود) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٦] .

ثم يخاطب الإنسان البعيد عن التوكل بأن يرجعَ إلى صوابه وأن يعودَ إلى رشده متوكلاً على ا لله ليسلم من التوسل إلى غير ا لله ، وليثبت أمام الحوادث ، ثم ليسلم من الرياء والاستهزاء في الدنيا ، ومن الشقاء في الآخرة ، فقال : (أيها الإنسان البعيد عن التوكل : ارجع إلى صوابك وعد إلى رشدك ، وتوكل على ا لله لتتخلص من الحاجة والتوسل من الكائنات ، ولتنجو من الارتعاد والهلع أمام الحادثات ، ولتنقذ نفسك من الرياء والاستهزاء ومن الشقاء الأبدي ، ومن أغلال مضايقات الدنيا) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٤] .

ولأهمية التوجه إلى ا لله وحده في كل شيء وتفويض الأمر إليه ، والاعتماد عليه ، كانت توجيهات المصطفى ﷺ لابن عباس رضي الله عنه ، حيث قال له : « يا غلام : احفظ ا لله يحفظك ، احفظ ا لله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل ا لله ، وإذا استعنت فاستعن با لله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه ا لله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه ا لله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » [أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٢٩٣ ، والترمذي في السنن ، كتاب صفة القيامة ، باب ٥٩ ، برقم ٢٥١٦ ، ج٤ ، ص ٦٦٧ ، وقال حسن صحيح] [البغوي ، ١٤٠٧هـ ، ج٣ ، ص ٤٤٧ ، برقم ٤٠٩٥] ، والتوكل صفة ملازمة للمؤمن صادق الإيمان ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ا للهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ [سورة الأنفال : آية ٢] .

هـ – مصاحبة الصالحين : لا أبلغ مما ذكره رسول ا لله ﷺ في مصاحبة الصالحين الأخيار ، وما يستفيده المصاحب من تلك الصحبة الخيرة ، حيث قال : « مثل جليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحاً خبيثة » [أخرجه البخاري في كتاب العيد والذبائح ، باب المسك ، ج٧ ، ص ١٨٣ ،

برقم ٤٤٣] ، ولذلك ذكر النورسي أن مصاحبة السالكين طريق الحق والصواب علاج لأمراض شتى ، منها الغرور ، والكبر ، والإفراط والتفريط الذي ينتج عنه الاختلاف والتفرق ، وضياع الأعمال ، فقال منوهاً بعلاج من يتصف بذلك : (ولكن لعدم تجردهم من الغرور والكبر والإفراط والتفريط يضيعون منبعاً عظيماً يمدهم بالقوة ، ألا هو الاتفاق ، فيضيع بدوره الإخلاص ويتحطم ، وتتضعضع الأعمال الأخروية ، وتذهب سدى ، ويصعب الوصول إلى نيل رضى الله سبحانه وعلاج هذا المرض الوبيل ودواؤه هو : الافتخار بصحبة السالكين في منهج الحق ، وربط المحبة معهم تطبيقاً للحديث الشريف « الحب في الله »[1] ، ثم السير مِن خَلْفِهم ، وترك شرف الإمامة لهم ، وترك الإعجاب بالنفس والغرور ، بناءً على احتمال كون سالك الحق أياً كان هو خيراً منه وأفضل ، بهذه الأمور يعالج هذا المرض الوبيل ويعافى منه ، ويُظْفَر بالإخلاص ، ويكون المؤمن ممن أدى أعماله الأخروية حق الأداء) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٣٢-٢٣٣] .

وما أكثر من اهتدى بمصاحبة الصالحين ومرافقتهم لما شاهدوه من حسن المعاملة وشدة المحافظة على طاعة الله في غير سأم ولا تعب ولا فتور .

و – **العلم** : الإيمان الحقيقي مرتكزه على العلم الصحيح ، فالإنسان الجاهل قد يكون محباً للعبادة ، لكن عبادته على جهل توقعه في البدع ومخالفة السنة ، على العكس تماماً من يعبد الله على علم ، ولذلك أخبر الله ﷻ في محكم التنزيل بأنه لا يستوي الجاهل مع العالم أبداً ، حيث قال تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُون ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الأَلْبَاب** ﴾ [سورة الزمر : آية ٩] .

ولهذا اعتبر النورسي العلم دواءً يطرد الوسوسة ، والجهل داءً يجلب الوسوسة ، حيث قال : (أيها الأخ المبتلى بداء الوسوسة ! ليت شعري هل تعلم بماذا تشبه وسوستك ؟. إنها أشبه بالمصيبة ، تبدأ صغيرة ، ثم تكبر شيئاً فشيئاً على مدى اهتمامك بها ، وبقدر إهمالك إياها تزول وتفنى ، فهي تعظم إذا استعظمتها ، وتصغر إذا استصغرتها ، وإذا ما خفت منها داستك ودوختك بالعلل ، وإن لم تخف هانت وخنست وتوارت ، وإن لم تعرف حقيقتها استمرت واستقرت ، بينما إذا عرفت حقيقتها وسبرت

---

(١) يشير إلى قول الرسول ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله » [رواه الطبراني والبغوي في شرح السنة ، سنده ضعيف جداً ، لكن له شواهد عدة يتقوى بها] [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج٢ ، ص ٧٣٤ ، برقم ٩٩٨] .

غورها تلاشت واضمحلّت ، ذلك لأن الجهل مجلبة للوسواس ، بينما العلم على نقيضه دافع لشرها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٠٣] .

ولذلك اعتبر النورسي العلم سابراً لغور الوسوسة ومعرفة حقيقتها ، وإذا تبين السبب بطل العجب - كما قيل - ، بينما الجهل سيزيد الشكوك والظنون والأوهام) ، ثم يخاطب المشغولين بالسياسة المفتونين بها ، أن علاج أدواء الأمة في العلم لا في غيره ، والمتمثل في رسائل النور في ذلك الوقت والمكان ، حيث قال : (ألا فليعلم أهل السياسة علماً قاطعاً - رغم أننا لا علاقة لنا بهم - أن العلاج الوحيد لإنقاذ الأمة في هذه البلاد وفي هذا العصر من الفوضى والإرهاب ومن التردي المريع ، والتدني الرهيب هو أساس رسائل النور) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٥٩] .

ومعلوم أن رسائل النور أُسست على الإيمان والعلم المقتبسين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهي من الكتب العلمية التي عالجت الضعف في نفوس كثير من أبناء الأمة التركية التي اجتاحتها أساليب التغريب والتشكيك والضلالة في غياب الخلافة الإسلامية الصحيحة ، وإحلال تعاليم العلمانية بدلاً عنها ، ولكل عصر ومصر رجاله ومؤلفاتهم العلمية التي تعالج ضعف الإيمان ، كما هو الحال لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ حسن البنا ، وسيد قطب ، والسنوسي ، وابن باديس ، والمودودي ، ممن قضى نحبه ، رحمهم الله رحمة واسعة . ومنهم من ينتظر ، كأمثال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ محمد بن عثيمين ، وأبي الحسن الندوي ، والألباني ، والزنداني ، وغيرهم كثيرون خدموا العلم وأهله ، أمدّ الله في أعمارهم ، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

المبحث الرابع : ثمار التربية الإيمانية .

التربية على الإيمان بجميع أركانه الستة مهمة في حياة العبد المسلم ، لأنه بدون الإيمان لا يسعد في الدنيا ، ولا يفوز في الآخرة ، إذ (هو كمال الحياة ، بل حياة الحياة) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٣٥] .

ومن وُفِّقَ إلى تلك التربية بأن قام على تربيته مربٍّ صالح صادق ، فأحسن تربيته ، فإنه بذلك يكسب ثماراً عديدة ، تحدث عنها النورسي ضمن رسائله ، وخص به الكلمة الثالثة والعشرين وغيرها . والباحث قام بتلخيصها ضمن النقاط التالية :

١- الإنسان يكتسب بالإيمان سمواً ورفعة ، لأنه (يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين ، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٤٨] .

٢- أنه النور الذي يضيء للإنسان حياته ، حيث قال النورسي : (إن الإيمان نور يضيء الإنسان وينوره) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٠] .

٣- به ينال الإنسان التوكل ، فتقوى عزيمته ، وتقوى ثقته با لله تعالى ، حيث (أن الإيمان نور ، وهو قوة أيضاً ، فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ، ويتخلص من ضيق الحوادث ، مستنداً إلى قوة إيمانه ، فيبحر متفرجاً على سفينة الحياة في خضم الأمواج العاتية بكمال الأمان والسلام ، قائلاً : توكلت على ا لله) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٠] .

٤- فيه كمال الإنسان ورقيه ، حيث (أن الإيمان يجعل الإنسان إنساناً حقاً ، بل يجعله سلطاناً ، لذا كانت وظيفته الأساس " الإيمان با لله تعالى والدعاء إليه " ، إن التفاوت بين مجيء الحيوان والإنسان إلى هذه الدنيا يدل على أن اكتمال الإنسانية وارتقائها إلى الإنسانية الحقة إنما هو بالإيمان وحده) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٠] .

٥- الإيمان أساس معرفة ا لله ﷻ ، والإنسان لا يكتمل إلا بالعلم ، حيث أن وظيفته (إنما هي التكمل بالتعلم ، أي الترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة والعبودية بالدعاء ، إذن فلقد جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء ، لأن كل شيء فيه موجه إلى العلم ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد ، فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو " معرفة ا لله تعالى " ، كما أن أس هذا الأساس هو الإيمان با لله جلّ وعلا) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٥] .

٦- الإيمان يربط الإنسان بخالقه بواسطة الدعاء ، فهو (يقتضي الدعاء ، ويتخذه وسيلة قاطعة ، وواسطة بين المؤمن وربه ، وكما أن الفطرة الإنسانية تتلهف إليه بشدة وشوق ، فإن ا لله سبحانه وتعالى أيضاً يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه بقوله : ﴿ **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُم** ﴾ [سورة الفرقان : آية ٧٧] ، وبقوله تعالى : ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [سورة غافر : آية ٦٠]) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٦] .

٧- أنه سر تفوق الإنسان على المخلوقات ، حيث خاطب النورسي الإنسان قائلاً : (فيا أيها الإنسان : إذا آمنت با لله وحده وأصبحت عبداً له وحده ، فزت بموقع

مرموق فوق جميع المخلوقات) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٦٠] .

٨- أنه يكبح جماح النفس الأمارة ، ويوجهها إلى الخير والصلاح ، لأن (النفس الأمارة بإمكانها اقتراف جناية لا نهاية لها في جهة الشر والتخريب ، أما في الخير والإيجاد ، فإن طاقتها محدودة وجزئية ، إذ الإنسان يستطيع هدم بيت في يوم واحد ، إلا أنه لا يستطيع أن يشيده في مائة يوم ، أما إذا تخلى الإنسان عن الأنانية ، وطلب الخير والوجود من التوفيق الإلهي وأرجع الأمر إليه ، وابتعد عن الشر والتخريب ، وترك اتّباع هوى النفس ، فاكتمل عبداً لله تعالى تائباً مستغفراً ذاكراً له سبحانه ، فسيكون مظهراً للآية الكريمة ﴿ **يُبَدِلُ ا للهُ سَيِئَاتِهِمْ حَسَنَات** ﴾ [سورة الفرقان : آية ٧٠] ، فتنقلب القابلية العظمى عنده للشر إلى قابلية عظمى للخير) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٦١] .

٩- الإيمان يوجه الأجهزة المتعددة في الإنسان إلى العبادة والطاعة التي خلقت لها ، حيث (أن الأجهزة التي زرعت في الإنسان ليست لهذه الحياة الدنيا الفانية ، وإنما أُنْعِم عليه بها لحياة باقية دائمة ، والسر في وفرة الأجهزة التي منحت للإنسان وغناها هو : أن حواس الإنسان ومشاعره قد اكتسبت قوة ونماء وانكشافاً وانبساطاً أكثر ، لما يملك من الفكر والعقل ، لذا لا يمكن أن تمنح له هذه الأجهزة الوفيرة لتحصيل هذه الحياة الدنيوية المؤقتة الفانية فحسب ، بل لا بد أن الغاية القصوى لهذا الإنسان هي أن يفي بوظائفه المتطلعة إلى مقاصد لا نهاية لها ، وأن يعلن عجزه وفقره بجنب ا لله تعالى بعبوديته ، وأن يرى بنظره الواسع تسبيحات الموجودات ، فيشهد على ذلك ويطلع على ما تمده الرحمة الإلهية من إنعام وآلاء فيشكر ا لله عليها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص.ص ٣٦٥-٣٦٧] ، والشكر لله يتضمن القول والعمل ، عبادة وطاعة ، ولا تكون العبادة والطاعة إلا بإيمان صادق .

١٠- يمنعه من الوقوع في الحرام ، لأن (اللذات والأذواق التي يحصل عليها الإنسان عن طريق السعي الحلال ضمن الدائرة المشروعة كافية لسعادته وهنائه وراحته ، فلا يدع مجالاً للدخول في الحرام) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٦٩] ، ولا يمنع الإنسان من الوقوع في الحرام إلا قوة إيمانه ، ثم صدق اتّباعه لشرع ا لله امتثالاً لأمره واجتناباً لنهيه .

١١- أنه نور وضياء التربية الإسلامية ، ولذلك قال النورسي مخاطباً الإنسان : (إنك من جهة جسمك النباتي ، ونفسك الحيوانية جزء صغير ومخلوق فقير ، وحيوان ضعيف ، تخوض في الأمواج الهادرة لهذه الموجودات المتزاحمة المدهشة ، إلا

أنك من حيث إنسانيتك المتكاملة بالتربية الإسلامية المنورة بنور الإيمان المتضمن لضياء المحبة الإلهية " سلطان ") [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٧١] .

١٢- أنه القوة التي تجعل الإنسان قادراً على حمل الأمانة وخلافة الأرض ، حيث يتحدث النورسي عن وظائف الإنسان ، ومنها : العبادة والتفكر ، ثم يخلص إلى القول بأن (الإنسان بمثل هذه العبادة والتفكر يصبح إنساناً حقاً ، ويظهر نفسه أنه في أحسن تقويم ، فيصير بيمن الإيمان وبركته لائقاً للأمانة الكبرى ، وخليفة أميناً على الأرض) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٧٣] .

١٣- فيه حياة الأرواح والقلوب ، لأن (عمر الإنسان الفاني يتضمن عمراً باقياً من حيث حياته القلبية والروحية اللتين تحييان بالمعرفة الإلهية والمحبة الربانية ، والعبودية السبحانية ، والمرضيات الرحمانية) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٤] ، والمعرفة الإلهية والمحبة والعبودية لله لا تأتي إلا من صحة إيمان العبد .

١٤- فيه صلاح القلوب والعقول ، حيث ذكر النورسي أن ارتكاب المعاصي ليس ذهاب الإيمان من القلوب والعقول ، بل تحصل بسبب غلبة الهوى وسيطرة الوهم ، وهذا دليل على أن نقص الإيمان فيهما يؤدي إلى المعاصي ، وباكتماله تجتنب المعاصي ، فقال : (إن القلب والعقل اللذين هما محل الإيمان يسكتان ، فيُغلبان على أمرهما ، فلا يكون عندئذٍ ارتكاب الكبائر ناتجاً عن عدم الإيمان ، بل من غلبة الهوى ، وسيطرة الوهم والحس المادي ، وانهزام العقل والقلب وغلبة كل أولئك عليهما) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص١١٨] .

١٥- هو سر سعادة الحياة الدنيا ، حيث قال النورسي : (إن أصفى لذة وأنقى سعادة لحياتي هذه ، إنما هو في الإيمان ، أي الإيمان الجازم بأني مخلوق من خلقي ورباني ، فأنا مصنوعه وعبده وتحت رعايته وعنايته ، ومحتاج إليه كل حين ، وهو ربي وإلهي ، وهو الرحيم الرؤوف بي ، فإيماني هذا لذة ما بعدها لذة ، لذة كافية وافية دائمة ، وسعادة خالصة نقية لا يعكرها ألم) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٨٤] .

١٦- به سعادة الآخرة ، وهي الحياة الأبدية الخالدة ، ولذلك قال النورسي : (إن زيادة الإيمان الذي هو مفتاح السعادة الأبدية إنما هي على جانب عظيم من الأهمية) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٥٧٤] ، وغير ما ذكر كثير من محاسن الإيمان وثمراته يطول المقام بذكرها ، فالحمد لله على الإيمان ، ونسأله تعالى إيماناً صادقاً تصلح به القلوب ، وتستقيم به العقول ، وتتحقق به سعادة الدنيا والآخرة .

الفصل الثاني
التربية الفكرية

تمهيد :

تربية أفكار الأفراد تربية صحيحة مستقيمة أمر ذو أهمية في حياة الشعوب والمجتمعات ، لأنه بصلاح العقول واستقامتها وتدريبها على التفكر والتأمل الجيد المفيد تعيش المجتمعات خيرات وفوائد ذلك التدريب ، وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تدعو إلى التفكر والتدبر والتأمل ، وتمتدح أصحاب العقول والألباب الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض تفكراً سليماً يقودهم إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى ، ثم إلى أن كل شيء في هذا الوجود خُلِق لحكمة سامية عُرِفت أم لم تعرف ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَاب ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا ، سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٩٠-١٩١] ، ولذلك قال النورسي : (لما كان الشكر أهم أسس رسائل النور بعد التفكر) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٦٥] ، حيث جعل التفكر أساساً مهماً من الأسس التي قامت عليها رسائل النور وتربى عليها طلابه ، وأورد حديثاً يبين أهمية التفكر وأنه خير من عبادة سنة ، فقال : " تفكر ساعة خير من عبادة سنة " ، وقد سبقه ابن قيم الجوزية رحمه الله في ذكره ، لكنه لم يشر إلى أنه حديث ، فقال في معرض امتداحه للفكر : (فالفكر إذاً هو المبدأ أو المفتاح للخيرات كلها ، وهذا يكشف لك عن فضل التفكر وشرفه ، وأنه أفضل أعمال القلب وأنفعها له ، حتى قيل : تفكر ساعة خير من عبادة سنة) [ابن القيم ، د.ت ، ج١ ، ص ١٨٣][(١)] .

ولأهمية التفكر وردت أقوال عدة تبين أهميته وفائدته ، ومنها قول عيسى عليه السلام : (طوبى لمن كان قيله تذكراً ، وصمته تفكراً ، ونظره عبراً) ، وقال الحسن البصري رحمه الله : (تفكر ساعة خير من قيام ليلة) ، وقال بشر الحافي : (لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه) ، وقال بعض أصحاب النبي ﷺ : (إن ضياء الإيمان ، أو نور الإيمان ، التفكر) ، وبكى أمير المؤمنين

---

(١) الحديث بجميع طرقه وألفاظه المختلفة ضعيف الإسناد ، كما أوضحه مترجم رسائل النور . [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٥٦] .

عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوماً بين أصحابه ، فسئل عن ذلك ، فقال : (فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها ، فاعتبرت منها بها ، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها ، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادّكر) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٢ ، ص ١٧٦، ١٧٧] .

وقَصَدَ الباحث بالتربية الفكرية واختيار هذا المسمى عنواناً لها ، معرفة أن الفكر يربَّى ويُنَمى ، فلا بد من بذل الجهود للارتقاء بفكر الأفراد عن طريق الوسائل المتعددة ، سواء كانت تلك الجهود جماعية تتمثل في المؤسسات التعليمية التي تقيم تعليمها على مناهج منظمة ومعدّة إعداداً يتضمن ذلك الهدف ، أو كانت فردية ذاتية من لدن الفرد بما وهبه الله تعالى من قدرة على التفكير والتخيل ، ونحو ذلك ، لأن الناس يختلفون في مستوى تفكيرهم وقدراتهم الذهنية ، فمنهم حادّ الذهن ، قوي التفكير ، لديه المقدرة على التفكير في معضلات الأمور ومعرفة غوامضها ومشكلاتها ، ومن ثم الوصول إلى نتيجة إيجابية ، ومنهم من هو أقل من ذلك في التفكير ، فلا يستطيع إعمال فكره إلا فيما هو مشاهد ومحسوس ، فيُعْمِل فكره فيما يوصله إلى نتيجة تتفق مع ما تصل إليه قدراتهم العقلية وتخيلاتهم الذهنية ، وقسم ثالث يتصف بتخلف الفكر وضعف العقول ، فلا يستطيع استعمال عقله في شيء مفيد ، إلا في النادر اليسير ، وفي أبسط الأمور وأيسرها ، (وما نشاهده اليوم من مؤسسات للتربية الفكرية ما هو إلا لرعاية هذا الصنف الأخير ممن يطلق عليهم " المتخلفون عقلياً " أو المعتوهين[1] ، فهذه المؤسسات ترعاهم فكرياً وبدنياً) [الحجاجي ، ١٤٠٨هـ ، ص ٢٥٣] .

وعند الحديث عن رأي النورسي في الإنسان سبق القول بأن له لطائف مثل الروح والقلب والعقل ، وتم الحديث عن الروح والقلب ، وهنا سيكون الحديث عن العقل وتعلقه

---

(١) المعتوه : من (عُتِه عَتْهاً وعُتهاً وعُتاهاً ، فهو معتوه : نقص عقله) [الفيروز آبادي ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٦١٢] ، فالمعتوه هو ناقص العقل أو المجنون ، كما ورد في قول رسول الله ﷺ : « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يبلغ ، وعن المعتوه حتى يعقل » هذا الحديث ذكره البخاري أثناء تعليقه في باب الطلاق في الأغلاق ، كتاب الطلاق ، وأسنده إلى علي بن أبي طالب ، ج٧ ، ص٩١ . وأخرجه أبو داود في السنن ، في كتاب الحدود ، باب في المجنون يسرق ، برقم ٤٤٠٣ ، ج٤ ، ص٥٦٠ . وأخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب الصلاة ، باب رفع القلم عن ثلاثة ، ج١ ، ص٢٥٨ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي] [البغوي ، ١٤٠٧هـ ، ج٢ ، ص ٤٥٧ ، برقم ٢٤٥٦] .

بالفكر ، وذلك ضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : ارتباط الفكر بالعقل .

المبحث الثاني : مفهوم الفكر .

المبحث الثالث : أسس تنمية الفكر .

المبحث الرابع : شروط الفكر الجيد .

المبحث الخامس : أسباب جمود الفكر .

المبحث السادس : ثمار التربية الفكرية .

المبحث الأول : ارتباط الفكر بالعقل .

التفكر والتأمل وتصور الشيء على حقيقته لا يكون إلا عن طريق العقل وإن كان يستعين بالحواس الخمس ، لأنها ذات أهمية في عملية التفكر والتأمل ، ولكن إن لم يكن العقل صالحاً ومؤهلاً للاستقبال والإرسال ، فلا فائدة في سمع بلا عقل ، أو بصر بلا بصيرة ، ولذلك يصف الله تبارك وتعالى الذين ضلوا من الجن والإنس بقوله : ﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ ، أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُون** ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٧٩] .

فالآلات موجودة ، ولكن سوء الاستعمال عطلها عن حكمتها التي أوجدت من أجلها ، فالفكر مرتبط بالعقل تماماً ، وقد سئل إبراهيم بن أدهم عن إطالته التفكر ، فقال : (الفكرة مخ العقل) [ابن قيم الجوزية ، د.ت ، ج١ ، ص ١٨٠] .

واعتبر النورسي التفكر الوسيلة الوحيدة التي تقود العقل إلى معرفة حقائق الأشياء ، حيث يذكر عند قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...** ﴾ الآية [سورة البقرة : آية ١٦٤] أنه (بعد سرد منسوجات الصنعة الإلهية يسوق العقل إلى اكتناه حقائقها تفصيلاً ، فيقول : ﴿ **لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون** ﴾ ، آخذاً بزمام العقل إلى التدبر موقظاً إياه إلى التفكر) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٨٦] .

وكأن النورسي يشير إلى أهمية التدبر في مخلوقات الله عن طريق التفكر في عظمة المخلوقات الدالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى ، واستعمال العقل الصحيح السالم من الأهواء والشبهات الذي يقود إلى الإيمان ، وامتزاج الفكر الجيد مع الدماغ السالم شرط لسلامة الإيمان في القلب ، حيث قال النورسي بعد حديثه عن الشبهات وأهل الضلالة ، أن (الفكر والدماغ حارس الإيمان) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٧٩] .

ولذلك قال بعض السلف : (ملاقاة الرجال تلقيح لألبابها ، فالمذاكرة بها لقاح العقل ، فالخير والسعادة في خزانة مفتاحها التفكر) [ابن قيم الجوزية ، د.ت ، ج١ ، ص ١٨٣] ، والخير والسعادة لا يكونان إلا بالإيمان ، فالفكر والعقل متلازمان لا حقيقة لأحدهما دون الآخر ، وبناءً على أهمية العقل في التفكر فإن الباحث أورد هنا رأي النورسي فيه وارتباطه ببعض أجزاء الجسم ، وخاصة الوجدان والقلب .

١) رأي النورسي في العقل :

العقل نعمة كبيرة ، زود الله به هذا الإنسان ، وميزه عن سائر المخلوقات ، وعليه مناط التكليف ، وبه يميز الإنسان بين الحسن والقبيح ، وبين الخير والشر ، ولذلك قال التابعي الجليل عروة بن الزبير رحمه الله تعالى : (أفضل ما أعطي العباد في الدنيا العقل) [الزحيلي ، ١٤١٥هـ ، ص ٥٦] .

والنورسي رحمه الله تعالى له آراء عدة في العقل :

أ – أنه أفضل أجهزة الإنسان إن اهتدى ، حيث أن (العقل الذي هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها ، إن استُعمِل بسر التوحيد ، فإنه يصبح مفتاحاً ثميناً ، بحيث يفتح الكنوز الإلهية السامية وألوفاً من خزائن الكون ، بينما إذا تخبط ذلك العقل في وحل الضلالة والكفر فإنه يصبح آلة تعذيب ووسيلة إزعاج ، بما يجمع من آلام الماضي الحزينة ومخاوف المستقبل الرهيبة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٩] .

فالعقل إذاً أفضل النعم على الإنسان إذا (أوصل إلى رضا الله ورسوله) [ابن قيم الجوزية ، د.ت ، ص ١١٧] .

ب – أنه أثمن نعمة أنعم الله بها على الإنسان ، حيث أشار إلى أن العقل الذي هو أثمن نعمة يصبح بلاء ومصيبة إذا حصر تفكيره في الدنيا دون الآخرة ، ولذلك يقول : (بل العقل الذي هو أثمن نعمة يصبح بلاءً ومصيبة على الإنسان بتفكيره في أحزان الزمان الغابر ومخاوف المستقبل) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ١١٦] .

فتزويد الإنسان بالعقل ليفكر به ويكتسب العلوم والمعارف نعمة من النعم المتعددة التي أكرم الله بها هذا الإنسان (من العقل والعلم والبيان والنطق والشكل والصورة الحسنة والهيئة الشريفة ، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر) [ابن قيم الجوزية ، د.ت ، ص ٢٦٣] .

جـ – أنه عضو وآلة تباع ، حيث اعتبره أحد أعضاء الجسم التي تباع لله لا لغيره ، مثله مثل السمع والبصر ونحوهما ، وذلك عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ [سورة التوبة : آية ١١١] ، فقال : (العقل عضو وآلة ، إن لم تبعه لله و لم تستعمله في سبيله ، بل جعلته في سبيل الهوى والنفس ، فإنه يتحول إلى عضو مشؤوم ومزعج وعاجز .

ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته وينغمس في اللهو أو السكر إنقاذاً لنفسه من إزعاجات عقله ؟. ولكن إذا بيع العقل إلى الله ، واستعمل في سبيله ولأجله ، فإنه يكون مفتاحاً رائعاً ، بحيث يفتح مالا يعدّ من خزائن الرحمة الإلهية وكنوز الحكمة الربانية ، فأينما ينظر صاحبه وكيفما يفكر يرى الحكمة الإلهية في كل شيء) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٣] .

د – أنه محل السؤال والجواب ، ويقصد بذلك أن العقل يطرح أسئلة ويجيب عليها بنفسه ليعلم حسن الشيء من قبحه ، فعند استعراضه لقبح الغيبة ، وأن القرآن الكريم شبه صاحب الغيبة بمن يقدم على أكل اللحم المنتن ، وأن في ذلك ما يكفي لكراهة من يتصف بذلك ونبذه من المجتمع ، فقال : (إن الهمزة[1] الموجودة في البداية للاستفهام الإنكاري ، حيث يسري حكمه ويسيل كالماء إلى جميع كلمات الآية ، فكل كلمة منها تتضمن حِكَماً ، ففي الكلمة الأولى تخاطب الآية الكريمة بالهمزة ، أليس لكم عقل ؟. وهو محل السؤال والجواب ، ليعي هذا الأمر القبيح) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٧] .

هـ – أنه شبيه بمجمع مركزي يستقبل المعلومات ويبثها ، نعم ، (إن دماغ الإنسان – الشبيه بمجمع مركزي للبث والاستقبال السلكي واللاسلكي – وهو بمثابة مركز معنوي لهذا الكون ، يستقبل ما في الكون من علوم وفنون ، ويكشف عنها ويبثها أيضاً ، فعلى العقل أن يقوم بعمله) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص.ص ٥٧١-٥٧٢] ، فهو يأخذ ويعطي ، وإذا تعطل عن الاستقبال تعطل عن الإرسال ، ولذلك تبرز أهمية تدريب العقل على التفكر والتأمل والتخيل ، (وهي إحدى وسائل العقل ، وأحد مصوريه) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٩٥] .

ويعتبر العقل أحد أدوات المعرفة في التربية الإسلامية التي هي (الوحي والعقل والحس ، فالوحي هو أداة المعرفة في ميدانها الأول – ميدان الغيب – ، أما العقل والحس فهما أداتا المعرفة في ميدانها الثاني – ميدان الآفاق والأنفس – ، وجميع هذه الأدوات الثلاث تتكامل في بلوغ المعرفة المنشودة) [الكيلاني ، ١٤٠٩هـ ، ص٢٣٢] ، بل إن (العقل هو الأداة الكبرى للمعرفة ، ويتفرع عنه التفكير ، والإرادة ، والاختيار ، وكسب العلوم) [الزحيلي ، ١٤١٥هـ ، ص ٥٦] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوه ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٢].

٢) ارتباط العقل بأعضاء الجسم :

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وزوده بأجهزة وأعضاء متعددة ، وجعل لكلٍ وظيفة وعملاً يقوم به ، ولكن بعضها لا يستطيع أن يقوم بعمله إلا بمساعدة من الأعضاء الأخرى أو بعضها ، ومنها العقل الذي له ارتباط وثيق ببعض الأجهزة الأخرى ، ومن أهمها :

أ – **القلب** : حيث يرى النورسي أن صلاح العقل منوط بصلاح القلب ، وأن العقل الصحيح السالم لا غنى له عن نور العقل عند التفكر والتدبر ، ولذلك (لا يتنور الفكر من دون ضياء القلب ، فإن لم يمتزج ذلك النور وهذا الضياء فالفكر ظلام دامس يتفجر منه الظلم والجهل ، فإن لم تكن سويداء القلب في فكرة بيضاء ناصعة ، فحصيلة الدماغ لا تكون علماً ولا بصيرة ، فلا عقل دون قلب)(1) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٤٨] ، فلا بد من أن يمتزج القلب بالعقل عند التفكر ، وقد أشار إلى ذلك النورسي بقوله : (لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاماً ضمن انتهاج مسلك التفكر الذي يأمر به القرآن المعجز البيان) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٥٦] .

وإذا اهتدى القلب (دفع الدماغ إلى العمل والنشاط) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٥٨] ، والعقل هو بصر القلب ، فالتفكير في آيات الله الدالة عليه تكون بالعقل ، والإيمان بها يستقر في القلب ، (فإذا نظر فيها ببصر قلبه وهو عقله ، استدل بها على وجود الرب تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته) [ابن قيم الجوزية ، د.ت ، ١٨٦] .

ولذلك يقول النورسي عند تعريفه للقلب : (إن المراد بالقلب اللطيفة الربانية التي مظهر حسياتها الوجدان ، ومعكس أفكارها الدماغ لا الجسم الصنوبري) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٨٤] .

ب – **الحواس** : ارتباط العقل بالحواس أمر حتمي ، فإن العقل لا يدرك إلا ما يرى ويسمع ويحس ، ولأهمية ذلك ، جعل الله أربعاً من الحواس في الرأس : السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، أما حاسة اللمس فلعموم الجسم ، ومنها الرأس ، ولن يستطيع الإنسان التعرف على خالقه عن طريق التفكر في الآفاق والأنفس إلا عن طريق هذه الحواس ،

---

(١) انظر [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٠٣] .

ولذلك يقول النورسي : (إن كل ما أنعم الله به على الإنسان ، له شرائط ومفاتيح بعضها آفاقي ، وبعضها أنفسي ، مثلاً : إن الله أنعم بالضياء والهواء والغذاء والصدى ، وعلّق الاستفادة منها على فتح العين والأنف والفم والسمع ، وهكذا) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص١٨٨] ، فجمع بين بعض جوانب الآفاق وبين بعض جوانب الأنفس التي تُدْرَك جميعاً بالتفكير لتُعرف أهميتها وحكمةُ الله في إيجادها وإجادتها .

ثم يُعَرِّف النورسي هذا الإنسان بفضل الله تعالى عليه معدداً جوانب من نعمه عليه قائلاً : (أيها المسكين المغرور : إنه ليس إليك منك من ألوف حاجاتك إلا واحداً أو أقل ، والباقي بالتمام مفوض إلى فاطرك الذي خلقك بقدرته ، وشق سمعك وبصرك برحمته ، لتسمع الحق ، وتعتبر بالخلق ، فتعرف الخالق ، وعلق في كهف وجهك بعنايته لساناً لتذكره ، وأدرج في رأسك عقلاً لتعرفه ، وركّب في وجودك بحكمته هذه الحواس بأنواعها لأجل إحساس جميع أنواع ثمرات نعمه) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٣٩٩] .

ويؤكد النورسي ذلك الترابط بقوله بعد سياحة المتفكر ونظره إلى السحاب والبرق والمطر ، وسماعه صوت الرياح والرعد : (فيرجع بصره إلى عقله ...) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٤] .

٣) ارتباط الوجدان بالعقل :

قبل الحديث عن ارتباط الوجدان بالعقل كما يراه النورسي ، يرى الباحث أهمية التعريف بالوجدان ، حيث عرفه النورسي بأنه (الوجدان الحي ، أو الفطرة الشاعرة الذي يمثل البرزخ ونقطة اتصال عالمي الغيب والشهادة) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص٤٢١] .

والوجدان الحي كأنه يقصد به الضمير الحي ، وهو الدارج على الألسنة بكثرة ، ثم أن أحد المهتمين بالدراسات في التربية الإسلامية أكد أنه الضمير عند حديثه عن المعايير الأخلاقية الذاتية ، فقال : (المعيار الثاني الوجدان أو الضمير الأخلاقي) [يالجن ، ١٣٩٢هـ ، ص ٢٨٨] .

وأكد النورسي (أن الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطّل العقل نفسه وأهمل عمله) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٣١] ، فهو يميل إلى الخير ، وينفر من الشر دائماً ، ويعتبر (قوة فطرية تجعل المرء يشعر بالرضى إذا سلك طريق الخير ، وبالندم إذا

سلك طريق الشر) [يالجن ، ١٣٩٢هـ ، ص ٢٨٨] .

ولذلك يقول رسول الله ﷺ : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تفسير البر والإثم ، ج٤ ، ص ١٥٧٢ ، برقم ٢٥٥٣] ، فالضمير الحي - كما قيل - يؤنب صاحبه على الذنب ، ولهذا فإن الوجدان بمعنى الضمير .

أما علاقته بالعقل ، فإن النورسي يرى أنه (نافذة إلى العقل ينشر منها شعاع التوحيد) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٢١] ، فكأنه يشير إلى أن الوجدان لا يتفق مع العقل إذا ضل ، وأنه يؤنبه لما يتصف به من الحقيقة وصدق التوحيد ، ولهذا أشار في مواضع عدة أن الشريعة الإسلامية هي خير مربٍّ لهذا الوجدان ، حيث قال : (اعلم أن الديانة والشريعة الإسلامية المؤسسة على البرهان العقلي ملخصة من علوم وفنون في جميع العلوم الأساسية ، من فن تهذيب الروح ، وعلم رياضة القلب ، وعلم تربية الوجدان) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٢] .

ثم أشار أن سبب حياة الوجدان التربية على الدين الإسلامي ، حيث ذكر ضمن توجيهاته لطالبات النور أن على المرأة الصبر وعدم التسرع في الزواج إذا لم يتقدم لها الزوج الكفء ، (حتى يتقدم لطلبها من يلائمها ممن تربى بتربية الإسلام ، وله وجدان حي ، ليكون رفيق حياة أبدية يليق بها ، وذلك لئلا تفسد سعادتها الأخروية لأجل لذة دنيوية طارئة ، فتغرق في سيئات المدنية) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٤٢] .

ثم أشار إلى أن أهم ما يربي الوجدان وينميه من الدين الإسلامي العبادة التي تتمثل في امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، حيث قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون** ﴾ [سورة البقرة : آية ٢١] (اعلم أن العبادة هي التي ترسخ العقائد وتصيرها حالاً وملكة ، إذ الأمور الوجدانية والعقلية إن لم تنمِّها وتربِّها العبادة - التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي - تكن آثارها وتأثيراتها ضعيفة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٧] .

ويتضح أهمية تربية الوجدان كغيره من الجوانب المهمة في الإنسان ، مثل الروح والعقل والقلب ، وأن الشريعة الإسلامية بما فيها من عبادة وطاعة هي خير وسيلة صالحة تقوم عليها التربية .

المبحث الثاني : مفهوم الفكر .

تحدث النورسي في كثير من أجزاء رسائله عن الفكر والتفكر وأهميته في وصول الإنسان إلى الاعتراف بوجود الخالق سبحانه وتعالى ، وذلك من خلال النظر والتأمل في الآيات الكونية والشرعية ، إلا أن الباحث لم يعثر في هذه الرسائل على تعريف لمعنى الفكر والتفكر في نظر النورسي ، ولكن بالرجوع إلى ما كتبه بعض العلماء والمفكرين عن مفهوم الفكر ، عُثِر على عدد من الآراء المتقاربة المبينة لمعناه .

١- تعريفه :

الفِكَرُ بفتح الفاء وكسرها بمعنى (إعمال الخاطر في الشيء ، ورجل فِكّير وفَيْكر : كثير الفكر ، وقال الجوهري : التّفَكُّر : التأمل) [ابن منظور ، ١٣٧٥هـ ، ج٥ ، ص ٦٥] ، (والفِكْرُ ، بالكسر ويفتح : إعمال النظر في الشيء ، كالفِكْرَة والفِكْرَى بكسرهما ، جمعها : أَفْكَار ، ويقال : فَكَرَ فيه وأَفْكَرَ وفَكّرَ وتَفَكَّرَ ، وهو فِكّيرٌ كسِكّيتٍ ، وفَيْكَرٌ كصَيْقَلٍ : كثير الفكر) [الفيروز آبادي ، ١٤٠٧هـ ، ص ٥٨٨] .

والفكر هو (إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول) [المعجم الوسيط ، د.ت ، ج٢ ، ص ٦٩٨] ، والفكر هو (إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة) [ابن قيم الجوزية ، د.ت ، ج١ ، ص ١٨١] .

والفِكْرُ بالكسر (تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني ، ويقال : الفِكْرُ ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً) [الفيومي ، ١٤١٤هـ ، ج٢ ، ص٤٧٩] .

والتفكر (هو قدرة تشير إلى استعمال المهارات العقلية كلها للوصول إلى الحقيقة) [الكيلاني ، ١٤٠٨هـ ، ص ٥٨] ، وبالنظر في مجمل هذه الآراء المتعددة يتضح الآتي :

أ – أهمية التفكر للوصول إلى المعرفة .

ب – أن من معانيه التأمل والتدبر .

جـ – أهمية الحواس في عملية التفكر ، وخاصة النظر .

د – الارتباط القوي بين القلب والعقل ، ليقود صلاح القلب فكر العقل إلى سمو الهدف وصلاح الفكرة ، لأنه (قد يكون القلب أحياناً مرهقاً فينشغل الفكر بشيء ما – كيفما اتفق – دون جدوى) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص.ص ٣٠٥-٣٠٦] .

هـ – كثرة التفكر صقلٌ للعقل وتنميةٌ لأفكاره .

و – أن يكون التفكر ذا هدف وغاية .

ز – التأكد من نتائج التفكر ، فقد لا تكون يقينية ، بل قد تكون ظنية ، والظن لا تُبْنَى عليه العلوم والمعارف ، وذلك كما قال تعالى : ﴿ **وَمَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْم ، إنْ يَتَّبِعُونَ إلاّ الظَّنَّ وَإنّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَق شَيْئا** ﴾ [سورة النجم : آية ٢٨] ، (والنظر جنس تحته حق وباطل ، ومحمود ومذموم) [ابن تيمية ، د.ت ، ج١ ، ص ٤٨٦] .

٢– صوره ومعانيه :

تتعدد صور الفكر ومعانيه تبعاً لتعدد الأهداف والمقاصد ، فالمسلم له فكر يختلف عن غيره من الملحدين والمنافقين والماديين ونحوهم ، ولذلك فإن النورسي يرى أن الفكر له أربع صور ، ولكل صورة معانيها ، وهي كالتالي :

<u>الصورة الأولى</u> : **فكر إيماني** : وهذا لم يذكره النورسي بهذا المسمى ، ولكن الباحث توصل إليه من خلال ذكر غيره صراحة كما سيأتي في الصور الثلاث الأخيرة ، ثم من خلال حديث النورسي الطويل في رسائله عن التفكر والتأمل في الآفاق والأنفس لذلك السائح الذي يريد أن ينمي إيمانه ويقوّيه كما سبق الحديث عنه في التربية الإيمانية من هذا الباب ، حيث ذكر أن من أسباب إحراز الإخلاص وجود الإيمان الحقيقي عن طريق التفكر في المخلوقات ، والذي يقود صاحبه إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، فقال : (والسبب الثاني في إحراز الإخلاص هو أن يكسب المرء حضوراً وسكينة بالإيمان التحقيقي وباللمعات الواردة عن التفكر الإيماني في المخلوقات ، وهذا التأمل يسوق صاحبه إلى معرفة الخالق سبحانه ، فتنسكب الطمأنينة والسكينة في القلب ، حقاً إن تلمع هذا النوع من التأمل في فكر الإنسان يجعله يفكر دائماً في حضور الخالق الرحيم سبحانه ورؤيته له ، أي أنه حاضر وناظر إليه دائماً ، فلا يلتفت عندئذٍ إلى غيره ، ولا يستمد من سواه) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٤٧] ، ويقصد بذلك أن من أسباب الإخلاص في

العبادة وصول العبد إلى درجة الإحسان ، وهي درجة أعلى من الإيمان ، كما ورد في إجابة المصطفى ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان ، فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ج١ ، ص ٤٦ ، برقم ٨] ، ويقصد باللمعات هنا أن الإنسان كلما اكتسب معرفة بخالقه عن طريق التفكر والتأمل في مخلوقاته اكتسب إيمانُه نوراً وضياءً ، وذلك كما في قوله : (إن اتّباع السنة النبوية المطهرة هو أجمل وألمع[1] طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع الطرق ، بل أقومها وأغناها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٥٨١] .

الصورة الثانية : الفكر المادي : وقد أشار إليه بقوله : (ولما كان الفكر المادي قد ترسخت دعائمه في هذا العصر ، واستولى على غالبية النشاطات العقلية والعلمية حتى غدت المادة عند أصحابه هي أصل كل شيء ومرجعه) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٥٨٠] .

ولذلك فإن النورسي يرجع السبب في ذلك إلى شدة التعلق بالدنيا والاعتقاد بخلودها ، (فالشخص المادي المتعلق بالأسباب ، والمغرم بالدنيا ، يتشوق إلى إضفاء صفة الخلود على هذه الدنيا الفانية) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٥٨٠] ، وكأنه يشير إلى ما وصلت إليه أوربا من تقدم علمي سُخِّرَ لخدمة المادة وصيانة الحياة الدنيا والحفاظ عليها ، مع تجاهل الحياة الآخرة ، والفصل بين الدين والعلم ، ثم الاهتمام بحياة الجسد على حساب الروح ، مما أحدث هذا (التقدم المادي الضخم انقلاباً خطراً في كيان الإنسان ، أدى به إلى أن يكون آلة حيوانية تعمل كالآلات ، وصارت حياته كلها روتيناً كروتين الآلة ! يبدأ في الصباح ، وينتهي في المساء) [قطب ، ١٤٠٣هـ ، ج١ ، ص.ص ١٠١-١٠٢] .

ومن نتائج الفكر المادي استعبادُ قطاعٍ كبيرٍ من المجتمعات الإنسانية للوصول إلى المحافظة على نماء المادة وبقاء الحياة مستمرة ، ولو أدى ذلك إلى إزهاق العديد من الأرواح ، كما هو الحال الآن في التجارب العلمية البعيدة عن الدين والأخلاق والآداب لهدف الوصول إلى عملية ما يسمى بالاستنساخ ، والذي يقوم أساساً على إزهاق العديد من الأجنة ، كما حدث في عام (١٩٩٣م) عندما (قام الطبيبان جيري هول وروبرت ستيلمان من جامعة جورج تاون الأمريكية بتصنيع توأمين من خلال

---

(١) من لَمَعَ الشيء يَلْمَعُ لَمَعَاناً : أضاء ، واللمعة البقعة من الكلاء . [الفيومي ، ١٤١٤هـ ، ج٢ ، ص ٥٥٩] .

عملية الاستنساخ هذه ، ولكن بعد سلسلة من العمليات والتجارب التي راح ضحيتها عدة أجنّة ، هذه المشكلة مضافة إلى مشاكل أخرى حساسة أيضاً ، مثل : الإجهاض ، وقتل المريض بحجة اليأس من شفائه ، وإخصاب بويضة الزوجة بماء رجل أجنبي ، كل هذه ظواهر مشتركة في شيء واحد ، وهو انقطاع صلة هؤلاء الناس با لله ، وغياب الأمل بحياة أخرى ، قد تتعوض فيها كل هذه الآلام من عقم وأمراض ... إلخ ، فالكثير من هؤلاء الناس غير قانع بالكيفية التي خلقه ا لله بها ، ويريد أن يُفَصِّل خِلْقَةً على مزاجه وحسب هواه) [مجلة المجتمع ، عدد ١٢٤٢ ، في ١٤١٧/١١/١٩هـ ، ص.ص ٣٤-٣٥] .

ولا شك أن ذلك كله راجع إلى التفكير المادي الخالي من الإيمان با لله واليوم الآخر ، والذي يوصل إلى عبادة المادة والحرص على كسب المال من أي طريق كانت ، وبأي أسلوب كان ، ونتيجة ذلك الشقاء والتعاسة وعدم التوفيق والسداد ، كما ورد في حديث المصطفى ﷺ الذي قال فيه : « تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يُعْطَ سخِط ، تعس وانتكس ، وإذا شيكَ فلا انتقش ... » الحديث . [أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب الحراسة في الغزو في سبيل ا لله ، ج٤ ، ص ٤٣٨] .

الصورة الثالثة : الفكر الاشتراكي الشيوعي : وقد أشار إليه بقوله : (ورد أن اليهود هم القوة العظيمة للدجال ، ويتبعونه طوعاً[1] ، إذ اليهود الذين قاسوا مظالم بيد الحكومات كلها تجمعوا بكثرة في ألمانيا لأجل أن ينتقموا من الدول والشعوب ، فكانت لِـ " ترونسكي " اليهودي اليد الطولى في تأسيس منظمة الشيوعية ، حتى أوصلوه إلى القيادة العامة ، ومن بعد ذلك جعلوه في رئاسة الحكومة في روسيا خلفاً لِـ " لينين " الذي ربوه فدمروا روسيا دماراً رهيباً ، وزعزعوا كيان سائر الحكومات ، وأثاروا فيها الاضطرابات والقلاقل . نعم ، إن الفكر الاشتراكي تولد في الثورة الفرنسية وترعرع بدعوتها إلى التحرر ، ولما كان هذا الفكر الاشتراكي يدعو إلى تدمير قسم من المقدسات ، فقد انقلب إلى البلشفية ، وقد نشرت البلشفية بذور الإفساد لتحطيم كثير من المقدسات والمثل والأخلاق) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ١١٦] .

---

(١) إشارة إلى قول الرسول ﷺ : « يتبع الدَّجَّال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة » [أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في بقية من أحاديث الدجال ، ج٤ ، ص ١٧٩٢ ، برقم ٢٩٤٤] .

وأشار النورسي أن من معاني هذا الفكر الفوضى والإرهاب ، حيث تحدث مشيراً إلى النتائج لهذا الفكر ، فقال : (وستثمر تلك البذور حناظل الفوضوية والإرهاب التي لا تعرف حدوداً لشيء ، ولا تقيم وزناً له) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١١٧] .

ثم ذكر السبب الذي أوصل أصحاب هذا الفكر إلى درجة الفوضى والإرهاب أنه فساد القلب ، وخلوّه من الرحمة والشفقة ، وسيطرة العقل دون امتزاجه بضياء القلب ، فقال : (القلب الإنساني إذا انتزع منه الرأفة والرحمة والاحترام فإن العقل والذكاء يسيطران على زمام الإنسان ، ويجعلان أولئك الناس كالوحوش الضارية ، والكلاب المسعورة ، فلا يجدي معهم الضبط السياسي) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١١٧] .

ولذلك قال : (إن نور الفكر ظلام يفجر ظلماً ما لم يتوهج بضياء القلب ويمتزج به) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٠٣] .

وضياء القلب صلاحه بالإيمان الذي وقر فيه ، وأكثر الأماكن قبولاً لهذا الفكر الأماكن المزدحمة ، لوجود الفقر والفاقة بها ، ولما يتضمنه هذا الفكر من الدعوة الكاذبة إلى المساواة بين الفقراء وغيرهم . وكذلك أماكن الظلم ، لأن هذا الفكر يدعو زوراً وبهتاناً إلى المساواة ، وإلى أن تكون الدولة للجماعة والمؤسسات الاجتماعية لا الفردية . وكذلك في مواطن الجهل وعدم الانضباط ، حيث (أن أخصب مرتع للفكر الفوضوي الإرهابي هو الأماكن المزدحمة بالمظلومين ، والقبائل البعيدة عن الحضارة وعن الحكومة والدولة التي اعتادت النهب والإغارة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١١٧] .

والملاحظ أن الدول التي تتبنى الاشتراكية في أنظمتها وقوانينها تكثر بها الانقلابات والمظاهرات والقلاقل ، وما تأتي حكومة إلا وتعلن الإصلاحات والمساواة وحلّ البطالة ، والقضاء على الفقر ، وتمضي السنون وإذا بالأحوال من سيّء إلى أسوأ ، وهكذا حال المجتمعات والأفراد التي قبلت بهذا الفكر ديناً ودستوراً ونظاماً ، ولن تصلح الأحوال إلا بالرجوع إلى تحكيم شرع الله ، وخاصة في الدول التي تعلن الإسلام دينها الرسمي وتطبق نظام الفكر الاشتراكي ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ [سورة الرعد : آية ١١] .

نعم ، (إن العلاج الوحيد لإنقاذ الأمة في هذه البلاد وفي هذا العصر من الفوضى والإرهاب ، ومن التردي المريع ، والتدني الرهيب ، هو أساس رسائل النور) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٥٩] .

ومعلوم أن أساسها كتاب الله ﷻ كما أشير إليه في مواضع عدة ، ومعلوم أيضاً أن الفكر الذي يدعو النورسي إلى تربيته وتنميته هو الفكر الإيماني ، (إن ساعة تفكر إيماني حقيقي في حكم سنة من الطاعة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٥٩] ، أما ما عداه فإنه يحاربه ويحذر منه في مناسبات عدة .

الصورة الرابعة : الفكر القومي : وأشار إليه النورسي بقوله : (لقد انتشر الفكر القومي وترسخ في هذا العصر ، ويثير ظالمو أوربا الماكرون بخاصة هذا الفكر بشكله السلبي في أوساط المسلمين ليمزقوهم ويسهل لهم ابتلاعهم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٤١٤] .

وهذا الفكر على قسمين :

١) الفكر القومي السلبي :

وصفه النورسي بأنه (مشؤوم مضر ، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ، ويدوم بعداوة من سواه ، وهذا يولد المخاصمة والنزاع) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤١٤] ، وسماه العنصرية الجاهلية التي وصف الله أصحابها بقوله تعالى : ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ** ﴾ [سورة الفتح : آية ٢٦] ، حيث قال : إن (هذه الآية الكريمة ترفض رفضاً قاطعاً القومية السلبية وفكر العنصرية ، لأن الغيرة الإسلامية الإيجابية المقدسة لا تدع حاجة إليها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤١٤] .

وذكر من أضرارها ما يلي :

أ – في عهد الأمويين ، حيث (خلطوا شيئاً من القومية في سياساتهم ، فأسخطوا العالم الإسلامي فضلاً عما ابتلوا ببلايا كثيرة من جراء الفتن الداخلية) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤١٤] ، وحقيقة الأمر لم تنحصر في الأمويين ، بل كانت في العباسيين أيضاً وغيرهم ، وخاصة في أواخر الدولتين .

ب – في أوربا ، (لما دعوا إلى العنصرية وأوغلوا فيها نجم العداء التاريخي المليء بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان ، كما أظهر الدمار الرهيب الذي أحدثته الحرب العالمية مبلغ الضرر الذي يلحقه هذا الفكر السلبي للبشرية) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٤١٤] .

جـ – في تركيا ، وأشار إليه بقوله : (وكذلك الحال فينا ، ففي بداية عهد الحرية " أي إعلان الدستور " تشكلت جمعيات مختلفة للاجئين ، وفي المقدمة الروم والأرمن ، تحت أسماء أندية كثيرة ، وسببت تفرقة القلوب) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٤١٤-٤١٥] .

د – ضرره على العالم الإسلامي ، وأشار إليه بقوله : (أما الآن فإن التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله بسبب الفكر القومي هلاك عظيم ، وخطب جسيم ، إذ أن تلك العناصر أحوج ما يكون بعضهم لبعض ، لكثرة ما وقع عليهم من ظلم وإجحاف ، ولشدة الفقر الذي نزل بهم ، ولسيطرة الأجانب عليهم ، كل ذلك يسحقهم سحقاً ، لذا فإن نظر هؤلاء بعضهم لبعض نظرة العداء مصيبة كبرى لا توصف ، بل إنه جنون أشبه ما يكون بجنون من يهتم بلسع البعوض ، ولا يعبأ بالثعابين الماردة التي تحوم حوله) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤١٥] ، وهو تشبيه بليغ ينطبق على حال الشعوب الإسلامية الآن ، حيث (كانت دعاوي الوطنية القومية في الوطن الإسلامي فتنة لا تعود عليهم إلا بالوبال وحده ، فلم تكن لهم القوة التي يكسبون بها شيئاً من ورائها ، وإنما يجنون من تمزقهم أن يكونوا لقماً سائغة في فم العدو) [قطب ، ١٤٠٧هـ ، ص ٣٨٤] .

وقد ابتليت أغلب الأقطار العربية بهذا الفكر ، حيث (أدى قيام الفكر القومي العربي إلى نقل النموذج الغربي بشقيه[1] على مدار القرن الماضي إلى تصدي القيادات الإسلامية له ، ووقوع معارك فكرية عنيفة بين الطرفين ، ودعا الفكر القومي العربي في تلك المعارك إلى إبعاد الدين عن شؤون الحكم والاقتصاد والسياسة ، كما دعا إلى إحلال الرابطة القومية محل الرابطة الدينية ، ودعا إلى إبعاد الدين عن نطاق حياتنا المدنية ، ودعا إلى تحرير المرأة وسفورها ... إلخ ، و لم يقف الأمر عند الصراع الفكري ، بل تعداه إلى تضييق القيادات القومية على العلماء والمتدينين حيناً ، وإدخالهم السجون والمعتقلات والبطش بهم حيناً آخر) [مجلة المجتمع : عدد ١٢٦٧ ، في ١٤/٥/١٤١٨هـ ، ص ٤٨] .

٢) الفكر القومي الإيجابي :

وأشار إليه بقوله : (القومية الإيجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية ، وهي سبب للتعاون والتساند ، وتحقق قوة نافعة للمجتمع ، وتكون وسيلة للأخوة الإسلامية) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤١٥] .

---

(١) يقصد به النظامين الرأسمالي والاشتراكي .

ووصف النورسي هذا الفكر بقوله : (ينبغي أن يكون خادماً للإسلام ، وأن يكون قلعة حصينة له ، وسوراً منيعاً حوله ، لا أن يحل محل الإسلام ، ولا بديلاً عنه ، لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة ، وأنها تبقى خالدة في عالم البقاء وعالم البرزخ) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٤١٥-٤١٦] .

وبذلك يتضح ضرر القومية الناتج عن العنصرية ، وأن الفكر القومي ضرر محض ، وهو ما كان سبباً في تأخر الشعوب الإسلامية في هذا العصر ، حيث أخذ الكثير من أبنائها ينادون بالعنصرية والقومية ، وكانت شغلهم الشاغل ، مما كان سبباً في صرفهم عن الاهتمام بالفكر العلمي المبني على أسس سليمة من الكتاب والسنة .

المبحث الثالث : أسس تنمية الفكر .

الفكر الذي يدعو إليه النورسي وربى عليه نفسه وطلابه هو الفكر الإيماني الذي يقود إلى الحق والصواب والنفع العاجل والآجل ، كما ذكر ذلك النورسي بقوله : (كلما أصابني الفتور في العمل للقرآن ، واستولى عليّ التفكير بخاصة نفسي وإصلاح آخرتي ، كان أحد ثعابين أهل الدنيا يتسلط عليّ ، وأحد المنافقين يتعرّض لي) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٨] .

وقد بين النورسي عدداً من الأسس التي يقوم عليها التفكير الإيماني ، ومن أهمها :

١- الإيمان : حيث أشار إليه بقوله : (أنه لا بد في النظر إلى صنعه تعالى أن ينظر إليه من جانبه تعالى مع ملاحظة عنايته وربوبيته ، وليس هذا النظر إلا بنور الإيمان ، ولا تكون الأوهام حينئذٍ - ولو قوية - إلا أوهن من بيت العنكبوت ، إن من تفكر فيه بنور الإيمان ازداد نوراً ، ومن تفكر بظلمة الكفر والتنقيد ازداد ظلمة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٠٦] ، وجاء ذلك في أثناء حديثه عن قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِهِمْ ، وَأَمّا الّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا ، يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرا ، وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاّ الفَاسِقِينَ** ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٦] ، وأراد أن يبين اختلاف المقاصد والأهداف بناءً على وجود الإيمان من عدمه ، فالكل له فكر ونظر ، ولكن يختلف حسب اختلاف المقاصد والأهداف .

٢- التوحيد : فالإنسان إذا نظر إلى آيات ا لله الكونية والشرعية معتقداً ربّاً واحداً وإلهاً واحداً يتصرف في أرجاء هذا الكون ، ويعلم ويرى كل صغيرة وكبيرة دون شريك أو معين ، وصل إلى الحق ، وكانت نتائج نظره وفكره مفيدة ومثمرة ، على العكس تماماً إذا نظر بتوهم الشريك والمعين أو فاعلية الأسباب في الكون ، لذلك فالتوحيد مهم ، وأساس قوي للفكر الإيماني الصحيح ، (فالعقل الذي هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها إن استُعْمِل بسر التوحيد فإنه يصبح مفتاحاً ثميناً ، بحيث يفتح الكنوز الإلهية السامية وألوفاً من خزائن الكون ، بينما إذا تخبط في وحل الضلالة والكفر فإنه يصبح آلة تعذيب ووسيلة إزعاج بما يجمع من آلام الماضي الحزينة ومخاوف المستقبل الرهيبة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٩] .

٣- القرآن الكريم : حيث هو مصدر أساسي من مصادر الشريعة الغراء ، ومصدر أساسي من مصادر التربية الإسلامية ، ولذلك فهو أساس قوي من أسس التفكير السليم ، حيث أشار إلى ذلك النورسي بقوله : (لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاماً ضمن انتهاج مسلك التفكر الذي يأمر به القرآن الكريم المعجز البيان ، كقوله تعالى : ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون** ﴾[(١)] ، ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَتفكَّرُون** ﴾[(٢)] ، ﴿ **أَوَلَمْ يَتفكَّرُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ ا للهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض ...** ﴾[(٣)] ، ﴿ **... لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرون** ﴾[(٤)] ، وأمثالها من الآيات التي تحث على التفكر) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٥٦] .

٤- السنة النبوية : إنها الأساس الثاني بعد كتاب ا لله ، والمصدر الثاني من مصادر التربية الإسلامية ، فلا شك ولا ريب أنها من الأسس القوية لصلاح الفكر وسلامته ، ولذلك يقول الرسول ﷺ : « تفكروا في آلاء ا لله ولا تتفكروا في ا لله ﷻ » حديث حسن . [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص ٥٧٢] .

---

(١) من قوله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ا للهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون** ﴾ [سورة البقرة : الآيتان ٢١٩ ، ٢٦٦] .

(٢) من قوله تعالى : ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتفكَّرُون** ﴾ [سورة الحشر : آية ٢١] .

(٣) من قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَتفكَّرُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ ا للهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالحَقّ وَأَجَلٍ مُسَمّى** ﴾ [سورة الروم : آية ٨] .

(٤) من قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرون** ﴾ [سورة الرعد : آية ٣ ، وسورة الروم : آية ٢١ ، وسورة الزمر : آية ٤٢ ، وسورة الجاثية : آية ١٣] .

والنورسي اعتبر النظر في السيرة النبوية - بإمعان مع الإحاطة علماً بما في السنة النبوية المطهرة - مفيد في الوصول إلى حقيقة محمد ﷺ ، وأن الله قد جمع فيه أصول الآداب وقواعدها ، حيث قال : (فمن يمعن النظر في السيرة النبوية ويُحِطْ علماً بالسنة المطهرة يدرك يقيناً أن الله سبحانه وتعالى قد جمع أصول الآداب وقواعدها في حبيبه ﷺ) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٨٧] .

والنظر الصحيح لا يكون إلا مع التفكر والتأمل والتدبر في السيرة والسنة ، فلا يكفي البصر دون الاستبصار ، لأن من معاني الفكر ما (يسمى تفكراً وتذكراً ونظراً وتأملاً واعتباراً وتدبراً واستبصاراً ، وهذه معانٍ متقاربة تجتمع في شيء وتتفرق في آخر) [ابن قيم الجوزية ، د.ت ، ص ١٨٢] .

٥- **العبادة** : إنها من الأسس التي تنمي وتربي في الإنسان التفكر ، لأنه عندما يمتثل أوامر الله طاعة له وتعظيماً لجلاله سبحانه وتعالى ، ولا يكون ذلك إلا بالتفكر في عظمته وقدرته وربوبيته ، ووجوب طاعته ، ثم اجتناب النواهي لا يكون إلا بعد التفكر في قدرة الله وعظمته وكبريائه وجبروته ، فيخاف العبد ، فلا يقدم على المعصية ، ومن ذلك اعتبر النورسي العبادة تنمي في الإنسان الجوانب الوجدانية العقلية وتربيها ، حيث قال : (اعلم ان العبادة هي التي ترسخ العقائد وتصيرها حالاً وملكة ، إذ الأمور الوجدانية والعقلية إن لم تنمِّها وتربِّها العبادة - التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي - تكن آثارها وتأثيراتها ضعيفة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٧] .

ثم اعتبرها واسطة لتنظيم الأفكار ، حيث ذكر ضمن ما ذكر من فوائد العبادة للإنسان أنها (الوسيلة لتحقيق آماله وجعلها مثمرة ريانة ، وكذلك هي الواسطة لتنظيم أفكاره وربطها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٩] .

٦- **الذكر** : الأذكار من التسبيحات والتحميدات والتهليلات والتكبيرات وغيرها تذكر الإنسان بمن ينزَّه ويحمَد ويوحَّد ويكبَّر ، لا شك أنه لواحد أحد ، فرد صمد ، فعندما تنطق الألسنة بهذه الكلمات مع التفكر في عظمة الله وجلاله وكبريائه فإنها تربي في الإنسان قوة الإيمان وسلامة التفكير الذي يوصل - بإذن الله - صاحبه إلى برّ الأمان ، ولذلك اهتم النورسي بالذكر ، وألّف رسالة أسماها (رسالة التفكر الإيماني الرفيع والمعرفة التوحيدية السامية) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٥٥] .

ثم أخذ يحث على قراءتها ، لأنها نابعة من أذكار الصلاة ، واعتبرها غذاء للعقل والفكر ، وعلاجاً لها ، فقال واصفاً إياها : (إن رسالة التفكر هذه جليلة القدر ، فهي رسالة معرفة إيمانية وردت إلى القلب بعين اليقين أثناء أذكار الصلاة ، وأثمرت كثيراً من الرسائل ، وأصبحت غذاءً للعقل والفكر ، وعلاجاً لهما) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٤٥٥] .

وذكر أن ترداد هذه الأذكار لا يُملّ ولا يُسأم ، فقال : (وكنت أردد بيني وبين نفسي تلك الكلمات لساناً بعبارات عربية في غاية الاختلاف ، وعلى الرغم من تكراري لها آلاف المرات خلال هذه الفترة الطويلة وأنا أنتهج هذا التفكر لم يطرأ عليّ السأم ، ولم يعتر ذوقها النقص ، ولم تنتفِ حاجة الروح إليها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٥٦] .

وقد أفرد لكل لفظة باباً مستقلاً في رسالة التفكر ، حيث جعلها على أربعة أبواب : (الباب الأول في " سبحان الله " ، والباب الثاني في " الحمد لله " ، والباب الثالث في " الله أكبر " ، والباب الرابع في " لا إله إلا الله ") [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٤٥٧] ، وهذه الكلمات الأربع حث عليها المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه بقوله : « لأن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس » [أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، ج٤ ، ص ١٦٤٦ ، برقم ٢٦٩٥] .

والنورسي رتبها على حسب ذكرها بعد الصلاة ، (لأن معظم الشافعية يذكرون " لا إله إلا الله " ثلاثاً وثلاثين مرة بعد ذكرهم كلاً من سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٥٧] .

فهذه أسس متينة وقوية يعتمد عليها الفكر الإيماني الصحيح بخلاف الأفكار الأخرى التي تخلو من هذه الأسس وتقوم على النفع المادي أو الكفر والإلحاد ، وتغيير الحقائق وإضلال العقول .

المبحث الرابع : شروط الفكر الجيد .

سبق وأن عُرفت أقسام التفكير عند النورسي ، من الفكر الديني الإيماني المفيد في الدنيا والآخرة ، والفكر المادي الذي جعل الحياة الدنيا هدفاً وغاية ، والفكر الإلحادي المتمثل في الفكر الشيوعي وغيرها ، ثم الفكر القومي المبني على العنصرية والفرقة ، فلكل

إنسان أو مجتمع أن يفكر وأن يصل إلى نتائج ، ولكن قد تكون نتائج التفكير التدمير الأخلاقي وخسارة الدنيا والآخرة ، وقد يكون التفكير نافعاً في الدنيا دون الآخرة ، وقد يحقق سعادة الدارين ، وهذا هو المقصود والمطلوب ، ولذا فإن التفكير المفيد في الدنيا والآخرة له شروط تضبطه حتى يحقق تلك السعادتين ، ذكر النورسي رحمه الله جملة منها في رسائله ، قام الباحث بتلخيص أهمها في النقاط التالية :

١- أن يكون التفكير مقروناً بتوحيد الخالق سبحانه ﷻ ، لأن (العقل الذي هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها إن استُعمِل بسر التوحيد ، فإنه يصبح مفتاحاً ثميناً يفتح الكنوز الإلهية السامية ، وألوفاً من خزائن الكون ، بينما إذا تخبط ذلك العقل في وحل الضلالة والكفر فإنه يصبح آلة تعذيب ووسيلة إزعاج) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٩] .

وحال المجتمعات الآن شاهد على ذلك ، فإن أغلبها أصبحت تعيش في قلقل وخوف شديدين من نتائج ما توصل إليه الفكر الضال الملحد .

٢- أن يكون للفكر غايات سامية ومقاصد رفيعة ، فإن (لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي ، أو نُسيت تلك الغاية ، أو تنوسيت ، تحولت الأذهان إلى أنانيات الأفراد) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٥١] ، ولذلك أشار النورسي إلى أهمية المقصد والهدف الذي يشتغل به الإنسان ، لأن (قيمة الإنسان بنسبة ماهيته ، وماهيته بدرجة همته ، وهمته بمقدار المقصد الذي يشتغل به) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٨٢] .

فالأعمال الصالحة الظاهرة تعود إلى صلاح النية الباطنة ، فإن كانت صالحة كان العمل صالحاً ، وإن كانت فاسدة ، أصبح العمل هباءً منثوراً ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورا** ﴾ [سورة الفرقان : آية ٢٣] ، وكما في قول رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنية ، وإنما لامرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » [أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنية » - ج٣ - ص ١٢٠٤ ، برقم ١٩٠٧] ، فالهجرة في ظاهرها عمل صالح ، ولكن النية هي التي تحدد صلاحه من فساده على حسب الأهداف والمقاصد .

ولذلك وجه النورسي طلابه إلى عدم طلب مقاصد دنيوية بالعبادة الفكرية ،

وأخبرهم (أن رسائل النور لا تكون وسيلة قطعاً لكسب مصالح دنيوية ، ولا تستغل ترساً لدفع أضرارها ، لكونها عبادة فكرية ذات شأن وأهمية ، فلا تطلب بها مقاصد دنيوية ، إذ لو طلبت يفسد الإخلاص ، ويتغير شكل تلك العبادة الجليلة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢١٩] .

٣- أن يمتزج نور الفكر بصلاح القلب ، لأن صلاح القلب صلاح لجميع أعضاء الجسم ، فعلى جميع (المفكرين الذين غشيهم ظلام أن يدركوا الكلام الآتي : لا يتنور الفكر من دون ضياء القلب ، فإن لم يمتزج ذلك النور وهذا الضياء فالفكر ظلام دامس يتفجر منه الظلم والجهل) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٤٨] .

فالجهل العلمي الموجود في المجتمعات الآن ناتج عن ذلك ، لأن علمهم بني على نية الإفساد والتخريب لفكر الأمة ، كما هو حال أهل الحداثة الذين شحنوا أفكارهم (في كثير من نماذجها بالمعاني الهزيلة ، والأفكار الهابطة ، والسهام المسمومة الموجهة للقضاء على الفضيلة والخلق والدين) [القرني ، ١٤٠٨هـ ، ص ٦][1] .

٤- أن يكون الفكر صالحاً لتعاقب الأفكار وتلاحقها - نتائج الفكر قد لا تكون آنية ، بل قد تمتد إلى أزمنة متأخرة ، وعلى أيدي عددٍ من المفكرين ، وهذا ما يحصل الآن من قطف لنتائج تعاقب الأفكار وتلاحقها ، فأول من يبدأ في الفكرة يرسم الطريق لمن بعده ، وهكذا كل جيل يبدأ من حيث توقف الجيل الذي قبله إذا كانت أفكاره تسير على طريق صحيح ، وقد أشار النورسي إلى ذلك بقوله : (كما أن استماع الإنسان وتكلمه وملاحظته وتفكره جزئية تتعلق بشيء فشيء على سبيل التعاقب ، كذلك همته جزئية لا تشتغل بالأشياء إلا على سبيل التناوب) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٨٢] .

ودلالة صلاحه قبول جمهور العلماء له ، (فالدعوة إلى أي فكر كان مشروط بقبول جمهور العلماء له ، وإلا فهو بدعة مردودة تنحصر بصاحبها ولا يتعداه ، لأن الإجماع وجمهور الفقهاء هم الذين يميزون ختم الشريعة عليه) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٤٨] .

---

(١) من كلام سماحة الشيخ " عبد العزيز بن عبد الله بن باز " حفظه الله الذي قدم به للكتاب .

٥- أن يصحب الفكر عمل وبحث جادين ، فإذا توقف البحث عند مجرد الفكرة فإنه لا يسمى فكراً ، ولا يُثمر ولا يُنتِج ، بل لا بد من العمل والبحث باستمرار ، فالله سبحانه وتعالى يرزق الإنسان (نِعَماً ظلت مخفية عنه ، وذلك نتيجة دعائه الفعلي الذي هو البحث عن الحقائق وتحريها ، المتولد من تلاحق الأفكار) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٣٥٩] ، ويقصد بهذه النعم التي كانت مخفية ثم كُشِفَت لهذا الإنسان بفضل من الله ، ثم بمساعدة المخترعات الحديثة ، من السيارات ، والطائرات ، والراديو ، وغيرها من الوسائل المختلفة ، مُشِيراً إليها بقوله : (إن رجلاً عاجزاً جعل قانوناً إلهياً وسيلة لاستفادة البشر ، بكشفه الراديو بإلهام إلهي ، أي بنوع من استجابة دعاء الإنسان الفعلي) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٥٩] .

٦- حرية الفكر ، وذلك بأن يُعطى الحرية لأجل الوصول إلى الأهداف والمقاصد الحسنة ، أما إذا كُمِّمَت الأفواه ، وحُجِر على الأفكار فلن يُجْدِي الفكر إذاً ، ولن يُخْلَص فيه ، والنورسي يعارض أولئك الذين يتعرضون لطلاب النور ويمنعونهم قائلاً لهم : (واستناداً إلى مبدأ حرية الفكر والوجدان ، إذا كان بعض طلاب النور يرفضون نظمكم ومبادئكم ، وينتقدونها على أساس علمي نقداً بناءً ، وإن صدرت منهم أعمال وتصرفات لا تتفق وتلك المبادئ ، فليس من حق القانون أن يحاسبهم على ذلك بشرط ألا يتدخلوا في الشؤون الإدارية ، وألا يخلّوا بالأمن والنظام) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٠٨] .

وحرية الفكر يحث عليها الإسلام ويتبناها ، حيث (يستشهد العقل وينبهه بإحالة كثير من الأمور إلى العقل ، ويحثه على التدبر والملاحظة ، فلا يعزل العقل ، ولا يحجر على عقول أهل الفكر ويكمم أفواههم ، ولا يطلب التقليد الأعمى) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٥٦٢] .

٧- أن يصاحب التفكر حسنُ أمل في الوصول إلى الأهداف والمقاصد ، لأن ذلك يدفعه إلى التفاعل مع الشيء الذي يفكر فيه ، فينظر إليه ويبحثه من جميع الجوانب ، ولذلك يوجه النورسي المفكر إذا شرع في التفكير أن يتخذ القاعدة التالية دستوراً له ، وهي : (خذ ما صفا ، دع ما كدر ، فانظر بحسن ، وشاهد بحسن ليكون فكرك حسناً ، وظُنّ ظناً حسناً ، وفكّر حسناً لتجد الحياة اللذيذة الهانئة ، إن الأمل المندرج في حسن الظن ينفخ الحياة في الحياة ، بينما اليأس المخبوء في سوء الظن ينخر سعادة الإنسان ، ويقتل الحياة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٥٤] .

فلا بد إذاً من أن يبنى التفكير على أسس سليمة وعلى علم صحيح حتى يثق المفكر في نتائج تفكيره وحصول الهدف المنشود بإذن الله تعالى .

المبحث الخامس : أسباب الجمود الفكري .

ما أخطر أن تصاب الأمة في عقول أبنائها وفي تفكيرهم ، إنه أخطر من أن تصاب في أمنها واقتصادها ونظمها ، لأن كل هذه وغيرها مبنية أساساً على التفكير السليم ، فإن حصل شيء من ذلك مع بقاء الفكر صافياً عاملاً منتجاً في غير ما تبعية ولا تقليد ، فستحيا بإذن الله ، أما إذا أصيب الفكر لوحده دون غيره فإن إصابته ستنتقل إلى جميع الجوانب الأخرى المبنية عليها حياة الدنيا والآخرة ، والجمود الفكري في أي أمة من الأمم شرّ ووبال على أفراد تلك الأمة ومجتمعاتها ، ونظمها المختلفة ، إلا أنه في أمة الإسلام والعقيدة الصحيحة أشدّ خطراً وأعظم مصيبة ، لأن جمود فكر أبناء أمة هي خير الأمم وأكرمها وأفضلها إيذان بجمود فكر جميع الأمم والمجتمعات ، وإن بدا في بعض جوانبه عكس ذلك ، إلا أنه في حقيقته سائرٌ إلى الهلاك والدمار للأخلاق والفضيلة والقيم الاجتماعية ، وعصر النورسي رحمه الله تعالى من العصور التي شهد فيها العالم الإسلامي جموداً وخموداً في الفكر العملي الجاد ، لأن عهد الركود والجمود والانحسار (بدت بوادره في القرن التاسع والعاشر بعد عهد الحركة والإبداع والامتداد ، واتسم هذا العهد من الوجهة الثقافية بجمود وعقم في الأسلوب ، وانحسار في المواد والمضمون) [المبارك ، د.ت ، ص ٥٨] ، إلا أنه يلاحظ (أن القرن الحادي عشر للهجرة كان نقطة تحول نحو الضعف بالنسبة إلى العالم الإسلامي) [نفس المصدر ، ص ٥٧] ، وذلك عندما أخذ بعض أبناء المسلمين يقلد الغرب في مناداتهم بفصل الوحي عن العقل ، وإن كان هذا صواباً في نظر الدين المسيحي المحرّف ، إلا أنه خطأٌ كبيرٌ وانحراف خطير بالنسبة للدين الإسلامي الصافي الثابت ، بل إنه (أمر غير مقبول بالمرة ، بل إنه لأمر منافٍ لروح الإسلام كله ، ومعارض لما في القرآن من دعوة أساسية للعقل أن يزن كل الأمور بميزان العقل) [الفاروقي ، ١٤٠٤هـ ، ص ٥٦] .

والنورسي ذكر عدداً من أسباب الجمود الفكري ، اتسم بها عصره ، ولا زالت حقيقتها إلى الآن ، ومن أهمها :

١- البعد عن الدين ، حيث خاطب النورسي أعضاء الحكومة في تركيا بمن فيهم زعيمهم " مصطفى كمال أتاتورك " وجميع أعضاء حكومته مبيناً لهم أهمية الدين الإسلامي

عموماً ، ووجوب المحافظة على الصلاة خصوصاً ، وأن إبعاد الدين شرّ ووبال للأمة ، فقال : (إن ظهور أكثر الأنبياء في الشرق وأغلب الفلاسفة في الغرب رمز للقدر الإلهي بأن الذي يستنهض الشرق ويقوّمه إنما هو الدين والقلب ، وليس العقل والفلسفة) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٠١] ، ويشير بذلك إلى تحويل تركيا إلى دولة علمانية تابعة للغرب في نظمها وتفكيرها ، ومنها فصل الدين عن الحياة بما في ذلك فصل الدين عن العقل ، وهذا ما جرّ تركيا إلى التبعية لغيرها في كل شيء حتى الآن ، وما انضمامها إلى حلف شمال الأطلسي إلا شاهد على ذلك .

٢- الإعراض عن السنة النبوية ، حيث أن الإعراض عنها يؤدي إلى الخرافات والبدع التي هي (إحداث أمور في الأحكام العبادية ، وهي مردودة ، حيث أنها تنافي الآية الكريمة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1]) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٩٠] .

والدين لا يكتمل إلا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعبادة الله ﷻ عبادة صحيحة يشترط لها شرطان : الإخلاص لله ، والمتابعة لرسول الله ﷺ ، ومحبة الله تعالى تستلزم محبة رسوله ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٣١] .

ولذلك قال النورسي عند حديثه عن هذه الآية : (إن كنتم تؤمنون بالله فإنكم تحبونه ، فما دمتم تحبونه فستعملون وفق ما يحبه ، وما ذاك إلا تشبهكم بمن يحبه ، وتشبهكم بمحبوبه ليس إلا في اتّباعه ، فمتى ما اتّبعتموه يحبكم الله) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٩١] .

فالسنة النبوية الأساس الثاني بعد القرآن الكريم لجميع حركات وتصرفات المؤمن في هذه الحياة ، بما في ذلك تفكيره وتأمله وتدبره ، ولهذا حذر النورسي من الإعراض عنها قائلاً : (أيها المسلمون : اعلموا كم هو انعدام للوجدان وفقدان للعقل إعراضكم عن سنن هذا النبي الرؤوف الرحيم ، وعما بلّغ من أحكام) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٨٩] .

وإذا فُقِد العقل فإن التفكير السليم تبع له سيُفْقَد ، وتصاب الأمة بجمود وخمود فكري خطير .

---

(١) سورة المائدة : آية ٣ .

٣- النفاق ، إن ضرر النفاق على الأمة أشد تأثيراً من ضرر الكفر ، لأن الكفر عُرِف وضُبِط هدفه فيُحذَر منه ومن أهله ، أما إظهار الصلاح والتقوى وإبطان العداوة والفساد والحقد والمكر للإسلام وأهله فهذا هو الخطر الخفي ، (إن الإسلام ما رأى من شيء ضرراً مثل ما رأى من أنواع النفاق وشعباته المنتشرة كالسم في عناصر العالم الإسلامي) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٩٥] .

ولذلك أشار النورسي إلى محاولة إفسادهم تفكيره بإصلاح دنياه وآخرته ، فقال : (كنت كلما أصابني الفتور في العمل للقرآن ، واستولى عليّ التفكير بخاصة نفسي وإصلاح آخرتي ، كان أحد ثعابين أهل الدنيا يتسلط عليّ ، وأحد المنافقين يتعرّض لي) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٨] ، لأنهم يعلمون هدفه من إصلاح نفسه وآخرته التي يبني عليها إصلاح أبناء مجتمعه الإسلامي ، ولذلك يوجه طلابه بأن يعملوا على إبطال خططهم بالثبات على الحق والصلابة في وجه الباطل ، قائلاً لهم : (إخوتي الأعزاء الأوفياء ! إن ثباتكم وصلابتكم تبطل جميع خطط الماسونيين والمنافقين ، وتجعلها بائرة عقيمة ، إن أولئك الزنادقة قد قاسوا رسائل النور وطلابها بالطرق الصوفية ، ولاسيما بالطريقة النقشبندية ، فقد شنوا هجومهم علينا بالخطط نفسها التي غلبوا بها أهل الطرق الصوفية أملاً بأن يفرّقونا ويهونوا من شأننا) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٥٧] .

إن النفاق في هذا العصر قد فاق سابقه من العصور ، مما أدى إلى فساد جوانب عديدة من جوانب تفكير الأمة ، ومن مظاهر ذلك : إبطان الخيانة لدى كثير من ساسة ومثقفي ومفكري المسلمين وغيرهم تظاهراً بأنهم يريدون تقدم الأمة ، وهم يعملون في الخفاء على محاربتها سراً في عقيدتها وفكرها ، وعقول أبنائها ، وحال المسلمين اليوم خير شاهد وأكبر برهان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٤- مضايقة أهل الفكر والحجر على تفكيرهم : إن أخطر ما يواجه العلماء والمفكرين التضييق عليهم والحجرُ على فكرهم وإنتاجهم الفكري ، وما هناك دين سماوي صحيح أطلق الحرية في التفكير والاجتهاد والاستنباط مثل الدين الإسلامي الذي (يمنح لأهل العلم وأرباب الفكر والعقل مقاماً رفيعاً باسم الدين ، ويوليهم أهمية خاصة ، فلا يعزل العقل ، ولا يحجر على عقول أهل الفكر ويكمم أفواههم ، ولا يطلب التقليد الأعمى ، كما هو في المذهب الكاثوليكي) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٥٦٢] .

وما يشاهد في كثير من بلدان العالم النامي من كثرة هجرة العلماء والمفكرين من أطباء ومهندسين وغيرهم إلى دول الغرب لأكبر دليل على المضايقة لأهل العلم والتحجير على فكرهم ، سواء قصد ذلك أم لم يقصد ، والذي من صوره إعطاء المناصب الإدارية الرفيعة والتي لا تتفق مع طبيعة عملهم وفكرهم ، ثم قلة المرتبات أسوة بما يعطون في دول الغرب ، وعدم توفير المبالغ اللازمة لإقامة المصانع وإحضار الآلات واليد العاملة ، مما يجعل العالم والمفكر في ضيق وتضجر يضطرانه إلى ترك بلده والإحجام عن تقديم المنفعة لأبناء وطنه ، مع أنه في أشد الشوق والتطلع إلى ذلك ، على العكس تماماً في الدول المتقدمة التي أصبحت توفر لأولئك العلماء ما يجذبهم إليها من (إغراءات العمل في ظل التقدم العلمي والتقني ، حيث يتوافر المناخ العلمي المناسب ، وتتوافر الأجهزة والأدوات العلمية الحديثة ، والكتب والدوريات ، ورغبة البعض في الحصول على درجات علمية أعلى ، ومواصلة الدراسات والبحث ، حيث تتوافر إمكانيات البحث العلمي دون عائق ، ودون تدخل ، ودون تثبيط) [مرسي ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٠٦] .

٥- اليأس : إذا دب اليأس إلى عقول العلماء والمفكرين عمل على تعطيلها عن العمل ، ومن ثم الخمود وعدم الإنتاج ، ولذلك اعتبره النورسي ضلالاً للفكر بقوله : (إن الضيق معلم للسفاهة ، واليأس منبع ضلال الفكر) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٦١٢] .

ولضرر اليأس على العمل والتفكير وجّه يعقوب عليه السلام أبناءه في بحثهم عن يوسف عليه السلام وأخيه أن يتحسسوا منهما ولا ييأسوا ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ، وَلاَ تَيْأَسُواْ مِنْ رَوْحِ اللهِ ، إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُون** ﴾ [سورة يوسف : آية ٨٧] ، حيث (ندب بنيه على الذهاب في الأرض يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين ، والتحسس يكون في الخير ، والتجسس يكون في الشر ، ونهضهم وبشرهم ، وأمرهم أن لا ييأسوا من روح الله ، أي لا يقطعوا رجاءهم وأملهم فيما يرومونه ويقصدونه ، فإنه لا يقطع الرجاء ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٤ ، ص ٤٥] .

فالمفكر والعالم يعمل ويبحث ويجتهد ، ويكل النتائج إلى توفيق الله تعالى لا إلى عمله أو فكره .

٦- الغفلة والمعصية والانغماس في الماديات : المعصية تقود إلى الغفلة ، والغفلة تقود إلى إنكار الحق ، ولذلك تكون النتائج خطيرة ، لأنها غير صائبة ، ومن هنا أخبر النورسي أن أمثال أولئك عندما يفكرون في عظمة الله وكبريائه المطلقتين بلا نهاية ، تَصْرِفُهم معاصيهم وغفلتهم إلى التمسك بالماديات ، فلا يؤمنون إلا بشيء محسوس مشاهد ، فيصِل الأمر بهم إلى الإنكار والنفي ، حيث قال : (إن العقول التي ضاقت أمام العظمة والكبرياء ، والمطلق غير المتناهي ، وقصرت عن إدراكها نتيجة الغفلة أو المعصية أو الانغماس في الماديات والانسياق وراءها قد أخذت هذه العقول - تزل إلى الإنكار وتنفي بغرور علمي - المسائل الهائلة العظمى ، لعجزها عن الإحاطة بها . إن الذي يعجز أن يقبل الإيمان بوجوب وجوده سبحانه وتعالى وبأزليته وبصفاته المحيطة لعظمته ولعظمة صفاته الجليلة ، عليه أن يتخلى عن العقل كالسوفسطائيين الحمقى بإنكاره وجود نفسه ، ونفيه وجود الكون) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٣٩-١٤٠] ، بمعنى أن إنكار وجود الله تعالى أو إنكار عظمته وكبريائه إنكار لذات المُنْكِرِ أولاً ، ثم لوجود الكون ، لأن وجود الآفاق والأنفس يدلان على وجود الخالق سبحانه ﷻ ، فمن وصل إلى ذلك فقد عطّل عقله ، وجمد فكره ، بسبب وقوعه في المعاصي وانغماسه في الماديات ، وقديماً قال الشاعر(١) :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نورٌ ... ونور الله لا يهدى لعاصي

٧- النظر السطحي التقليدي : إن مجرد إلقاء نظرة على الشيء دون التعمق في معرفة حقائقه من جميع جوانبه تؤدي بصاحبها إلى الوقوع في الخطأ في كثير من أحكامه ، وهذا ما يشاهد الآن في كثير من المؤسسات في دول العالم الثالث(٢) بما فيها الدول الإسلامية التي ينادي كثير من مفكريها وعلمائها بالأخذ عن الغرب أو الشرق من الدول المتقدمة صناعياً دون التمحيص والتدقيق فيما يفيد أو يضر ، مما أوقعها في شرك التبعية والتقليد ، ولِمَا لذلك من خطورة في زمن شخصية البحث إلى الآن فقد أخبر أن السبب في وقوع الكثير في الإلحاد من القول بقدرة الأسباب على الخلق والإيجاد أو وجود الأشياء بالمصادفة العمياء إنما هو الفكر السطحي غير المتعمق ، حيث ردّ على السائلين عن سبب وقوع البعض في اعتقاد أزلية المادة وتشكل الأنواع من حركات الذرات (أي المصادفة)

---

(١) ديوان الشافعي ، ١٣٩٢هـ ، ص ٥٤ .

(٢) مرة يطلق عليها هذا الاسم ، ومرة تسمى الدول النامية ، وقد تجمعت في ما يسمى بمنظمة دول عدم الانحياز .

وغيرها ، فقال : (لمجرد إقناع النفس بشيء آخر (غير الإيمان) ، ولأنهم لا يدركون فساد الفكرة بالنظر السطحي التقليدي ، ينشأ لديهم هذا الاحتمال ، ولكن إذا قصد الإنسان وتوجه بالذات إلى إقناع نفسه ، فلا بد أنه سيقف على محالية الفكرة وبُعدها عن المنطق والعقل ، ولو اعتقد بها فلا يعتقد إلا بسبب التغافل عن الخالق سبحانه ، فما أعجب الضلال !) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٢٤] .

ولذلك بين مخاطر عدم التعمق في التفكير ، فقال : (العقل المبتلى بمظاهر الدنيا ولا يملك إلا معارف آفاقية خارجية ، تجرّه سلسلة أفكاره إلى حيث العدم وإلى غير شيء ، فتراه يضطرب من حيرته ويرتعد من هول الموقف ، فيصرخ يائساً جزعاً ، باحثاً عن مخرج من هذا المأزق ليبلغه طريقاً سوياً يوصله إلى الحقيقة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص.ص ٢٣٧-٢٣٨] ، ولا يكون ذلك إلا بالتعمق والتفكر في الآفاق والأنفس تفكراً سليماً من الأهواء والشبهات ، وسيصل بإذن الله إلى برّ الأمان والإيمان ، هذه أهم النقاط التي تؤدي بفكر الأمة إلى الجمود والتخلف ، وهناك غيرها ، ذكرها النورسي ، لكنها لم ترقَ إلى مرتبة ما ذكر في الأهمية ، وهناك أسباب غيرها لم يذكرها النورسي ، وفي هذه عبرة لمن اعتبر .

المبحث السادس : ثمار التربية الفكرية .

الفكر المبني على أسس سليمة صحيحة ، ينتج ثماراً مفيدة للأفراد والمجتمعات في دنياهم وأخراهم ، وأثناء حديث النورسي عن التفكر تعرض لبعض ثماره ، لخص الباحث أهمها في النقاط التالية :

١- أنه من أقوى أسباب تقوية الإيمان في النفوس ، حيث أن (ذلك المسافر المتفكر كلما قرأ صحيفة قوي إيمانه الذي هو مفتاح السعادة ، وزادت معرفته بالله التي هي مفتاح المدارج المعنوية ، وانكشفت لبصيرته درجة أخرى من حقيقة الإيمان بالله الذي هو الأساس القويم لجميع الكمالات ومنبعها الثر العذب) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ١٤٩] .

٢- أنه يصل بالإنسان إلى معرفة المنعم ، فيقوم بالشكر له سبحانه وتعالى دون غيره ، فإذا (تناول الإنسان نعمة لذيذة ، ثم أدى شكره عليها ، فإن تلك النعمة تصبح بوساطة الشكر نوراً وضّاءً له ، وتغدو ثمرة من ثمار الجنة الأخروية ، وفضلاً عما تمنحه من لذة ، فإن التفكر في أنها أثر من آثار رحمة الله الواسعة وتكرمة منه سبحانه وتعالى ،

يمنح تلك النعمة لذة عظيمة دائمة ، وذوقاً سامياً لا حدّ له ، فيكون الشاكر قد بعث أمثال هذه اللباب الخالصة والخلاصات الصافية والمواد المعنوية إلى تلك المقامات السامية الرفيعة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٤٧٢،٤٧٣] ، ويقصد أن الشاكر المتفكر في هذه النعم يتوجه بالشكر لله تعالى بعدد ما في تلك النعمة من مواد محسوسة ولذائذ معنوية ، فتثمر له حسنات في الجنة .

٣- أنه من أقرب وأقوى الطرق الموصلة إلى معرفة الله ، حيث أن (للوصول إلى الله سبحانه وتعالى طرائق كثيرة ، وسبل عديدة ، ومورد جميع الطرق الحقة ، ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم ، إلا أن بعض هذه الطرق أقرب من بعض وأسلم وأعم ، وقد استفدتُ من فيض القرآن الكريم بالرغم من فهمي القاصر طريقاً قصيراً وسبيلاً سوياً هو (طريق العجز ، الفقر ، الشفقة ، التفكر) ، والتفكر أسطع نوراً وأرحب سبيلاً ، إذ هو يوصل السالك إلى اسم الله (الحكيم) ، ولا يذهبن بكم سوء الفهم إلى الخطأ ، فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير إنما هو إظهار ذلك كله أمام الله سبحانه وتعالى وليس إظهاره أمام الناس) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٥٩٤] .

٤- أنه يرشد الإنسان ويدلّه إلى أن الله خلقه في أحسن تقويم لكي يقوم بحمل الأمانة التي تؤهله لأن يكون خليفة الله في أرضه ، (فالإنسان بمثل العبادة والتفكر يصبح إنساناً حقاً ويظهر نفسه أنه في " أحسن تقويم " ، فيصير بِيُمن الإيمان وبركته لائقاً للأمانة الكبرى وخليفة أميناً على الأرض) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٧٣] .

٥- أن التفكر غذاء للعقل والفكر وعلاج لهما ، ففي التفكر تنمية للعقل يزيد من سياحته الفكرية في الآفاق والأنفس ، وكلما وصل إلى نتائج سليمة دفعته إلى زيادة التفكير ، ثم إن في التفكر علاجاً للعقول بألا تضعف ولا تزل عن الحق ، ولذلك يذكر النورسي بأن رسالة التفكر التي ألفها مهمة ، وذات قيمة ، لأنها (رسالة معرفة إيمانية وردت إلى القلب بعين اليقين أثناء أذكار الصلاة ، وأثمرت كثيراً من الرسائل ، وأصبحت غذاءً للعقل والفكر ، وعلاجاً لهما) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٥٥] .

٦- أنه نور يذيب الغفلة الباردة الجامدة إذا خَلِيت العقول من التفكر أصيبت بالغفلة وبردت الهمة ، ولذلك يرى النورسي أن التفكر نور يطرد هذه الغفلة بإيقاظه العقل من برودته بشرط الدقة في التفكير والتعمق في الأنفس والإجمال في الآفاق ، ولذلك يقول :

(إن التفكر نور يذيب الغفلة الباردة الجامدة ، والدقة نار تحرق الأوهام المظلمة اليابسة ، لكن إذا تفكرت في نفسك فدقق وتمهل وتغلغل ، وفصله تفصيلاً ، إذ كمال الصنعة أتمُّ في تحليله وتفصيله ، وإذا تفكرت في الآفاق ، فأجمل وأسرع ، ولا تغص ، ولا تخض إلا لحاجة إيضاح القاعدة ، ولا تحدد النظر ، لئلا تغرق فيما لا ساحل فيه) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٥٦] .

والذي يظهر من آخر كلامه أن الإنسان لا تكتمل حقيقة صورته في الأذهان بمجرد شكله ولونه ، بل لا بد من التفكر فيما أودعه الخالق سبحانه وتعالى في داخله من أجهزة دقيقة مفيدة ، وأما النظر إلى الآفاق فإن ما أودعه الله على ظهرها من المخلوقات المختلفة المتعددة يكفي للاعتبار والاتعاظ ، بل قد يؤدي التعمق كثيراً إلى انسياق الإنسان مع عدد من الأسئلة التي قد توصله في النهاية إلى الشك والشرك .

٧- أنه يُكْسِب المشاعر والحواس قوة ونماءً وانكشافاً ، حيث (أن حواس الإنسان ومشاعره قد اكتسبت قوة ونماءً وانكشافاً وانبساطاً أكثر ، لما يملك من الفكر والعقل ، فقد تباين كثيراً مدى استقطاب حواسه نظراً لتباين وكثرة احتياجاته ، لذا تنوعت أحاسيسه وتعددت مشاعره) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٦٧] ، وبين الحواس والعقل ترابط قوي في عملية التفكر ، فبدونها لا يستطيع ذلك ، وكلما كانت كاملة كان التفكير أعم وأقوى ، وبالتفكير يصل الإنسان إلى اليقين بأن هذه الأجهزة المتعددة والحواس المختلفة (لا يمكن أن تمنح له لتحصيل هذه الحياة الدنيوية المؤقتة الفانية فحسب ، بل لا بد أن الغاية القصوى لهذا الإنسان أن يفي بوظائفه المتطلعة إلى مقاصد لا نهاية لها ، وأن يعلن عجزه وفقره بجنب الله تعالى بعبوديته) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٦٧] .

٨- أن التفكر أداة من أدوات المعرفة ، حيث ذكر النورسي (أن رسالة التفكر رسالة معرفة إيمانية وردت إلى القلب بعين اليقين ، وأثمرت كثيراً من رسائل النور) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٥٥] ، ثم يقول : (وقد رأيت في الآونة الأخيرة أن العقدة الحياتية القوية والأنوار الساطعة التي تحتويها أجزاء راسائل النور ما هي إلا لمعات سلسلة ذلك التفكر) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٥٧] .

وأدوات المعرفة في التربية الإسلامية ثلاث ، هي : (الوحي ، والعقل ، والحس) [الكيلاني ، ١٤٠٩هـ ، ص٢٣٢] ، والباحث يرى أن النورسي قد جمع بينها ، حيث جعل مصدر رسائله القرآن الكريم ، ثم إخباره هنا بأن رسالة التفكر أثمرت

رسائل كثيرة من رسائل النور ، ثم حديثه عن أهمية تزويد الإنسان بالحواس والمشاعر ليصل في النهاية إلى استعمالها في عبودية الله تعالى وطاعته .

٩- الوصول إلى اختراع وسائل تعين الإنسان على القيام بوظيفته في هذه الحياة ، إن المخترعات الكثيرة والمتعددة الوظائف كانت نتيجة جُهْد فكرٍ بشري ، كانت بدايته فكرةٌ ، ثم تطورت إلى أفكار عملت على الوصول إلى تلك المخترعات بتلاحقها وتعاقبها ، ولذلك مثل النورسي هذه المخترعات بجهاز الراديو حين قال : (إن رجلاً عاجزاً جعل قانوناً إلهياً - يضم مائة ألف من الخوارق - وسيلة لاستفادة البشر ، بكشفه الراديو بإلهام إلهي ، أي بنوع من استجابة دعاء الإنسان الفعلي ، كم يكون خطأ قول الإنسان : إن الراديو قد أوجده المخترع الفلاني ، نعم ، إن الله سبحانه وتعالى قد خلق العالم دار ضيافة تليق بالإنسان ، وهيأ له فيها كل ما يحتاجه ويلزمه ، وكنوع من متطلبات الضيافة يسلم إلى يده - في بعض الأزمان والعصور - نعماً ظلت مخفية عنه ، وذلك نتيجة دعائه الفعلي الذي هو البحث عن الحقائق وتحريها ، المتولد من تلاحق الأفكار) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٥٩] .

وهذه الثمار وغيرها حري بأمة الإسلام أن تكون رائدة لها ، مستفيدة منها ، ولكن بتحقق أسس الفكر السليم وشروطه ، عسى أن يكون ذلك قريباً .

الفصل الثالث
التربية الأخلاقية

تمهيد :

الأخلاق ميزان يُعْرَف بها الأفراد والمجتمعات ، فإما حسنة تدل على التماسك والترابط والاحترام المتبادل ، وإما مرذولة تدل على التفكك والتنافر والتباغض ، (فمبادئ الأخلاق الحسنة تحمل في طياتها أسباب السعادة ، وسوء الأخلاق تحمل أسباب الشقاوة) [يالجن ، ١٣٩٧هـ ، ص ١١٠] .

ولأهمية الأخلاق الحسنة اهتم الإسلام بها وحث عليها بكل صورها وأشكالها ، قال ﷺ : « لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْقٍ » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ، ج٤ ، ص ١٦٠٧ ، برقم ٢٦٢٦] .

وقال ﷺ : « إنما بُعِثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق » وفي رواية : « صالح الأخلاق » إسناده حسن ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي وابن عجلان . [الألباني ،١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص ٧٥ برقم ٤٥] .

وقال ﷺ : « البرّ حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تفسير البر والإثم ، ج٤ ، ص ١٥٧٢ ، برقم ٢٥٥٣] .

والأخلاق الحسنة دلالة على حياة الأمم والشعوب ، وذلك كما قال شوقي(١) :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والنورسي رحمه الله تعالى تناول في فكره الإسلام الشامل لجميع جوانب الحياة الدنيا والآخرة ، وأن الغاية من خلق الإنسان العبودية الكاملة الشاملة لله تعالى التي تتفق وواقع الفطرة السليمة ، لذلك ربّى طلابه على الأخلاق الحسنة وعلى التخلق بها قولاً وعملاً ، من الصدق والوفاء والصبر والشجاعة والتضحية ، وحثهم على امتثال ما يوصلهم إلى رضا الله تبارك وتعالى ،

---

(١) عطوي ، ١٩٨٩م ، ص ٧٣ .

من الشكر والإخلاص والحب والبذل والعطاء والخضوع لله بإظهار العجز والفقر والتذلل له دون غيره .

والباحث لخص في هذا الفصل آراء النورسي في الأخلاق حسب المباحث التالية :

المبحث الأول : مفهوم التربية الأخلاقية .

المبحث الثاني : مصادر الأخلاق الحسنة .

المبحث الثالث : قواعد في التربية الأخلاقية .

المبحث الرابع : ركائز التربية الأخلاقية .

المبحث الخامس : الفرق بين التربية الأخلاقية الإسلامية وغير الإسلامية .

المبحث السادس : ثمار التربية الأخلاقية .

المبحث الأول : مفهوم التربية الأخلاقية .

لم يعثر الباحث على تعريف محدد لمفهوم الأخلاق في رسائل النور ، ولأهمية معرفته وتحديده رجع إلى المصادر التي حددت مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً .

١) تعريف الخُلُق : مفهومه في اللغة وفي الاصطلاح :

أ – في اللغة : (الخُلُق بضم اللام : الخليقة ، أعني الطبيعة ، والجمع : أخلاق ، والخُلُق بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية ، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها ، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة) [ابن منظور ، ١٣٧٥هـ ، ج١٠ ، ص ٨٦] .

والخُلُق (بمعنى السجية والطبع والمروءة والدين) [الفيروز آبادي ، ١٤٠٧هـ ، ص ١١٣٧] .

ب – معنى تربية الأخلاق في الإسلام : (تنشئة الطفل وتكوينه إنساناً متكاملاً من الناحية الأخلاقية ، بحيث يصبح في حياته مفتاحاً للخير ، ومغلاقاً للشر في كل الظروف والأحوال) [يالجن ، ١٣٩٧هـ ، ص ١٠٠] .

وتعني كذلك (تعويد الناشئ على الأخلاق الفاضلة والشيم الحميدة حتى يصير له ملكات راسخة ، وصفات ثابتة يسعد بها في الدنيا والآخرة ، وتخليصه من الأخلاق السيئة) [الحجاجي ، ١٤٠٨هـ ، ص ٣١٤] .

(وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير حسن الخُلُق ، قال : هو طلاقة الوجه ، وبذل المعروف ، وكفّ الأذى) [النووي ، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٥٣] .

ومن المفهومين اللغوي والاصطلاحي استنتج الباحث الآراء التالية :

١– أن الأخلاق على قسمين : فطري متعلق بطبيعة وسجية الإنسان ، ومكتسب بالتنشئة منذ الصغر .

٢– منها حسن وقبيح ، سواء كانت ظاهرة أو باطنة .

٣– أن التربية على الأخلاق تشمل الظاهرة والباطنة .

٤– أن الأخلاق الحسنة تجمع طلاقة الوجه ، وإسداء المعروف ، وكفّ الأذى .

٢) أنواع الأخلاق :

كما سبق القول بأن المفهومين اللغوي والاصطلاحي للأخلاق يشيران إلى أن الأخلاق على قسمين : فطري ، ومكتسب . والنورسي يرى ذلك الرأي ، حيث تحدث عن أخلاق محمد ﷺ ، وأشار إلى أن منها ما هو طبيعي وفطري متأصلة في ذاته ﷺ منذ الصغر حتى وصل الأربعين ، ثم ازداد بالوحي من الله ثباتاً وأدباً ، فقال : (إذا تأملت في حاله عليه السلام من الأربع إلى الأربعين – مع أن من شأن الشبابية وتوقد الحرارة الغريزية أن تظهر ما يخفي وتلقي إلى الظاهر ما استتر في الطبيعة من الحيل – تراه عليه السلام قد تدرج في سنينه وعاش بكمالِ استقامةٍ ، ونهايةِ متانةٍ ، وغايةِ عفةٍ ، واطراد انتظام ما أومأ حال من أحواله إلى حيلة ، لاسيما في مقابلة المعاندين الأذكياء) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٧] .

وما سبق ذكره إشارة إلى الأخلاق الفاضلة العالية في سيرة محمد ﷺ منذ صغره إلى وقت نبوته ، وأشار إلى توجيه الله له بالوحي بالاستمرار على تلك الأخلاق ، وإشارة إلى أخلاق أخرى يستدعيه مقام النبوة العظيم ، فقال : (وبينما تراه عليه السلام كذلك إذ تنظر إليه وهو على رأس أربعين سنة الذي من شأنه جعل الحالات ملَكة ، والعادات طبيعة ثابتة لا تُخالَف ، قد تكشّف عليه السلام عن شخص خارق قد أوقع في العالم انقلاباً عظيماً عجيباً ، فما هو إلا من الله) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٧] .

وأشار كذلك إلى أن الأخلاق فطرية ومكتسبة بقوله : (إن تدوير أفكار العموم وإرشادها بحيل الترهيب والترغيب والتكليف إنما يكون تأثيرها جزئياً سطحياً مؤقتاً يسد طريق المحاكمة العقلية في زمان ، أما من نفذ في أعماق القلوب بإرشاده ، وهيج دقائق الحسيات ، وكشف أكمام الاستعدادات ، وأيقظ الأخلاق ، وأظهر الخصائل المستورة ، فإنما هو مقتبس من شعاع الحقيقة ومن الخوارق للعادة ، بينما ترى شخصاً في قساوة قلبه يقبر بنته حيةً ولا يتألم ولا يتأثر ، إذ تراه بعد يوم – وقد أسلم – يترحم على نحو النمل ، ويتألم بألم الحيوان ، فبالله عليك أينطبق هذا الانقلاب الحسي على قانون) ؟. [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٦٩] ، فبقوله : أيقظ الأخلاق يشير إلى وجود بعض الأخلاق الحسنة عند أفراد المجتمع الجاهلي ، فالرسول ﷺ أيقظها ووجهها ، ومن ذلك قوله ﷺ : « إنما بُعِثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق »[1] ، وفطرة الإنسان تميل إلى الخير والصلاح ، إلا أن النفس

(١) سبق تخريجه في التمهيد لهذا الفصل .

يتنازعها الخير والشر ، ولذلك فإن الإسلام في علاجه لها ابتغاء إصلاحها (ينظر إليها من ناحيتين : أن فيها فطرة طيبة ، تهفو إلى الخير ، وتُسرُّ بإدراكه ، وتأسى للشر ، وتحزن من ارتكابه ، وترى في الحق امتداد وجودها وصحة حياتها ، وأن فيها - إلى جوار ذلك - نزعات طائشة تشرد بها عن سواء السبيل ، وتزين لها فعل ما يعود عليها بالضرر ، ويُسِفُّ بها إلى منحدر سحيق ، وعملُ الإسلام هو إسداء المعونة الكاملة للإنسان كي يدعم فطرته ويجلي أشعتها ، ويسير على هديها) [الغزالي ، ١٣٩٤هـ ، ص ٢٢] .

ومن هذا يتضح أن من الأخلاق الحسنة ما هو فطري ، وأن تربيتها هي (عملية تهذيب وتربية لهذه الطبيعة ، ثم عملية توجيه الإنسان إلى السلوك اللائق به في الحياة كأفضل مخلوق في الأرض من أجل رسالة معينة) [يالجن ، ١٣٩٢هـ ، ص ١٩٢] .

٣) ثمار الجمع بينهما :

أشار النورسي إلى أن للجمع بين الأخلاق الفطرية والمكتسبة فوائد عظيمة من توليد عزة للنفس مع شرف ووقار تمنع صاحبها من النزول إلى سفاسف الأخلاق ورذائلها ، ويترفع الإنسان بنفسه عن الأخلاق المرذولة إلى الأخلاق العالية ، وضرب مثلاً بالرجل المتصف بالشجاعة أنه يتعسر عليه قول الكذب ، فكيف بمن جمع بين الشجاعة والاتصاف بالأخلاق التي تمنع وقوع الشخص في الكذب ، ولذلك قال : (إن آثار محمد عليه الصلاة والسلام وسيره وتاريخ حياته - مع تسليم أعدائه - بأنه لعلى خلق عظيم ، وبأنه قد اجتمع فيه الخصال العالية كافة ، ومن شأن امتزاج تلك الأخلاق توليد عزة للنفس وحيثية وشرف ووقار لا تساعد التنزل للسفاسف ، فكما أن علو الملائكة لا يساعد لاختلاط الشياطين بينهم ، كذلك الأخلاق العالية بجمعها لا تساعد أصلاً لتداخل الحيلة والكذب بينها ، ألا ترى أن الشخص المشتهر بالشجاعة فقط لا يتنزل للكذب إلا بعسر ؟. فكيف بالمجموع) ؟. [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٧] ، فكذلك الشخص الذي ينمي ما في فطرته من أخلاق حسنة ويصونها بالسير على هدي القرآن الكريم وسنة الهادي الأمين صلوات الله وسلامه عليه يصعب عليه الوقوع في الأخلاق المرذولة التي هي من نزوات النفس الأمارة .

المبحث الثاني : مصادر الأخلاق الحسنة .

من أثناء الحديث عن تعريف الأخلاق وأنواعها وثمار الجمع بينهما يتضح جلياً بأن الأخلاق الحسنة ذات مصادر تُستمدّ منها ، وإلا ادعى كل شخصٍ وصلاً بليلى ، ولكن المصادر القوية الواضحة الصحيحة هي الفيصل بين الادعائين ، وتتمثل في المصادر التالية :

١- الإيمان : حيث ذكر النورسي أن الإيمان بالآخرة ما يحل في بيت (حتى ينور أرجاءه مباشرة ويستضيء ، لأن علاقة القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لا تقاس عندئذٍ ضمن زمن قصير جداً ، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الأبدية ، فيقوم - عندئذٍ - كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين ، ويوليهم محبة صافية ، ويظهر رأفة صادقة ، ويبدي صداقة وفية ، صارفاً النظر عن التقصيرات ، فتتعالى الأخلاق وتسمو ، وتبدأ السعادة الإنسانية الحقة بالتألق في ذلك البيت ، وقياساً على هذا فإن " البلاد " ما هي إلا بيت واسع جداً ، والوطن بيت عائلة الأمة ، فإذا حكم الإيمان بالآخرة هذه البيوت وسيطر ، فإن الفضائل تنكشف وتنبسط وتتوضح ، فيظهر الاحترام المتبادل ، والرحمة الجادة ، والمحبة الخالصة بلا عوض ، والمعاونة مع الخدمة الحقة بلا احتيال ، والمعاشرة والإحسان بلا رياء ، والفضيلة والتوقير بلا استكبار ، وتشيع الفضائل الأخرى جميعاً) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨٣] .

والإيمان بالآخرة جزء من الإيمان الكامل ، ولا يأتي إلا بعد أربعة أركان قبله ، كما ورد في إجابة المصطفى ﷺ لجبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان ، فقال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ج١ ، ص ٤٦ ، برقم ٨] ، فكمال الإيمان هو المصدر الذي تستمد منه الأخلاق الحسنة ، (فالإيمان القوي يَلِدُ الخُلق القوي حتماً ، وانهيار الأخلاق مردّه إلى ضعف الإيمان) [الغزالي ، ١٣٩٤هـ ، ص٩] .

٢- القرآن الكريم : القرآن كلام الله تعالى ، ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [سورة فصلت : آية ٤٢] . نعم ، (إنه واضح جلي في القرآن أنه كلام رب العالمين ، هذا الكلام الجاد الحق السامي الحقيقي الخالص ، ليس عليه أية إمارة كانت تومئ بالتقليد) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٦٧] .

إن القرآن مصدر لمحاسن الأخلاق ، فكثير من آياته تدعو إلى ذلك وتحث عليه ، مثل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُواْ خَيْراً مِنْهُمْ ، وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنّ خَيْراً مِنْهُنّ ، وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بالأَلْقَابِ ، بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِنَ الظَّن ، إِنَّ بَعْضَ الظَّن إِثْمٌ ، وَلاَ تَجَسَّسُواْ ، وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوه ، وَاتَّقُواْ ا للهَ إِنَّ ا للهَ عَلِيمٌ خَبِير** ﴾ [سورة الحجرات : الآيات ١٢-١٣] ، وكثير من الآيات التي تذكر المؤمنين والمتقين والصالحين والفائزين تنوه إلى اتصافهم بالأخلاق الحسنة التي تؤهلهم لهذه الأوصاف ، (إن القرآن المعجز البيان قد جمع أنواع البلاغة وجميع أقسام فضائل الكلام ، وجميع أصناف الأساليب العالية ، وجميع أفراد محاسن الأخلاق ، وجميع خلاصات العلوم الكونية ، وجميع فهارس المعارف الإلهية ، وجميع الدساتير النافعة للحياة البشرية الشخصية والاجتماعية) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٦٦] .

٣- السنة النبوية المطهرة : سنة المصطفى ﷺ وسيرته فيهما غنية لمن أراد معرفة محاسن الأخلاق ، إنه ﷺ أحسن وأكمل البشر أخلاقاً بشهادة ا لله له في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم** ﴾ [سورة القلم : آية ٤] ، وكيف لا يكون كذلك وكان خلقه القرآن الكريم كما أخبرت بذلك الصديقة بنت الصديق رضي ا لله عنها ، حيث قالت عندما سئلَتْ عن أخلاقه « كان خُلُقه القرآن » [أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ، ج١ ، ص ٤٣٢ ، برقم ٧٤٦] .

(نعم ، ما دام عليه الصلاة والسلام متصف بأسمى مراتب محاسن الأخلاق باتفاق الأولياء والأعداء ، وما دام هو أكمل إنسان ، بل أكمل قدوة ومرشد ، فلا بد أن سنة هذا النبي الكريم ﷺ وحركاته هي أفضل نموذج للاقتداء وأكمل مرشد للاتّباع والسلوك ، وأحكم دستور ، وأعظم قانون ، يتخذه المسلم أساساً في تنظيم حياته ، إن محمداً ﷺ هو المثال النموذج لما بينه القرآن الكريم من محاسن الأخلاق ، وهو أفضل من تمثلت فيه تلك المحاسن ، بل إنه خلق فطرة على تلك المحاسن ، فما أتعس أولئك المؤمنين من أمته الذين غفلوا عن سنته ﷺ ممن لا يبالون بها أو يريدون تغييرها ، فما أتعسهم وأشقاهم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٩٤،٩٥] ، والآثار الدالة على حسن خلقه ﷺ كثيرة ، والأحاديث التي توجه الأمة إلى حسن الأخلاق ، وأن الالتزام بها دلالة على الخير والصلاح كثيرة كذلك ، مثل قول عبد ا لله بن عمر رضي ا لله عنهما أن رسول

الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول : « إن من أخيركم أحسنكم خلقاً » [أخرجه البخاري في كتاب الآداب ، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، ج٧ ، ص ٣٣٢ ، برقم ٩١١] ، ولما يتصف به ﷺ من حسن الأخلاق ، وجّه الله تعالى الأمةَ إلى الاقتداء به والاهتداء بسنته ، كما في قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرا** ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٢١] .

٤- الفطرة : الإنسان ذو فطرة جامعة شاملة لأعمال الخير ، لأنه خلق على ذلك ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدينُ القَيم وَلَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لاَ يَعْلَمُون** ﴾ [سورة الروم : آية ٣٠] ، حيث يقول الله تعالى : (فسدد وجهك واستمرّ على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها ، وكملها لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها ، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٥ ، ص ٣٥٨] .

ولذلك يقول النورسي : (إن فطرة الإنسان وما أودع الله فيه من أجهزة معنوية تدلان على أنه مخلوق للعبادة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٠] ، فهذه (الطبيعة بما فيها من ميول ودوافع مختلفة خلقت من أجل الخير ، وتصبح خيرة إذا استخدمت في الخير ، والشر يأتي من سوء استخدامها في الغايات التي لم تخلق من أجلها ، أو يأتي الشر منها نتيجة الجهل بها وبعدم معرفة طريقة استخدامها ، للاهتمام الزائد ببعض الميول والدوافع أكثر من غيرها ، أو إهمال بعضها تماماً وتجاهلها) [يالجن ، ١٣٩٧هـ ، ص ٢٨٩] ، ومن ذلك حديث رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصّرانه ، أو يمجسانه كما تنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ؟. [أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ، ج٢ ، ص ٥٧٦ ، برقم ١٢٦٦] .

وذكر النورسي أن من وظائف الفطرة الصلاة ، فقال : (إن الصلاة المفروضة التي هي وظيفة الفطرة وأساس العبودية والدين المفروض ...) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص٤١] .

والصلاة الصحيحة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ ، إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالـمُنْكَرِ ...** ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٤٥] .

ثم ذكر كذلك أن ما أودعه الله في الفطرة من أجهزة تتوجه جميعها إلى السعادة الأبدية وما منحت إلا لها ، حيث قال : (إن ما في هوية قلب الإنسان من لطائف ، وما في دفتر عقله من حواس ، وما في فطرته من أجهزة وعتاد متوجهة جميعاً إلى السعادة الأبدية ، بل ما منحت له إلا لأجل تلك السعادة الأبدية) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص٩٥] .

ولا تحصل السعادة الأبدية إلا بالتخلق بالأخلاق الحسنة مع الطاعة والعبادة ، أما العبادة بدون أخلاق حسنة فإنها لا تمنح العبد سعادة ، بل تصل إلى الشقاء والعذاب ، كما في حديث المصطفى ﷺ الذي قال فيه : « أتدرون من المفلس » ؟. قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أُخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه ، ثم طُرِح في النار » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ، ج٤ ، ص ١٥٨٥ ، برقم ٢٥٨١] .

٥- البيئة الصالحة : إن البيئة التي يعيش فيها الفرد لها دور فعال في توجيه سلوك الأفراد وتربية أخلاقهم ، سواء كانت تلك البيئة صغيرة كالبيت والأسرة والقرية والقبيلة ونحوها ، أو كانت كبيرة كالمدينة والدولة أو عموم المجتمع كله كما هو حال هذا العصر ، حيث سهلت الوسائل الحديثة اتصال الشعوب بعضها ببعض حتى أصبحت كالقرية الواحدة وكالمجتمع الواحد ، ولكن الحديث هنا عن دور البيئة الصالحة في توجيه الأفراد وتربيتهم تربية صالحة ، وإن ذلك مهم في نظر الإسلام ، حيث تميزت أمة الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما في قوله تعالى ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِا للهِ ...** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١١٠] .

فالأمر بالمعروف يتضمن الأمر بالأخلاق الحسنة ، والآمرون هم من البيئة الصالحة التي تضم جموع أفراد الأمة ، وكما في قوله ﷺ : « مثل جليس الصالح والسوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه

ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحاً خبيثة » [أخرجه البخاري في كتاب الصيد والذبائح ، باب المسك ، ج٧ ، ص ١٨٣ ، برقم ٤٤٣] .

فالجليس الصالح هو ابن البيئة ، ولذلك يقول النورسي : (ومعلوم مدى تأثير البيئة في أخلاق الإنسان) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٠٤] ، فالبيئة الصالحة هي التي تغذي الأخلاق الحسنة وتنميها ، كما قال أفلاطون : (فكما أن البذور وكل ما ينمو من نبات أو حيوان إذا فشل في إيجاد غذائه وجوه وتربيته المناسبة له ، يفقد فضائله بدرجة تناسب شدته ، والشر يعارض الخير ، أكثر مما هو ليس خيراً ، فكذلك أسمى الطباع يصيبها الضرر إذا ما تعرضت لغذاء غير مناسب أكثر من الطباع المنحطة) [يالجن ، ١٣٩٧هـ ، ص.ص ٥٠٣-٥٠٤] .

وأشار النورسي إلى أهمية صلاح البيئة من الأسرة الصغيرة إلى الأمة المتعددة الشعوب والقبائل ، وذلك عندما قال : (إن بيت كل إنسان هو دنياه الصغيرة ، بل جنته المصغرة ، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة حاكماً ومهيمناً في سعادة هذا البيت لوجد كل فرد من أفراد تلك العائلة اضطراباً أليماً وعذاباً شديداً في علاقة بعضهم ببعض حسب درجات رأفته ومحبته لهم ، فتتحول تلك الجنة إلى جحيم لا يطاق ، وهكذا فإن كل مدينة هي بحدّ ذاتها بيت واسع لسكنتها ، وقياساً على هذا فإن البلاد بأكملها ماهي إلا بيت واسع جداً ، والوطن بيت عائلة الأمة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٢٨٢-٢٨٣] ، وهي إشارة إلى ضرورة صلاح طبقات البيئة الاجتماعية من الأسرة إلى الأمة ، حتى لا يعيش الناشئ في تناقض بين تلك المؤسسات الاجتماعية والطبقات المختلفة .

المبحث الثالث : قواعد في التربية الأخلاقية .

هناك قواعد ذكرها النورسي مهمة في تربية الأخلاق في النفوس ، وهذه القواعد بعضها مجتمعة وبعضها متفرقة ، لخص الباحث أهمها في النقاط التالية :

١- البعد عن الرياء والتصنع في الأخلاق ، لأن ذلك لا يدوم ، وسينكشف حال من هذا حاله ، حيث (أنه ليس الكحل كالتكحل ، أي لا يصل الصنعي والتصنعي - ولو كان على أكمل وجه - مرتبة الطبيعي والفطري ، ولا يقوم مقامه ، بل فلتات غلطات هيئة حركة الصنعي تومئ بمزخرفيته) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٦] ، والرياء يسمى الشرك الخفي ، فيجب الابتعاد عنه .

٢- اتفاق الأقوال والأفعال ، لأن ذلك صفة تجعل صاحبها مقبولاً عند الآخرين ، ولأنه (كما يوجد الميل والجذب في الأمور المتناسبة ، كذلك يوجد الدفع والتنافر في الأمور المتضادة) النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٦] ، والله ﷻ أنكر على من يخالف فعله قوله بقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُون ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُواْ مَالاَ تَفْعَلُون** ﴾ [سورة الصف : الآيتان ٢-٣] .

٣- اكتمال الأخلاق الحسنة قوة مؤثرة فعالة ، حيث (أن للكل حكماً ليس لكلٍ كقوة الحبل مع ضعف خيوطه) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٦] .

ولذلك أشار النورسي أن هذه القواعد اجتمعت لمحمد ﷺ ، وهو القدوة والأسوة ، حيث قال : (وإذا تفطنت لهذه النكت فاعلم أن آثار محمد عليه الصلاة والسلام وسيره وتاريخ حياته تشهد - مع تسليم أعدائه - بأنه لعلى خلق عظيم ، وبأنه قد اجتمع فيه الخصائل العالية كافة ، ومن شأن امتزاج تلك الأخلاق توليد عزة للنفس وحيثية وشرف ووقار لا تساعد التنزل للسفاسف) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٦] .

٤- اقتناص الفرص وحسن استغلالها ، لأن (من يأخذ أساسات فنٍ ويعرف العقد الحياتية فيه ، ويحسن استعمالها في مواضعها ، ثم يبني مدّعاه عليها ، يدل ذلك على مهارته وحذاقته في ذلك الفن) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٧] .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : « كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا » [أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ، ج١ ، ص ١٠٠ ، برقم ٦٧] .

٥- تنوع الطرق حسب الأحوال والأشخاص ، لأن (كثيراً من العلوم المتعارفة عند المدنيين - بتعليم العادات والأحوال وتلقين الوقوعات والأفعال - مجهولة نظرية عند البدويين ، فبناءً عليه لا بد لمن يحاكم ويتحرى حال البدويين أن يفرض نفسه في تلك البادية) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٧] ، فالطرق المستخدمة لتربية الأخلاق الحسنة عند المتعلم تختلف عن الطرق المستخدمة عند الجاهل الأمي .

٦- قبول الحق من قائله ، فلو ناظر أميٌّ علماءَ فنٍّ ، ثم بين رأيه في مسائله مصدِّقاً في مظان الاتفاق ، ومصحِّحاً في مطارح الاختلاف ، أفلا يدلك ذلك على تفوقه ، وأن علمه وهبي) ؟. [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٨] .

وقد قبل الرسول ﷺ الحق من الشيطان في قصته مع أبي هريرة عندما وكله الرسول بحفظ زكاة رمضان ، فجاءه الشيطان مرتين يحثو منها ، فَيَهِمّ أبو هريرة برفعه إلى رسول الله ، فيشكو الشيطان حاله إلى أبي هريرة وأنه محتاج وذو عيال ، فيخلي أبو هريرة سبيله بعد أن يوعده بعدم العودة ، والرسول يسأله ما فعل معه ، ثم يخبره أنه كذبه ، وأنه سيعود . وفي المرة الثالثة عزم أبو هريرة على رفعه إلى رسول الله ﷺ ، فقال له الشيطان : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، فقال أبو هريرة : ما هي ؟. قال الشيطان : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ الحَيّ القَيّوم ﴾ حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ، فخلى سبيله ، فلما أصبح وسأله رسول الله عنه ، أخبره القصة ، فقال ﷺ : « أما أنه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة » ؟. قال : لا ، قال : « ذاك شيطان » [أخرجه البخاري في كتاب الوكالة ، باب إذا وكل رجلٌ رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز ، ج٣ ، ص ٢١٤ ، برقم ٥٤٢] .

٧- ألا تعارض دعوته سنن الله الشرعية والكونية ، أو روابط الهيئة الاجتماعية ، لأن (من أراد التوفيق يلزم عليه أن يكون له مصافاة مع عادات الله ، ومعارفة مع قوانين الفطرة ، ومناسبة مع روابط الهيئة الاجتماعية ، وإلا أجابته الفطرة بعدم الموافقة جواب إسكات) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٠] .

وقد أوضح النورسي قصده بقوانين الفطرة وعادات الله عند الحديث عن قوله تعالى : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَل ... ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٧] ، حيث قال : (فاعلم أن هذا الأمر عام للأمر التشريعي والأمر التكويني المندمج في القوانين الفكرية والعادات الإلهية ، فالقطع لما أمر بوصله شرعاً كقطع صلة الرحم ، وقطع قلوب المؤمنين بعض عن بعض ، وعلى هذا القياس ! وتكويناً كقطع العمل عن العلم ، وقطع العلم عن الذكاء ، وقطع الذكاء عن الاستعداد ، وقطع معرفة الله عن العقل ، وقطع السعي عن القوة ، وقطع الجهاد عن الجسارة ... وهكذا) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢١٢] .

٨- التمسك بالحق وعدم الانجراف مع جريان عموم الأمة في أخطائهم ، لأن (من تحرك بمسلك في الهيئة الاجتماعية يلزمه ألا يخالف حركة الجريان العمومي ، وإلا طيره ذلك الدولاب عن ظهره فيسقط في يده ، فإذاً من ساعده التوفيق في ذلك الجريان كمحمد عليه السلام يثبت أنه متمسك بالحق) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٠] .

٩- أن يتفق ما يدعو إليه مع حقائق الشريعة ، لأن من تأمل (في حقائق الشريعة مع تلك المصادمات العظيمة والانقلابات العجيبة ، وفي هذه الأعصار المديدة يراها قد حافظت على موازنة قوانين الفطرة وروابط الاجتماعيات ، إن الإسلامية هي الدين الفطري لنوع البشر وأنها حق) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٠] .

١٠- أن يكون ذا حكمة وحسن تصرف يستطيع بهما اقتلاع الأخلاق السيئة وغرس الأخلاق الحسنة بدلاً منها في الأفراد والمجتمعات ، لأن محمداً ﷺ (قلع من أعماق قلوب أصحابه العادات والأخلاق الوحشية المألوفة الراسخة المستمرة الكثيرة ، ثم غرس في موضعها – في غاية الإحكام والقوة – أخلاقاً عالية وعادات حسنة ، وقد بدل قساوة قلوب قوم خامدين في زوايا الوحشة بحسيات دقيقة ، وأظهر جوهر إنسانيتهم ، ثم أخرجهم من زاوية الوحشة ورقى بهم إلى أوج المدنية ، وصيرهم معلّمي عالمهم ، وأسس لهم دولة ابتلعت الدول كعصا موسى) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ١٧٠-١٧١] ، وما ذلك إلا بحكمته وحسن خلقه بعد توفيق الله له ، والله ﷻ ﴿ **يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاء ، وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيرا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إلاّ أُولُواْ الأَلْبَاب** ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٦٩] .

وهذه القواعد وغيرها مهمة لكل مربٍّ في حياته لنفسه ومع طلابه وأبنائه وغيرهم ، وما ذلك إلا توفيق من الله تبارك وتعالى .

المبحث الرابع : ركايز التربية الأخلاقية .

هناك تشابه كبير في ركايز التربية الأخلاقية وركايز التربية الاجتماعية ، ولا شك فإن الأخلاق الحسنة في الأفراد ركيزة الأخلاق الحسنة في المجتمعات والمؤسسات الاجتماعية ، بل في كل جوانب المجتمع ومؤسساته المختلفة ، والنورسي ركز على عدد من الركايز ، ذكر من أهمها :

١- **التقوى والعمل الصالح** : حيث قال : (في هذا الوقت الذي يتسم بالدمار الأخلاقي والروحي ، وبإثارة هوى النفس الأمارة ، وبإطلاق الشهوات من عقالها ، تصبح التقوى أساساً عظيماً جداً ، بل ركيزة الأسس ، وتكسب أفضلية عظيمة ، حيث أنها دفع للمفاسد ، وترك للكبائر ، إذ أن درء المفاسد أولى من جلب المنافع قاعدة مطردة في كل وقت ، وحيث أن التيارات المدمرة أخذت تتفاقم في هذا الوقت ، فقد أصبحت التقوى أعظم أساس وأكبر سد لصدّ هذا الدمار الرهيب ، ثم أن هناك نوعاً من عمل صالح ضمن

التقوى نفسها ، لأن ترك الحرام واجب ، والقيام بالواجب ثوابه أكثر من كثير من السنن والنوافل) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٦٩] .

وفسر التقوى بأنها (ترك المحظور ، والاجتناب عن الذنوب والسيئات) ، والعمل الصالح بأنه (فعل المأمور لكسب الخيرات) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٩] ، إلا أن حقيقة التقوى هي : (ألا يترك العبد شيئاً مما يلزمه فعله ، ولا يفعل شيئاً مما يلزمه تركه ، ويبذل في ذلك جهده ومستطاعه) [الشوكاني ، ١٣٨٣هـ ، ج١ ، ص ٣٦٧] ، فهي تتضمن فعل المأمورات وترك المنهيات ، وليست مقتصرة على ترك المنهيات فقط ، ولكن مناسبة الحديث هنا قد تقتضي ذلك ، فلم يذكر إلا ترك المحظور والاجتناب عن الذنوب .

ولأهمية التقوى كان ﷺ يدعو ويقول : « اللهم إني أسألك الهدى ، والتقى ، والعفاف ، والغنى » [أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر مالم يعمل ، ج٤ ، ص ١٦٥٨ ، برقم ٢٧٢١] .

٢- **العبادة** : حيث ذكر النورسي أنها تعمل على إرساء المؤاخاة بين المسلمين وإظهار المحبة بينهم ، فقال : (إن الإنسان المسلم له مناسبات ثابتة وارتباط قوي مع كل المسلمين ، وهما سببان لأخوة راسخة ، ومحبة حقيقية بسبب العقائد الإيمانية والملكات الإسلامية ، أما سبب ظهور تلك العقائد وتأثيرها وصيرورتها ملكة راسخة فإنما هي العبادة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٤٨] .

ولا شك أن العبادة – وخاصة ذات المناسبات الثابتة والترابط المستمر من صلاة وزكاة وصوم وحج – تعمل على تآخي أفراد المجتمع وإرساء المحبة بينهم .

٣- **التواضع والوقار والاقتصاد** : حيث جمعها النورسي في قوله : (كما أن التواضع الذي هو من الأخلاق المحمودة يخالف معنى التذلل الذي هو من الأخلاق المذمومة مع أنه يشابهه في الصورة ، وكما أن الوقار الذي هو من الخصال الحميدة يخالف معنى التكبر الذي هو من الأخلاق السيئة مع أنه يشابهه صورةً ، فكذا الحال في الاقتصاد الذي هو من الأخلاق النبوية السامية ، لا علاقة له أبداً بالخسة التي هي مزيج من السفالة والبخل والجشع والحرص ، بل ليست هناك من رابطة بينهما قطعاً ، إلا ذلك التشابه الظاهري) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢١٩] .

وهذه جملة من الأخلاق الفاضلة يقابلها جملة من الأخلاق المذمومة ، فالتواضع الذي ليس فيه تذللٌ لأحد ، وإنما هو الاحترام وتقدير الآخرين ونحوه خُلُقٌ فاضل تؤسس عليه جملة من الأخلاق ، وصون الإنسان نفسه وعدم التنزل بها إلى سفاسف الأمور دون تكبر ، يبنى عليه جملة من الأخلاق الفاضلة كذلك ، ثم الاقتصاد الذي يمنع الإسراف في غير ما شرع الله ، مع عدم البخل أو الشح عند وقت الحاجة ، يمنع من الوقوع - بإذن الله - في الفقر والفاقة اللذان يسوقان صاحبهما إلى سؤال الناس ، بل قد يؤديان إلى ارتكاب أخلاق سيئة ، وذلك كما قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى (" لا إسراف في الخير ، كما لا خير في الإسراف " ، أي كما لا إسراف في الخير والإحسان لمن يستحقه ، كذلك لا خير في الإسراف قط)[1] [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٢٠] .

٤- عزة النفس : ويقصد بها أن الإنسان العزيز الشريف يعز نفسه ويترفع بها عن الوقوع في سوء الأخلاق ، ولذلك ضرب النورسي مثلاً بأن عزة النفس تمنع من الوقوع في دناءة الغيبة ، فقال : (إن الغيبة سلاح دنيء يستعمله المتخاصمون والحساد والمعاندون ، لأن صاحب النفس العزيزة تأبى عليه نفسه أن يستعمل سلاحاً حقيراً كهذا ، وقديماً قال الشاعر[2] :

وأُكْبِرُ نفسي عن جزاءٍ بغيبةٍ   فكلُ اغتيابٍ جَهْدُ مَن لا لَهُ جَهْدُ

[النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٥٨] .

٥- الشجاعة : وهي تلك التي تستعمل في الحق فتمنع صاحبها من الوقوع في سفاسف الأمور ودنيء الأخلاق ، لأن صراحته وعدم خوفه تجعلانه يسير مع الحق ، ولا يقول إلا الحق ، ولذلك (فإن الشخص المشتهر بالشجاعة لا يتنزل للكذب إلا بعسر) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٧] ، أي بالضغط عليه بأن يقول ما ليس بصدق ، وهذه في مواقف دون أخرى ، مع علم المجبرين له بأنه غير صادق ، إلا أنه يعود إلى شجاعته متى فُكت عنه القيود والأغلال .

٦- الصدق : الأخلاق العالية مؤسسة على الجد والصدق ، واتصالها (بأرض الحقيقة بالجدية ، وإدامة حياتها وانتظام مجموعها إنما هي بالصدق ، ولو ارتفع الصدق من بينها صارت كهشيم تذروه الرياح) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٦] ، والتزام

---

(١) يقصد عموم الإسراف بدون وجه حق .

(٢) ديوان المتنبي ، ص ١٩٨ ، ط١ ، دار صادر ، عن المترجم لهذا الكتاب ، ص ٣٥٨ .

الصدق في حدّ ذاته خلق حسن يحبب صاحبَه إلى الآخرين فيقبلون قوله ويعتدون بسلوكه ، ولأهميته حث عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ... » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ، ج٤ ، ص١٥٩٨ ، برقم ٢٦٠٧] .

وهذه جملة من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة تقود إلى أخلاق فاضلة أخرى تؤسس عليها ، وتمنع - بإذن الله - من الوقوع في أعمال أو أخلاق سيئة .

المبحث الخامس : الفرق بين التربية الأخلاقية الإسلامية وغير الإسلامية .

أوضح النورسي رحمه الله تعالى الفرق بين أخلاق المربَّيْن على كتاب الله القرآن الكريم ، والمربَّيْن على الفلسفة وما فيها من دساتير وقوانين ، وبدأ بذكر أهم الأخلاق المرذولة التي يتصف بها تلميذ الفلسفة ، ثم أتبعها بأهم الأخلاق الحسنة التي يتصف بها تلميذ القرآن الكريم .

١) الأخلاق غير الإسلامية :

أ - مصدرها : الفلسفة .

ب - أخلاق تلاميذها : العبودية لغير الله تعالى ، والتمرد والعناد ، والغرور والتجبر ، والمنفعة والمصلحة الذاتية .

وأشار إلى ذلك النورسي رحمه الله بقوله : (للوصول إلى مدى الفرق بين التربية الأخلاقية التي يُربِّي بها القرآن الكريم تلاميذه ، والدرس الذي تلقنه حكمة الفلسفة ، نرى أن نضع تلميذيهما في الموازنة .

فالتلميذ المخلص للفلسفة " فرعون " ، ولكنه فرعون ذليل ، إذ يعبد أخس شيء لأجل منفعة ، ويتخذ كل ما ينفعه رباً له ، ثم أن ذلك التلميذ الجاحد " متمرد وعنود " ، ولكنه متمرد مسكين يرضى لنفسه منتهى الذل في سبيل الحصول على لذة ، وهو عنود دنيء ، إذ يتذلل ويخنع لأشخاص هم كالشياطين ، بل يقبّل أقدامهم ! ثم أن ذلك التلميذ الملحد " مغرور جبار " ، ولكنه جبار عاجز لما يشعر بمنتهى العجز في ذاته ، حيث لا يجد في قلبه من يستند إليه ، ثم أن ذلك التلميذ " نفعي ومصلحي " ، لا يرى إلا ذاته ، فغاية همته تلبية رغبات

النفس والبطن والفرج ، وهو " دسّاس مكّار " ، يتحرى عن مصالحه الشخصية ضمن مصالح الأمة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ١٤٤] .

وما ذكره النورسي هنا من الأخلاق السيئة لتلميذ الفلسفة هي ركايز كل الأخلاق المرذولة صغيرها وكبيرها ، وجماع كل الدسائس والحيل الماكرة التي يتصف بها عُبّاد المادة ، وأتباع النفس الأمارة بالسوء .

٢) الأخلاق الإسلامية :

أ – مصدرها : القرآن الكريم .

ب – أخلاق تلاميذه : العبودية والتذلل لله تبارك وتعالى دون غيره ، التواضع واللين في غير مذلة إلا لله تبارك وتعالى ، غير متجبر ولا متكبر ، عفيف ومستغنٍ عن مسألة غير الله ﷻ ، ذو عزة تمنعه من الوقوع في المحرمات ، ثم أنه يجعل كل أعماله وأقواله خالصة لله دون رياء ولا سمعة ، وضمن ما يرضي الله سبحانه وتعالى .

وأشار إليه النورسي بقوله : (بينما تلميذ القرآن المخلص هو " عبد " ، ولكنه عبد عزيز لا يستذل لشيء حتى لأعظم مخلوق ، ولا يرضى حتى بالجنة ، تلك النعمة العظمى غاية لعبوديته لله ، ثم أنه تلميذ " متواضع ، لين ، هين " ، ولكنه لا يتذلل بإرادته لغير فاطره الجليل ، ولغير أمره وإذنه ، ثم أنه " فقير ضعيف " ، موقن بفقره وضعفه ، ولكنه مستغنٍ عن كل شيء بما ادّخره له مالكه الكريم من خزائن لا تنفد في الآخرة ، وهو " قوي " ، لاستناده إلى قوة سيده المطلقة ، ثم أنه لا يعمل إلا لوجه الله ، بل لا يسعى إلا ضمن رضاه بلوغاً إلى الفضائل ونشرها ، وهكذا تُفْهم التربيةُ التي تُربّى بها الحكمتان لدى المقارنة بين تلميذيها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص.ص ١٤٤،١٤٥] .

فالإنسان الذي يعمل ويسعى لأجل الوصول إلى رضى الله تبارك وتعالى وعدم الخروج عن ذلك ، فلا شك أنه سيتحرى أحسن الأقوال والأفعال وأفضلها وأكملها ، وبذلك يلزم الأخلاق الحسنة ، ويبتعد عن الأخلاق السيئة ، إلا أن قول النورسي : (ولا يرضى حتى بالجنة ، تلك النعمة العظمى غاية لعبوديته لله) ، فيه نظر ، فإن قَصَدَ به أن العبد لا يقصد بعبادته الفوز بالجنة ، فهذا باطل ، لأن كل عبد يسعى للحصول على رضى الله الذي يؤهله الفوز بالجنة ، وإن قصد به كون الإنسان يؤدي الطاعة دون محبة الله والرضى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وإنما القصد الفوز بالجنة فقط ، فهذا صحيح ،

والباحث يرى أن قصد النورسي الثاني لا الأول ، لما ذكره في رسائله في مواضع متعددة تشير إلى السعي والعمل للحصول على رحمة الله وجنته .

المبحث السادس : ثمار التربية الأخلاقية .

الأخلاق الحسنة تثمر سعادة الدارين : الدنيا ، والآخرة ، وهي المطلب الحقيقي لحقيقة السعادة ، ولن يسعد الإنسان والمجتمعات في الدنيا ثم في الآخرة دون حقيقة تطبيقها في واقع حياتهم الدنيا ، لذا (فقد قرر الإسلام بكل صراحة أن حسن الأخلاق طريق سعادة الإنسان ، وسوء الأخلاق طريق شقاوته ، فقال الرسول : « من سعادة المرء حسن خلقه ، ومن شقاوته سوء خلقه »[1] [يالجن ، ١٣٩٧هـ ، ص.ص ١٠٩-١١٠] .

والنورسي أشار إلى ما يتحقق من سعادة نتيجة التخلق بالأخلاق الحسنة والآداب الإسلامية في الدنيا والآخرة .

١) **في الدنيا** : ويتضمن السعادة في الجوانب التالية :

أ – جانب حياة الأسرة : وأشار إليه النورسي بقوله : (إن بيت كل إنسان هو دنياه الصغيرة ، بل جنته المصغرة ، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة حاكماً ومهيمناً في سعادة هذا البيت لوجد كل فرد من أفراد تلك العائلة اضطراباً أليماً وعذاباً شديداً في علاقة بعضهم ببعض حسب درجات رأفته ومحبته لهم ، فتتحول تلك الجنة إلى جحيم لا يطاق ، وما أن يحل الإيمان بالآخرة في ذلك البيت حتى ينور أرجاءه مباشرة ويستضيء ، فيقوم – عندئذٍ – كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين ، ويوليهم محبة صافية ، ويُظْهِر رأفة صادقة ، ويبدي صداقة وفية ، صارفاً النظر عن التقصيرات ، فتتعالى الأخلاق وتسمو ، وتبدأ السعادة الإنسانية الحقة بالتألق في ذلك البيت) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٢٨٢-٢٨٣] .

ب – جانب حياة المجتمعات : هناك مجتمعات متعددة ، فهناك مجتمع المدينة ، وهناك مجتمع القرية ، وهناك مجتمع الحي ، وهناك مجتمع العمل أو المدرسة أو العمارة السكنية ، ونحو ذلك ، فلا سعادة لأي مجتمع من هذه المجتمعات وغيرها دون أن تسود

---

(١) هذا الحديث موجود بهامش مسند الإمام أحمد ، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ج١ ، ص ١٣٢ ، د.ت ، دار صادر ، والمكتب الإسلامي ، بيروت . و لم يعثر الباحث على تخريج له تعرف بموجبه درجة صحته .

الأخلاق الحسنة بين أفراده ، وأشار النورسي إلى ذلك بقوله : (إن كل مدينة هي بحدّ ذاتها بيت واسع لسكنتها ، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة مسيطراً على أفراد هذه العائلة الكبيرة فسيستولي عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيال والأنانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع ، بدلاً من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والمروءة والفضيلة والمحبة والتضحية ورضى الله والثواب الأخروي ، وكانت معاني الإرهاب والفوضى والوحشية حاكمة ومسيطرة تحت اسم النظام والأمن والإنسانية التي يظهرونها ، وحينئذٍ تتسم حياة تلك المدينة ، فيتصف الأطفال بالوقاحة والإهمال ، والشباب بالسكر والعربدة ، والأقوياء بالظلم والتجاوز ، والشيوخ بالبكاء والأنين) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٢٨٣] .

والرسول ﷺ يوجه أفراد المجتمع المسلم في أحاديث كثيرة إلى الابتعاد عن جملة من الأخلاق المذمومة هي أساس ظهور الأخلاق السيئة بين الأفراد ، ثم يخبر ﷺ أن المسلمين إخوة ، والأخوة تقتضي الابتعاد عن سوء الأخلاق من الأقوال والأعمال ، ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى ههنا » ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله ، ج٤ ، ص ١٥٧٧ ، برقم ٢٥٦٤] .

جـ – جانب حياة عموم الأمة : الأسرة هي النواة الأولى للمجتمعات ، والمجتمع هو المرحلة الثانية لتكوين الأمة أو الدولة أو نحو ذلك ، على حسب الآراء والمصطلحات لكل عصر ، وحقيقة السعادة للأمة تكمن في تمسك الأسرة ثم المجتمعات بالأخلاق الحسنة ، ولذلك قال النورسي : (وقياساً على هذا(1) فإن البلاد بأكملها ما هي إلا بيت واسع جداً ، والوطن بيت عائلة الأمة ، فإذا حكم الإيمان بالآخرة هذه البيوت وسيطر ، فإن الفضائل تنكشف وتنبسط وتتوضح فيها فَتُظْهِر الاحترام المتبادل والرحمة الجادة ، والمحبة الخالصة بلا عوض ، والمعاونة مع الخدمة الحقة بلا احتيال ، والمعاشرة والإحسان بلا رياء ، والفضيلة والتوقير بلا استكبار ، وتشيع الفضائل الأخرى جميعاً) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨٣] .

---

(١) إشارة إلى ما سبق الكلام عليه بالنسبة للأسرة والمجتمع .

وَمَثَّلَ رسول الله ﷺ ثمرة وجود الأخلاق الحسنة بين أفراد الأمة أنها كالجسد الواحد الذي يتألم كله بتألم بعضه ، فقال : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » [أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب رحمة الناس ، ج٧ ، ص ٣٢٨ ، برقم ٨٩٤] .

وبالنظر إلى واقع الأمة الإسلامية الحاضر فإنه على خلاف ذلك ، فكم من أعضاء قطعت ولا مجيب ولا مغيث من باقي الأعضاء ، وكأن البقية تنتظر دورها في القطع ، فلا تُحرِّك ساكنة ، وما ذلك إلا بسبب التنافر والتحاسد والتباغض والحقد ، وغيرها من سوء الأخلاق التي نخرت تماسك الأمة وتآزر أفرادها ، ومنعت نصرة المظلومين من أبنائها ، وإذا استجار أحدٌ بأحد كانت نتيجتُه كما قال الشاعر[1] :

والمستجير بِعَمْرٍ عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهذا الحال عسى أن يكون كسحابة صيف ما يلبث أن ينقشع بإذن الواحد الأحد متى ما عادت الأمة بأكملها إلى التمسك بكتاب ربها والسير وفق سنة نبيها ﷺ .

٢) **سعادة الآخرة** : الدنيا هي مزرعة الآخرة ، فمن كان سعيداً هنا بسبب تمسكه بكتاب الله وسنة رسوله الداعيان إلى التمسك بالأخلاق الحسنة ، كان سعيداً هناك في الآخرة ﴿ **يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۞ إِلاّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيم** ﴾ [سورة الشعراء : آية ٨٨،٨٩] ، والله تبارك وتعالى أخبر أن من صفات المتقين الأخلاق الحسنة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْض ، أُعِدَّتْ لِلمُتّقِين ۞ الّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ ، وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَالله يُحِبُّ المُحْسِنِين** ﴾ [سورة آل عمران : الآيتان ١٣٣،١٣٤] ، وقال ﷺ : « إن أفضل شيء في الميزان يوم القيامة الخلق الحسن » [أخرجه أحمد في المسند ، ج٦ ، ص ٤٤٢ وسنده صحيح] [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج٢ ، ص ٥٦٣ ، برقم ٨٧٦] .

وقد تحدث النورسي عن سر سعادة الدنيا والآخرة ، فقال : (إنه لا يمكن أن يكون – في هذا الزمان – تنعم بحياة عائلية وبلوغ لسعادة الدنيا والآخرة وانكشاف لسجايا راقية إلا بالتأدب بالآداب الإسلامية التي تحددها الشريعة الغراء) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١١] .

---

(١) لكليب وائل ، لآلئ الشعر ، ١٩٩٦م ، ج٢ ، ص ١٩ .

ثم يوجه النساء بقوله : (يجب ألا يعن أنفسهنّ رخيصات سافرات كاشفات ، عندما لا يجدن الزوج المؤمن الصالح ذا الأخلاق الحسنة الملائم لهنّ تماماً ، بل عليهنّ البقاء في حياة العزوبة إن لم يجدن ذلك الزوج الكفء ، حتى يتقدم لطلبها من يلائمها ممن تربى بتربية الإسلام ، وله وجدان حي ، ليكون رفيق حياة أبدية يليق بها ، وذلك لئلا تُفْسِد سعادتها الأخروية لأجل لذة دنيوية طارئة ، فتغرق في سيئات المدنية) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٤٢] .

وهكذا فإن التربية الأخلاقية ضرورة لكل أفراد المجتمع من الطفل الصغير إلى الشيخ الهرم الكبير حتى يسعد الأفراد وتسعد المجتمعات في مراحل حياتهم الدنيا ، ثم في مستقر حياة الآخرة يوم يقال لهم : ﴿ **كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ** ﴾ [سورة الحاقة : آية ٢٤] .

فحري بالمؤسسات التربوية أن تُضَمِّن مناهجها الحث على التخلق بالأخلاق الحسنة ، والابتعاد عن الأخلاق المرذولة السيئة ، مع بيان ثمار التمسك بالأخلاق الحسنة في الدنيا والآخرة ، وبيان عواقب التخلق بالأخلاق السيئة ، متضمنة تلك المناهج الآيات التي توضح ذلك ، وكذلك أحاديث أكمل الناس أخلاقاً ، المصطفى ﷺ ، ثم التطبيق العملي بامتثال التخلق بالأخلاق الحسنة من قبل المربين والمربيات ، سواء كانوا آباءً وأمهاتاً ، أو مدرسين أو مدرسات ، مع الحذر من السقوط في الأخلاق السيئة ، لأن في ذلك تناقض يجعل الناشئة في حيرة من الأمر . وفّق الله الجميع للعمل الصالح والقول السديد .

الفصل الرابع
التربية الاجتماعية

تمهيد :

التربية الاجتماعية لصيقة التربية الأخلاقية ، لأن الأخلاق هي أسس التربية الاجتماعية ، والأفراد هم أبناء المجتمعات ، يؤثرون فيها ويتأثرون بما يسودها من نظم وأخلاق وثقافات وقيم ، ولا مشاحة في ذلك ، ففي قصة الرجل من بني إسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، ثم أراد أن يتوب ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فَدُلّ على رجل راهب ، فسأله هل له من توبة ؟. فقال له : لا ، فقتله ، ثم سأل مرة أخرى عن أعلم أهل الأرض ، فدُلَّ على رجل عالم ، فسأله هل له من توبة ؟. فقال له ذلك الرجل العالم : " نعم ، ومن يحول بينك وبين التوبة ؟. انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء ... " [حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل ، ج٤ ، ص ١٦٨٣ ، برقم ٢٧٦٦] .

والفرد ابن بيئته ومجتمعه ، يؤثر فيها ويتأثر بما فيها ، وبما (أنه سيعيش مع الناس فإنه لا شك سيؤثر فيهم ويؤثرون فيه ، إلا أن تأثير المجتمع عليه أبلغ وأخطر ، لأن الرأي العام والوسائل العامة تفوق إمكانيات الفرد المؤثرة في المجتمع) [الحجاجي ، ١٤٠٨هـ ، ص ٣٣٣] .

والنورسي رحمه الله اهتمّ بتربية المجتمع كما اهتم بتربية الأفراد ، وقد أشار إلى ذلك في رسائله كثيراً ، حيث شملت توجيهاته التربوية عدداً من طبقات المجتمع ، وكذلك تناولت الأسرة ، ثم المجتمعات المحدودة ، ثم عموم الأمة ، وركز كثيراً على وجوب تحصين هذه المجتمعات بالتربية الإسلامية لتسلم من أخطار المدنية الحديثة التي أظهرت العداوة والحقد للإسلام والمسلمين ، ومن ذلك قوله : (إن أشد القبائل تأخراً يدركون معنى الخطر الداهم عليهم ، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية ، وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم ، وإذ تُقَدِّر تلك القبائل المتأخرة مصلحتهم الاجتماعية حق قدرها ، فما ل الذين يتولون خدمة الإسلام ويدعون إليه لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة ، فيمهدون بها سبل إغارة الأعداء – الذين لا يحصرهم العدّ – عليهم ؟!.

إن هـذا الوضـع تدهـور مخيـف ، وانحطـاط مفجـع ، وخيانـة بحـق الإسـلام والمسلمين) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٤٩] .

ثم يوجه تعليماته وإرشاداته إلى أهل السياسة والحكم ، يطمئنهم بأن دعوته تسعى لإنقاذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية دون النظر إلى سياستهم وحكومتهم ، فيقول : (فأنتم يا أهل السياسة والحكومة ! لا تنشغلوا بنا بناءً على الظنون والأوهام ، بل عليكم أن تذللوا المصاعب لنا ، وتسهلوا الطريق أمامنا ، لأن خدمتنا تؤسس الأمن والاحترام والرحمة ، فتسعى لإنقاذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب ، فخدمتنا ترسي ركائز وظيفتكم الحقيقية وتقويها وتؤيدها) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص١٦٠] .

ومما تضمنته هذه الكلمات وغيرها في رسائل النور لخص الباحث أفكار النورسي حول تربية المجتمعات في المباحث التالية :

المبحث الأول : مفهوم المجتمع .

المبحث الثاني : أسباب تربية الشعور الاجتماعي .

المبحث الثالث : الأمراض الاجتماعية – أسبابها – نتائجها – علاجها .

المبحث الرابع : الفرق بين الحياة الاجتماعية الإسلامية وغير الإسلامية .

المبحث الخامس : ثمار التربية الاجتماعية .

المبحث الأول : مفهوم المجتمع .

الحديث في هذا المبحث يشمل المفهوم العام لغة واصطلاحاً ، ثم مفهومه عند النورسي ومدى توافق وتطابق المفهومين .

١) المفهوم العام : ويتضمن المفهوم اللغوي والاصطلاحي .

أ – المفهوم اللغوي : يعود أصلاً إلى اجتماع الشيء بعد أن كان متفرقاً ، ولذلك يقال : (جمع الشيء عن تفرقة يَجْمَعُهُ جَمْعاً وجَمَّعَهُ وأَجْمَعَهُ فاجتمع ، والمجموع الذي جُمِعَ من ههنا وههنا ، وإن لم يُجْعَل كالشيء الواحد) ، ومثاله : (استجمع السيل : أي اجتمع من كل موضع ، وجَمَعْتَ الشيء إذا جئتَ به من ههنا ومن ههنا) ، ويقال : (تجمّع القوم : اجتمعوا أيضاً من ههنا وههنا) ، والجمع (اسم لجماعة الناس ، وهو مصدر جمعت الشيء) ، ومثله (الجماعة ، والجميع ، والمجمع ، والمجمعة) ، ويقال : (قوم جميع : مجتمعون) ، والمجمع (اسم للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه) ، والجميع (الحيّ المجتمع) [ابن منظور ، ١٣٧٥هـ ، ج٨ ، ص ٥٣ ، بتصرف] .

ويقال : (الجمع كالمنع ، تأليف المتفرق ، والجميع ضد المتفرق ، والجيش والحيّ المجتمع) ، والإجماع (الاتفاق) ، وجامعه على أمر كذا : أي (اجتمع معه) [الفيروز آبادي ، ١٤٠٧هـ ، ص.ص ٩١٧،٩١٨ ، بتصرف] .

ب – المفهوم الاصطلاحي : تختلف المفاهيم الاصطلاحية عند المفكرين لمعنى المجتمع ، حيث يرى بعضهم التوسع في معنى المجتمع ، فيعرّفه بأنه (ذلك الإطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون داخل نطاقه في شكل وحدات أو جماعات) [سرحان ، ١٩٨١م ، ص ٢١٧] .

وهذا المفهوم يرى آخرون عدم جدواه ، لأن الجماعات تختلف في نظمها ، والعلاقات تتغير وتتبدل ، ولذلك يرون أن المجتمع لا بد أن يكون أكثر تحديداً في الأفراد والمكان ، فيقولون : أنه (مجموعة من الأفراد يعيشون في منطقة أو بيئة طبيعية محددة النطاق ، كمجموعة أهل القرية ، أو القبيلة ، أو أحد أحياء المدينة) [سرحان ، ١٩٨١م ، ص ٢١٨] .

وبهذا المفهوم يطلق معنى المجتمع على القرية أو المدينة ، أو مناطق الرعي في البادية ،

حتى ولو لم تجمعهم نظم أو علاقات متبادلة .

٢) **مفهوم المجتمع عند النورسي** : إن النورسي مفكر إسلامي ، يرى المجتمع الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه جسداً واحداً ، وإن تعددت مذاهبه ، واختلفت لغات أفراده ، وتباعدت أماكن قبائله وشعوبه ، ما دام الإله واحد ، والدين واحد ، والرسول واحد ، والقبلة واحدة ، والكتاب واحد ، فأي شيء يفرقهم إذا كانوا كذلك ، ولذلك ابتدأ حديثه عن المجتمع بقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم ، إِنّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٣] ، فيقول : (أي خلقناكم طوائف وقبائل وأمماً وشعوباً كي يعرف بعضكم بعضاً وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية لتتعاونوا فيما بينكم ، و لم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤١٣] ، ولذلك شبه المجتمع الإسلامي في تعدد شعوبه وطوائفه وقبائله بالجيش الذي يتكون من فيالق وفرق وألوية وأفواج وما إلى ذلك ، ثم في النهاية تُكوّن مجتمعاً قوياً متحداً غير متنافس ولا متناحر يسمى الجيش ، لذلك قال : (بياناً لدستور التعارف والتعاون الذي تشير إليه هذه الآية الكريمة أنه يقسم الجيش إلى فيالق ، وإلى فرق ، وإلى ألوية ، وإلى أفواج ، وإلى سرايا ، وإلى فصائل ، وإلى حظائر ، وذلك ليعرف كل جندي واجباته حسب تلك العلاقات المختلفة المتعددة ، وليؤدي أفراد ذلك الجيش تحت دستور التعاون وظيفة حقيقية عامة لتصان حياتهم الاجتماعية من هجوم الأعداء ، وإلا فليس هذا التقسيم والتمييز إلى تلك الأصناف لجعل المنافسة بين فوجين ، أو إثارة الخصام بين سريتين ، أو وضع التضاد بين فرقتين) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤١٣] .

ثم يقول : (وكذلك الأمر في المجتمع الإسلامي الشبيه بالجيش العظيم ، فقد قسم إلى قبائل وطوائف ، مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة ، إذ خالقهم واحد ، ورازقهم واحد ، ورسولهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وكتابهم واحد ، ووطنهم واحد ، وهكذا إلى الألوف من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة . بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل – كما تعلنه الآية الكريمة – ما هو إلا للتعارف والتعاون ، لا للتناكر والتخاصم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٤١٣–٤١٤] ، فهذا هو مفهوم المجتمع عند النورسي ، وهذا هو الحق ، لأن نظام المجتمع المسلم وقيمه يجب ألا تتغير ولا تتبدل مهما تعددت المجتمعات ، وتباعدت الأوطان ، وامتدت العصور ، لأن المرجعية واحدة لا تتغير ولا تتبدل ، والتي تتمثل في تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولذلك

كان تشبيه الرسول ﷺ لمعنى المجتمع المسلم أبلغ وأقوى من تشبيه النورسي ، حيث قال : « المؤمنون كرجل واحد ، إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » ، وقال : « المسلمون كرجل واحد ، إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » [أخرجهما مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، ج٤ ، ص ١٥٨٧ ، برقم ٢٥٨٦] .

٣) **تطابق وتوافق المفهومين** : هناك توافق وتطابق بين المفهوم العام وبين مفهوم النورسي حول المجتمع ، وذلك من عدة أوجه :

١- المجتمع في المفهوم اللغوي الشيء الذي تجمع من جهات عدة ، كما هو حال السيل ، وكذلك مفهوم النورسي أن المجتمع الإسلامي شعوب وقبائل وطوائف تجمعت فكونت ذلك المجتمع .

٢- أن الاجتماع فيه قوة ضد المتفرق ، والنورسي أشار إلى ذلك عندما شبه المجتمع الإسلامي بالجيش الذي تجتمع فرقه وسراياه وألويته لتقف في وجه العدوّ الذي يريد الغارة عليها .

٣- أن المجتمع لا بد من نظام أو سلطة تعمل على تجميعه وتأليفه ، ولا أفضل ولا أحسن من نظام الشريعة الإسلامية التي هي ركيزة الحياة الاجتماعية وروحها ، وهذا موافق لما ورد في المفهوم الاصطلاحي الأول .

٤- يتفق أيضاً في أنه متى تغيرت النظم والقيم التي تعمل على ترابط جهات المجتمع فإن كل حي أو مدينة أو قرية تكون مجتمعاً مستقلاً ، ولكن هذا فيه ضعف ، ومعرض لاعتداء الآخرين ، فهو يتفق مع أصحاب الرأي الثاني في المفهوم الاصطلاحي ، ولكن نظم المجتمع الإسلامية وقيمه لا تتغير بتغير الأفراد والأزمان ، وإنما المجتمعات بأفرادها تتغير ، وهذا عيب وخلل في تربية المجتمع ، وليس في النظام أو الدستور الإسلامي الثابت .

المبحث الثاني : أسباب تربية الشعور الاجتماعي .

شعور الشخص بالآخرين بأن لهم حقوقاً عليه ، وأنهم محتاجون إليه وإلى عطفه ومساعدته ، كما يحتاج هو إلى ذلك ، وهذا الشعور له أسباب تربيه في النفوس ، ذكر النورسي جملة منها ، ومن أهمها الأسباب التالية :

١- الإيمان : إن الإيمان ركيزة الركائز وأساس الأسس في جميع آراء وأفكار النورسي ، وهذا هو حال المسلم ، فيجب عليه أن يتمثل الإيمان قولاً وعملاً ، سراً وعلانيةً ، لأنه أفضل الأعمال ، كما في حديث رسول الله ﷺ عندما سئل عن أفضل الأعمال ، فقال : « إيمان بالله ورسوله ... » الحديث . [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال ، ج١ ، ص ٨٦ ، برقم ٨٣] .

فالإيمان هو الذي يقود إلى صدق الترابط الاجتماعي بين الأفراد والمجتمعات ، ولذلك أخبر الرسول ﷺ أنه يصل بالإنسان إلى احترام جاره وعدم أذيته ، وإلى إكرام الضيف ، وقول الخير أو التزام السكوت عن غيره ، كما في قوله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير ، ج١ ، ص ٧٠ ، برقم ٤٨] .

وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه - أو قال : لجاره - ما يحب لنفسه » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه من الخير ، ج١ ، ص ٦٩ ، برقم ٤٥] .

ولذلك قال النورسي : (إن الإيمان بعقيدة واحدة ، يستدعي حتماً توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد ، ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع ، فأنت تشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد ، وبعلاقة صداقة معه إن كنت تعمل معه تحت إمرة قائد واحد ، بل تشعر بعلاقة أخوّة معه لوجود كما في مدينة واحدة ، فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة ، وروابط الاتفاق العديدة ، ووشائج الأخوة الوفيرة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٤١] .

ثم يقول في الإيمان بالآخرة : (إن عقيدة الآخرة هي أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية ، وأساس جميع كمالاته ومثله وسعادته) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ١٠٤] .

وضرب أمثلة لاستقامة الحياة الاجتماعية نتيجة الإيمان بالآخرة ، فقال : (إن الشباب المراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يُهدّئ فورة مشاعرهم ، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب ، ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتها ، ولا يؤمّن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلا الخوف من نار جهنم ، فلولا الخوف من عذاب

جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز ، حيث " الحكم للغالب " ، ولَحَوَّلُوا الحياة الإنسانية إلى حياة حيوانية سافلة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ١٠٥] .

ثم يقول : (إن الحياة العائلية هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها ، وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين ، وإن بيت كل فرد هو عالَمُه ودنياه الخاصة ، فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد ، والوفاء الخالص بين الجميع ، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حدّ التضحية والإيثار ، ولا يحصل هذا إلا بالإيمان بوجود علاقات صداقة أبدية ، ورفقة دائمة ، ومعية سرمدية ، في زمن لا نهاية له ، وتحت ظل حياة لا حدود لها ، تربطها علاقات أبوة محترمة مرموقة ، وأخوة خالصة نقية ، وصداقة وفية نزيهة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص.ص ١٠٥-١٠٦] .

وأخيراً يوجه علماء الاجتماع والسياسة والأخلاق ممن لهم اهتمام بشؤون الإنسان وأخلاقه الاجتماعية ، أنهم لن يسدوا الفراغ الذي حدث في العلاقات الاجتماعية ، ولن يضمدوا الجراح التي لحقت بتلك العلاقات إلا بالإيمان ، حيث قال : (فلْيُصْغِ سمعُ علماء الاجتماع والسياسة والأخلاق من المعنيين بشؤون الإنسان وأخلاقه واجتماعه ، وليأتوا ويبينوا بماذا سيملأون هذا الفراغ ؟. أو بماذا سيداوون ويضمدون هذه الجروح الغائرة العميقة) ؟!. [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ١٠٦] ، حيث كان حديثه لهم بعد حديثه مباشرة عن أهمية الإيمان في صدق العلاقات الاجتماعية ، فهذا إشارة بأنهم لن يستطيعوا بغيره علاج ما انثلم من تلك العلاقات وفسد .

٢- العبادة : تأتي العبادة لله تعالى نتيجة لصدق الإيمان امتثالاً لأمر الله ، وحباً في ثوابه ، وخوفاً من عقابه على الترك ، واشتراك المسلمين في هذا الشعور يصل بهم إلى امتثال المحبة والأخوة التي تكون العبادة سبباً في ترسيخها في النفوس ، لذلك قال النورسي : (إن الإنسان المسلم له مناسبات ثابتة ، وارتباطٌ قويّ مع كل المسلمين ، وهما سببان لأخوة راسخة ومحبة حقيقية بسبب العقائد الإيمانية والملكات الإسلامية ، أما سبب ظهور تلك العقائد وتأثيرها وصيرورتها ملكة راسخة فإنما هي العبادة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٤٨] .

وضرب أمثلة لبعض جوانب العبادة التي تعمل على ترابط المسلمين ، كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، فقال في الصلاة ممثلاً المسلمين بالجمعية الواحدة التي كل أفراد

المجتمع الإسلامي أعضاء فيها ، حيث قال : (نحن جمعية ، تلك الجمعية التي لها ثلاثمائة وخمسون مليوناً من الأعضاء في كل عصر ، وهم يؤكدون كمال احترامهم ، وصادق ارتباطهم ، وتعلقهم بمبادئ تلك الجمعية المقدسة بإقامة الصلاة - خمس مرات يومياً - ويتسابقون في مدّ يد العون والمساعدة بعضهم إلى بعض ، سواء بدعواتهم الشخصية بظهر الغيب أم بمكاسبهم المعنوية الوفيرة وفق الدستور الإلهي ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٠] [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٦٨] ، ولكن متى يتحقق الترابط والتعارف والمحبة والأخوة بسبب الصلاة ؟. إنها إذا أُدّيت جماعة في المساجد ، ولهذه وغيرها قال ﷺ : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة » [أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب فضل صلاة الجماعة ، ج١ ، ص ٣١٩ ، برقم ٦١٠] ، نعم ، (إن المسجد لكفيل بإيجاد تعارف أخوي إيماني لا ينسى) [قادري ، ١٤٠٧هـ ، ص ١١٢] .

ثم تطرق إلى أهمية أداء فريضة الزكاة ، وما فيها من ترابط بين طبقات المجتمع الغنية والفقيرة ، فقال : (الزكاة جسر يغيث المسلم أخاه المسلم بالعبور عليها ، إذ هي الواسطة للتعاون المأمور به ، بل هي الصراط في نظام الهيئة الاجتماعية لنوع البشر ، وهي الرابطة لجريان مادة الحياة بينهم ، بل هي الترياق للسموم في ترقيات البشر) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٤] .

ثم يشير إلى (أن هناك كلمتين اثنتين هما منشأ جميع ما آلت إليه البشرية في حياتها الاجتماعية من تردٍّ في الأخلاق وانحطاطٍ في القيم ، وهما منبع جميع الاضطرابات والقلاقل ، والكلمتان هما : إن شبعتُ فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع ، واكتسبْ أنت لآكل أنا ، واتعب أنت لأستريح أنا ، وأن الذي يديم هاتين الكلمتين ويغذيهما هو جريان الربا وعدم أداء الزكاة ، وإن الحل الوحيد والدواء الناجع لهذين المرضين الاجتماعيين هو : تطبيق الزكاة في المجتمع ، وفرضها فرضاً عاماً ، وتحريم الربا كلياً ، لأن أهمية الزكاة لا تنحصر في أشخاص وجماعات معينة فقط ، بل إنها ركن مهم في بناء سعادة الحياة البشرية ورفاهها جميعاً ، بل هي عمود أصيل تتوطد به إدامة الحياة الحقيقية للإنسانية ، ذلك لأن في البشرية طبقتين : الخواص ، والعوام . والزكاة تؤمن الرحمة والإحسان من الخواص تجاه العوام ، وتضمن الاحترام والطاعة من العوام تجاه الخواص ، وإلا ستنهال مطارق الظلم والتسلط على هامات العوام من أولئك الخواص ، وينبعث الحقد والعصيان اللذان يضطرمان في أفئدة العوام تجاه الأغنياء الموسرين ، وتظل هاتان

الطبقتان من الناس في صراع معنوي مستديم ، وتخوضان غمار معمعة الاختلافات المتناقضة ، حتى يؤول الأمر تدريجياً إلى الشروع في الاشتباك الفعلي والمجابهة حول العمل ورأس المال ، كما حدث في روسيا) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٥٥] .

ولأهمية الزكاة في ربط وشائج المحبة والعطف بين طبقات المجتمع ، وتربيتها شعور الأغنياء نحو الفقراء كانت من توجيهات المصطفى ﷺ عندما أرسل معاذاً ﷺ إلى اليمن ، حيث قال : « ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتردّ على فقرائهم » [أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، ج٢ ، ص٥٩٢ ، برقم ١٣٠٤] .

ثم ذكر كذلك حكم فرضية الصوم ، وأن من حكمه الكثيرة تربية الشعور بالجوع والفاقة في نفوس الصائمين ، فتجعلهم يتذكرون إخوانهم الفقراء ، فيمدّون يد العون والمساعدة لهم ، حيث قال : (إن حكمة واحدة للصوم من بين حكمه الغزيرة المتوجهة إلى الحياة الاجتماعية للإنسان هي : أن الناس قد خلقوا على صور متباينة من حيث المعيشة ، وعليه يدعو الله - سبحانه وتعالى - الأغنياءَ لمدّ يد المعاونة لإخوانهم الفقراء ، ولا جرم أن الأغنياء لا يستطيعون أن يستشعروا شعوراً كاملاً حالات الفقر الباعثة على الرأفة ، ولا يمكنهم أن يحسّوا إحساساً تاماً بجوعهم ، إلا من خلال الجوع المتولد من الصوم ، فلولا الصوم لما تمكن كثير من الأغنياء التابعين لأهوائهم أن يدركوا مدى ألم الجوع والفقر ، ومدى حاجة الفقراء إلى الرأفة والرحمة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٥١٥] .

ولذلك فإن رسول الله كان أجود الناس بالخير طوال الأيام والشهور ، إلا أنه أجود ما يكون في رمضان ، وذلك كما ذكر ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، حيث قال : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يَعْرِضُ عليه النبي ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة . [أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان ، ج٣ ، ص ٦٦ ، برقم ١٦١] .

وأشار كذلك إلى أن في الحج حكماً كثيرة إذا أهملت تفرق المسلمون وتشتتوا ، مما يمهد للعدو أن يستغل هذا التفرق ، فيوقع بين المسلمين العداوة ، فيضرب بعضهم بعضاً ، حيث قال : (إن إهمال حكمة الحج ولاسيما التعارف بين المسلمين وتوحيد أفكارهم وإهمال ما يتضمنه الحج من سياسة إسلامية رفيعة ومصلحة اجتماعية واسعة تشمل التعاون والمشاركة في الأعمال والسعي الجاد ، أقول : إن هذا الإهمال أدّى إلى أن يهيّء العدو وسطاً ملائماً لضرب المسلمين بعضهم ببعض ، نعم ، إن ملايين المسلمين بدلاً من أن يشدوا الرحال إلى الحج – وهو الخير المحض – ، انساقوا في سياحة طويلة وسفر بعيد تحت لواء العدو – وهو الشر المحض – ، فاعتبروا يا أولي الأبصار ، بمعنى أن حكمة عظيمة لفريضة الحج هي " الشورى " الجارية في نطاق واسع بين المسلمين عامة ، ولمرة واحدة في السنة حفاظاً على سلامة العالم الإسلامي واستقلاليته) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٣-٤] .

فالحج ذو منافع للمسلمين ، كما في قوله تعالى : ﴿ **لِيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ ، وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ، فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَائِسَ الْفَقِيرِ** ﴾ [سورة الحج : آية ٢٨] ، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : (" ليشهدوا منافع لهم " ، منافع الدنيا والآخرة ؛ أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى ، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٤ ، ص ٦٣٣] .

٣- المرض : حيث عده النورسي من الأسباب التي تربي الشعور بالآخرين ، فقال : (إن المرض يلقن صاحبه أهم عرى الحياة الاجتماعية والإنسانية وأجمل أواصرها ، وهما الاحترام والمحبة ، إن النفس الأمارة الواقعة في شباك الاستغناء – الناجم عن الصحة والعافية – لن تَشْعُرَ بالاحترام اللائق تجاه العلاقات الأخوية ، ولن تحسَّ بالرحمة والرأفة بالمبتلين بالمصائب والأمراض الجديرين بالرحمة والعطف ، ولكن متى ما انتاب الإنسان المرض ، وأدرك مدى عجزه ، ومدى فقره تحت ضغوط المرض وآلامه وأثقاله فإنه يشعر باحترام أشقائه المؤمنين اللائقين بالاحترام الذين يقومون برعايته ، أو الذين يأتون لعيادته ، ويشعر كذلك بالرأفة الإنسانية وهي خصلة إسلامية تجاه أهل المصائب والبلايا – قياساً على نفسه – ، فتفيض من قلبه الرحمة والرأفة بكل معناهما تجاههم ، وتضطرم عنده الشفقة حارة إزاءهم ، وإذا استطاع قدّم لهم يد العون ، وإن لم يقدر عليه شرع بالدعاء لهم ، أو بزيارتهم ، والاستفسار عن راحتهم وأحوالهم ، مؤدياً بذلك سنة مشروعة ،

كاسباً ثوابها العظيم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٢٩] .

فالمرض يذكّر العبد بنعمة العافية التي يرفل فيها ، فيتوجه بالحمد والشكر والثناء على المنعم المتفضل سبحانه وتعالى ، ثم يتذكر أهل المصائب والأمراض مثله فيعطف عليهم ، ثم يتذكر أولئك الذين قدموا له العون والمساعدة أثناء مرضه ، فيسارع إلى شكرهم واحترامهم والدعاء لهم ، وبهذا يصبح المرض رحمة لا نقمة لمن صبر واحتسب ، وذلك كما في حديث المصطفى ﷺ : « ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه ، إلا حط الله به سيئاته ، كما تَحُطُّ الشجرة ورقها » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك ، ج٤ ، ص١٥٨١ ، برقم ٢٥٧١] .

٤- التربية على توقير الكبار ورحمة الصغار : والأسرة هي المسؤولة عن ذلك أولاً بامتثال هذين الأمرين بين أفرادها ، ثم المجتمع ، ثم المؤسسات التعليمية ، فإذا شبّ الطفل على توقيره لكبار السن واحترامهم ، ثم الرحمة بمن هم أصغر منه ، ورأى ذلك واقعاً عملياً في أسرته ، فلا شك أنه سيتربى على ذلك ، واعتبر النورسي التوقير للكبار ، والرحمة بالصغار ركيزة أساسية من ركايز التربية الاجتماعية ، فقال : (إن أعظم ركيزة في الحياة الاجتماعية هي توقير الصغير للكبير ، ورحمة الكبير للصغير ، إلا أننا نرى أن هذا الأساس قد تصدع كثيراً ، حتى أننا نسمع أخباراً مؤلمة جداً ، وحوادث مفجعة جداً تجاه الآباء والأمهات ، تقع من جراء خراب هذا الأساس الراسخ) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص١٧٠] .

وهذا الأساس الذي جعله النورسي أعظم أسس تربية الشعور الاجتماعي في المجتمع ذكره الرسول ﷺ في قوله : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف ، وينهَ عن المنكر » [أخرجه أحمد في المسند ١/٢٥٧ ، والترمذي في السنن ٤/٣٢٢ ، كتاب البر ، باب ما جاء في رحمة الصبيان ، برقم ١٩٢١ واللفظ له ، وقال : حديث حسن غريب] [البغوي ، ١٤٠٧هـ ، ج٣ ، ص ٣٦٩ ، برقم ٣٨٦٧] .

والنورسي اعتبر التربية على كتاب الله مهمة في إصلاح هذا الأساس وتعميره بعد خرابه ، ويشير بذلك إلى رسائل النور التي جعلت القرآن الكريم مصدرها ، فقال : (ولكن بفضل الله فإن الرسائل القرآنية أينما حلّت قاومت الدمار ، وحالت دون

تهدم هـذا الأسـاس الاجتمـاعي المتين ، بـل حـاولت تعميره) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص١٧٠] .

٥- تربية الأخلاق الحسنة في النفوس : حيث أن سعادة الحياة الاجتماعية لكل جوانبها المختلفة مؤسسة على وجود الأخلاق الحسنة في أفراد الأمة ، لـذا قـال النورسي : (إن البلاد بأكملها ما هي إلا بيت واسع جداً ، والوطن بيت عائلة الأمة ، فـإذا مـا حكـم الإيمان بالآخرة هذه البيوت وسيطر ، فإن الفضائل تنكشف وتنبسط وتتوضح فيها ، فَتُظْهِر الاحترام المتبادل والرحمة الجادة ، والمحبة الخالصة بلا عوض ، والمعاونة مع الخدمة الحقـة بـلا احتيال ، والمعاشرة والإحسان بلا رياء ، والفضيلة والتوقير بلا استكبار ، وتشيع الفضـائل الأخرى جميعاً) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨٣] .

وبهذا يتضح دور التربية الإسلامية الشـاملة المبنيـة علـى أسـس سليمة مستقاة مـن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، سواء على مستوى الفرد أو الأسرة أو القبائل والعشـائر ، أو المدن والأحياء ، بل على مستوى الدول والشعوب التي تعتبر روافد المجتمع المسـلم أو الأمـة المسلمة ، فلا سعادة ولا فلاح إلا بذلك .

المبحث الثالث : الأمراض الاجتماعية .

الأمراض التي تصيب المجتمعات متعددة ومختلفة من مجتمع إلى آخر بنـاءً على حسـن تربية الأخلاق في المجتمع مـن عدمـه ، وهـذه الأمـراض لا تـأتي فجـأة في المجتمـع ، بـل لهـا أسباب أفرزتها وهيأت المناخ الاجتماعي لتقبلها ، ثم لها نتائج سيئة علـى الأمـة بكاملهـا ، ولذا فإن إصلاحها وعلاج ما فسد منها سهلٌ وميسور بإذن الله تعالى إذا أخلصـت النيـة ، وربيت المجتمعات تربية إسلامية صالحة على كتـاب الله وسـنة رسـوله ﷺ ، وهنـا تُعْـرَض الأسباب ، ثم النتائج ، ثم العلاج .

١) الأسباب : يُرْجِع النورسي رحمـه الله تعـالى أسباب الأمـراض الاجتماعيـة إلى خمسة أسباب ، وهي :

أ - التحايز والعناد والحسد : وهذه الثلاثة جمعها بقوله : (إن مـا يسـببه التحـايز والعنـاد والحسـد مـن نفـاق وشـقاق في أوسـاط المؤمنـين) [النورسـي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٣٩] .

ب – منع الزكاة وانتشار الربا : وأشار إليهما بقوله : (إن هناك كلمتين : هما منشأ جميع ما آلت إليه البشرية في حياتهم الاجتماعية من تردٍّ في الأخلاق وانحطاطٍ في القيم ، وهما منبع جميع الاضطرابات والقلاقل ، والكلمتان هما : إن شبعتُ فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع ، واكتسبْ أنت لآكل أنا ، واتعب أنت لأستريح أنا ، وأن الذي يديم هاتين الكلمتين ويغذيهما هو جريان الربا وعدم أداء الزكاة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٥٥] .

٢) نتائج هذه الأمراض : إن النتائج موجعة ومؤلمة حسب قوة الأسباب وضعفها ، إلا أنها بالجملة مضرة بالأمة على مستوى الأفراد والجماعات ، ومن هذه النتائج ما يلي :

أ – نتائج التحايز والعناد والحسد : وتتمثل في النفاق والشقاق والحقد والغلّ والعداء ، وأشار إليها النورسي بقوله : (إن ما يسببه التحايز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين ، وما يُوغِرُ في صدورهم من حقدٍ وغلّ وعداء مرفوض أصلاً ، ترفضه الحقيقة والحكمة ، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى ، فضلاً عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر : الشخصية ، والاجتماعية ، والمعنوية ، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٣٩] .

وينتج أيضاً من هذه الأسباب الغيبة التي (هي ذكرك أخاك بما يكره ، فإن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه ، أي اجترحت إثماً مضاعفاً) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٥٨] ، ولذلك اعتبرها نتيجة للخصام والحسد والعناد ، حيث قال : (حقاً إن الغيبة سلاح دنيء يستعمله المتخاصمون والحساد والمعاندون ، لأن صاحب النفس العزيزة تأبى عليه نفسه أن يستعمل سلاحاً حقيراً كهذا) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٥٨] ، ثم استشهد بقول الشاعر[1] :

وأُكْبِرُ نفسي عن جزاءٍ بغيبةٍ ... فكلُ اغتيابٍ جَهْدُ مَن لا لَهُ جَهْدُ

ب – نتائج انتشار الربا ومنع الزكاة : الظلم والاستبداد والصراع بين الطبقات ، واشار إليه النورسي بقوله : (إن في البشرية طبقتين : الخواص ، والعوام . والزكاة تؤمن

---

(١) ديوان المتنبي ، ص ١٩٨ ، ط١ ، دار صادر ، عن المترجم . [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٥٨] .

الرحمة والإحسان من الخواص تجاه العوام ، وتضمن الاحترام والطاعة من العوام تجاه الخواص ، وإلا ستنهال مطارق الظلم والتسلط على هامات العوام من أولئك الخواص ، وينبعث الحقد والعصيان اللذان يضطرمان في أفئدة العوام تجاه الأغنياء الموسرين ، وتظل هاتان الطبقتان من الناس في صراع معنوي مستديم ، وتخوضان غمار معمعة الاختلافات المتناقضة ، حتى يؤول الأمر تدريجياً إلى الشروع في الاشتباك الفعلي والمجابهة حول العمل ورأس المال ، كما حدث في روسيا) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٥٥] .

٣) علاج الأمراض الاجتماعية : إن التربية الإسلامية الصحيحة المبنية على أسس سليمة هي العلاج الشافي الكافي بإذن الله تعالى من هذه الأمراض ، لأن العصور الإسلامية المفضلة ما نجحت في علاج أمراضها الاجتماعية وتغلبت عليها إلا من خلال تلك التربية الإسلامية ، والنورسي أشار إلى ذلك من خلال كلام طويل ، لخص الباحث مضمونه في النقاط التالية :

أ – امتثال توجيهات القرآن الكريم والتي أشارت إليها عدد من الآيات الكريمة ، مثل :

١– المبادرة إلى إصلاح ذات البين ، وأشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٠] ، ثم قال : (إن كنتم تريدون – حقاً – الحياة العزيزة ، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان ، فأفيقوا من رقدتكم ، وعودوا إلى رشدكم ، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ ، وحصنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية ، وإلا تعجزون عن الدفاع عن حقوقكم ، بل حتى عن الحفاظ على حياتكم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٥٠] .

٢– مقابلة الإساءة بالإحسان ، وأشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [سورة فصلت : آية ٣٤] ، ثم قال : (إن أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة ، فبه تخمد نار الخصومة ، أما إذا قابلت إساءته بمثلها فالخصومة تزداد ، حتى لو أصبح مغلوباً – ظاهراً – فقلبه يمتلئ غيظاً عليك ، فالعداء يدوم ، والشحناء تستمر ، بينما مقابلته بالإحسان تسوقه إلى الندم ، وقد يكون صديقاً حميماً لك ، إذ أن من شأن المؤمن أن يكون كريماً ، فإن أكرمته فقد

ملكته وجعلته أخاً لك) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٤٣] ، ثم ذكر قول الشاعر[1] :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

٣- كظم الغيظ والعفو عن الآخرين ، وأشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ ، وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِين** ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٣٤] .

ولم يكن للنورسي حديث حول هذه الآية غير ذكرها عند كظم الغيظ ، ولكن من صفات المتقين أنهم (إذا ثار بهم الغيظ كظموه ، بمعنى كتموه فلم يعملوه ، وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٢ ، ص ١١٣] .

٤- امتثال العدل والإنصاف ، وأشار إليه النورسي بقوله : (إن الآية الكريمة ﴿ **وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾[2] تفيد العدالة المحضة ، أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة غيره ، فترى القرآن الكريم ومصادر الشريعة الأخرى ، وآداب أهل الحقيقة والحكمة الإسلامية كلها تنبه إلى أن إضمار العداء للمؤمن والحقد عليه ظلم عظيم ، لأنه إدانة لجميع الصفات البريئة التي يتصف بها المؤمن بجريرة صفةٍ جانيةٍ فيه ، ولاسيما امتداد العداء إلى أقاربه وذويه بسبب صفة يمتعض منها ، فهو ظلم أعظم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٤٢] .

وذكر أن السخط يؤدي إلى إظهار جميع مساوئ الغير ، على العكس تماماً الرضا الذي يحول بين العين وبين رؤية المساوئ ، وأورد قول الإمام الشافعي رحمه الله[3] :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   ولكن عين السخط تبدي المساويا

ب - **امتثال توجيهات السنة النبوية** التي وردت في أحاديث عدة ، ومنها :

١- ألا يهجر مسلم أخاه المسلم فوق ثلاث ، وأشار إليه بقول الرسول ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ ، يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا ،

---

(١) لأبي الطيب المتنبي ، انظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ص ٣٨٧ ، دار القلم ، بيروت ، عن المترجم . [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٤٣] .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٦٤ .

(٣) ديوان الشافعي ، ١٣٩٢هـ ، ص ٩١ .

وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي ، ج٤ ، ص ١٥٧٥ ، برقم ٢٥٦٠] ، ثم يقول : (فتفضيلك ما بدر من أخيك من أمور بسيطة على ما يتحلى به من صفات الإسلام الحميدة ظلم وأي ظلم ! يدركه كل من له مسكة من عقل) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٤١] .

٢- أن يبني المسلم علاقته بأخيه على الحب في الله والبغض في الله ، وأشار إليه النورسي بقوله : (إن لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف « الحب في الله والبغض في الله »(١) ، والاحتكام إلى أمر الله في الأمور كلها ، فالنفاق والشقاق يسودان .

نعم ، إن الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مقترفاً ظلماً في الوقت الذي يروم العدالة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٤٨] .

٣- البعد عن الأنانية والتحزب ، وأشار إلى ذلك النورسي بقوله : (يا معشر أهل الإيمان ! إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضكم الشخصية ، وأنانيتكم وتحزبكم ، فقوة قليلة جداً تتمكن من أن تذيقكم الذل والهلاك ، فإن كنتم حقاً مرتبطين بملة الإسلام فاستهدوا بالدستور النبوي العظيم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً » ، وعندها تسلمون من ذل الدنيا ، وتنجون من شقاء الآخرة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٥٠] ، والحديث [أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ، ج٧ ، ص ٣٣١ ، برقم ٩٠٩] .

ثم الأحاديث التي توجه أفراد المجتمع إلى التآخي والتآزر ، وإلى المحبة والإخاء ، وتحذرهم مما فيه ضرر على الآخرين كثيرة في سنن المصطفى ﷺ ، منها : قوله ﷺ : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا » [أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ، ج٧ ، ص ٣٤٢ ، برقم ٩٤٦] .

ولذلك يحذر النورسي من الحسد ، ويقول : (إن نشأت العداوة من الحسد فدونه العذاب الأليم ، لأن الحسد أشد إيلاماً للحاسد من المحسود ، حيث يحرق صاحبه بلهيبه ،

(١) جزء من حديث رواه الطبراني ، والبغوي في شرح السنة ، وسنده ضعيف ، إلا أن له شواهد عدة يتقوى بها . [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج٢ ، ص ٧٣٤ ، برقم ٩٩٨] .

أما المحسود فلا يمسه من الحسد شيء ، أو يتضرر طفيفاً) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٤٤] .

ثم بين للحاسد أن عمله هذا اعتراض على قدر الله تعالى ، فيقول : (ثم أن الحاسد في حسده يسخط على قدر الله ، لأنه يحزن من مجيء فضل من الله ورحمته على محسوده ، ويرتاح من نزول المصائب عليه ، أي كأنه ينتقد القدر الإلهي ، ويعترض على رحمة الله الواسعة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٤٤] .

جـ - القيام بأداء فريضة الزكاة على وجهها المشروع ، مع حرمة الربا ومنعه علاج لوجود الأنانية والظلم في المجتمعات ، لذلك قال النورسي : (إن الحل الوحيد والدواء الناجع لهذين المرضين الاجتماعيين هو : تطبيق الزكاة في المجتمع ، وفرضها فرضاً عاماً ، وتحريم الربا كلياً ، لأن أهمية الزكاة لا تنحصر في أشخاص وجماعات معينة فقط ، بل إنها ركن مهم في بناء سعادة الحياة البشرية ورفاهها جميعاً) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٥٥] .

وكم يتمنى الإنسان أن تُخْرَجَ الزكاة على حقيقتها ، ويُمْنَع الربا من تداوله في المجتمعات ، إن في ذلك سعادة لكل الأفراد والمجتمعات المسلمة ، فكم من آلاف المليارات لا تخرج زكاتها ، ولو أخرجت لما بقي في المجتمع فقير أو محتاج ، ولكن في غياب الفهم الشرعي الحقيقي عن حياة كثير من تجار المسلمين ، حصل الامتناع عن الإخراج الصحيح ، وأُوجِدَت البنوك الربوية التي هيأت لهم المتاجرة بأموالهم فيها ، فوقعوا في شر أعظم ، والله المستعان على ما يصفون .

د - حسن التربية المبني على سلامة المنهج التربوي ، حيث ذكر النورسي أن رسائل النور تضمنت خمسة أسس ثابتة لإنقاذ الحياة الاجتماعية ، وهذه الأسس ذكرها بقوله : (في زمن عجيب كزماننا هذا ، لا بد من تطبيق خمسة أسس ثابتة ، حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والانقسام ، وهذه المبادئ هي : الاحترام المتبادل ، الشفقة والرحمة ، الابتعاد عن الحرام ، الحفاظ على الأمن ، نبذ الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة ، والدليل على أن رسائل النور في نظرتها إلى الحياة الاجتماعية قد ظلت تُثْبِت وتحكم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراماً جاداً محافظة بذلك على الحجر الأساس لأمن البلاد ، هو أن رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاماً أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل أعضاء نافعين للبلاد والعباد دون أن يتأذى أو يتضرر بهم

أحد من الناس) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٤٠٦-٤٠٧] .

وهذه الأسس الخمسة التي ضمنها النورسي منهجه التربوي تدل على اهتمام الفكر التربوي الإسلامي لما يسمى الآن بالتربية الوطنية ، ولكن من منظور إسلامي عام يشمل كل المجتمع الإسلامي ، وليس مجتمعاً دون آخر ، أو قطراً دون الأقطار الأخرى ، لأن تطبيقها في مجتمع وترك المجتمعات الأخرى لا يجدي ، فالأساس الأول - مثلاً - لا بد أن يشمل أفراد كل مجتمع ، وأن يشمل المجتمعات الأخرى ، حتى يعمّ الاحترام بين جميع المجتمعات ، ويسود الأمن ، وتُحارَب الفوضى والغوغائية ، وكل ذلك يعود إلى طاعة الله ورسوله ، ثم ولاة الأمر في غير معصية ، كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللهِ وَالرّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا** ﴾ [سورة النساء : آية ٥٩] .

المبحث الرابع : الفرق بين الحياة الاجتماعية الإسلامية وغير الإسلامية .

تقوم الحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي على قوانين ودساتير إسلامية نابعة من الكتاب والسنة ، فلا شك في صلاحها للأفراد والمجتمعات ، لأنها من وضع عالم خبير حكيم بأحوال الخلق صغيرهم وكبيرهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وأولهم وآخرهم ، فهو سبحانه هو العالم بما يصلح لدنياهم وآخرتهم ، أما الحياة الاجتماعية في المجتمعات غير الإسلامية فإنها تقوم على قوانين وضعية ، ودساتير من وضع البشر أنفسهم ، ظاهرها المصلحة العامة ، وباطنها المنفعة الذاتية ، مما يجعلها معرّضة للتبديل والتعديل حسب المصالح والأهواء ، بل قد يصل الأمر إلى إلغائها والإتيان بغيرها تتفق مع أهواء ورغبات المشرعين والمقنين ، فَأَنّى لها الثبات ، وأَنّى لها الصلاح ؟. (إن آثار البشر وقوانينه تشيب وتهرم مثله ، وتتغير وتُبدّل ، إلا أن أحكام القرآن وقوانينه لها من الثبات والرسوخ بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرّت العصور) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٧١] .

والنورسي أوضح في رسائله الفرق بين المجتمعات التي تربّت على حكمة الفلسفة ، والتي تمثل المدنية المعاصرة ، وبين المجتمعات التي تربّت على حكمة القرآن الكريم .

١) الحياة الاجتماعية غير الإسلامية :

أ – مصدرها : الفلسفة .

ب – ركيزة الحياة الاجتماعية : القوة .

جـ – هدفها : المنفعة ، لا المصلحة .

د – دستورها : الصراع .

هـ – رابطتها الاجتماعية : العنصرية والقومية .

و – نتائجها : إشباع رغبات النفس المؤدي إلى جموحها وإثارة الهوى .

ز – حالتها الاجتماعية : الشقاء المتمثل في الظلم ، واللهاث وراء المادة ، والخصام والشجار .

وأشار إلى ذلك النورسي بقوله : (أما ما تعطيه حكمة الفلسفة من تربية للمجتمع الإنساني فهي ترى (القوة) نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية ، وتهدف (المنفعة) في كل شيء ، وتتخذ (الصراع) دستوراً للحياة ، وتلتزم (بالعنصرية والقومية السلبية) رابطة للجماعات ، أما ثمراتها ، فهي إشباع رغبات الأهواء ، والميول النفسية التي من شأنها تأجيج جموح النفس وإثارة الهوى ، ومن المعلوم أن شأن (القوة) هو (الاعتداء) ، وشأن (المنفعة) هو (التزاحم) ، إذ لا تفي لتغطية حاجات المجتمع وتلبية رغباتهم ، وشأن (الصراع) هو (النزاع والجدال) ، وشأن (العنصرية) هو (الاعتداء) ، إذ تكبر بابتلاع غيرها ، وتتوسع على حساب العناصر الأخرى ، ومن هنا تُلْمَس لِمَ سُلِبَت سعادة البشرية من جراء اللهاث وراء هذه الحكمة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ١٤٥] .

٢) الحياة الاجتماعية الإسلامية :

أ – مصدرها : القرآن الكريم .

ب – ركيزة الحياة الاجتماعية : الحق .

جـ – هدفها : الوصول إلى رضا الله تعالى ، ونيل الفضائل .

د – دستورها : التعاون .

هـ – رابطتها الاجتماعية : الدين الإسلامي .

و – نتائجها : الحدّ من تجاوز النفس الأمارة والوصول بالروح إلى معالي الأمور لتصل بالإنسان إلى كماله اللائق به .

ز – **حالتها الاجتماعية** : السعادة المتمثلة في الأخوة والألفة ، والعدل ، والتعاون ، والتكاتف ، وغيرها .

وأشار النورسي إلى ذلك بقوله : (أما حكمة القرآن الكريم ، فهي تقبل (الحق) نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلاً من (القوة) ، وتجعل (رضا الله سبحانه) ونيل الفضائل هو الغاية بدلاً من (المنفعة) ، وتتخذ دستور (التعاون) أساساً في الحياة بدلاً من دستور (الصراع) ، وتلتزم برابطة (الدين) لربط فئات الجماعات بدلاً من العنصرية والقومية السلبية ، وتجعل غاياتها الحدّ من تجاوز النفس الأمارة ، ودفع الروح إلى معالي الأمور ، وإشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية .

إن شأن (الحق) هو (الاتفاق) ، وشأن (الفضيلة) هو (التساند) ، وشأن دستور (التعاون) هو (إغاثة كلٍ للآخر) ، وشأن (الدين) هو (الأخوة والتكاتف) ، وشأن (إلجام النفس وكبح جماحها ، وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال) هو (سعادة الدارين)) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص.ص ١٤٥-١٤٦] .

والناظر في الحياتين الاجتماعيتين يلحظ اختلاف المصادر والأسس والأهداف ، ثم تباين النتائج تبعاً لذلك ، والنورسي هنا بدأ بالحياة الاجتماعية غير الإسلامية ليكشف عورها وسوءتها ، وأن نهايتها الشقاء لا السعادة ، والظلم لا العدل ، ثم يبين محاسن الحياة الاجتماعية الإسلامية المبنية على أسس ثابتة صالحة مصدرها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وحياة سلف هذه الأمة التي هي خير حياة عرفتها البشرية ، ومن المقارنة بين الحياتين تتضح الفوارق .

٣) سبب تميز الحياة الاجتماعية الإسلامية على غيرها :

ذكر النورسي أربعة أسباب تميزت بها التربية الاجتماعية الإسلامية عن التربية الاجتماعية غير الإسلامية ، وهي :

أ – صلاحية أحكام القرآن الكريم وقوانينه لكل زمان ومكان ، وموت وهرم أحكام وقوانين البشر ، إذ (إن دساتير القرآن الكريم وقوانينه باقية وماضية إلى الأبد ، لا تهرم أبداً ولا يصيبها الموت ، كما تهرم القوانين المدنية وتموت ، بل هي شابة وقوية دائماً في كل زمان) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٧٣] .

وضرب مثلاً بوجوب أداء الزكاة ووجوب تحريم الربا ، وعدم تغير ذلك في الدين الإسلامي ، بخلاف المدنية الحاضرة ، حيث حرمت الزكاة ، وأحلت الربا ، وأقامت نظامها الاجتماعي على كلمتين ، هما : (إن شبعتُ فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع ، واكتسبْ أنت لآكل أنا ، واتعب أنت لأستريح أنا) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص٤٧٣] .

ثم بين أن المجتمعات لا يمكن أن تعيش بسلام ووئام (إلا بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام ، أي بين الأغنياء والفقراء ، وأساس هذا التوازن هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام ، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٧٤] ، إلا (أن المدنية بكل جمعياتها الخيرية ومؤسساتها الأخلاقية ، وبكل وسائل نظامها وانضباطها الصارم عجزت عن أن تصلح بين تينك الطبقتين من البشر ، كما عجزت عن أن تضمد جُرْحَيْ الحياة البشرية الغائرين . أما القرآن الكريم فإنه يقلع الكلمة الأولى من جذورها ويداويها بوجوب الزكاة ، ويقلع الكلمة الثانية من أساسها ويداويها بحرمة الربا) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٧٤] .

ب – الإسلام يدعو إلى الفضيلة ويحارب الرذيلة ، لا المدنية الحاضرة ، وأشار إليه بقوله : (إن المدنية الحاضرة لا تقبل تعدد الزوجات ، وتحسب ذلك الحكم القرآني مخالفاً للحكمة ، ومنافياً لمصلحة البشر ، نعم ، لو كانت الحكمة من الزواج قاصرة على قضاء الشهوة للزم أن يكون الأمر معكوساً ، إن الحكمة من الزواج والغاية منه إنما هي التكاثر وإنجاب النسل ، فما دام الزواج للتكاثر وإنجاب النسل ، ولبقاء النوع حكمةً وحقيقةً ، فلا شك أن المرأة التي لا تلد إلا مرة واحدة ، ولا تكون خصبة ، وتدخل سن اليأس في الخمسين من عمرها لا تكفي الرجل الذي له القدرة على الإخصاب في أغلب الأوقات ، لذا تضطر المدنية إلى فتح أماكن العهر والفحش) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص.ص ٤٧٤-٤٧٥] ، فتعدد الزوجات هو الحل الأمثل لهذه المشكلة ، فمن لديه القدرة الجنسية والمادية فله التعدد المشروع ، وبذلك يكثر النسل في مجتمعات المسلمين ، ويحصن الرجل نفسه من الوقوع في الفاحشة ، ويُقضى على العنوسة المنتشرة في بنات المجتمعات الإسلامية ، فما أعظم أحكام الإسلام وتشريعاته ، وما أنفعها للبشرية قاطبة .

جـ – الإسلام أحكامه مبنية على العدل والحكمة ، وغيره مبنية على الأهواء النفسية والمصالح الفردية النفعية ، وأشار إليه بقوله : (إن المدنية التي لا تتحاكم إلى المنطق العقلي تنتقد الآية الكريمة ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ [سورة النساء : آية ١١] التي تمنح

النساء الثلث من الميراث ، أي نصف ما يأخذه الذكر ، وأغلب الأحكام في الحياة الاجتماعية إنما تسن حسب الأكثرية ، فغالبية النساء يجدن أزواجاً يعيلونهن ويحمونهن ، بينما الكثير من الرجال مضطرون إلى إعالة زوجاتهم وتحمّل نفقاتهن ، فإذا ما أخذت الأنثى الثلث من أبيها ، أي نصف ما أخذه الزوج[1] من أبيه ، فإن زوجها سيسد حاجتها ، بينما إذا أخذ الرجل حظين من أبيه فإنه سينفق منه على زوجته ، وبذلك تحصل المساواة ، ويكون الرجل مساوياً لأخته ، وهكذا تقتضي العدالة القرآنية) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٧٥] ، بمعنى أن الرجل هو المطالب بالنفقة على زوجته ولو كان فقيراً حسب المستطاع ، وأما المرأة فليست مطالبة بالإنفاق على زوجها وإن كانت غنية ، فتقسيم الميراث بهذه الطريقة مبني على عدل وحكمة .

د – التربية الوقائية من خصائص المنهج التربوي الإسلامي لا غيره .

وساق على ذلك عدداً من الأمثلة ، منها :

١– منع صور الرجال حتى لا تؤدي إلى تعظيم أصحابها ، كما وقع ذلك في عبادة الأصنام ، وأشار إليه بقوله : (إن القرآن مثلما يمنع بشدة عبادة الأصنام يمنع كذلك اتخاذ الصور التي هي شبيهة بنوع من اتخاذ الأصنام ، أما المدنية الحاضرة فإنها تعد الصور من مزاياها وفضائلها ، وتحاول أن تعارض القرآن ، والحال أن الصور أياً كانت ، ظلية أو غيرها ، فهي إما ظلم متحجر ، أو رياء متجسد ، أو هوى متجسم ، حيث تهيج الأهواء وتدفع الإنسان إلى الظلم والرياء والهوى) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٧٥] .

وكأن النورسي يشير إلى أن الصور المحرمة تلك تكبر وتجسم وتعلق ، والتي لا تخلو من أحد ثلاثة مقاصد ، وهي : **التعظيم** ، وهو ما أشار إليه بقوله : (إما ظلم متحجر) ، **أو المباهاة والرياء** ، وهو ما أشار إليه بقوله : (أو رياء متجسد) ، **أو الوصول إلى إشباع رغبات الهوى المحرمة** ، وأشار إليه بقوله : (أو هوى متجسم) ، وتكون بهذا وسائل إلى الوقوع في المحظورات ، والوسيلة لها حكم الغاية ، وبهذا يخرج ما كان لضرورة ، كمرض ، أو سفر ، أو أمن ، أو نحو ذلك ، أخذاً من القاعدة الفقهية " الضرورات تبيح المحظورات " ، مع الاحتراز من مجاوزة الضرورة واستغلال الإباحة .

---

(١) الأولى أن يقول : ما أخذه الابن من أبيه .

ثم منع صور النساء ، لأن ذلك (يفسد الأخلاق ويهدمها كلياً ، ويؤدي إلى انحطاط الروح وتردّيها ، ويمكن فهم هذا بالآتي : كما أن النظر بدافع الهوى وبشهوة إلى جنازة امرأة حسناء تنتظر الرحمة وترجوها يهدم الأخلاق ويحطها ، كذلك النظر بشهوة إلى صور نساء ميتات أو إلى صور نساء حيات – وهي في حكم جنائز مصغرة لهن – يزعزع مشاعر الإنسان ويعبث بها ويهدمها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٧٦] .

وهنا تشبيه بليغ حين شبه النظر إلى صورة المرأة بالنظر إلى جنازتها ، وهذا تنفر منه الطبائع الحميدة والأخلاق الرفيعة ، إلا لمن مات قلبه ، وغلب هواه وشهوته عقلَه ، فأصبح جسماً يتحرك دون قلب صالح أو عقل مدرك ، وهذا هو الميت المحزون عليه والمتأسف له ، كما قال الشاعر(١) :

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء

٢- الأمر بالحجاب صيانة للمرأة من الوقوع في الفساد أو الافتتان بها أو أذيتها من الذئاب البشرية ، كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْن ، وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيما** ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٥٩] .

ولذلك قال النورسي : (إن القرآن يأمر النساء أن يحتجبن بحجاب الحياء ، رحمة بهنّ وصيانة لحرمتهن وكرامتهن ، ولكيلا تهان تلك المعادن الثمينة – معادن الشفقة والرأفة وتلك المصادر اللطيفة للحنان والرحمة – تحت أقدام الذل والمهانة ، ولكي لا يكنّ آلة لهوسات الرذيلة ، ومتعة تافهة لا قيمة لها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٧٦] .

والتربية الإسلامية الصحيحة هي الوسيلة الوحيدة التي تصل بالمرأة إلى الاقتناع بأهمية الحجاب في حياتها ، وأنه وقاية لهنّ من الوقوع في الفاحشة ، أو تعرّضهنّ لأذية أصحاب النفوس الضعيفة ، لأن (العلاج الناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهنّ وأخراهنّ معاً ، وإن الوسيلة الوحيدة لصون سجاياهنّ الراقية اللاتي في فطرتهنّ من الفساد ، ليس إلا في تربيتهنّ تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١٠] .

---

(١) ذكر صاحب لآلئ الشعر ، ١٩٩٦م ، ص ٢٩ ، أنه ينسب إلى عدي بن الرعلاء ، نقلاً عن كتاب الصناعتين ، وينسب كذلك إلى صالح بن عبد القدوس ، وهو في ديوانه ، و لم يقف الباحث على غير ما ذكر .

والتربية الصالحة (ليست كلمات تتلى ، ولا عصاً تُرفع ، إنها حياة كاملة ، فيها اللين والرقة ، كما أن فيها الشدة والحزم) [فتح الله ، ١٤١٤هـ ، ص ١٦٦] .

وصدق الشاعر حين قال[1] :

الأم مدرسة إذا أعددتها　　أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا　　بالري أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الأولى　　شغلت مآثرهم مدى الآفاق

٣- منع الفرح والسرور الذي يدفع النفس إلى الوقوع في شهواتها ، وأشار إليه النورسي بقوله : (أما الفرح والسرور فهو أيضاً قسمان : **الأول** : يدفع النفس إلى شهواتها ، هذا هو شأن المدنية ، من أدب مسرحي وسينمائي وروائي ، **أما الثاني** : فهو فرح لطيف بريء نزيه ، يكبح جماح النفس ويلجمها ، ويحث الروح والقلب والعقل والسر على المعالي ، وهذا الفرح هو الذي يمنحه القرآن المعجز البيان الذي يحض البشر ويشوقه على الجنة والسعادة الأبدية ، وعلى رؤية جمال الله تعالى) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٧٧] .

والنورسي رحمه الله تعالى لم يورد أمثلة للفرح المباح الذي أباحه الإسلام ، ولكن من خلال الرجوع إلى السنة النبوية الشريفة يورد الباحث بعضاً من الأحاديث التي أوضحت جواز الفرح المباح ، أو اللهو المباح ، ومن هذه الأحاديث :

أ - حديث حنظلة الأُسَيِّدي رضي الله عنه حيث قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟!. قال : قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ! ما تقول ؟. قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنا رأيُ عينٍ ، قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت : نافق حنظلة ، يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك » ؟. قلت : يا رسول الله ! نكون عندك ، تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأيُ عينٍ ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إنْ لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ! ساعة وساعة » " ثلاث مرات " [أخرجه

(١) ديوان حافظ إبراهيم ، ط١ ، سنة ١٩٩٥م ، ص ٩٤ .

مسلم في كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات ، والاشتغال بالدنيا ، ج٤ ، ص ١٦٧٣ ، برقم ٢٧٥٠] .

ب - حديث جابر بن عبد الله ﷺ حيث أخبر أن رسول الله ﷺ سأله فقال له : « أتزوجتَ بعد أبيك » ؟. قلت : نعم ، قال : « ثيباً أم بكراً » ؟. قال : قلت : ثيباً ، قال : « فهلاّ تزوجتَ بكراً تضاحكك وتضاحكها ، وتلاعبك وتلاعبها » ؟. [أخرجه مسلم في كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر ، ج٢ ، ص ٨٨٢ ، برقم ٥٨] .

جـ - الحديث الذي رواه جابر بن سمرة ﷺ قال : « جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة ، فكان أصحابه ﷺ يتناشدون الشعر ، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية ، وهو ساكت ، فربما تبسم معهم » [أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص٨٦ . والطيالسي ص١٠٥ ، برقم ٧٧١ . والترمذي في السنن ، ج٢ ، ص١٣٩ ، والسياق له ، وقال : حديث حسن صحيح ، وهو على شرط مسلم] [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص ٧٢٠ ، برقم ٤٣٤] .

د - ما أورده البخاري في الأدب المفرد قال : (كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبادحون بالبطيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال) وهذا سند صحيح رجاله رجال البخاري في صحيحه غير حبيب ، وهو ثقة عابد كما في التقريب . [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص ٧٢١ ، برقم ٤٣٥] .

فكما ورد في هذه الأحاديث وغيرها أن الدين الإسلامي لا يمنع من الفرح واللهو المباحين بشرط ألا يؤخرا عن واجب ، أو يفضيا إلى محرم ، لأن النفس تملّ وتسأم من المداومة على الشيء ، فلا مانع من المراوحة بين العبادة والطاعة والمرح الذي يؤدي إلى نشاط النفس مرة أخرى في العبادة ، كما أشار الرسول ﷺ لحنظلة بقوله : « ولكن ساعة وساعة » ، وهذا مبدأ تربوي نبوي مهم في التربية والتعليم ، فالطالب القابع على كرسي الدراسة لمدة طويلة دون أن يتخللها شيء من المرح والتسلية يملّ ويسأم ، وربما يعرض عن الإنصات والاستماع ، وإن حصل ذلك فبدون تركيز وتفكير ، ولذا ينبغي إعطاء الطالب بعض الوقت ليلهو ويمرح ، ويزاول أنشطة غير منهجية تميل إليها نفسه ، مع التوجيه والإرشاد من قِبَل المعلمين والمربين ، وقد يكون في الفسح الدراسية وحصص الرياضة والنشاط الفني ما يحقق هذا المبدأ .

المبحث الخامس : ثمار التربية الاجتماعية .

الأمة التي تهتم بتربية أفرادها ومؤسساتها الاجتماعية تحصد ثمار تلك التربية ، وثمار التربية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي أبلغ وأعظم فائدة من أي مجتمع آخر ، لأن أساسها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ثم الاهتداء بسلف هذه الأمة في حياتهم الاجتماعية الصالحة التي كانت أفضل ما عرفته البشرية على مرّ التاريخ ، والنورسي أشار إلى عدد من ثمار تلك التربية القائمة على الإيمان ، ومن هذه الثمار :

١- السعادة في الدنيا للأسرة والمجتمع : حيث ذكر النورسي أن تربية الأسرة على الإيمان بالآخرة ينور أرجاء تلك الأسرة ويضيء لها الطريق ، (لأن علاقة القربى والرأفة والرحمة التي تربطهم لا تقاس عندئذٍ ضمن زمن قصير جداً ، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الأبدية ، فيقوم - عندئذٍ - كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين ، ويوليهم محبة صادقة ، ويظهر رأفة صادقة ، ويبدي صداقة وفية ، صارفاً النظر عن التقصيرات ، فتتعالى الأخلاق وتسمو ، وتبدأ السعادة الإنسانية الحقة بالتألق في ذلك البيت) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨٣] .

ثم يقول : (وقياساً على هذا فإن البلاد بأكملها ما هي إلا بيت واسع جداً ، والوطن بيت عائلة الأمة ، فإذا حكم الإيمان بالآخرة هذه البيوت وسيطر ، فإن الفضائل تنكشف وتنبسط وتتوضح فيها ، فتُظهر الاحترام المتبادل ، والرحمة الجادة ، والمحبة الخالصة بلا عوض ، والمعاونة مع الخدمة الحقة بلا احتيال ، والمعاشرة والإحسان بلا رياء ، والفضيلة والتوقير بلا استكبار ، وتشيع الفضائل الأخرى جميعاً) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٢٨٣] .

٢- تثمر برّ الأبناء بالآباء : حيث يذكر النورسي أن تربية الأمة على الإيمان الذي يدعو إلى احترام الآخرين وتوقيرهم والعطف عليهم ، فإن أول ما يثمر برّ الأبناء بوالديهم ، لأن (الولد السعيد البار بوالديه العاجزين سيرى الطاعة نفسها من أبنائه ، بينما الولد العاق المؤذي لأبويه - مع ارتداده إلى العذاب الأخروي - سيجد كذلك في الدنيا مهالك كثيرة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٣٨] .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : أي العمل أحبّ إلى الله ؟. قال : « الصلاة على وقتها » ، قال : ثم أي ؟. قال : « برّ الوالدين » ، قال : ثم أي ؟. قال :

« الجهاد في سبيل الله ... » [أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل الصلاة لوقتها ، ج١ ، ص ٢٨٢ ، برقم ٤٩٦] .

٣- الرعاية الاجتماعية لكبار السن : حيث تحدث النورسي بعد حديثه عن رعاية الوالدين قائلاً : (نعم ، إنه ليست رعاية الشيوخ والعجائز والأبرياء من الأقربين وحدهم ، بل حتى إذا صادف المؤمن شيخاً مريضاً ذا حاجة جديراً بالاحترام فعليه القيام بخدمته بهمة وإخلاص ، ما دامت هناك أخوّة إيمانية حقيقية ، وهذا مما يقتضيه الإسلام) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٣٨] .

والرعاية الاجتماعية هنا ليست كما يعرفه الكثير من الناس الآن ، والتي تتمثل في فتح دور رعاية إما حكومية أو أهلية لمن تقدم به السن ورغب أبناؤه وذووه وضعه في هذه الدور ليرتاحوا منه ومن خدمته ، إن هذه الدور وإن كانت عملاً عظيماً ومهماً ، إلا أن الكثير من الأبناء لم يفهموا القصد من فتح هذه الدور ، فاستغلوا فرصة وجودها ، وهذا عمل مشين في حق الوالدين ، إن النورسي هنا يشير إلى أن لكبار السن من غير الوالدين حقوقاً على الآخرين في الرعاية والخدمة فضلاً عن حقوق الوالدين ، فأين هذا من ذاك ، والله المستعان . وليسمع هؤلاء لقول المصطفى ﷺ : « رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف » ، قيل : من يا رسول الله ؟. قال : « من أدرك أبويه عند الكبر ، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر ، فلم يدخل الجنة ، ج٤ ، ص ١٥٧٠ ، برقم ٢٥٥١] .

٤- تثمر قوة المجتمع وتماسكه : وأشار إليه النورسي بقوله : (اعلم أن سر تساند المؤمنين في عباداتهم ودعواتهم في جماعاتهم سر عظيم ، وأمر جسيم ، له شأن فخيم ، إذ يصير به كل فرد كالحجر المجصوص في البناء المرصوص ، يستفيد من إخوانه في الإيمان بألوف ألف ألف ما يستفيد من عمل نفسه) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص.ص ٤٠٦،٤٠٧] ، وفيه إشارة إلى حديث المصطفى ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، ج٤ ، ص ١٥٨٧ ، برقم ٢٥٨٥] .

٥- تثمر السلام والأمن في المجتمع : وأشار إليه النورسي بقوله : (الإسلام دين السلام والأمان ، يرفض النزاع والخصام في الداخل أيها العالم الإسلامي ! إن حياتك في الاتحاد) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٦٣] .

ولذلك أرسل رسالة إلى المسؤولين في الدولة يخبرهم أن الاتحاد هو القوة الفعالة ضد الإرهاب والفوضى ، فقال : (إنه لا يصمد أمام هذا الدمار الرهيب إلا وحدة المسلمين المنبعثة من حقائق القرآن ، فمثلما تكون هذه الوحدة وسيلة لإنقاذ البشرية من بلاء الفوضى والإرهاب فإنها تنقذ هذه البلاد أيضاً من سيطرة الأجانب ، وتنجي الأمة من مغبة الإرهاب ، بل لا منقذ لها إلا هذه الوحدة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، د.ت ، ص.ص ٧-٨] .

٦- أنها وسيلة من وسائل الرقي والتقدم للأمة الإسلامية : استقرار الحياة الاجتماعية وتعاون أفراد المجتمع وتكاتفهم يعتبر عاملاً مهماً في تقدم الأمة العلمي ورقيها الحضاري ، وأشار إليه النورسي بقوله : (لقد تعلمت من واقع الحياة ، ومن ممارسة الحياة الاجتماعية ، ومن الواقع الذي تعيشه البشرية في يومنا هذا ، أن هناك ستة أمراض قاتلة جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى ، ونتيه في مسالكها المظلمة ، في الوقت الذي طار فيه الأجانب - وخاصة الأوروبيون - بخطى سريعة نحو المستقبل وهم يتسابقون في ميدان الرقي والتقدم العلمي) [النورسي ، ١٣٩٤هـ ، ص ٣٠] .

وستذكر هذه الأمراض الستة بإذن الله تعالى عند الحديث عن عوائق التقدم العلمي في الفصل الأول من الباب الرابع ، وهذه الثمار مجمل ما ذكره النورسي للتربية الاجتماعية وحسن الاستفادة منها مبني على حسن التربية الاجتماعية ومدى التزام أفراد المجتمع بها .

الباب الرابع : عوامل نجاح التربية عند النورسي

توطئة :

نجاح التربية في جميع جوانبها المتعددة لها عوامل مساعدة ، بل تعتبر في عصر النورسي عوامل نجاح هامة للتربية ، فالتقدم العلمي الذي ساد العالم بكامله – وخاصة أوربا – أصبح ضرورة ملحّة لكل نواحي الحياة ، والتربية أشدّ احتياجاً له من غيرها ، لأنها لصيقة حياة الأفراد والمجتمعات ، ولكن ما العلم الذي ينبغي أن تُبنى عليه التربية ؟. ثم ما الآداب والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها كل من العالم والمتعلم – المُرَبي والمربَّى – ؟. وما هي المؤسسات الصالحة لنجاح التربية ؟. وما الدور الذي تؤديه كل مؤسسة ؟. وخاصة في عصر النورسي ، وحقيقة التربية لم تكن في كلام يقال و لم ينفذ ، أو في عمل و لم يخطط له على أسس سليمة ، بل هناك خطط تعدّ وتُرسم ، وهناك أساليب تطرق وتستخدم حسب الحاجة القائمة ، أو الفرصة المتاحة ، والنورسي ممن أدرك ذلك ووعاه ، فكانت له أساليبه المتعددة في تربيته لطلابه وأفراد مجتمعه ، حسب الأعمار والفئات والمسؤوليات ، ثم معرفة مدى تطبيق المؤسسات التربوية والاجتماعية المعاصرة لآراء وأفكار النورسي التربوية أمر ذو أهمية في المجال التربوي ، كل ذلك سيكون بمشيئة الله تعالى مدار الحديث من خلال هذا الباب الذي قسم إلى فصول خمسة ، هي :

الفصل الأول : شرف العلم وأهمية تعلمه .

الفصل الثاني : آداب المعلم والمتعلم .

الفصل الثالث : المؤسسات التربوية في فكر النورسي .

الفصل الرابع : أساليب التربية والتعليم عند النورسي .

الفصل الخامس : التطبيقات التربوية المعاصرة لفكر النورسي في المؤسسات التربوية .

الفصل الأول
شرف العلم وأهمية تعلمه

تمهيد :

العلم حلية الأولياء ، وشرف العلماء ، وزاد الفقهاء ، وهو رتبة عظيمة ، ومنزلة شريفة ، ترفعان صاحبه إلى درجات الاحترام والتقدير ، والهيبة والوقار ، كما قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ العِلْمَ دَرَجَات ﴾ [سورة المجادلة : آية ١١] ، (أي ويرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا ، والثواب في الآخرة ، وفي هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله) [الشوكاني ، ١٣٨٣هـ ، ج٥ ، ص١٨٩] .

والمنازل الرفيعة لأهل العلم دون غيرهم ، ولا مقارنة بين الفريقين ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُون ﴾ [سورة الزمر : آية ٩] .

ثم إن في قصة استعمال ابن أَبْزَى على مكة من قِبَل واليها نافع بن الحارث في عهد عمر رضي الله عنه جميعاً لَدليل على رفعة منزلة أهل العلم ، حيث لقي نافع عمر بن الخطاب في عُسْفَان ، وكان عمر يستعمله على مكة ، فقال عمر : من استعملت على أهل الوادي ؟. فقال نافع : استعملت ابن أبزى ، فقال عمر : ومن ابن أبزى ؟. قال : مولى من موالينا ، قال عمر : فاستخلفت عليهم مولى ؟. قال : إنه قارئ لكتاب الله عز وجل ، وإنه عالم بالفرائض ، قال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قد قال : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ، ويضع به آخرين » [أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، وفضل من تعلم حكمة من فقه وغيره فعمل بها وعلمها ، ج١ ، ص ٤٦٨ ، برقم ٨١٧] .

وما نهضت الأمة الإسلامية في عصر الازدهار إلا بعد احترام العلم والعلماء وتقديرهم وإعطائهم المكانة التي يستحقونها ، لأن (أهل العلم والمعرفة في كل مكان يزِنون الأمور بميزان العلم والمعرفة ، فأينما وجدوا معرفة وفي أي شخص تلمسوا علماً ، ويولون له الاحترام ، ويعقدون معه الصداقة باعتبار مسلك العلم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٦٢] .

ولذلك أشار النورسي رحمه الله تعالى إلى معرفته بنفسه وتقصيره وعجزه ، إلا أن

عزة العلم الذي يتقلده ويعمل به – وهو خدمة القرآن الكريم – تجعله لا يخضع ولا ينحني لأهل الضلالة وغيرهم ، فقال في ذلك : (إنني – و لله الحمد – على معرفة بقصوري وعجزي ، فلا أدّعي – مستعلياً على أحد من الناس – مقاماً للاحترام ، وأعتقد أن سلوكي هذا معروف لدى أصدقائي كلهم ، إلا أن هناك أمراً ، وهو أنني أتقلد وضعاً عزيزاً يتطلبه مقام عزة العلم ووقاره ، وذلك أثناء القيام بخدمة القرآن ودرس حقائق الإيمان ، أتقلده مؤقتاً في سبيل تلك الحقائق وشرف القرآن ، ولأجل ألا أحني رأسي لأهل الضلالة ، أعتقد أنه ليس في طوق قوانين أهل الدنيا معارضة هذه النقاط) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٢٦١-٢٦٢] .

فالعلم شرف ووقار لأهله ، ومفيد للأفراد والمجتمعات ، ولكن ما العلم المفيد ؟. وما أهمية تعلمه ، وكيفية تحصيله ؟. وما العوائق التي تقف في سبيل تعليمه ونشره ؟. كل هذه المعاني ستكون مباحثاً تحت هذا الفصل ، وهي كالتالي :

المبحث الأول : ماهية العلم المفيد .

المبحث الثاني : أهمية العلم والمعرفة للفرد والمجتمع .

المبحث الثالث : قواعد مهمة في التحصيل العلمي والمعرفي .

المبحث الرابع : قواعد البحث العلمي .

المبحث الخامس : المناظرة العلمية ، مكانتها ، وشروطها .

المبحث السادس : عوائق انتشار العلم .

المبحث الأول : ماهية العلم المفيد .

لقد كثرت فروع العلم وطُرُقه ، وخاصة في هذا العصر ، مع تعدد الأهداف وتنوع الحاجات وكَثْرَة الجامعات والمعاهد المتخصصة في فنون متنوعة من العلم ، ولكن ما العلم المفيد للفرد والمجتمع في عاجلهم وآجلهم ؟. إنه العلم الذي قواعده وأصوله مبنية على المنهج الرباني (الذي يُصْلِح الحياة البشرية والنفس البشرية ، لأنه منزل من عند اللطيف الخبير الذي يعلم من خلق ، ويعلم ما يُصْلِحُه وما يَصْلُح له ، ومنزل من عند العليم الحكيم الذي يحيط علمه بكل شيء ، فلا تخفى عليه خافية) [قطب ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٨] .

ويرى بعض التربويين المهتمين بالتربية الإسلامية أنها تُبنى على أصول تسعة جميعها منبثقة من هذا المنهج الرباني ، وهي : (الاعتقادية ، والتعبدية ، والتشريعية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، والنفسية ، والفكرية ، والاقتصادية ، والتاريخية) [يالجن ، ١٤١١هـ ، ص ١٠٥ بتصرف] .

وهذه الأصول هي التي قامت عليها حضارة القرون الأولى المفضلة مستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فهناك إذاً (حاجة ملحّة لأن نتعرف على هذا الجيل ، لنعرف مكان الأسوة لنا فيه في واقعنا المعاصر ، ولنقيس على ضوئه مدى قربنا أو بعدنا عن حقيقة الإسلام) [قطب ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٥] .

ثم يؤخذ بالمفيد من علوم العصر وفنونه مع التمحيص والتدقيق ، فيجمع بين الماضي الأصيل وبين الحاضر المفيد ، وكل علم من العلوم النظرية والتطبيقية ما لم يقم على أصول ثابتة شرعية فإنه علم مضرّ أو قاصر ، قد يفيد في جانب الحياة دون الآخرة ، أو يلحق ضرره الدنيا والآخرة ، والنورسي رأى أن يكون العلم المفيد مقيداً بشروط ، ذكر منها :

١- أن يُبنى على عقيدة سليمة : لأن العلم المبني على عقيدة صحيحة سليمة ينتج حقائق علمية ثابتة سليمة من الشكوك والشبهات ، حيث يصاحبه الإخلاص وحسن الانتقاء ، ودقة الصياغة ، ولأن الغايات العالية لا تُبْلَغ إلا بمقاصد حسنة ، وجهود متواصلة ، ولا يكون ذلك إلا بعقيدة سليمة تدفع إليها ، ولذلك يقول النورسي : (إن في المدارس الشرعية طريقاً توصل إلى أنوار الحقيقة ، وفي العلوم الإيمانية ينبوع ثر هي أصفى وأنقى من غيرها) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٠٨] .

فالإيمان بوجود الله تعالى وأفعاله (هي الأسس الأولى التي عليها يقوم بناء كل المعارف ونظامها ، وسواء أكان موضوع المعرفة هو عالم الذرة الصغير أم عالم النجوم الكبير أم أعماق النفس أم سلوك المجتمع أم مسيرة التاريخ) [الفاروقي ، ١٤٠٤هـ ، ص ٦٣] .

فالعلم المفيد ناتج عن قوة إيمان صاحبه ، والعلم المفيد الصحيح يدل على الإيمان ، حيث (أن الإيمان هو سبب العلم بحقيقته ، وأن العلم بحقيقته إيمان) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢١٠] .

والعلم المبني على الإيمان يصل بصاحبه إلى معرفة الله تبارك وتعالى ، ولذلك أشار إليه النورسي بقوله : (فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو " معرفة الله تعالى " ، كما أن أس هذا الأساس هو " الإيمان بالله جل وعلا ") [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٥] ، ورأى أن العلوم العقلية المجردة من الإيمان مرض ينتج فلسفة تمرض القلب ، حيث قال : (قد شاهدت ازدياد العلم الفلسفي في ازدياد المرض ، كما رأيت ازدياد المرض في ازدياد العلم العقلي ، فالأمراض المعنوية توصل إلى علوم عقلية ، كما أن العلوم العقلية تولّد أمراضاً قلبية) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ١٥٨] .

نعم ، إن أدوات المعرفة الحقيقية ثلاث : (الوحي ، والعقل ، والحس) [الكيلاني ، ١٤٠٩هـ ، ص ٢٣٢] ، ولذلك فإن (الفصل بين الوحي والعقل أمر غير مقبول بالمرة ، بل إنه لأمر منافٍ لروح الإسلام كله ، ومُعارض لما في القرآن من دعوة أساسية للعقل أن يزن كل الأمور بميزان العقل ، وأن يفضل الأمور الأكثر معقولية ، والمنهج المتسم بالوسطية) [الفاروقي ، ١٤٠٤هـ ، ص ٥٦] .

وبسبب الفصل بين هاتين الأداتين وصل الأمر بكثير من العلماء في الشرق والغرب إلى المناداة بمحاربة الدين ، لأنه يعارض العلم ، ظناً منهم أن الدين الإسلامي يحارب العقل كما هو الحال في الدين المسيحي المحرف ، وما أن ينصف أحدهم فيقرأ عن الإسلام بتجرد إلا ويجده دين العلم والمعرفة والدعوة إلى إعمال العقل عن طريق التأمل والتفكر ، فيعترف بالحق ، فمنهم من يعتنقه ، ومنهم من يصد تكبراً وعناداً .

٢- أن يكون العلم ذا هدف وغاية : فقد تحدث النورسي عن الصناعات الحديثة المبنية على العلم الحديث ، فقال : إن القرآن الكريم أومأ وأشار إليها إشارات يعرفها من دقق النظر في آياته المتعددة ، وخاصة في الآيات التي أشارت إلى معجزات الأنبياء ، ثم ردّ على سؤال ورد إليه يسأل صاحبه عن سبب عدم تعرض القرآن إليها صراحة ، فقال في إجابته عليه : (إن خوارق المدنية البشرية لا تستحق أكثر من هذا القدر ، إذ أن الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم هي تعليم شؤون دائرة الربوبية وكمالاتها ووظائف العبودية وأحوالها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٩٣] .

ثم وجه حديثه بعد ذلك إلى العلماء والصناع المهرة قائلاً لهم : (ولكن إن كان فيكم أو من ورائكم من الصناع المهرة والمخترعين الملهمين - وهم قلة - وكانوا يقومون بأعمالهم مخلصين لأجل منافع عباد الله ، ويبذلون جهدهم للمصلحة

العامة وراحتهم ورقي الحياة الاجتماعية وكمالها ، فإن هذه الرموز والإرشادات القرآنية كافية - بلا ريب - لأولئك الذوات المرهفي الإحساس ، ووافية لتقدير مهاراتهم وتشويقهم إلى السعي والاجتهاد) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٩٥] .

والأهداف والغايات تكون تابعة لسلامة العقيدة من فسادها ، فكم من العلوم الحديثة يقصد بها أصحابها ضرر الآخرين لا منفعتهم ، وخاصة في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ثم لو فرضنا أنها ذات منافع عامة أو خاصة فلا بد أن تصحب العقيدة السليمة أهداف الخير والنفع ، وإلا كانت الفائدة ذات هدف نفعي دنيوي ، قد لا ينال صاحبها منها شيء ، فكان في الآخرة رغم اجتهاده وعمله ممن قال الله فيهم : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورا** ﴾ [سورة الفرقان : آية ٢٣] ، وهذا (يوم القيامة حين يحاسب الله العبادَ على ما عملوه من الخير والشر ، فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء ، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي ، إما الإخلاص فيها ، وإما المتابعة لشرع الله ، فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية فهو باطل) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٥ ، ص ١٤٤] .

٣- أن تكون مصادره ثابتة : العلم لا يبنى على خيالات وظنون وأوهام ، بل على حقائق ثابتة ومصادر قوية صحيحة ، ولذلك يقول النورسي : (لقد اعتدنا أن نتذاكر معاً درس الحقيقة المحضة ، لذا فإن بحث الرؤى التي بابها مفتوح للخيالات بحثاً علمياً لا يلائم مسلك التحقيق العلمي ملاءمة تامة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٤٥] .

والنورسي لا ينكر حقيقة الرؤيا الصادقة التي وردت في أحاديث عدة ، وقد تحدث عنها كثيراً ، ولكن يتحدث عن الرؤيا التي يدعيها عامة الناس ، وقد تكون صادقة وقد تكون كاذبة ، وذلك كما ورد عن الرسول ﷺ : « الرؤيا الصالحة من الله ، والرؤيا السوء من الشيطان ، فمن رأى رؤيا فكَرِهَ منها شيئاً فلينفث عن يساره ، وليتعوذ بالله من الشيطان ، لا تضره ، ولا يخبر بها أحداً ، فإن رأى رؤيا حسنة فَلْيُبْشِر ، ولا يخبر إلا من يحب » [أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا ، ج٤ ، ص ١٤١٥ ، برقم ٢٢٦١] .

ومن هنا يتضح أن الرؤيا لا يفضَّل الإخبار بها إلا إذا كانت صالحة لعدد قليل من الناس ، والحقائق العلمية لا بد من معرفتها للجميع ، ثم ذكر مثالاً للتحقيق العلمي بحادثة انشقاق القمر ، فقال : (إن انشقاق القمر لا ريب في إمكان وقوعه ، فقد أُثْبِت إثباتاً قاطعاً ، وسنشير هنا إلى وقوعه بستة براهين قاطعة من بين الكثير منها ، وهي : إجماع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، وهم العدول ، واتفاق العلماء المحققين من المفسرين لدى تفسيرهم ﴿ **وَانْشَقّ الْقَمَر** ﴾ ، ونقل جميع المحدثين الصادقين في رواياتهم وقوعه بأسانيد كثيرة وبطرق عديدة ، وشهادة جميع أهل الكشف والإلهام من الأولياء

الصادقين الصالحين ، وتصديق أئمة علم الكلام المتبحرين رغم تباين مسالكهم ومشاربهم ، وقبول الأمة التي لا تجمع على ضلالة ، كما نصّ عليه الحديث الشريف[1] ، كل ذلك يبين انشقاق القمر ويثبته إثباتاً قاطعاً يضاهي الشمس في وضوحها) .

ثم يقول بعد هذا التحقيق والاستناد على براهين ثابتة صادقة : (إن البحث إلى هنا باسم التحقيق العلمي إلزاماً للخصم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٧٤-٢٧٥ بتصرف] .

وهنا يتضح قوة المصادر التي اعتمد عليها في تحقيق هذه المعلومة من الكتاب والسنة وإجماع الأئمة منذ عهد السلف الصالح ، فصحة العلم وقوته تعودان إلى صحة المصادر وقوتها .

٤- إن يؤدي إلى إذعان القلب وتصديقه : العلم اليقيني المبني على أسس وحقائق ثابتة يصل بالقلب إلى الإذعان والقبول ، بل إلى الالتزام والتمسك به ، وإن لم يقبله القلب فإن أسسه التي بني عليها غير صحيحة ، ويجب إعادة النظر فيها ، وإلا فمصير من تمسك به الجهل ، وقد أوضح النورسي ذلك بقوله : (إذا لم يكن في العلم إذعان القلب فهو جهل ، لأن الالتزام شيء ، والاعتقاد شيء آخر) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٠٣] ، وإذا أذعن القلب وصدق ، التزمه وعمل به ، (لأن التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله ، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به) [ابن تيمية ، د.ت ، ص ١٣٦] .

ولا فائدة في علم لا يعمل به ، فالعالم لا بد من أن يلتزم بعلمه حتى لا يخالف فعله قوله ، ولكي يكون مقبولاً عند غيره ، وإلا كان ممن قال الله فيهم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُون ۝ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُواْ مَالاَ تَفْعَلُون** ﴾ [سورة الصف : آية ٢،٣] .

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : (إني لأحسب الرجل ينسى العلمَ بالخطيئة يعملها ، وإن العالم من يخشى الله ، وتلا ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء** ﴾[2]) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٨٣] .

---

(١) يشير إلى الحديث « لا تجمع هذه الأمة – أو قال : أمة محمد – على ضلالة ويد الله على الجماعة ، ومن شذّ شذّ في النار » [أخرجه الترمذي عن ابن عمر ﷺ في السنن ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في لزوم الجماعة ، برقم ٢١٦٧ ، ج٤ ، ص٤٦٦ ، وقد جاء الحديث بطرق ، في كلها نظر ، قاله العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي] [البغوي ، ١٤٠٧هـ ، ج١ ، ص ١٦٢ ، برقم ١٣٦] .

(٢) سورة فاطر : آية ٢٨ .

وقال أُبيّ بن كعب : (تعلموا العلم واعملوا به ، ولا تتعلمـوه لتتجملوا بـه ، فإنـه يوشك إن طال بكم زمان أن يُتجمل بالعلم كما يَتجمل الرجل بثوبـه) [ابـن عبـد الـبر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٨٤] ، ولذلك قال الشاعر[١] :

إذا العلم لم تعمل بـه كـان حجـةً ... عليك و لم تُعذر بمـا أنـت جاهلـه

فـإن كنت قـد أوتيت علمـاً فإنمـا ... يصـدق قـول المرء ما هـو فـاعله

وقال الأصمعي : سمعـت أعرابيـاً يقـول : (إذا ثبتـت الأصـول في القلـوب نطقـت الألسن بالفروع ، والله يعلم أن قلبي لك شاكر ، ولساني لك ذاكـر ، وهيهـات أن يظهـر الود المستقيم من القلب السقيم) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٣٣٠] .

إلا أنه لا يمنع أن يستفاد من علم العالم غير العـامل بعلمـه ، فالشـجرة المثمـرة ذات الشوك تؤخذ ثمرتها ويترك شوكها ، ولذلك قال بلال بن أبي بردة : (لا يمنعكم سوء مـا تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٠٨] .

وقال الخليل بن أحمد[٢] :

اعمل بعلمي وإن قصّرتُ في عمـلي ... ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

المبحث الثاني : أهمية العلم والمعرفة للفرد والمجتمع .

بالعلم قامت الحضارات حديثاً وقديماً ، وبالعلم تتقدم الأمم وتسعد ، ولا غنى عنـه لأي أمة تريد التقـدم والرقـي ، فحـريّ إذاً أن يُهتـم بـه ، وأن تُقـام لـه الصـروح العلميـة ، وتصرف عليه الأموال الكثيرة ، وهو مهم في جميع ما يقوم به الأفراد والجماعات من أعمال (لأن أداء العمل بانتظام يكون بالعلم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١٤] .

ولذلك قال الشاعر[٣] :

العــلم يبني بيـوتاً لا عمــاد لها ... والجهل يهدم بيت العز والشرف

ولا يستغني عنه فرد ولا جماعـة ، ولذلـك فهـو ذو أهميـة للفـرد والمجتمـع في جميـع الجوانب المختلفة ، وتزيد أهميته في الجانب التربوي لضرورة التربية للأفراد والجماعات .

١- أهميته للفرد :

فرق بين المتعلم والجاهل ، فالمتعلم يزن عمله وقوله وعباداته وأحكامه بـالعلم الـذي

(١) من قصيدة طويلة لسابق البربري . [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٨٦] .

(٢) ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٠٨ .

(٣) لم يعثر الباحث على قائلـه ، ويذكـر صـاحب لآلئ الشعر أن قائلـه غـير معـروف . [يعقوب ، ١٩٩٦م ، ص ٢٥٥] .

هو نور لجميع تحركاته وتصرفاته ، على العكس تماماً الجاهل الذي يتخبط لا يعرف الاتجاه الأسلم الذي فيه مأمنه وخيره فيسلكه ، ووظيفة الإنسان الفطرية هي (التكمل بالتعلم ، أي الترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة والعبودية بالدعاء ، لأن كل شيء فيه موجه إلى العلم ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد ، فأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو " معرفة الله تعالى " ، كما أن أس هذا الأساس هو " الإيمان بالله جل وعلا ") [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٥] ، وأنى لهذا الإنسان أن يعرف الله حق المعرفة ، فيقوم بما أوجبه الله عليه على الوجه الأكمل دون علم ومعرفة ، ولذلك قال الشافعي[1] رحمه الله تعالى :

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإنّ كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفّت عليه الجحافل
وإن صغير القوم إن كان عالماً ... كبير إذا رُدَّت إليه المحافل

فالعلم زينة الإنسان وكماله ، وخاصة المسلم ، حيث فيه سعادته في الدنيا والآخرة ، كما ورد في أحاديث عدة ، ومنها قوله ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » [أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، ج٤ ، ص ١٦٤٧ ، برقم ٢٦٩٩] .

وكذلك قوله ﷺ : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : إلا من صدقة جارية ، أو علمٍ ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » [أخرجه مسلم في كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، ج٣ ، ص ١٠١٦ ، برقم ١٦٣١] .

٢- أهميته للمجتمع :

الفرد عضو في أفراد المجتمع الكبير ، فلا تتشكل المجتمعات إلا عن طريق الأفراد ، وبما أن العلم والمعرفة مهمتان للفرد ، فلا شك في أهميتها للمجتمع ، أفراداً وجماعات ومؤسسات تربوية واجتماعية وعسكرية وسياسية واقتصادية ونحوها ، ولا تتقدم المجتمعات وتنهض إلا عن طريق العلم والمعرفة ، وقد تحدث النورسي عن ذلك كثيراً ، حيث استعرض عدداً من الآيات التي تبين ما اختص الله به بعض الأنبياء من الخوارق ، وأن العلم الحديث قد وصل بإذن الله ثم بجهود العلماء إلى صناعات متعددة تشبه تلك الخوارق في جوانب متعددة ، وأخذ يدعو الإنسان إلى التأمل والتفكر في ذلك قائلاً : (ثم تأمل فيما مخّضَه تلاحق أفكار البشر واستنبطه من ألوف فنون ناطقة ، كل منها بخواص وصفات

---

(١) ديوان الشافعي ، سنة ١٣٩٢هـ ، ص ٧٠-٧١ .

وأسماء ، ثم فيما استخرجه فكر البشر من عجائب الصنعة ، من السكة الحديدية ، والآلة البرقية وغيرها بواسطة تليين الحديد وإذابة النحاس ، وفيما أفرخه أذهان البشر من الطيارات التي تسير في يوم شهراً ، حتى كاد أن يصير مظهر ﴿ **غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْر** ﴾ ، وفيما ترقى إليه سعي البشر من اختراعات الآلات والعصي التي تضرب في الأرض الرملية اليابسة فتفور منها عين نضاخة ، وتصير الرملة روضة ، وفيما أنتجته تجارب البشر من خوارق الطب التي طفقت أن تبرئ الأكمه والأبرص والمزمن بإذن الله ، ثم تأمل فيما كشفه البشر من مرتبة النار التي لا تحرق ، ومن الوسائط التي تمنع الإحراق ، وفيما اخترعه من الوسائل التي تجلب الصور والأصوات من مسافات بعيدة ، وتحضرها إليك قبل أن يرتد إليك طرفك ، وفيما أبدعه فكر البشر من الآلات الناطقة بما تتكلم ، وفي استخدام لأنواع الطيور والحمامات ، وقس عليها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٣٩] .

ولأهمية العلم لهذه المخترعات وغيرها التي تحتاج إليها المجتمعات يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيقول : (إن خلافة الله تعالى في أرضه لإجراء أحكامه وتطبيق قوانينه تتوقف على علم تام) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٤٠] .

ثم قال عند قوله تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء ...** ﴾ [سورة البقرة : آية ٣١] ، قال : (فيه إشارة إلى التنويه بالعلم ورفعة درجته ، وأنه هو المحور للخلافة) النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٤١] .

ولأهمية العلم للمجتمع ورد قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّة ، فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون** ﴾ [سورة التوبة : آية ١٢٢] ، قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية : (كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي ﷺ فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون في دينهم ، ويقولون للنبي ﷺ : ما تأمرنا أن نفعله ؟. وأخبرنا بما نأمر به عشائرنا إذا قدمنا عليهم ، قال : فيأمرهم نبي الله ﷺ بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة ، وكانوا إذا أتوا قومهم قالوا : إن من أسلم فهو منا ، وينذرونهم) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٣ ، ص ٤٧٤] .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : (لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم ، وقال بعضهم : العلماء سُرُج الأزمنة ، كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره) [أيوب ، د.ت ، ص ٣٩٨] .

المبحث الثالث : قواعد مهمة في التحصيل العلمي والمعرفي .

ذكر النورسي في جوانب متعددة من رسائله عدداً من القواعد المفيدة في تحصيل

العلم والمعرفة ، ومن أهم هذه القواعد ما يلي :

١- أقسام العلم : أشار النورسي إلى أن العلم قسمان : أحدهما : لا يستغني عنه الإنسان ، فيلزمه الاجتهاد والمتابعة فيه ، والآخر : يكفيه التعرف عليه ولو مرة واحدة في العمر ، ولذلك قال : (إن العلم قسمان : نوع منه يكفي العلم به ومعرفته والتفكر فيه مرة أو مرتين ، والآخر كالخبز والماء ، يحتاجه الإنسان ويفكر فيه كل وقت ، فلا يمكنه أن يقول : لقد فهمته وكفى ، فالعلوم الإيمانية من هذا القسم) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٦٦] .

فالإيمان ومعرفة أمور الدين من أمر ونهي ونحوهما يحتاج إليها كل إنسان دون استثناء ، أما علوم الدنيا التي تقوم عليها الحياة الدنيا فلا تلزم كل الناس ، فإذا قام بها من يكفي سقطت عن الآخرين ، ولذلك فالعلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة : (علم أعلى ، وعلم أسفل ، وعلم أوسط ، فالعلم الأعلى عندهم علم الدين الذي لا يجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أوله الله في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه - صلوات الله عليهم - نصاً ، والعلم الأوسط هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره ، ويستدل عليه بجنسه ونوعه ، كعلم الطب ، والهندسة ، والعلم الأسفل هو أحكام الصناعات وضروب الأعمال ، مثل السباحة والفروسية والزي والتزويق[1] والخط ، وما أشبه ذلك من الأعمال التي هي أكثر من أن يجمعها كتاب أو يأتي عليها وصف ، وإنما تحصل بتدريب الجوارح فيها) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص.ص ٣٣١-٣٣٢] .

والنورسي جمع القسمين الآخرين في قسم واحد ، وهناك اتفاق في أن العلوم الإيمانية وعلوم الدين هي الأهم والأولى .

٢- الاهتمام بالكيف لا الكم : يرى النورسي أن اختيار نوعية العلم أولى وأهم من الاهتمام بكثرته ، ولذلك يحث طلابه أن يثبتوا على خدمة الإيمان والقرآن ، لأن تعلمهما وتعليمهما أرقى وأعلى منزلة من غيرهما من بقية العلوم المنتشرة ، وأشار إلى ذلك بقوله : (لقد أنعم الله علينا جميعاً - بفضله وكرمه - واستخدمنا في أقدس خدمة وأجلها وأنفعها لأهل الإيمان ، تلك هي خدمة القرآن ، وندبنا للقيام بها وفق تقسيم الأعمال فيما بيننا ، فما دامت خدمة الإيمان والقرآن أسمى من أية خدمة في هذا العصر ، وأن النوعية تفضل الكمية ، وأن التيارات السياسية المتحولة المتغيرة وأحداثها المؤقتة الزائلة لا أهمية لها أمام خدمات الإيمان الثابتة الدائمة ، بل لا ترقى لمقارنتها ، ولا يمكن أن تكون محوراً لها ، فينبغي الاطمئنان بما منحنا ربنا سبحانه وتعالى من مرتبة نورانية مفاضة علينا من

---

(١) التزويق معناه : التزيين والتحسين ، ثم قيل لكل منقش ومزين مزوّق . [الفيروز آبادي ، ١٤٠٧هـ ، ص ١١٥١] .

نور القرآن المبين) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٣٥] .

وتقديم الكيف على الكم مطلوب في مدخلات العلم ومخرجاته ، والانتقاء والنوعية المميزة ذات أهمية في التقدم العلمي ، وأما الكثرة وعدم التركيز على الكيف فإنها تصبح غثاءً كغثاء السيل ، عديم الفائدة ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، قُلِ الله ، قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّا ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِير ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنّور ، أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ ، قُلِ الله خَالِقُ كُلِّ شَيْء ، وَهُوَ الوَاحِدُ القَهّار ۞ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِيا ، وَمِمّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الحَقَّ وَالبَاطِل ، فَأَمّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمّا مَا يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْض ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله الأَمْثَال** ﴾ [سورة الرعد : الآيتان ١٦، ١٧] .

٣- كثرة الاستطلاع وسيلة قوية للتحصيل العلمي : الحصول على العلم له طرق متعددة ، إلا أن طالب العلم لا يمكن أن يكتسب العلم بالإهمال والكسل والتشاغل أو الحياء ، بل بكثرة الاستطلاع في بطون الكتب ، ثم الحرص على معرفة كل جديد ، والتنقل من مكان إلى مكان ، أو من أستاذ إلى آخر على أن تكون الرغبة مصاحبة له ، كما هو حال النورسي في أول تلقيه للعلم ، كل ذلك من الطرق المفيدة في التحصيل العلمي ، ولذلك قال النورسي : (أما حب الاستطلاع فهو أستاذ العلم) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٧٣] ، ومن ذلك كثرة السؤال في العلم دون أن يمنعه حياء أو كِبر ، وهذا توجيه رباني كما في قوله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُون** ﴾ [سورة الأنبياء : آية ٧] ، (أي اسألوا أهل العلم من الأمم ، كاليهود والنصارى وسائر الطوائف ، هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أم ملائكة) ؟. [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٤ ، ص ٥٥٤] .

ثم تربية الرسول ﷺ على ذلك ، حيث قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أصاب رجلاً جرحٌ في عهد رسول الله ﷺ ، ثم احتلم ، فأُمِر بالاغتسال ، فاغتسل فمات ، فبلغ رسول الله ﷺ ، فقال : « قتلوه قتلهم الله ، ألم يكن شفاء العِيِّ السؤال » [أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطهارة ، باب في المجروح يتيمم ، ج١ ، ص ٢٤٠] .

وقد دعا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه دعبلاً النسابة ، فسأله عن العربية وعن أنساب الناس وعن النجوم ، (فإذا رجل عالم ، فقال : يا دعبل : من أين حفظت هذا ؟. قال :

حفظت هذا بقلب عقول ، ولسان سؤول) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٤٥] .

وقال الحسن : (من استتر عن طلب العلم بالحياء ، لبس للجهل سرباله ، فاقطعوا سرابيل الجهل عنكم بدفع الحياء في العلم ، فإنه من رقّ وجهه رقّ علمه .

وقال الخليل بن أحمد : الجهل منزلة بين الحياء والأنفة) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص١٤١] .

وأورد أمية بن الصلت(١) :

وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ولا البصير كأعمى ماله بصر
فاستخبر الناس عما أنت جاهله إذا عميت فقد يجلو العمى الخبر

٤- أهمية التحصيل في الصغر : إن ما يتعلمه الإنسان في صغره يكون أكثر مداومة له في مراحل عمره ، حتى أن الإنسان إذا تقدم به السن تجده محتفظاً في ذاكرته بكثير مما حصل له في سن صباه ، وفاقداً الكثير مما حصل له في أمسه القريب ، وقد أنشد أبو عبيد الله نفطويه لنفسه ، فقال(٢) :

أراني أنسى ما تعلمت في الكبر ولست بناسٍ ما تعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
ولو فُلِق القلبُ المعلّم في الصبا لألفى فيه العلم كالنقش في الحجر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف إذا كلّ قلب المرء والسمع والبصر

والرسول ﷺ حينما أرشد إلى بداية سن التعليم وأنها السابعة من العمر إلا لعلمه ﷺ بأهمية التعلم في هذا السن ، ولذلك قال : « إذا بلغ الغلام سبع سنين أُمِرَ بالصلاة ، فإذا بلغ عشراً ضُرِب عليها » [أخرجه الإمام أحمد في مسند سبرة بن معبد ، ج٣ ، ص ٤٠٤ ، وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة ، برقم ٤٠٧ ، ج٢ ، ص٢٥٩ ، وقال حسن صحيح] [البغوي ، ١٤٠٧هـ ، ج١ ، ص ٢٥٣ ، برقم ٤٠٠] .

والنورسي رحمه الله اهتم بتعليم الأطفال وتربيتهم على الإيمان ، لأن ذلك أنفع لهم وأبلغ ، حيث قال : (إن الأطفال الأبرياء هم في مقدمة الذين سيكونون طلاباً حقيقيين

---

(١) من قصيدة أوردها ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٤٤ .

(٢) ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٣٩ .

لرسائل النور ، وذلك وفق ما تقتضيه فطرتهم وتتطلبه الأوضاع الراهنة ، لأن الطفل الذي لم يتلقّ في صغره درساً إيمانياً يصعب عليه بعد ذلك أن يقر في روحه أركان الإيمان والإسلام ، بل يكون ذلك عسيراً عليه) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٤٥] .

وقال الحسن : (طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٣٥] .

والصبي (قلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه) [الغزالي ، د.ت ، ج٣ ، ص ٧٢] .

وقال سابق البربري رحمه الله[(١)] :

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس ينفع عند الكبرة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن يلين إذا قومته الخشب

فمن تعلم في صغره جنى ثمرة فوائده في كبره ، فالصغير لا زال عقله خالياً من الأفكار الكثيرة المتشعبة ذات الأهداف المختلفة والتي تصل بصاحبها إلى أن ينسى أشياء لذكره الأخرى ، فالاهتمام بتعليم الصغار أمر مجمع عليه لا خلاف في فائدته وجدواه وحسن تقبله .

٥- **مراتب إدراك العلم** : تحدث النورسي عن مراتب إدراك العلم في الدماغ ، وجعلها على سبع مراحل ، كل مرحلة مرتبطة بالتي قبلها ، فقال : (في الدماغ مراتب يلتبس بعضها ببعض ، أحكامها مختلفة ، يحصل التخيل أولاً ، ثم يأتي التصور ، ثم يرد التعقل ، ثم التصديق ، ثم يصبح إذعاناً ، ثم يأتي الالتزام ، ثم الاعتقاد ، فاعتقادك بشيء غير التزامك به) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٤٨] .

وضرب لكل مرتبة مثالاً ، فقال : (وعن كل من هذه المراتب تصدر حالة ، فالصلابة تصدر عن الاعتقاد ، والتعصب عن الالتزام ، والامتثال عن الإذعان ، والالتزام عن التصديق ، ويحصل الحياد في التعقل ، والتجرد في التصور ، والسفسطة في التخيل إن عجز عن المزج) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٤٩] .

ورأى الباحث أن يورد عدداً من أقوال بعض العلماء في مراتب الإدراك ، ومنهم :

(١) ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٣٧ .

أ – **سفيان الثوري** رحمه الله تعالى المتوفى عام ١٤٨هـ ، (والذي صنف القدرات العقلية بعد أن دمجها بالمهارات الحسية المرافقة إلى ما يلي : الإنصات ، ثم الاستماع ، ثم الفهم ، ثم العمل ، ثم النشر) [الكيلاني ، ١٤٠٨هـ ، ص ٧٣] .

ب – **عبد الله بن المبارك** تلميذ سفيان الثوري ، حيث صنفها بقوله : (أول العلم النية ، ثم الاستماع ، ثم الفهم ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر) [الكيلاني ، ١٤٠٨هـ ، ص ٧٣] .

جـ – **ابن قيم الجوزية** المتوفى سنة ٧٥١هـ ، حيث قال : (للإدراك مراتب ، بعضها أقوى من بعض ، فأولها الشعور ، ثم الفهم ، ثم المعرفة ، ثم العلم ، ثم العقل ، ومرادنا بالعقل المصدر لا القوة الغريزية التي ركبها الله في الإنسان) [ابن قيم الجوزية ، د.ت ، ج١ ، ص ١٢٥] .

وبالنظر إلى هذه الآراء يرى الباحث تقارباً في مراتب الإدراك عند كل من سفيان الثوري وتلميذه عبد الله بن المبارك رحمهما الله تعالى ، لتقارب زمانهما ، ثم يظهر الاختلاف في رأي ابن القيم ، لتأخره عنهما ، ثم يأتي التوسع أكبر في رأي النورسي ، وقد فسر النورسي جميع المراتب بضرب الأمثلة ، وكل ذلك من أجل أن يتضح مقصده ، حيث أصبح العلم في عصره غير العلم في عصور من سبقه ، حيث نحا منحاً غير إسلامي ، فكثرت السفسطة ، وتصوير الباطل حقاً ، والحق باطلاً ، فأراد أن يبين ذلك ، فقال في آخر حديثه عن هذه المراتب : (إن تصوير الأمور الباطلة تصويراً جيداً جرح للأذهان الصافية) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٤٩] ، ولذلك أصبح الكثير من أبناء الأمة مسلماً بالاسم دون الاعتقاد ودون الالتزام ، وجميع هذه المراتب لجميعهم تشير إلى العلم النظري لا إلى العلم التجريبي ، لعدم ورود ما يدل على ذلك ، ولأن العلم التجريبي يحتاج إلى الملاحظة والمتابعة ، وغير ذلك ، مع ما سبق من مراتب عقلية ، وقد أشار إلى ذلك النورسي بقوله : (لقد ثبت بالبحث والتحري الدقيق والاستقراء والتجارب العديدة للعلوم أن الخير والحسن والجمال والإتقان والكمال هو السائد في نظام الكون) [النورسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٥١] .

المبحث الرابع : قواعد البحث العلمي[1] .

لا غرابة في أن يتطرق النورسي إلى قواعد البحث العلمي في رسائله ، حيث أنه عاصر بداية الاهتمام بالبحوث العلمية النظرية والتطبيقية ، والذي واكب عصر النهضة العلمية الحديثة الذي يوصف بعصر انفجار المعلومات ، فبعد أن تحدث عن الشريعة الإسلامية وأنها شريعة شاملة لجميع العلوم والفنون ، ذكر قواعد البحث في هذه الشريعة وعلومها ، وما يجب أن يكون ، ومن ذلك قوله : (إن الديانة والشريعة الإسلامية المؤسسة على البرهان العقلي ملخصة من علوم وفنون تضمنت العقد الحياتية في جميع العلوم الأساسية) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص١٧٢] .

وقد لخص الباحث كلام النورسي حول قواعد البحث العلمي في النقاط التالية :

١- اختيار الموضوع وتحديده .
٢- سبر غور الموضوع .
٣- الاطلاع على الدراسات السابقة .
٤- تحري الدقة والواقعية والموضوعية .
٥- أن يكون مقدوراً على البحث فيه .
٦- التجرد وعدم التأثر بالمؤثرات الزمانية والمكانية .
٧- إعطاء الموضوع الوقت الكافي للبحث .
٨- ذكر الأهداف لموضوع البحث .
٩- التدرج في البحث .

وتم تلخيص هذه القواعد من قول النورسي : (اعلم أن نتيجة هذه المحاكمات هي أن يستحضر أولاً ما سيأتي من القواعد ، وهي : أن شخصاً لا يتخصص في فنون كثيرة ، وأن كلاماً واحداً يتفاوت من شخصين يكون بالنظر إلى واحد ذهباً وإلى الآخر فحماً ، وأن الفنون نتيجة تلاحق الأفكار ، وتتكمل بمرور الزمان ، وأن كثيراً من النظريات في الماضي صارت بديهية الآن ، وأن قياس الماضي على هذا الزمان قياس مثبط مع الفارق ، وأن أهل الصحراء لا تستر بساطتهم وصفوتهم الحيل والدسائس التي تختفي تحت حجاب المدنية ، وأن كثيراً من العلوم إنما يتحصل

---

(١) انظر [الطنطاوي ، ١٤١٨هـ ، ص٥٣] .

بتلقين العادات والوقوعات وبتدريس الأحوال لطبيعة البشر بإعداد الزمان والمحيط ، وأن نور البشر لا ينفذ في المستقبل ، ولا يرى الكيفيات المخصوصة ، وأنه كما أن لحياة البشر عمراً طبيعياً ينقطع ، كذلك لقانونه عمر طبيعي ينتهي البتة ، وأن للمحيط الزماني والمكاني تأثيراً عظيماً في أحوال النفوس ، وأن كثيراً من الخوارق الماضية تصير عادية بتكمل المبادئ ، وأن الذكاء ولو خارقاً لا يقتدر على إيجاد فن وتكميله دفعة واحدة ، بل كالصبي يتدرج) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ١٧٣] .

والباحث لا يزعم إصابة عين المقصد للنورسي في هذه الكلمات ، وإنما هو رأي بعد احتهاد وطول نظر لما كتبه النورسي من قبل ومن بعد في العلم وموازنتها مع هذه الكلمات .

المبحث الخامس : المناظرة العلمية ، مكانتها ، وشروطها .

للمناظرة أو المناقشة العلمية فائدتها لدى العلماء ، حيث أن المناظر يظفر بواحدة من ثلاث : (إما تثبيتٌ لما في يديه ، أو انتقال من خطأ كان عليه ، أو ارتياب فلا يقدم من الدين على شك) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٤٣٦] .

ومما كان تثبيتاً عنده ما ورد في مناظرة إبراهيم عليه السلام مع ملك بابل نمرود بن كنعان ، كما أوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ ، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٥٨] ، حيث ادّعى النمرود أثناء المناظرة الألوهية لنفسه زاعماً القدرة على الإحياء والإماتة ، فألجمه إبراهيم قائلاً له : (إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت ، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته ، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق ، فإن كنت إلهاً كما ادّعيت تحيي وتميت ، فائتِ بها من المغرب !. فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام ، بُهت : أي أُخرِس ، فلا يتكلم ، وقامت عليه الحجة . وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم ونمرود بعد خروج إبراهيم من النار ، ولم يكن اجتمع بالملك إلا في ذلك اليوم ، فجَرَت بينهما هذه المناظرة) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج١ ، ص ٥٥٦،٥٥٧] .

ومن هنا يتضح أهميتها في إظهار الحق ومعرفة الصواب ليُتّبع ، وفي المجال العلمي تقوم عليها حقائق علمية صحيحة ، ولذلك قال عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – : (رأيت ملاحاة الرجال تلقيحاً لألبابهم ، وما رأيت أحداً لاحى الرجال إلا أخذ بجوامع الكلم ، قال يحيى بن مزين : يريد بالملاحاة هنا المخاوضة والمراجعة على وجه التعليم والتفهم والمدارسة ، والله أعلم) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٤٣٦] ، ولكن هذه المناظرة محاطة بشروط وأوصاف يتصف بها فرسانها ، لكي يتضح الحق ويُعرَف ، وقد تطرق النورسي إليها بقوله : (أن تكون المذاكرة في جو من الإنصاف ، وأن تجري بنية الوصول إلى الحق ، وبصورة لا تتسم بالعناد ، وبين من هم أهل للمناقشة ، دون أن تكون وسيلة لسوء الفهم وسوء التلقي) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٥٢] .

وذكر ابن عبد البر شروطاً قريبة مما ذكره النورسي ، فقال : (لا تصح المناظرة ويظهر الحق بين المتناظرين حتى يكونا متقاربين أو متساويين في مرتبة واحدة في الدين والفهم والعقل والإنصاف ، وإلا فهو مراء ومكابرة) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص٤٣٦] .

وركز النورسي في حسن المقصد من هذه المناقشة والمناظرة ، وبين أوصافاً يجب أن يتصف بها المناقش تدل على حسن قصده ، حيث قال : (أما الدليل على أن المناقشة هي في سبيل الوصول إلى الحق فهو أن لا يحمل المناقش شيئاً في قلبه ، ولا يتألم ولا ينفعل إذا ما ظهر الحق على لسان الطرف المخالف له ، بل عليه الرضى والاطمئنان ، إذ قد تعلم ما كان يجهله ، فلو ظهر الحق على لسانه لما ازداد علماً ، وربما أصابه غرور) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٥٢] ، فأي مناظرة أو مناقشة علمية لا يراد منها الوصول إلى الحق فإنها مخاصمة لا مناظرة ، لأن كل واحد من المتخاصمين يريد التغلب على الخصم ولو باطلاً ، (وحق المناظرة أن يراد بها الله ﷻ ، وأن يقبل منها ما تبين) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٤٣٦] .

ولنا في سلفنا الصالح القدوة الحسنة والأسوة ، فهاهو الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول : (ما ناظرت أحداً فأحببت أن يُخطئ ، وما في قلبي من علم إلا وددتُ أنه عند كل أحد ، ولا ينسب إليّ) [الشافعي ، ١٣٩٢هـ ، ص ١١] .

وما أثرى العلم في حياتهم إلا إخلاصهم تعلماً وتعليماً ، وحسن مقاصدهم وأهدافهم ، فحري بعلماء وطلاب هذا العصر دراسة سيرتهم العلمية ، ومعرفة أسباب

تفوقهم علّهم يجدون في ذلك بغيتهم .

المبحث السادس : عوائق انتشار العلم .

إن العلم الذي يتحدث عنه النورسي في رسائله هو العلم الشرعي الذي يوصل إلى معرفة حقائق الإيمان ، وصحة الاعتقاد ، ثم معرفة الأحكام الشرعية والعمل بها للحصول على سعادة الدنيا والآخرة ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : (إن العلم قسمان : نوع منه يكفي العلم به ومعرفته والتفكر فيه مرة واحدة ، والآخر كالخبز والماء ، يحتاجه الإنسان ويفكر فيه كل وقت ، فلا يكفي أن يقول : لقد فهمته وكفى ، فالعلوم الإيمانية من هذا القسم) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٦] .

والسبب في تركيز النورسي على ذلك لما وصل إليه العلم الشرعي في ذلك الوقت من ضعف عند كثير من الناس ، مع وجود الاهتمام بعلوم الدنيا ، وإلا فإنه لا يعارض العلوم النافعة التي تقود إلى زيادة الإيمان وسعادة البشرية ، بل يدعو إلى الأخذ بها ، ويعتبرها وسائل معينة لإعلاء كلمة الله في الأرض ، حيث ذكر أنه في هذا العصر (يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادي ، والدخول في مضمار المدينة الحقيقية ، محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية ، وليس ذنوبها وسيئاتها ، كما ظن الحمقى من الناس أن تلك السيئات محاسن ، فقلدوها وخربوا الديار) [النورسي ،١٤٠٩هـ ، ص ٤٨-٤٩] .

والنورسي ذكر عدداً من العوائق تقف في طريق انتشار هذا العلم الإيماني الرفيع ، من أهمها :

١- الإلحاد والزندقة : الصراع بين الحق والباطل مستمر منذ أن خلق الله آدم عليه السلام وامتناع إبليس عن تنفيذ أمر الله بالسجود له ، وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأهل الإلحاد والزندقة عنصر من عناصر أهل الباطل ، فلا شك ولا ريب أنهم سيسعون بكل ما أوتوا من قوة إلى الوقوف في وجه انتشار العلم الشرعي الذي يكشف حقيقة أمرهم ، ويقضُّ مضاجع باطلهم وزيفهم ، ولقد انتشروا في عهد النورسي انتشاراً كبيراً بسبب انتشار العلوم الفلسفية والإلحادية الوافدة من الشرق والغرب ، ولكن الله قيّض من ينبه الأفهام ويحرك الضمائر في النفوس ، وينادي بالانتباه وأخذ الحذر والحيطة ، والعودة إلى النبع الصافي الفياض : كتاب الله ، ثم إلى سنة رسوله ﷺ ، وكان على رأس أولئك النورسي رحمه الله تعالى ، فلقي المعارضة الشديدة ، وخاصة من أهل الإلحاد والزندقة ، وقد أشار النورسي إلى مواقفهم الخبيثة تلك بقوله : (إن إحراز رسائل النور

النصر في أسبارطة والغلبة فيها قد فاجأ الزنادقة وأذهلهم ، لذا قام بعض هؤلاء الزنادقة المتمردين والمعاندين ممن يحملون الروح الخبيثة وأفكار ذلك الشخص ستراً لهزيمتهم هذه بالهجوم على القرآن وعلى الرسول ﷺ من طرف خفي في مؤلف نشره ، واستعمل فيه كلمات ممجوجة غير لائقة ، إذ جمع ما قاله أمثاله من اليهود والفلاسفة الملحدين والمتمردين في أوربا وزنادقتها منذ سالف العصور من افتراءات على القرآن والرسول ﷺ) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٧٢] .

وهذا ما أكده أحد المهتمين بالتربية والتعليم ، حيث ذكر أن النظام القديم في التعليم (يشتمل في جوهر مضمونه على جزء ضخم من الإسلام عقائده ومبادئه ، عباداته وتشريعه ، وعلى دراسة – أياً كانت طريقتها – لمصدريه الأساسيين : الكتاب والسنة ، وبهذا الاعتبار حاول المستعمرون والمعادون للإسلام والمتأثرون بعقائد الغرب وفلسفته إضعاف هذا النظام وإزالته ، وصرف المسلمين عن التفكير في تجديده وإصلاحه) [المبارك ، د.ت ، ص ١٤] .

٢- النسيان : اعتبر النورسي النسيان عائقاً من عوائق انتشار العلم ، فإذا نسي العالِم فكيف يعلِّمُ ؟. وإذا نسي المتعلم فكيف يَفْهَم ؟. وكما قال الزهري : (إن للعلم غوائل ، ومن غوائله النسيان) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٧٤] .

وقد ذكر النورسي أن أحد طلابه شكى إليه مرض النسيان قائلاً له : (يزداد عندي مرض النسيان يوماً بعد يوم ، فماذا أفعل) ؟. [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٥٥] .

فأجابه النورسي بأن هذا النسيان له أسباب عرفها الأقدمون فأرشدوا بها طلابهم وعرّفوهم مصدر الداء ومكمن الدواء ، فقال له : (لا تنظر نظر الحرام ما استطعت ، لأن النظر الحرام يورث النسيان ، كما يُروَى عن الإمام الشافعي ﷺ) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٥٥] ، وكأنه يشير إلى قول الشافعي رحمه الله(١) :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يُهدى لعاصي

وأعاد النورسي سبب انتشار المحرمات إلى (شيوع التبرج والتكشف في هذا العصر ، ولاسيما في بلدان المناطق الحارة ، مما سبب كثرة النظر الحرام الذي يولد الإسراف

---

(١) ديوان الشافعي ، ط١ ، دار العلوم ، جدة ، سنة ١٣٩٢هـ ، ص ٥٤ .

والإفراط ، حتى تجد الجميع يشكون من النسيان ، كل على قدر إصابته به) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٥٦] .

وهذا ما ابتُلِيَت به كثير من بلدان العالم الإسلامي ، بل ازداد الطين بِلةً بوجود الاختلاط في التعليم في جميع المراحل .

٣- الانحراف بالعلم عن الطريق الصحيح : إن الذين ينتسبون إلى الإسلام في عهد النورسي - وخاصة في بلده تركيا - طوائف متعددة ومذاهب مختلفة ، وكان أكثر هذه الطوائف انتشاراً الصوفية التي كانت منتشرة انتشاراً كبيراً في جميع نواحي تركيا وعلى مختلف طرقها ، بل إن النورسي نفسه أحد طلابها ، والنورسي يرى أن الصوفية على قسمين : **الأول** : حافظ على الإيمان في زمن الإلحاد والزندقة ، فدوره كان إيجابياً ، وخاصة في أول عهد انتشارها ، ويشيد بأمثال : الغزالي ، والكيلاني ، والسرهندي ، وغيرهم . **وقسم آخر** عدّل وبدّل وابتدع ، وهم الذين انحرفوا بالعلم الصحيح عن مساره الصحيح ، ومنهم : ابن العربي في القول بوحدة الوجود ، وغيره ، ولا شك في تقسيمه هذا ، (فأين تصوف عبد الله بن المبارك مؤلف كتاب الزهد ، والحارث المحاسبي صاحب كتاب الرعاية لحقوق الله ، وأبي سعيد الخراز ، من تصوف ابن عجيبة ، وتفسير الفواتح الغيبية الصوفي الذي يحرّف الكلم عن مواضعه ، وشراح حِكَم الإسكندري ، ومن فصوص الحكم بتصوراته البعيدة كل البعد عن الإسلام . إن هذا التصوف وجه المسلمين وجهة فردية انعزالية باطنية ، صرفتهم عن الحياة الاجتماعية الواضحة ، وعن معارك الإسلام مع أعدائهم ...) [المبارك ، د.ت ، ص ٦١] .

ولذلك يرى النورسي أن البعض انخدع بهم ، وسلمهم القيادة العلمية مع ضعفهم في ذلك قائلاً : (لقد انقادت طائفة المدارس الشرعية لطائفة التكايا والزوايا الصوفية منذ سالف العصور ، أي سلموا لهم القيادة ، وراجعوهم للحصول على ثمار الولاية ، وتحروا عندهم أذواق الإيمان وأنوار الحقيقة ، حتى كان عالم كبير من علماء المدرسة الشرعية يقبّل يد شيخ ولي صغير من أولياء الزاوية الصوفية ويتبعه ، فطلبوا ذلك النبع الفياض بالماء الباعث على الحياة في التكايا والزوايا ، بينما أظهرت رسائل النور بالمعجزة المعنوية للقرآن الكريم أن في العلوم الإيمانية ينبوعاً ثراً هي أصفى وأنقى من غيرها ، وأن في العلم الشرعي وفي الحقائق الإيمانية وعلم كلام أهل السنة طريقاً للولاية هي أسمى وأحلى وأقوى من العمل والعبودية في الطريقة الصوفية) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٠٨] ، وكأن النورسي يشير هنا إلى أن الطرق الصوفية أصبحت مجرد أذواق إيمانية تطلب من المشايخ في الزوايا

والتكايا مع بعدهم عن معرفة العلوم الإيمانية الحقيقية ، وكذلك علوم الشريعة ، والأدهى والأمرّ أن يأتي عالِم من علماء الشريعة يقبّل يد شيخ صغير لا علم عنده ولا معرفة ، وهذا بلا شك انحراف في المفاهيم العلمية ، وبُعد عن المعرفة الحقيقية .

٤- الجهل : إن الجهل يعتبر (مانعاً وعائقاً أمام تعلم الكثير من العلوم) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٩٧] ، وهو أحد أسباب الوقوع في الكفر والشرك والمعاصي ، كما في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُون** ﴾ [سورة الزمر : آية ٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ، قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَة ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُون ۞ إِنّ هَؤُلاَءِ مُتَبَّرٌ مَاهُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُون** ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٣٨،١٣٩] .

وللنورسي أقوال في ذم الجهل ، منها :

أ – الجهل يقلب الخرافات إلى حقائق في نظر العوام مع طول الزمن وفقدان العلم الصحيح ، ولذلك قال النورسي : (إن التشبيهات والتمثيلات كلما انتقلت من الخواص إلى العوام ، أي كلما سرت من يد العلم إلى يد الجهل عُدَّتْ حقائق ملموسة بمرور الزمن ، أي كأنها حقائق واقعة وليست تشبيهات ، فمثلاً : حينما كنت صبياً خسف القمر ، فسألت والدتي ما هذا الذي حدث للقمر ؟. قالت : ابتلعته الحية ! قلت : ولكنه يتبين ! قالت : إن الحيات في السماء شفافة كالزجاج تشف عما في بطنها ، كنت أتذكر هذه الحادثة كثيراً وأسأل نفسي : كيف تدور خرافة بعيدة عن الحقيقة إلى هذه الدرجة على لسان والدتي الحصيفة الجادة في كلامها) ؟. [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٣٨] .

ب – الجهل يقلب المجاز إلى خرافات ، حيث ذكر النورسي أنه (إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل ينقلب إلى حقائق مادية ، ويفتح الباب إلى الخرافات) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٠٦] ، بمعنى أن المجاز لا يعرف حقيقته إلا العلماء دون غيرهم .

جـ – العلم الموروث عن طريق الألفة والعادات والبديهيات دون فكر وتمحيص جهل مركب ، وأشار النورسي إلى ذلك بقوله : (إن أكثر معلومات البشر الأرضية ومسلماته وبديهياته مبنية على الألفة ، وهي مفروشة على الجهل المركب ، ففي الأساس فساد أي فساد ، فلهذا السر توجه الآيات أنظار البشر إلى العاديات المألوفة ، وتثقب نجوم

القرآن حجابَ الأُلفة ، ويأخذ بإذن البشر ، ويميل رأسه ، ويريه ما تحت الأُلفة من خوارق العادات في عين العاديات) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٣٢٤] .

د – إدّعاء العلم سهل ، ولكن الوصول إليه متعب ، ولذلك أشار النورسي بقوله : (ما ألطف الحجاب بين العلم والجهل ، وما أغلظه !) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٣٢٦] ، بمعنى أن الجاهل سهل عليه تقوّل العلم ، ولكن عمله المبني على الجهل سيكشف جهله ويبين قبحه .

هـ – المدنية المبنية على الجهل المركب أبعد عن حقائق الإيمان من البدوي العائش في الصحراء ، حيث ذكر (أن المذنبين الذين توهموا السقوط ترقياً ، والجهل المركب يقيناً ، والانغماس التام في النوم انتباهاً ، وهم في هذه الطبقة السفلى هم أبعد بدرجات من البدويين من درك الحقائق الإيمانية) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٣٤٤] ، وهذه حالة كثير من دول العالم الإسلامي في الوقت الحاضر .

٥– الانخداع بمباهج الدنيا وزخرفها : إن الميل إلى الراحة والكسل الناتجين عن التمتع بمباهج الدنيا وسعادتها لا يساعد على تعلم العلم وتعليمه ، لأن تعلم العلم وتعليمه فيه مشقة وتعب ، وما وصل العلم إلى ما وصل إليه قديماً وحديثاً إلا عن طريق العلماء العاملين الذين طلقوا الراحة والخمول والكسل ، ولذلك يذكر النورسي أن أحد طلاب العلم البارزين في خدمة القرآن الكريم عندما سافر إلى بلدته (تيسرت له أسباب التمتع بمباهج الدنيا وسعادتها ، مما دفعه إلى شيء من الفتور عن خدمة القرآن الخالصة لله ، حيث التقى والديه اللذَيْن كان قد فارقهما منذ مدة مديدة ، وحل في مدينته وهو بكامل بزّته العسكرية ورتبته العالية ، فبدت الدنيا له حلوة خضرة . نعم ، إن العاملين في خدمة القرآن إما أن يعرضوا عن الدنيا ، أو الدنيا تعرض عنهم ، كي ينهضوا بالعمل بجدّ ونشاط وإخلاص) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٦٩] .

ثم يذكر النورسي ثمانية موانع كانت عائقاً لنشر حقائق الإسلامي في العالم بأكمله بعضها يعود إلى المسلمين أنفسهم ، وبعضها إلى غيرهم ، فقال : (لقد حالت ثمانية موانع دون استيلاء حقائق الإسلام على الزمان الماضي استيلاءً تاماً ، وهي :

المانع الأول والثاني والثالث : جهل الأجانب ، وتأخرهم عن عصرهم ، أي بُعدهم عن الحضارة ، وتعصبهم لدينهم ، فهذه الموانع الثلاثة بدأت تزول بفضل التقدم العلمي ومحاسن المدنية .

المانع الرابع والخامس : تحكم القسيسين ، وسيطرة الزعماء الروحانيين على أفكار الناس وأذهانهم ، وتقليد الأجانب لأولئك القسيسين تقليداً أعمى ، فهذان المانعان أيضاً يأخذان بالزوال بعد انتشار حرية الفكر ، وميل النوع البشري إلى البحث عن الحقائق .

المانع السادس والسابع : تفشي روح الاستبداد فينا ، وانتشار الأخلاق الذميمة النابعة من مجافاة الشريعة ومخالفتها .

المانع الثامن : توهم وجود نوع من التناقض بين مسائل من العلم الحديث والمعنى الظاهري لحقائق الإسلام ، هذا التوهم سبب إلى حد ما وقف استيلاء الحقائق الإسلامية في الماضي) [النورسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣٩-٤٠] .

ويرى الباحث أن هذه الموانع لا زالت موجودة ، سواء منها ما يعود إلى المسلمين أم إلى أعدائهم ، رغم ظهور الحقائق العلمية الحديثة التي أثبتت صلاح الدين الإسلامي دون غيره من الأديان لجميع مناحي الحياة ، وأنه دين العلم والتقدم والرقي والأمن والأمان ، والحق ما شهدت به الأعداء ، ومنهم :

١- الأمير بسمارك ، الذي يعتبر من أشهر رجال الفكر في تاريخ أوربا الحديثة ، ومن مشاهير السياسيين الألمان ، وأحد المحققين للوحدة الألمانية ، ولد عام ١٨١٥م ، توفي عام ١٨٩٨م ، حيث قال : (لقد درست الكتب السماوية بإمعان فلم أجد فيها الحكمة الحقيقية التي تكفل سعادة البشرية ، وذلك للتحريف الذي حصل فيها ، ولكني وجدت قرآن محمد ﷺ يعلو على سائر الكتب ، وقد وجدت في كل كلمة منه حكمة ، وليس هناك كتاب يحقق سعادة البشرية مثله ، ولا يمكن أن يكون كتاب كهذا من كلام البشر ، فالذين يدعون أن هذه الأقوال أقوال محمد ﷺ يكابرون الحق ، وينكرون الضرورات العلمية ، أي أن كون القرآن كلام الله أمر بديهي) [النورسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٤٤] .

٢- د . موريس بوكاي ، طبيب وعالم فرنسي ، حيث تحدث عن القرآن الكريم في كتابه القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ومما قاله عن القرآن : (لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية ، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقته تماماً للمعارف العلمية الحديثة ، ذلك في نصٍ كُتِب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، في البداية لم يكن لي إيمان بالإسلام ، وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق ، وبموضوعية تامة) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٥٦] .

وهناك مقالات كثيرة لعدد كبير من علماء ومفكرين غير مسلمين ، تبين صلاح القرآن للعلم والحياة ، وأنه كتاب جامع شامل ليس من كلام البشر ، وقد وصل الأمر ببعضهم إلى اتّباع الحق وإعلان إسلامه ، وقد ذكر الدكتور عماد الدين خليل أربعين عالماً ومفكراً تحدثوا عن القرآن وفضله وسبْقِه العلمي وشموله وسمو رفعته ، وأنه من كلام الله وليس من كلام البشر ، وضمنت هذه الأقوال كتاب إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز عند طبعه سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م في طبعته الثانية بمصر ، ولكن المجال لا يسع لذكر أقوالهم ، ولكن ما ذُكر فيه العبرة والعظة لمن أراد الحق وابتعد عن التعصب والتعامي عن الحق ، وعن السير في الطرق الموصلة إليه .

الفصل الثاني
آداب المعلم والمتعلم

تمهيد :

إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد حثا على طلب العلم ، وهما المصدران الأساس لرسائل النور ، كما سبق الحديث عن ذلك عند مصادر رسائل النور ، فلا غرابة إذاً أن تكون رسائل النور ذات طابع علمي تضمنت الأركان الرئيسة في العملية التعليمية (المنهج ، والمعلم ، والطالب) ، وقد اتضح من خلال البحث أن منهج رسائل النور يقوم على المنهج الإيماني التربوي الذي يقوي الإيمان في النفوس لشدة الحاجة إليه في عصر النورسي ، حيث أن رسائل النور (لا تُعمّر تخريبات جزئية ، ولا ترمم بيتاً صغيراً مهدماً فحسب ، بل تعمّر تخريبات عامة كلية ، وترمم قلعة محيطة عظيمة تحتضن الإسلام وتحيط به ، وهي لا تسعى لإصلاح قلبٍ خاصٍ ووجدانٍ معين فحسب ، بل تسعى - وبيدها إعجاز القرآن - لمداواة القلب العام ، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها ورُكّمت منذ ألف سنة) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٢٤٥] .

وقد اشتمل المنهج على أهمية دراسة العلوم الكونية لأهميتها في تقوية الإيمان لمن تأمل وتفكر فيها بعناية تامة ، وقصد حسن ، وتجرد من لوثات الفكر المنحرف ، والذي يرى الباحث التركيز عليه هنا من هذه الأركان : المعلم ، والطالب ، وفي جانب الأخلاق والآداب لكل منهما ، والعلاقة بينهما ، لأن الأخلاق والآداب إن لم يتزين بها العالِم والمتعلم فلا خير في علمهما ، بل قد يكون سبباً في الصد عنهما ، ولذلك وجه النورسي عدداً من الإرشادات والنصائح إلى طلاب العلم ينبغي عليهم التحلي بها ، ومن خلال هذا الفصل يتم التعرف عليها ضمن مباحث ثلاثة ، هي :

المبحث الأول : آداب المعلم .

المبحث الثاني : آداب المتعلم .

المبحث الثالث : العلاقة بين المعلم وطلابه .

المبحث الأول : آداب المعلم .

إن المعلم الذي يقصده النورسي هنا هو المعلم المسلم الـذي يجـب عليـه أن (يمـارس الإسلام حقيقة ، ويتخلق بخلق القرآن في سلوكه وتعامله وسمته ومظهره وسائر شأنه ، وهو فوق ذلك عليم بمبادئ الإسلام وقيمه ومفاهيمه ، وعليم بمنهج التربية الإسلامية في صورتـه النظرية والتطبيقية) [قطب ، ١٤٠٣هـ ، ج٢ ، ص ١٧٤] .

والأدب والأخلاق جانب مهم في سيرة المعلم وحياته العلمية ، حيث (أن خطـورة الدور الذي يقوم به المعلم لا تكمن في تدريسه للناشئة وللشباب الصغار بقدر ما تكمـن في قيادته لهم) [مرسي ، ١٤٠٥هـ ، ص ٧٣] .

والقائد لا بد أن يكون قدوة حسنة لمن يقود ، والنورسي مـن خـلال رسـائله ذكـر عدداً من الآداب التي ينبغي للمعلم أن يتأدب بها ، لخصها الباحث في النقاط التالية :

١- أن يقصد بعلمه وتعليمه وجه الله تعالى : إذا كانت مقاصد العالِم منذ تعلمـه إلى تعليمه لغيره مقاصد حسنة اهتم في تحصيل العلم ليصـل إلى العلـم الـذي يحقـق لـه تلـك المقاصد ، ثم يخلص في تعليمه إلى الناس لكي يصلَ بهم إلى تلك المقـاصد ، والعـالِم المسـلم هـو الأفضـل قصـداً وأهدافـاً مـن غـيره ، ولذلـك قـال النورسـي : (إن العـالِم المرشـد الحقيقي يهب للنـاس علمـه في سـبيل الله دون انتظـار عـوض) [النورسـي ، ١٤١٢هـ ، ص٨٤٩] .

ولهذا الأمر امتنع النورسي عن قبول الهدايا والعطايا والرواتب التي عرضت عليه منـذ أن كان طالباً إلى أن أصبح عالِماً مرموقاً يأتي إليه العلماء لمناظرته ومحاورته ، وكـان يوجـه طلابه بذلك قائلاً لهم : (إن سر الإخلاص يمنعني منعاً باتاً أن أجعل رسائل النـور والخدمـة الإيمانية أداة لرتب دنيوية ولمقامات أخروية لشخصي ، كما أرفض رفضاً قاطعاً جعل تلـك الخدمة المقدسة وسـيلة لراحـتي بـالذات وقضـاء حيـاتي الدنيويـة مرتاحـاً هنيئـاً ، حيـث أن صرف الحسنات الأخرويـة وثمراتهـا الخـالدة في سـبيل نيـل لذائـذ جزئيـة لحيـاة فانيـة ينـافي سرّ الإخلاص) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٣٠] .

ولا يمنع الإخلاص قبول المرتب للمعلم ، وخاصة في هذا العصـر الـذي كـثرت فيـه هموم الحصول على العيش ، فإعطاء المعلمين رواتب تكفيهم عن ترك التعليم والبحـث عـن مصادر المعيشة ليس فيه تعارض مع الإخلاص الذي يجب أن يتحلـى بـه المعلمـون ، بـل إن

المسؤولية أصبحت ملزمة مقابل ذلك الأجر للإخلاص في التعليم .

٢- أن يكون عاملاً بعلمه : إن تصديق الأقوال بالأعمال المطابقة لها تربية في حدّ ذاتها ، ينبغي على العلماء الاتصاف بها أكثر من غيرهم ، لأن الطلاب يراقبون تصرفات معلمهم ، وفي غالب الأوقات يعتبرونه مثلهم الأعلى الذي يعمل بعلمه ، لذا وجب عليه (أن يكون نموذجاً للتصرف السليم في جميع المواقف التي تعترضه ، سواء في المدرسة أو في خارجها ، فالمعلم الذي يحث طلابه على الصلاة وهو في نفس الوقت لا يؤديها ، أو يتكاسل عنها ، يسيء إلى العملية التربوية وإلى المدرسة ، بل إلى نفسه ، وإلى المهنة كلها) [مرسي ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢١] .

والنورسي رحمه الله ممن عرف ذلك ، فكان مثالاً لطلابه في الامتثال ، حيث ذكر أنه مكث في بيت والي ولاية " بتليس " بناءً على إصراره ، احتراماً منه للعلم والعلماء ، حيث مكث مدة سنتين لا ينظر إلى نسائه ولا يعرفهن ، حتى جاء ضيف من العلماء ، فنزل عنده ، وبعد يومين فقط عرف البنات الكبيرات من غيرهن ، فاحتار الذين من حوله في أمره لماذا لا ينظر إليهن ويعرفهن ، فأجابهم قائلاً : (صون عزة العلم يمنعني من النظر) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣١٢] .

والعلم الشرعي الذي تعلمه النورسي يمنع من النظر إلى النساء غير المحارم ، فصيانة للعلم الذي تعلمه ، وعزة له ، امتنع عن النظر إلى الحرام ، وليعلم العلماء أنهم كما وصفهم ابن جماعة(١) بقوله : (هم القدوة ، وإليهم المرجع في الأحكام ، وهم حجة الله تعالى على العوام ، وقد يراقبهم للأخذ عنهم من لا ينظرون ، ويقتدي بهديهم من لا يعلمون ، وإذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به ، كما قال الشافعي رحمه الله : ليس العلم ما حُفِظ ، العلم ما نفع ، ولهذا عظمت زلة العالم ، لما يترتب عليها من المفاسد لاقتداء الناس به) [ابن جماعة ، ١٣٨٦هـ ، ص ١٧٨] .

ولذلك أوصى الصحابي الجليل عتبة بن أبي سفيان معلم أولاده حين سلمهم إليه قائلاً له : (ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم معقودة بعينك ،

---

(١) هو بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة ، ولد سنة ٦٣٩هـ ، وتوفي سنة ٧٣٣هـ ، وكتابه في التربية تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالِم والمتعلم . [من أعلام التربية العربية الإسلامية ، المجلد الثالث ، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج عام ١٤٠٩هـ] .

فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبح عندهم ما تركت) [ابن سحنون ، ١٣٩٢هـ ، ص ٤٨] .

وخيرٌ من هذا وذاك أن يتذكر المعلم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُون ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُواْ مَالاَ تَفْعَلُون** ﴾ [سورة الصف : الآيتان ٢،٣] .

٣- أن يكون ذا أخلاق فاضلة وآداب حميدة : العالِم يختلف عن غيره من الناس ، فإذا لم يزين سيرته بأخلاق فاضلة وآداب حميدة مع طلابه وأفراد مجتمعه فلا خير في علمه وتعليمه ، والنورسي رحمه الله كان يتصف بالأخلاق الفاضلة مع الكل ، مبيناً سبب ذلك بقوله : (لما كان مسلكنا يستند إلى الإخلاص ، ومبني على الحقائق الإيمانية ، فإننا مضطرون - وفق مسلكنا - إلى عدم التدخل في أمور الحياة الاجتماعية والحياة الدنيوية مالم نضطر إليها ، وعلينا التجرد والابتعاد عن تلك الحالات التي تؤدي إلى التنافس والتحيز والتنازع) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢١٤] .

ولذلك كان يوجه طلابه إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة قائلاً لهم : (ينبغي لطلاب رسائل النور اتخاذ سلوك المصالحة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢١٥] .

ولهذا كان يردّ على منتقديه بالحسنى ولين الكلام ، وهذا ملاحظ في كثير من جوانب رسائله ، ومنها قوله لطلابه لمن انتقده : (بلغوا ذلك العالم الواعظ عني السلام ، فإني أقبل انتقاده لشخصي واعتراضه عليّ بتقدير وبرحابة صدر ، وأنتم لا تسوقوا ذلك العالم الفاضل وأمثاله من العلماء إلى المناقشة والمناظرة ، ولو حدث تعدٍّ وتجاوز علينا ، فلا تقابلوه حتى بالدعاء عليه ، إن ذلك المتجاوز أو المعترض أياً كان هو أخونا من حيث الإيمان ، لأنه مؤمن ، حتى لو عادانا) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ٢١٤-٢١٥] .

فالمعلم عليه (أن يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة ، ويعمره بالأخلاق المرضية) [عطار ، ١٣٨٦هـ ، ص ١٨٠] .

والتزود بالعلوم الشرعية الصحيحة تربي في العالِم حبّه للأخلاق الحسنة وامتثالها قولاً وعملاً ، وتربي فيه كذلك البغض للأخلاق السيئة المرذولة .

٤- أن يكون متواضعاً في غير مذلة : من الأخلاق الحميدة التي ينبغي للعالِم أن يتحلى بها التواضع لمن يستحق ، ولكن دون إهانة نفسه أو علمه الذي

يحمل ، والنورسي وجّه طلابه الذين يحاولون رفع منزلته وقدره أكثر مما يجب ، قائلاً لهم : (إنني – و لله الحمد – على معرفة بقصوري وعجزي ، فلا أدّعي – مستعلياً على أحد من الناس – مقاماً للاحترام ، فضلاً عن أن أدّعيه على المسلمين ! بل أبصر – بفضل الله – تقصيراتي التي لا تحدّ ، وأعلم يقيناً أني لست على شيء يذكر ، فأجد السلوان والعزاء في الاستغفار ورجاء الدعاء من الناس ، لا التماس الاحترام منهم ، وأعتقد أن سلوكي هذا معروف لدى أصدقائي كلهم ، إلا أن هناك أمراً ، وهو أنني أتقلد – مؤقتاً – وضعاً عزيزاً يتطلبه مقام عزة العلم ووقاره ، وذلك أثناء القيام بخدمة القرآن ودرس حقائق الإيمان ، أتقلده مؤقتاً في سبيل تلك الحقائق وشرف القرآن ، ولأجل ألا أحني رأسي لأهل الضلالة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٢٦١-٢٦٢] .

والنورسي يشير هنا إلى أهمية التواضع في حياة المعلم الداعية إلا في موضعين ، هما :

أ – عند إلقاء درسه على الطلاب فإنه ينبغي اتخاذ الجد والحزم وعدم التساهل والتراخي ، وليس ذلك من قبيل التكبر ، بل عزة العالِم وعلمه تتطلب ذلك .

ب – مع أهل الكفر والإلحاد ، فيجب عليه ألا يتواضع لهم ، لأن في ذلك مذلة للعلم وأهله ، بل عليه إظهار عزة العلم الشرعي وعلمائه ، والرسول ﷺ أرشد أمته إلى إظهار العزة والقوة أمام أهل الكتاب ، فقال : (لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام ، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه) [أخرجه مسلم في كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يردّ عليهم ، ج٤ ، ص ١٣٦٢ ، برقم ٢١٦٧] .

٥– أن يكون زاهداً فيما عند الناس : الزهد فيما عند الناس وعدم الرغبة في العطايا والهدايا ونحوهما عزة للإنسان ، وفي جانب المعلم أكثر عزة وأكبر تقديراً واحتراماً له من الآخرين ، وفي التوجيه النبوي الشريف ما يدلّ على ذلك ، وهو قوله ﷺ : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » [أخرجه ابن ماجة وغيره ، وقال الألباني : إن الحديث صحيح لشاهده والطرق الموصلة إليه] [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج٢ ، ص ٦٦١ ، برقم ٩٤٤] .

والنورسي اتصف بذلك داعياً غيره إلى الاتصاف بالزهد موضحاً ستة أسباب دعته إلى الزهد وعدم قبول الهدايا والعطايا والمرتبات ، وهي :

أ – أن فيه ردّاً على أهل الضلالة الذين (يهاجمون العلماء باتخاذهم العلم مغنماً ، فيجب تكذيب هؤلاء تكذيباً فعلياً) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٦] .

ب – أن العلماء يجب عليهم تبليغ العلم وعدم كتمه ، حيث هم (مكلفون باتّباع الأنبياء عليهم السلام في نشر الحق وتبليغه ، وأن القرآن الكريم يذكر الذين نشروا الحق أنهم أظهروا الاستغناء عن الناس بقولهم : ﴿ **إنْ أَجْرِيَ إلاّ عَلَى ا لله** ﴾[1] [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٦] .

جـ – الزهد فيه بُعدٌ عن منة الـمُعْطِين ، وسلامة من خطأ المعْطَين ، لأنه (يلزم الإعطاء باسم ا لله ، والأخذ باسم ا لله ، ولكن الذي يحدث غالباً هو أن المعطي غافل ، فيعطي باسم نفسه ، فيتمنن ضمناً ، أو أن الآخذ غافل يسند الشكر والثناء الخاص بالنعم الحقيقي إلى الأسباب الظاهرية ، فيخطئ) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٦] .

وهنا إشارة ضمنية في كلام النورسي ، وهي أن ذلك ليس عامّاً في حق المعطين أو الآخذين ، ولكن الزهد للجميع أفضل .

د – أن في الزهد توكل وقناعة واقتصاد ، حيث (أن التوكل والقناعة والاقتصاد خزينة عظيمة ، وكنز ثمين لا يعوضان بشيء) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٦] .

هـ – أن الزهد يمنع العالِم من التصنع والتملق ، ويجعله يقول الحق دون مراعاة أو محاباة لأحد ، وقد ذكر النورسي ذلك بقوله : (أنني أفضل أن آكل كسرة خبز يابس ، وأن ألبس ثوباً فيه مائة رقعة ورقعة ينقذني من التصنع والتملق ، على أن آكل أطيب حلوى الآخرين ، وألبس أفخر ملابسهم ، وأضطر إلى مراعاة مشاعرهم ، وهذا ما أكرهه) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٧] ، ولذلك فإن سيرة كثير من العلماء السابقين توضح زهدهم وورعهم من أجل البُعد عن التصنع والتملق ، وعدم قول الحق والصدع به .

و – أن في الزهد منعاً من الوقوع في تزكية النفس من قبل العلماء ، ولذلك جعله النورسي من أهم الأسباب في الامتناع عن الهدايا والعطايا ، حيث قال : (إن السبب المهم للاستغناء عن الناس هو ما يقوله ابن حجر الموثوق حسب مذهبنا – الشافعي – : يحرم

---

(١) تمام الآية : ﴿ **وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً ، إنْ أَجْرِيَ إلاّ عَلَى ا لله ، وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الّذِينَ آمَنُواْ ، إنّهُم مُلاَقُواْ رَبِهِمْ ، وَلَكِنّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُون** ﴾ [سورة هود : آية ٢٩] .

قبول ما يوهب لك بنية الصلاح إن لم تكن صالحاً) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٧] .

وقد أبان المترجم مقصد النورسي بقول ابن حجر رحمه الله تعالى في نفس الصفحة وفي الهامش ، حيث نقل كلام ابن حجر نصاً من [تحفة المحتاج لشرح المنهاج ، ج١ ، ص١٧٨] ، فقال : (ومن أُعطي لوصف يُظَنّ به ، كفقرٍ أو صلاح أو نسبٍ ، بأن توفرت القرائن أنه إنما أُعطي بهذا القصد ، أو صرح له المُعطي بذلك ، وهو باطناً بخلافه ، حرم عليه الأخذ مطلقاً) ، وهنا يرى الباحث أن المعلم له أن يبحث عن المال الحلال من مصادره ليغني نفسه وعياله من العالة ، وليمنعهم المسألة ، ثم ليكن عوناً له بعد الله في الاهتمام بالعلم وتعليمه) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص١٧] ، إلا أن عليه (أن يستقذر التعلق بالدنيا ، لأنه أعلم الناس بخستها وفتنتها وسرعة زوالها ، وكثرة تعبها ونصبها ، فهو أحق بعدم الالتفات إليها ، والاشتغال بهمومها) [عطار ، ١٣٨٦هـ ، ص ١٧٦] .

والأحوط للمعلم أن يمتنع عن قبول هدايا وعطايا طلابه ، لأن الدرس الذي يتلقاه المتعلم بموجب الهدايا والعطايا يختلف فائدة عن الدرس الذي يتعلمه بدون ذلك ، وقد امتنع النورسي عن قبول هدايا طلابه موضحاً لهم السبب بقوله : (إن درس الحقيقة الذي تأخذه من أستاذ لا يتنازل إلى حُطام الدنيا ولا تزلّ قدمه إلى الطمع والذل ، ولا يطلب عوضاً عن أدائه الحق والحقيقة ، ولا يضطر إلى التصنع ، هذا الدرس هو بقيمة الألماس ، بينما الدرس الذي يُتلقى من أستاذ اضطر إلى أخذ الصدقات ، وإلى التصنع للأغنياء وإلى التضحية حتى بعزته العلمية في سبيل جلب أنظار الناس ، فمالَ إلى الرياء أمام الذين يتصدقون عليه ، أقول : إن هذا الدرس يهون إلى مستوى قِطعٍ زجاجية ولو كان الدرس نفسه) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٥٨] .

٦- أن يكون بعيداً عن الإعجاب بنفسه ، وعن الفخر والخيلاء : يجب على العلماء أن يكونوا أبعد الناس عن الإعجاب بالنفس وعن التعالي على الغير والفخر عليهم ، وذلك لما يحملونه من علم يمنع ذلك في كل الناس ، فهم من باب أولى ، والنورسي ممن عرف ذلك ، فقد تحدث في رسائله أن سبب تفوقه في مناظرته لعلماء كبار يفوقونه علماً وسناً لم يكن لذكائه وقدرته ، وإنما هو توفيق الله له وتسديد إجابته ، حيث قال : (إن مناظرة سعيد – في ذلك الزمن البعيد – علماء أجلاء وهو بعدُ في فترة الصبا ، وإجابته عن أسئلتهم إجابة صائبة رغم كونها في أعقد المسائل ، هذه الحالة التي ظهرت ، أعترف اعترافاً قاطعاً ، وأعتقد اعتقاداً جازماً أنها ليست ناشئة من حدة ذكائي ، ولا من خارق استعدادي قط ، فأنا الذي كنت صبياً صغيراً ، مبتلى بأمور كثيرة ، مبتدئاً في العلوم ،

سارح الفكر ، ومثيراً للمناقشات ، فما كان من طوقي قطعاً إجابة أسئلة علماء أفذاذ ، بل كنت أُغلب في مناقشات صغار العلماء وصغار طلاب العلم ، ولكن الآن – بفضل الله وإحسانه – فهمت) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٦٢] .

وكان العلماء من السلف الصالح هم أبعد الناس عن ذلك ، ومنهم الخليل بن أحمد رحمه الله ، حيث قال : (أيامي أربعة : يوم أخرج فألقى فيه من هو أعلم مني فأتعلم منه ، فذاك يوم فائدتي وغنيمتي ، ويوم أخرج فألقى فيه من أنا أعلم منه فأعلمه ، فذاك يوم أجري ، ويوم أخرج فألقى فيه من هو مثلي فأذاكره ، فذاك يوم درسي ، ويوم أخرج فيه فألقى من هو دوني ، وهو يرى أنه فوقي ، فلا أكلمه ، وأجعله يوم راحتي) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢١١] .

٧- الصبر والاحتساب في سبيل تبليغ العلم : العلماء ورثة الأنبياء في تبليغ العلم إلى الناس ، وقد لاقى الأنبياء والمرسلون صنوفاً شتى من أنواع الاستهزاء والسخرية والأذى ، كما أخبر الله بذلك في قوله : ﴿ **يَا حَسْرَةً عَلَى العِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِنْ رَسُولٍ إلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُون** ﴾ [سورة يس : آية ٣٠] ، ولكنهم – صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين – ثبتوا على الحق وبلغوا ما أرسلوا به ، وتركتهم التي خلفوها هي العلم ، والعلماء هم الورثة ، فلا بد أن يصبروا في سبيل نشر العلم وتبليغه كما صبر أولئك وثبتوا ، والنورسي رحمه الله تعالى ممن عذب وسجن ونفي سنوات عدة ، وقد ذكر أن خدمة الإيمان تقتضي منه أمرين :

أ – الصبر على المتاعب والآلام التي تصيبه من جراء خدمة العلم وطلابه ، لذلك قال : (لو أملك ألف روح وروح ، وابتليت بألف مرض ومرض ، وقاسيت ألوفاً من صنوف الآلام والمصاعب ، فإن قراري هو البقاء هنا خدمة لإيمان هذه الأمة وسعياً لإكسابهم السعادة الأبدية ، ذلك ما تعلمناه من درس القرآن الكريم) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٨٩] .

ب – الصبر على إهانة الآخرين له ، وعدم التنازل عن تلك الخدمة الإيمانية ، ولذلك ردّ على من كتب إليه ينتقد توجيه الإهانة والاستهزاء به بدل الاحترام والتقدير لما يحمل من العلم ، فقال له : (تكتب إليّ يا أخي عن الإهانة التي أُقابل بها بدلاً من الاحترام والتقدير ، وتقول لو كنت في مصر أو أمريكا لكنتَ تذكر في التاريخ بإعجاب وفخر ، أخي العزيز الفطن ! نحن نهرب هروباً من احترام الناس إيانا وتوقيرهم لنا ، وحسن ظنهم

بنا ، وإكرامهم لنا ، وإعجابهم بنا ، وذلك بمقتضى مسلكنا) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٢٨٩] .

والمسلك الذي يسير عليه هو الإيمان ، لذلك لا بد من أن يصبر ويحتسب ، كما قال الله تبارك وتعالى لأهل الإيمان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٢٠٠] .

٨- أن يتصف بالإيثار : لقد امتدح الله تعالى المتصفين بالإيثار في قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [سورة الحشر : آية ٩] ، وأهل العلم ممن يعرف ذلك تعلماً ، فيجب اتباعه العمل لكي يحبهم الناس فيقبلون على علمهم ، ولذلك وجه النورسي المعلمين إلى الاتصاف بالإيثار في قوله : (إنه لأجل اطمئنان عوام المؤمنين وتقبلهم حقائق الإيمان دون أن يساورهم أي تردد ، يلزم في الوقت الحاضر وجود معلمين يحملون من الإيثار ما يجعلهم يضحون بالمنافع الشخصية ، فيكون ذلك الدرس خالصاً نقياً) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٢٥] .

ويقصد النورسي بالوقت الحاضر أي عصره الذي عاشه لقلة المعلمين المتصفين بذلك ، وإلا فالإيثار مطلوب في كل وقت .

٩- أن يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم : كما سبق القول بأن العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء بلغوا الرسالة ، وصدعوا بالحق في وجوه أهل الكفر والإلحاد ، فالعلماء ينبغي أن يحتذوا سيرتهم وينهجوا نهجهم ، والنورسي نحسبه والله حسيبه أنه ممن صدع بالحق في وجوه أهل الكفر والإلحاد والزندقة ، ورسائله تشهد له بذلك ، ومواقفه المتعددة معروفة رغم تهديده وسجنه ونفيه ، وخاصة مع مصطفى كمال أتاتورك ، كما سبق الحديث عنه في سيرته ، ولذلك يقول بحق العلماء : (إن واجب العلماء هو الصدع بالحق وعدم السكوت عنه عند انتشار البدع ، وقد ورد الزجر عن السكوت عن الحق في الحديث الشريف) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٩] .

والنورسي يشير بالحديث إلى قول عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقومَ أو نقولَ بالحق حيثما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم » [أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ، باب كيف يبايع الإمام الناس ، ج٨ ، ص ٧٢٣ ، برقم ٢٠١٢] .

ثم يشير رحمه الله إلى أن هذه المهمة هي مهمة العلماء مدى حياتهم ، حيث قال : (نحن مكلفون باتّباع الرسول الكريم ﷺ ، فضرورة أداء هذه المهمة مستمرة مدى الحياة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ١٩] .

١٠ – أن يكون حامل العلم كالغيث أينما وقع نفع : من وهبه الله علماً وجب عليه تبليغه إلى الناس وتعليمهم إياه ، والكل محتاجون إلى علمه ، فأين ما ذهب ورحل ينبغي عليه أن ينفع ويفيد ، كالغيث الذي ينفع بإذن الله تعالى أينما نزل ، والنورسي وجّه طلابه إلى ذلك قائلاً لمن اشتكى من كثرة تنقله في ولايات تركيا : (فإن أرسلك القدر الإلهي إلى مكان آخر فسلم أمرك إليه بكمال الرضى ، إذ الخير فيما اختاره الله ، ولعل الأماكن الأخرى محتاجة إلى صاحب قلب سليم وعقل مستقيم مثلكم يلقن درس الإيمان التحقيقي ، فلقد خدمتَ و لله الحمد للإيمان خدمة جليلة في " اكريدير ") [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٥] .

والنورسي ممن تمثل ذلك ، فإنه ما ينزل منطقة من مناطق تركيا إلا ويكون له طلابه ومريده الذين ينهلون من علمه ، حتى أنه عندما زار دمشق كتب خطبة أسماها الخطبة الشامية خطب بها يوم الجمعة من على منبر الجامع الأموي ، وكان لتوجيهاته في تلك الخطبة فوائد جمة ، وخاصة ما يتعلق بالعلم والعلماء .

هذه بعض آداب المعلم التي ينبغي على المعلمين أن يتحلوا بها ، وخاصة في عصرنا الحاضر ، إن كثيراً من المعلمين اليوم بعيدون عن مثل هذه الآداب ، ولذا أصبح التعليم يفتقد المعلم الذي يتحلى بها وغيرها من الآداب ، مع العلم أنها (تجعل للمعلم المسلم هيبة في نفسه ، وتعلي من مكانته في المجتمع ، وتكسبه حب تلاميذه وتقديرهم وتوقيرهم ، مما يجعل لأقواله وأفعاله تأثيراً واضحاً في سلوكهم) [التوم ، ١٤١٢هـ ، ص ١٣] .

ولا يدعي الباحث الإلمام الكامل بآداب المعلم كما يراها النورسي في رسائله ، ولكن هذا ما تسير استنباطه والتعليق عليه .

المبحث الثاني : آداب المتعلم .

لا شك أن كل عالم مرّ بمرحلة التلقي والتعلم من غيره ، فأساس آدابه وأخلاقه مبنية على مرحلة التحصيل العلمي ، وكلما زاد علمه عظمت مسؤوليته ، وارتفعت الآداب والأخلاق عنده ، والنورسي ذكر في جوانب متعددة من رسائله بعض الآداب والأخلاق

التي ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها ، ومن أهمها :

١- أن يكون هدفه من التعلم الوصول إلى مرضاة الله ﷻ : إن رضا الله تبارك وتعالى عن العبد هدف أسمى يسعى إليه كل مسلم لينال ثواب الله وينجو من عقابه ، وطالب العلم هو الأولى أن يجعل الغاية من علمه معرفة الحق ليتبعه ، ومعرفة الباطل ليجتنبه ، وبذلك يحصل على مرضاة الله ورحمته سبحانه وتعالى ، ولذلك بوّب البخاري رحمه الله تعالى باباً في كتاب العلم سماه (باب العلم قبل القول والعمل ، لقول الله تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ الله** ﴾[1] ، فبدأ بالعلم) [صحيح البخاري ، ١٤٠٧هـ ، ج١ ، ص ٩٩] .

والعبادة الصحيحة التي توصل إلى رضا الله هي التي تُبنى على العلم ، وقد وجه النورسي عدداً من الدساتير ، وطالبَ طلابه الالتزام بها ، وجعل أولها ابتغاء مرضاة الله تعالى ، فقال : (ولأجل الوصول إلى الظفر بالإخلاص وللحفاظ عليه ، ولدفع الموانع وإزالتها اجعلوا الدساتير الآتية رائدكم " الأول " ابتغاء مرضاة الله في عملكم ، فإذا رضي هو سبحانه فلا قيمة لإعراض العالم أجمع ، ولا أهمية له ، وإذا ما قبل هو سبحانه فلا تأثير لرد الناس أجمعين ، وإذا أراد هو سبحانه واقتضته حكمته بعدما رضي وقَبِل العمل ، جعل الناس يقبلونه ويرضون به ، وإن لم تطلبوه أنتم ، لذا ينبغي جعْلُ رضا الله وحده دون سواه القصد الأساس في هذه الخدمة " خدمة الإيمان والقرآن ") [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٤٢] .

فعلى المتعلم أن يحسن النية في طلب العلم ، وذلك (بأن يقصد به وجه الله تعالى ، والعمل به ، وإحياء الشريعة ، وتنوير قلبه ، وتحلية باطنه ، والقرب من الله تعالى يوم القيامة ، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظيم فضله) [عطار ، ١٣٨٦هـ ، ص ٢٠٦] .

٢- الابتعاد عن المراء والمناقشة المضرة : المراء في الحق مذموم ، فكيف إذا كان في باطلٍ ؟!. قال الرسول ﷺ : « أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً .... الحديث » . أخرجه أبو داود في سننه برقم ٤٨٠٠ ، في كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق ، ج٥ ، ص ١٥٠ ، وللحديث شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن على أقل الأحوال . [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص٤٩٢ ، برقم ٢٧٣] .

---

(١) سورة محمد : آية ١٩ .

ولذلك قال النورسي يحذر طلابه من ذلك ويقول لهم : (إخواني الأوفياء الصادقين ، إياكم والمراء ، احذروا المناقشة ، فالآذان المتجسسة تستفيد منها ، إذ مهما يكن المناقش فهو على باطل في وضعنا الحالي ، سواء كان محقاً أم لا ! إذ ربما يُلحِق بنا ضرراً جسيماً في حين ليس له إلا النزر اليسير من الحق) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٧٩] .

وكان رحمه الله يوصي طلابه بالوصية التالية : (أوصي طلابي ألا يحمل أحد منهم شيئاً من روح الانتقام في قلبه ولو بمقدار ذرة ، وأن يسعوا سعياً جاداً لنشر رسائل النور ، وليرتبطوا بها ارتباطاً وثيقاً ، فعلى طلاب رسائل النور لمدرسة الزهراء ألا ينسوا وصيتي هذه) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٧٢] .

وكان يقول لهم أيضاً : (إخوتي : عليكم بمنتهى الحيطة والحذر ، وإياكم أن تفتحوا باب النقاش مع العلماء ، بل يجب التعامل معهم بالحسنى والمصالحة قدر الإمكان) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٨٢] .

وإن من أضرار المماراة في العلم حجبه عن المتعلم ، كما قال ميمون ابن مهران : (لا تمار من هو أعلم منك ، فإنك إن ماريته خزن عنك علمه ولا يبالي ما صنعت) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٠٤] .

٣- الإخلاص في القول والعمل : وهذا أمر ضروري في اكتساب العلوم والمعارف ، وأي عمل لا يصاحبه الإخلاص فلا خير فيه ، وهو مردود على صاحبه ، وسيكون ناقصاً ، والنورسي أظهر في مواضع عدة من رسائله اهتمامه بهذا الأمر ، وكثرت توجيهاته إلى طلابه يوصيهم بالإخلاص ، ومن ذلك قوله : (يا إخوة الآخرة : ويا أصحابي في خدمة القرآن ! اعلموا - وأنتم تعلمون - أن الإخلاص في الأعمال ولاسيما الأخروية منها هو أهم أساس ، وأعظم قوة ، وأرجى شفيع ، وأثبت مرتكز ، وأقصر طريق للحقيقة ، وأبرّ دعاء معنوي ، وأكرم وسيلة للمقاصد ، وأسمى خصلة ، وأصفى عبودية) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٤١] .

ثم بين لهم أهميته في وقت تكالب الأعداء وانتشار البدع والضلالات ، فيقول : (فما دام في الإخلاص أنوار مشعة ، وقوى رصينة كثيرة أمثال هذه الخواص ، وما دام الإحسان الإلهي قد ألقى على كاهلنا مهمة مقدسة ثقيلة ، وخدمة عامة جليلة ، تلك هي وظيفة الإيمان وخدمة القرآن ، ونحن في غاية القلة والضعف والفقر ، ونواجه أعداء ألدّاء ،

ومضايقات شديدة ، وتحيط بنا البدع والضلالات التي تصول وتجول في هذا العصر العصيب ، فلا مناص لنا إلا بذلُ كل مافي وسعنا من جهد وطاقة كي نظفر بالإخلاص ، فنحن مضطرون إليه ، بل مكلفون به تكليفاً ، وأحوج ما نكون إلى ترسيخ سر الإخلاص في ذواتنا ، إذ لو لم نفُز به لضاع منا بعض ما كسبناه من الخدمة المقدسة ، ولَما دامت ولا استمرت خدمتنا ، ثم نحاسب عليها حساباً عسيراً ، حيث نكون ممن يشملهم النهي الإلهي وتهديده الشديد في قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلا** ﴾(1) بما أخللنا بالإخلاص) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٤١] .

ثم يبين لهم عدداً من الدساتير التي تعمل على الوصول إلى الإخلاص وتحافظ عليه قائلاً لهم : (ولأجل الوصول إلى الظفر بالإخلاص ، وللحفاظ عليه ، ولدفع الموانع وإزالتها اجعلوا الدساتير الآتية رائدكم :

الأول : ابتغاء مرضاة الله في عملكم ، فإذا رضي هو سبحانه فلا قيمة لإعراض العالم أجمع ، ولا أهمية له .

الثاني : عدم انتقاد إخوانكم العاملين في هذه الخدمة القرآنية ، وعدم إثارة نوازع الغبطة بالتفاخر والاستعلاء .

الثالث : إن قوتكم في الإخلاص والحق ، نعم ، إن القوة في الحق والإخلاص ، حتى أن أهل الباطل يحرزون القوة لما يبدونه من ثبات وإخلاص في باطلهم .

الرابع : الافتخار شاكرين بمزايا إخوانكم ، وتصورها في أنفسكم ، وعد فضائلهم في ذواتكم ، إن أساس مسلكنا ومنهجنا هو " الأخوة في الله " ، وأن العلاقات التي تربطنا هي الأخوة الحقيقية ، وليست علاقة الأب مع الابن ، ولا علاقة الشيخ بالمريد ، وإن كان لا بدّ فمجرد العلاقة مع الأستاذ) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٢٤٢-٢٥١ بتصرف] .

وإن كانت هذه الدساتير وغيرها في حق طالب العلم مهمة ففي حق المعلمين أولى وأحرى ، لأن البعد عن الأحقاد والتفاخر وانتقاد الآخرين أمر ذو أهمية في حياة المعلمين والمتعلمين على السواء ، ثم استشعار الأخوة الصادقة ، واحترام آراء الآخرين أمران مطلوبان أيضاً .

٤- الصبر والثبات على كسب العلم : طالب العلم قد يعترضه بعض العوائق التي

---

(1) سورة البقرة : آية ٤١ .

تعيقه وتقف في طريق تحصيله العلمي ، وما عليه إلا أن يصبر ويثبت قدر المستطاع ، علّه يصل إلى هدفه وغايته ، وقد حث النورسي طلابه على ذلك قائلاً لهم : (لقد أولى علماء أفذاذ الأهمية لطلبة العلوم الشرعية ، حتى قال الإمام الشافعي ﷺ : نوم طلبة العلم يُعدّ عبادة ، لذا لو حدثت مائة ألف ضيق من جراء التتلمذ على هذا الشرف الرفيع ، وبخاصة في مثل هذا الزمان الذي انعدمت فيه المدارس الشرعية ، ينبغي عدم الاهتمام بتلك المضايقات ، بل التبسم بفرح وسرور في وجه تلك المصاعب قائلين : خير الأمور أحمزها) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٧٠] .

٥- أن يسعى لإصلاح أقرانه في العلم : إن الصحبة لها دور في الإصلاح أو الإفساد ، كما ذكر الرسول ﷺ في قوله : « مثل جليس الصالح والسوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحاً خبيثة » [أخرجه البخاري في كتاب الصيد والذبائح ، باب المسك ، ج٧ ، ص ١٨٣ ، برقم ٤٤٣] .

وقد تكون المصاحبة أكثر جدوى في إصلاح ما فسد ، وخاصة من الطالب مع زميله . والنورسي تحدث عن ذلك قائلاً لطلابه ضمن حديث طويل : (فالفضل والسبق إذاً هو : أن لا يترك الطالب أخاه عندما يراه مبتلى بفساد ، بل يزيد أخوته معه ، ويسعى لإصلاحه ، فهذا هو شأن الأوفياء الصادقين) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٧٨] .

٦- أن يكون ذا صفح وعفو عن الآخرين : العفو عن الآخرين والتجاوز عن زلاتهم وهفواتهم مطلب شرعي عظيم ، وخُلُق اجتماعي رفيع حث عليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ، وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِين** ﴾ [سورة النحل : آية ١٢٦] .

والنورسي انطلاقاً من هذا المبدأ العظيم صبر واحتسب رغم ما لاقاه من صنوف التعذيب والنفي والسجن ، وقد وجه طلابه بذلك أيضاً في قوله لهم : (إن الكثيرين من طلابي قد ابتلوا بشتى أنواع البلايا والمصائب ، وتعرضوا لصنوف العذاب والمتاعب ، واجتازوا امتحانات عسيرة بفضل الله ، إنني أطلب منهم أن يتجاوزوا - مثلي - عمن اقترف تلك المظالم وهضم الحقوق ، لأن أولئك قد ارتكبوا تلك الأمور عن جهل منهم ، والذين آذونا وعذبونا ساعدوا على نشر الحقائق الإيمانية دون أن يدركوا تجليات أسرار

القدر الإلهي ، ووظيفتنا تجاه هؤلاء هي التمني لهم بالهداية) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٣٧١] .

وطالب العلم يختلف عن غيره من الناس ، حيث علمه يقوده إلى تمني الهداية والصلاح للآخرين كما يحب ذلك لنفسه انطلاقاً من علمه الذي تعلمه من قول المصطفى ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ، ج١ ، ص ٦٩ ، برقم ٤٥] .

٧- أن يكون صاحب همة عليا وعزيمة قوية : العلم طرقه متشعبة ، وأبوابه متعددة ، وإذا لم يكن الطالب ذا همة وعزيمة فإنه لا يستطيع أن يسلك تلك الطرق ولا أن يلج مع تلك الأبواب ، وطالب العلم لا بدّ وأن يكون قوي العزيمة ، عالي الهمة ، كما قال الشاعر(١) :

إذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر صغير ... كطعم الموت في أمر عظيم

وقد عرّف بعضهم علو الهمة بقوله : (هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور) [موسى ، ١٤١٤هـ ، ص ١٣] .

ويصف النورسي تلميذ القرآن بأنه ذو همة عالية وعزيمة صادقة ، حيث قال : (أما التلميذ المخلص الخالص للقرآن الكريم ، فهو " عبد " ، ولكنه لا يتنزل لعبادة أعظم مخلوق ، وهو ليّن هيّن ، ولكنه لا يتذلل لغير فاطره الجليل ، ولغير أمره وإذنه ، فهو صاحب همة عليا ، وعزيمة صادقة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ١٨١] .

والهمة العالية طريق إلى القمة ، وذلك كما فعلت اليابان ، حيث (ظهر فيها أمبراطور ذو فكر مستنير ، وعزيمة قوية قادرة على هز شعبه بقوة لإخراجه من سباته ، ولتوجيهه ناحية الإبداع والتقدم ، ذلك هو الأمبراطور " ميجي " - ١٨٦٨م - ١٩١٢م ، وكان أول ما قام به أن أرسل البعثات من أبناء اليابان إلى كل مكان ظن فيه علماً وتقدماً) [بوشاب ، ١٤٠٦هـ ، ص ٩](٢) .

---

(١) المتنبي ، شرح الديوان ، للبرقوقي ، ١٣٥٧هـ ، ج٤ ، ص ٢٤٥ .
(٢) من تقديم الدكتور / محمد عبد العليم مرسي الذي ترجم الكتاب وعلق عليه .

والهمة والعزيمة درجات متفاوتة ، ولكن (الهمة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور لا يرضى بمساقطهم ، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم ، فالهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها ، وكلما نزلت قصدتها الآفات من كل مكان) [ابن قيم الجوزية ، ١٣٩٣هـ ، ج٣ ، ص.ص ١٧١-١٧٢] .

وما أوصل علماء الإسلام في عصر الازدهار إلى التقدم العلمي إلا علو هممهم ونبل مقاصدهم ، فهذا معاذ بن جبل ﷺ يقول – وهو على فراش الموت – : (اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا ، ولا طول المكث فيها لجري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل ، وظمأ الهواجر في الحر الشديد ، ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر) [الأصبهاني ، ١٤٠٠هـ ، ج١ ، ص ٢٣٩] .

ومن أمثال ذلك كثير في عصر الصحابة والتابعين ﷺ أجمعين ، فهل لطلاب العلم أن يقتدوا بسلفهم علّهم يصلوا إلى قمة ما وصلوا إليه ، إن حالنا اليوم في كثير من الجوانب لا يبشر بخير ، خمول منتشر ، وكسل مسيطر ، وعلل واهية لا تمت إلى الحقيقة بصلة . في الحجرة الواحدة ما يقارب الخمسة والأربعين طالباً جميعهم عديموا الهمة والعزيمة ، إلا النسبة القليلة ، وقد لا توجد ، ولكن العدوى تسري ، فكثير من المدرسين يفتقدون تلك الهمة وصدق العزيمة ، فكان حال طلابهم كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُون** ﴾ [سورة الزخرف : آية ٢٣] ، مع الفارق بين حال هؤلاء وأولئك .

٨- احترام المعلم وتقديره : المعلم له فضل كبير لقيامه بتعليم الناس العلم النافع لهم في الدنيا والآخرة ، ولا شك ولا ريب أنه يواجه في سبيل ذلك كثيراً من المصاعب والمتاعب في سبيل الوصول إلى أماكن العلوم النافعة من مظانها ، ومن ثَم تقديمها إلى طلابه سهلة ميسرة ، فيجب على طلابه مقابلة ذلك بالحب والتقدير والاحترام في جميع الأحوال ، وتهيئة المكان له ، وإفساح المجال أمامه حتى يعطي الدرس بنفس راضية ، وذهن صافٍ خالٍ من التشويش ، وبعيداً عن المراء والمجادلة غير المفيدة .

وقد وجه النورسي طلابه بوجوب الاحترام والتقدير ، فقال : (إن أستاذكم ليس معصوماً من الخطأ ، بل من الأخطاء الاعتقاد أنه لا يخطئ ، ولكن وجود تفاح فاسد في بستان لا يضر بالبستان ، ووجود نقد مزوّر في خزينة لا يسقط قيمة الخزينة ، ولما كانت

السيئة تعدّ واحدة ، بينما الحسنة بعشر أمثالها ، فالإنصاف يقتضي عدم الاعتراض ، وتعكير صفو القلب تجاه الحسنات إذا ما شوهدت سيئة واحدة وخطأ واحد) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٢] .

وكأن النورسي يشير بتوجيهه هذا إلى وجود بعض الاعتراض عليه من بعض طلابه بصورة غير مؤدبة ، فإذا وجد أحدهم خطأً واحداً عليه أو اثنين أو ثلاثة ، اعترض على الأستاذ ولم يفرق بين خطئه وصوابه ، تاركاً الاستفادة من الصواب الأكثر لأجل الخطأ الأقل ، فَمَثَلُه كمن وجدَ في البستان تفاحاً فاسداً فحكم بفساد جميع البستان ، فحرم من بقية ثماره ، وكذلك ترك النقد جميعه وعدم الاستفادة منه لوجود التزوير في بعضه ، وهذا حال كثير من طلاب العلم الآن ، ترى أحدهم همه جمع زلات وأخطاء أستاذه ، ثم التشهير به وبعلمه ، وأن علمه فاسد ، دون أي احترام أو تقدير لما يحمله من صواب ، وبهذا ضاع العلم بين أستاذ لا يجد الاحترام من طلابه وبين طالب همه تتبع أخطاء أستاذه دون الحصول على الصواب من العلم ، فضاع وأضاع ، والله المستعان ، وكأنه لم يعرف قدر المعلم وأهميته ، كما قال شوقي[1] :

قم للمعلم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

بل أهم من ذلك وصية عليّ بن أبي طالب ﷺ لطالب العلم ، حيث قال : (إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ، ولا تعنته في الجواب ، وأن لا تلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشينّ له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زلّ قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته) [ابن عبد البر ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٠٥] .

إن الباحث بحكم عمله معلماً في إحدى المؤسسات التعليمية يلاحظ على كثير من طلاب العلم بُعدهم الكبير عن التحلي بهذه التوجيهات القيمة ، إلا من رحمه الله ، وقليل ماهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

هذه بعض الآداب التي ذكرها النورسي في رسائله عن المتعلمين ، وما وُفّقَ الباحث إلى تدوينه من مؤلفات أخرى تدعم أقوال النورسي وتؤكدها ، والله ولي التوفيق .

---

(١) عطوي ، ١٩٨٩م ، ص ٧٢ .

المبحث الثالث : العلاقة بين المعلم وطلابه .

تحدث النورسي عن العلاقة بين الأستاذ وطلابه في جوانب عدة من رسائله مبيناً أهميتها بقوله : (كانت علاقة طلاب " سعيد القديم " وطيدة مع أستاذهم حتى بلغت مرتبة التضحية والفداء) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٦٨] .

ثم جاء في موضع آخر وبين ركائز هذه العلاقة ونتائجها ، واضعاً لها عنواناً أسماه " حول العلاقات بين الأستاذ والطلاب " . [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦١] .

وقد لخص الباحث حديث النورسي عن هذه العلاقة ، وقسمها إلى قسمين ، هما :

١) ركائز هذه العلاقة : وهي أربعة : الأخوة ، والتواضع ، والتعاون ، والتشاور ، وأشار إليها النورسي بقوله : (سأبين لكم وجهة نظري – بما يفيدكم – حول العلاقات القائمة بين الأستاذ والطلاب وزملاء الدرس ، وهي : أنتم يا إخوتي طلابي – بما هو فوق حدي – من جهة ، وزملائي في الدرس من جهة أخرى ، ومساعديّ وأصحاب الشورى من جهة أخرى) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦١] .

والعلاقة التي رابطتها الاحترام المتبادل بين المدرس والتلاميذ على أساس من الشورى لأجل الأخذ والعطاء لا شك أنها (تعين المدرس على معرفة مسيرته التربوية والتعليمية ، ومدى ما وصل إليه فيها ، فيشرك التلاميذ قدر استطاعتهم في تخطيط مراحل العمل وتوزيع المسؤوليات والمقررات والالتزامات المتعلقة بنشاطهم التعليمي ، لأن ذلك ينمي ثقتهم بأنفسهم ، ويزيد من حماسهم وتقديرهم لجهودهم) [سرحان ، ١٩٨١م ، ص ٢٠٥] .

٢) نتائجها : وقد تم تلخيصها في النقاط التالية :

أ – الاعتراف بالخطأ : وقد بينها النورسي بقوله : (إخوتي الأعزاء : إن أستاذكم ليس معصوماً من الخطأ ، بل من الخطأ الاعتقاد أنه لا يخطئ) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٦٢] .

ب – قبول ما صح من العلم : وقد أشار إليها بقوله : (ولكن وجود تفاح فاسد في بستان لا يضر بالبستان ، ووجود نقد مزوّر في خزينة لا يسقط قيمة الخزينة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٢] ، ويشير بها إلى الأخذ من العلم النافع الصحيح ، وترك الفاسد الضار .

جـ – **الاحترام المتبادل** : وأشار إليها النورسي بقوله : (ولما كانت السيئة تعدّ واحدة ، بينما الحسنة بعشر أمثالها ، فالإنصاف يقتضي عدم الاعتراض ، وتعكير صفو القلب تجاه الحسنات إذا ما شوهدت سيئة واحدة وخطأ واحد) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٦٢] .

د – **التفاهم والتشاور** : وأشار إليها بقوله : (أما مراجعتي لكم فيما يخص تلك المسائل ، واستشارتي لكم حولها ، فهي نمط تلقيكم لها) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٦٢] .

هـ – **قبول الحق والاعتراف به** : وأشار إليها بقوله : (إنني أسر إن نبهتموني – بكل صراحة – لأي خطأ ترونه عندي ، بل أقول : ليرضَ الله عنكم إذا قلتموه لي بشدة ، إذ لا ينظر إلى أمور أخرى بجانب الحق ، إنني مستعدّ لقبول أي حقيقة كانت يفرضها الحق ، وإن كنت أجهلها ولا أعرفها فأقبلها وأضعها على العين والرأس ، ولا أناقشها ، وإن كانت مخالفة لأنانية النفس الأمارة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٢] .

و – **التعاون في تحصيل العلم ونشره** : وقد أشار إليها بقوله : (اعلموا أن هذه الوظيفة الإيمانية وفي هذا الوقت جليلة ومهمة ، فلا ينبغي لكم أن تضعوا هذا الحمل الثقيل على كاهل شخص ضعيف مثلي ، وقد تشتت فكره ، بل عليكم معاونته قدر المستطاع) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٢] .

ز – **صدق العلاقة واستمرارها** : وأشار إليها بقوله : (إن العلاقة التي تربطنا والأخوة القائمة بيننا خالصة ، وفي سبيل الله – إن شاء الله – ، لذا لا يقيدها زمان ولا مكان) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٥] .

ح – **الحرص والتوجيه** : وقد أشار إليها بقوله : (إن مشاغل الربيع والصيف وقصر الليالي ومرور الشهور الثلاثة ، وأخذ أغلب إخوتي الحصة ، وأسباب أخرى تولد – بلا شك – شيئاً من الفتور في دروس الشتاء ، ولكن الفتور الناشئ من تلك الأسباب يجب ألا يصيبكم ، لأن تلك الدروس علوم إيمانية) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص٦٥] .

ط – **الانتقاء للمفيد** : وأشار إليها بقوله : (إن العلم قسمان : نوع منه يكفي العلم به ومعرفته والتفكر فيه مرة أو مرتين ، والآخر كالخبز والماء ، يحتاجه الإنسان ويفكر

فيه كل وقت ، فلا يمكنه أن يقول : لقد فهمت وكفى ، فالعلوم الإيمانية من هذا القسم ، و " الكلمات " التي في أيديكم من هذا القسم - على الأكثر - إن شاء الله) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٦] .

وبالنظر إلى ركائز هذه العلاقة ونتائجها بين المعلم وطلابه يتضح مدى قوة العلاقة بين النورسي وطلابه ، وأنها كانت مثمرة ومفيدة ، ولكن هل تكون علاقة المعلم بطلابه مطلقة أم مقيدة ؟. يرى الباحث أنها غير مطلقة لمن شاء وكيفما شاء ، بل هناك شروط وحدود لا تتعداها ، وربما أشار إليها النورسي دون التصريح عندما حدد ركائز تلك العلاقة بأربعة أمور : الأخوة ، والتواضع ، والتعاون ، والتشاور ، كما مرّ في أول الحديث عن هذه العلاقة ، فإذا فُقِدَت ركيزةٌ واحدة فربما تصبح مضرة للمعلم والطالب ، ولذلك فإن على المعلم (أن يضع لهذه العلاقات من الحدود ما يتصور أنه يتمشى مع البيئة التي يعمل بها ومع مركزه كمعلم ، فليس معنى أن يقترب المعلم من طلابه أن يزيل الحواجز تماماً بينه وبينهم ، بحيث يصبح كواحد منهم ، بل إن هناك خطّاً فاصلاً يجب أن يبقى بين الطلاب والأستاذ حتى لا تختلط الأمور ، إن الحب المتبادل بينهما مطلوب ، ولكن الاحترام والتقدير يجب أن يبقيا في مكانهما) [مرسي ، ١٤٠٥هـ ، ص ٤٣] .

ثم هل كل الطلاب يصلحون لإقامة هذه العلاقة ؟. إن تجربة الباحث كمعلم لعدد كبير من الطلاب تجعله يرى عدم جدواها إلا مع عدد قليل من هؤلاء الطلاب ، حيث أن البعض من الطلاب - وهُم الأكثر - متى أُتيحت لهم الفرصة خرجوا عن المألوف ، وانقلبوا بوجه يسيئون فيه الأدب مع المدير والمدرسين والزملاء ، ويصبحون مصدر صخب وشغب لا يتمكن المعلم من تأدية واجبه على الوجه الأكمل ، ولا زملاء الدراسة الجادين من الاستماع والتحصيل العلمي ، فالعلاقة إذاً بين المعلم وطلابه تقدر بقدرها ، والمعلم هو ربان سفينة الفصل الدراسي ، يستطيع من خلال تجاربه إقامة علاقة على حسب ما يقتضيه الحال والمقام ، ولا شك في اختلاف القدرات العلمية والقيادية لدى المعلمين ، وكذلك اختلاف المواقف والأحوال ، ولكن المعلم سيد الموقف ، (ولما كان هو سيد الموقف داخل الفصل ، فإنه الوحيد الذي يملك القدرة على تكييف موقفه التربوي وتحديد أسلوبه التعليمي ، على أن يكون ذلك في ضوء الطرق التربوية الصحيحة ، والظروف المحيطة به داخل الفصل) [سرحان ، ١٩٨١م ، ص ٢٠٢] ، والله ولي التوفيق .

الفصل الثالث
المؤسسات التربوية في فكر النورسي

تمهيد :

كانت ولادة النورسي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد بدأ حياته العلمية قبل بداية القرن الرابع عشر الهجري والقرن العشرين الميلادي ، ولكن حياته امتدت إلى بعد النصف لهذين القرنين بعشرات السنين ، ولهذا فإن النورسي يعتبر معاصراً ، عاش الحياة العلمية الحديثة التي عمّت أغلب بقاع العالم ، والتي اهتمت بالمؤسسات التربوية المختلفة ، وبما أن النورسي - رحمه الله تعالى - مسلم وفي بلاد إسلامية محتاجة إلى المؤسسات التربوية الإسلامية ، لذا فإنه ركز على أهم هذه المؤسسات واهتم بمناهجها التي يجب أن تخدم الأمة الإسلامية في الدنيا والآخرة ، ودعا إلى أسلمة تلك المناهج ، بحيث تنطلق من الإيمان با لله واليوم الآخر المبني على كتاب ا لله وسنة رسوله ﷺ ، فاهتم باللبنة الأولى في التربية ، وهي الأسرة ، ثم المسجد الذي خرّج أفواجاً من العلماء والقادة على مرّ العصور الإسلامية ، ثم المدرسة التي أصبحت ضرورة ملحّة في العصر الحاضر في التربية والتعليم ، ثم اهتم بالإعلام كوسيلة من وسائل الخير أو الشر على حسب الأهداف والمقاصد وما يبث من خلال أجهزتها ، ثم كانت له آراء تربوية مهمة في تحويل السجون إلى مدارس تربية وإرشاد وإصلاح ، ثم اهتم بالمجتمع ككل ، وأن كل أفراده عليهم تقع مسؤولية التربية والتعليم ، وقد لخص الباحث تلك الآراء في النقاط التالية :

١) الأسرة :

الأفراد هم أساس الأسر ، والأسر هي أساس المجتمعات الكبيرة والصغيرة ، (وبصلاح الأمر يصلح المجتمع ، لأن المجتمع إنما يتكون من الأسر) [قادري ، ١٤٠٧هـ ، ص ٧١] .

فالأسرة إذاً هي (الخلية الأولى للمجتمع ، والركيزة الأساسية التي تمد المجتمع بالعناصر البشرية الصالحة لتحقيق أهدافه) [مرسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٢٥٨] .

وأول مؤسسة تربوية تتلقى الطفل هي الأسرة بجميع عناصرها البشرية ، حيث (هي المحضن الذي يبذر في نفس الطفل أول بذوره ، ويكيف بتصرفاته مشاعر الطفل

وسلوكه) [قطب ، ١٤٠٣هـ ، ج١ ، ص ١٨٦] ، فلا غرابة إذاً أن يهتم النورسي بالبيت والأسرة في رسائله لأهمية التربية الإيمانية في حياة الفرد على حسب ما يتلقاه تعليماً من أفراد الأسرة ، أو عملياً من تصرفات وسلوك أولئك الأفراد . ومن أهم آراء النورسي التربوية حول الأسرة ما يلي :

١- صلاح الزوجين ركن قوي لصلاح أفراد الأسرة ، إن بناء الأسرة الصالحة يقوم على أسس قوية ، من أهمها : صلاح الزوجين في الأسرة ، لأن الأطفال يقلدون آباءهم وأمهاتهم قولاً وسلوكاً ، لذا فإن صلاح الأبوين أمر ذو أهمية في التربية الصالحة في الأسرة ، ولذلك حث الرسول الكريم ﷺ على ضرورة اختيار المرأة الصالحة ذات الدين والخُلُق القويم قبل قيام الأسرة ، حيث قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » [أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين ، ج٧ ، ص ١٤ ، برقم ٢٨] .

وقال ﷺ : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » [أخرجه مسلم في كتاب النكاح ، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، ج٢ ، ص ٨٨٣ ، برقم ١٤٦٧] .

فالرجل الصالح عند رغبته في الزواج ينبغي له أن يختار المرأة الصالحة ذات الدين والخُلُق القويم ، ولذلك يقول النورسي رحمه الله : (إن الزوج الرشيد لا يبني محبته لزوجته على جمال ظاهري زائل لا يدوم ، بل عليه أن يبني مودته لها على شفقتها التي هي أجمل محاسن النساء وأدومه ، ويوثقها بحسن سيرتها الخاصة بأنوثتها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١٠] .

والسعادة الزوجية الحقة مبنية على صلاح الزوجين ، حيث أن كلاً منهما يحاول تقليد الآخر في الجوانب الإيجابية التي يفقدها هو ، فتحصل السعادة بين الزوجين ، وتبنى عليها سعادة الأسرة ، ولذلك قال النورسي : (إن السعيد هو ذلك الزوج الذي يقلد زوجته الصالحة ، فيكون صالحاً مثلها ، لئلا يفقد رفيقته في حياة أبدية خالدة ، وكم هي سعيدة تلك الزوجة التي ترى زوجها متديناً ، فتتمسك بأهداب الدين ، لئلا تفقد رفيقها الأبدي ، فتفوز بسعادة آخرتها ضمن سعادة دنياها) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٣١١] .

فإذا كان هذا التقليد من الأبوين لبعضهما ، فلا شك في تقليد الأبناء للآباء

والأمهات ، ولذلك فإن (سلوك الوالدين له أثره العظيم على أبنائهما) [قادري ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٦] .

٢- أهمية دور الأم في التربية : صلاح الأبوين أمر ضروري في التربية الصالحة لأفراد الأسرة ، إلا أن المسؤولية الكبرى تقع على كاهل الأم ، لأنها أكثر ملاصقة للابن منذ صغره ، ولأن مسؤوليتها تقتصر على رعاية البيت وتدبيره ، بخلاف الأب ، فإنه مسؤول عن التربية كذلك ، ولكن خروجه من البيت كثيراً لجلب الرزق وما يُصلح الجسم يحتم عليه البعد أحياناً عن الرعاية المباشرة ، مما يجعل دوره أقل من الأم ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، والأمير راعٍ ، والرجل راعٍ على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته » [أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب المرأة راعية في بيت زوجها ، ج٧ ، ص ٦٤ ، برقم ١٣٠] .

ولذلك اعتبرها الشاعر مدرسة إذا أُعدّت وهُيئت وتزينت بالحياء ، حيث قال[1] :

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا ... بالري أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الأولى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق

ومن هذا المنطلق اعتبرها النورسي أول الأساتذة وأكثرهم تأثيراً وتعليماً للأبناء ، فقال : (إن أول أستاذ الإنسان وأكثر من يؤثر فيه تعليماً ، إنما هو والدته ، أقسم بالله أن أرسخ درس أخذته ، وكأنه يتجدد عليّ ، إنما هو تلقينات والدتي - رحمها الله - ودروسها المعنوية ، حتى استقرت في أعماق فطرتي ، وأصبحت كالبذور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين ، رغم أني قد أخذت دروساً من ثمانين ألف شخص ، بل أرى يقيناً أن سائر الدروس إنما تبنى على تلك البذور) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٣٠٨-٣٠٩] .

فالاهتمام بتربية النساء تربية إسلامية أمر مطلوب لصلاح تلك الأم ، حيث (أن العلاج الناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهن وأخراهن معاً ، وإن الوسيلة الوحيدة لصون سجاياهن الراقية اللاتي في فطرتهن من الفساد ليس إلا في تربيتهن تربية

---

(١) حافظ إبراهيم في قصيدة له عن مدرسة البنات . [شامي ، ١٩٩٥م ، دار الفكر العربي ، ص ٩٤] .

دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١٠] .

والتربية الدينية الشاملة مصدرها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وكفى بهما مصدراً قوياً شاملاً متكاملاً للتربية .

٣- ضرورة مشاركة البيت المؤسسات الأخرى في عملية التربية والتعليم :

مهمة البيت لا تقتصر على تأمين الغذاء والكساء للأبناء ، وإنما الأهم من ذلك أن يستشعر البيت عظم المسؤولية ، فيبادر أفراده – وخاصة الأب – إلى تعليم الأبناء وتربيتهم تربية إسلامية تمنعهم من الانحراف والوقوع في الرذائل ، (ولا شك أن البيت هو الذي يصنع اللبنات الأولى في شخص الطفل ، فالبيئة المنزلية هي التي تطبع الطفل بطابعها المميز ، فينشأ هادئاً ومتسامحاً أو عدوانياً حسب البيئة نفسها) [عوض ، ١٣٨٩هـ ، ص ٢١] .

ولذلك يوجه النورسي باتّخاذ البيت مدرسة نورية يتدارس الأب فيها مع أطفاله وأهل بيته رسائل النور التي مصدرها كتاب الله ﷻ ، فإن لم يكن ، فمع جيرانه في أحد المساكن ، حيث قال : (ليحوّل كل شخص بيته إلى مدرسة نورية يتدارس فيها مع أطفاله وأهل بيته ، وإن لم يكن له أحد ، وكان وحيداً فليتخذ مع بعض أفراد من جيرانه أحد المساكن مدرسة نورية يتدارسون فيها رسائل النور ، أو يستمعون لها ، أو يستنسخونها ، وذلك في الأوقات التي يتفرغون فيها من أعمالهم ومشاغلهم ، إذ الانشغال بهذه الرسائل ولو لعشر دقائق يثيب صاحبه ثواب طالب علم حقيقي) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ٣٨١-٣٨٢] .

وعند مرضه أو تعبه أو سجنه يطلب من طلابه أن يجعلوا رسائل النور نائبة عنه بقراءتها فيما بينهم ، حيث قال : (لقد حرمت من المحاورة مع إخوتي طلاب النور ، والمجالسة معهم من جراء المرض ولأسباب أخرى ، لذا فإنني أوكل – عوضاً عني – الدروس التي لَقّنْتها رسائلُ النور سعيداً الجديد في مدرسة القرآن ، والدروس التي تعلمها سعيدٌ القديم من الحياة الاجتماعية ، فأوكل الكلام والمحاورات في تلك الدروس لتنيب عن أخيكم هذا الضعيف المشتاق إليكم في محاوراته) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٨٢] .

ثم يشيد بأحد طلابه الذين اتخذوا بيوتهم مدارساً ، قائلاً : (أقدم تعازيّ إلى البطل " طاهري " الطالب الخاص الخالص لرسائل النور والناشر لها ،

والذي اتخذ بيته مدرسة نورية صغيرة ، لوفاة والده الذي وهبه لدائرة النور) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٨٣] .

إن مشاركة البيت في التربية والتعليم من المراحل المتقدمة للأطفال وحتى المراحل العليا أمر مهم وفعال عرف قدره المربون والمعلمون ، فوجهوا نصائحهم إلى الأسر بأن تبقى سنداً قوياً في عملية التربية والتعليم ، وألا تُلغي دورها كلياً أو تتساهل في ذلك واضعة المسؤولية على كاهل المدارس وحدها ، ولكن لا حياة لمن ينادون ، إن واقع كثير من الأسر الآن ألغت دورها التربوي تماماً من الساحة ، وكأن الأمر لا يعنيها من بعيد أو قريب مع تحميل المسؤولية الكاملة المدارس من مناهج وأقسام إدارية ومعلمين ، ولكن أنى لذلك المدرس أن يقوم بواجبه التربوي والتعليم في داخل فصل دراسي يتراوح طلابه ما بين الأربعين إلى الخمسة والأربعين ، وفي وقت محدد مدته خمس وأربعون دقيقة ، نعم ، إن المسؤولية عظيمة ، ولكن الطريق شاق ، والأعباء كثيرة ، والمتعاونون قلة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٤- الإيمان هو السبيل لإصلاح الأسرة وسعادتها : الأسرة التي يرى النورسي أهمية مشاركتها في التربية والتعليم هي الأسرة المسلمة التي نور الإيمان أركان بيتها ، حيث قال : (إن بيت كل إنسان هو دنياه الصغيرة ، بل جنته المصغرة ، فإن لم يكن الإيمان بالآخرة حاكماً ومهيمناً في سعادة هذا البيت لوجد كل فرد من أفراد تلك العائلة اضطراباً أليماً وعذاباً شديداً في علاقة بعضهم ببعض حسب درجات رأفته ومحبته لهم ، فتتحول تلك الجنة إلى جحيم لا يطاق) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨٢] ، وهو يشير هنا إلى فقدان الأسرة لركائز الإصلاح والتوجيه ، فكيف تتم التربية والتعليم لأسرة لا سعادة فيها ولا قيم ولا أخلاق ، ولذلك أشار إلى أن الأسرة متى تمتلك عوامل الإصلاح فإنها تسعد ، لأن الأخلاق فيها تتعالى وتسمو ، فقال : (ولكن ما أن يحل الإيمان بالآخرة في ذلك البيت حتى ينور أرجاءه مباشرة ويستضيء ، لأن علاقة القربى والرأفة والمحبة التي تربطهم لا تقاس عندئذٍ ضمن زمن قصير جداً ، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الأبدية ، فيقوم - عندئذٍ - كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين ، ويوليهم محبة صافية ، ويظهر رأفة صادقة ، ويبدي صداقة وفية ، صارفاً النظر عن التقصيرات ، فتتعالى الأخلاق وتسمو ،

وتبدأ السعادة الإنسانية الحقة بالتألق في ذلك البيت) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٢٨٣] .

وبهذا الإيمان وسمو الأخلاق يكون للتربية مجال ، وللقبول من المُرَبِّين في النفوس واقع ملموس بالقدوة لأفراد أسرهم ، فلا بد إذاً من أن تكون الأسرة (أسرة مسلمة ، أسرة نظيفة ، حتى ينشأ جيل مسلم يحقق في نفسه مبادئ الإسلام ، يأخذها بالقدوة المباشرة ، المنقولة عن قدوة الرسول) [قطب ، ١٤٠٣هـ ، ص ١٨٦] ، وقد قال الشاعر(١) :

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ... على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحِجا ولكن ... يعلمه التدين أقربوه
وطفل الفارسي له ولاة ... بأفعال التمجس دربوه

٢) المسجد :

كثير من المسلمين يتصور المسجد هو المكان الذي تؤدى فيه الصلاة دون غيرها من سائر الأعمال الصالحة ، وهذا فهم خاطئ يخالف ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، حيث كان المسجد في عهدهم جامعة الجامعات إلى جانب تأدية الصلوات ، فكان (هو المحور الذي دارت حوله حياة المسلمين في سلم وفي حرب ، وفي الأمور العادية للحياة وفي الأمور الطارئة ، فصار هو بمثابة المدرسة والمحكمة ، ومكان الالتقاء للتشاور في كل أمر يهم المسلمين ، وبالتالي كان تأثيره عظيماً في تسيير حياة المسلمين وتوجيهها) [مرسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٢٩٧] .

وهذه الأمة تختلف عن سائر الأمم ، حيث ميزها الله تعالى عن غيرها بخصال وردت في حديث المصطفى ﷺ « أُعطيتُ خمساً لم يُعْطَهنّ أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت ليَ الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ ، وأحلت ليَ الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأُعطيتُ الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبُعِثتُ إلى الناس عامة » [أخرجه البخاري في كتاب التيمم ، ج١ ، ص ٢٠٩] .

فمن هذه الخصال أن أي مكان أديت فيه الصلاة يسمى مسجداً حال وقوع الصلاة

---

(١) اللزوميات ، لأبي العلاء المعري ، ١٩٢٤م ، ج٢ ، ص ٤١٣ .

فيه ، وهنا إشارة إلى أن دور المساجد المقامة المعهود للاجتماع ليست للصلاة فقط ، بل لها دور آخر تقوم به ، وهذا ما فهمه جيل السلف الصالح فطبقوه في واقعهم ، وقد وافقهم النورسي في بعض الجوانب حسب قدرته وتمكنه ، لأن أغلب حياته ما بين سجن ونفي ومنع للاجتماع بأحد خارج المسجد ، فضلاً عن المسجد ، ولهذا ردّ على المنتقدين له بعدم حضوره صلاة الجمعة ، قائلاً لهم : (لقد منعوني لقاء الناس منذ عشرين سنة ، حتى أنهم أوعزوا إلى المسؤولين بعدم تقرب أحد مني) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٥٠] ، ولكن رغم هذا متى ما سنحت له الفرصة استغلها ، ومنها :

١- إقامة المساجد بنفسه وتربية طلابه داخلها : حيث أشار إلى ذلك بقوله : (لقد حدثت في الفترة الأخيرة اعتداءات شنيعة كثيرة على حقوق المؤمنين الضعفاء ، من الملحدين المتخفين وراء الستار ، وأخص بالذكر اعتداءهم عليّ تعدياً صارخاً ، باقتحامهم مسجدي الخاص الذي عمرته بنفسي ، وكنا فيه مع ثلة من رفقائي الأعزاء نؤدي العبادة ، ونرفع الأذان والإقامة سراً ، فقيل لنا : لِـمَ تقيمون الصلاة باللغة العربية وترفعون الأذان سراً) ؟. [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٥٣] .

وقد سبق القول بأن مصطفى كمال وحكومته العلمانية قد منعوا الأذان باللغة العربية ، وذلك عند الحديث عن الحالة الفكرية في الباب الأول الفصل الثالث ، ولكن النورسي وطلابه صمدوا ولَمْ يستجيبوا لذلك ، حتى وصل الأمر إلى هدم مساجدهم ، بل هناك من أفتى بجواز الصلاة بغير اللغة العربية ، فردّ عليهم النورسي ردوداً كثيرة ، منها قوله : (بأي قانون تكلفون من هو شافعي المذهب مثلي اتّباع فتوى تنافي صفاء المذهب الحنفي وسموه ، أفتى بها علماء السوء الذين باعوا ضمائرهم لمغنم دنيوي) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٥٤] ، وهذا دليل على رفض النورسي إلغاء دور المساجد التربوي ، ومنها تعليم اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم ، وقد كان أول عمل قام به الرسول ﷺ عند هجرته إلى المدينة (بناء مسجده الشريف ، وبناء حجرات نسائه بجانبه ليكون قريباً منه ، فكان ينزل عليه الوحي في المسجد أو في بيته ، وهو يتلوه على أصحابه في مسجده ، ويعلمهم معناه ، كما كان يعلم الوحي الثاني ، وهي السنة ، وكان تعليمه لهم بالقول والفعل) [قادري ، ١٤٠٧هـ ، ص ٧٣] .

٢- لجوؤه إلى المساجد عند الإحساس بالغفلة عن الطاعة : المؤمن ليس معصوماً من الأخطاء ، فالنفس الأمارة والشيطان عدوان لدودان يعملان ليلاً ونهاراً في سبيل إغواء العبد المؤمن ، وخاصة إذا كان سبيلهما عن طريق الدنيا ولذاتها وزخرفها التي قد تغري

ضعيف الإيمان للتسليم لهما والانقياد لوسوستهما ، ولا يسلم منهما إلا من عصمه الله تعالى ، ولكن إذا وقع العبد في الخطأ فعليه أن يتذكر عظمة الخالق ومراقبته له في السر والعلن ، فيسرع إلى التوبة ، كما قال ﷺ : « كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » [أخرجه أحمد في المسند ، ج٣ ، ص ١٩٨ . والترمذي في السنن ، كتاب صفة القيامة ، باب ٤٩ ، برقم ٢٤٩٩ ، ج٤ ، ص٦٥٩ ، وقال البغوي ، ١٤٠٧هـ ، : حديث حسن ، ج٢ ، ص ١٧٠ ، برقم ١٦٧٩] .

وقد امتدح الله أولئك الذين إذا عملوا الفاحشة أو ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي ، تذكروا عظمة الله ، فأسرعوا إلى الاستغفار والتوبة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْض ، أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِين ۞ الّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ ، وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِين ، وَالّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاّ الله ، وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُون ۞ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَجَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِين** ﴾ [سورة آل عمران : الآيات ١٣٣،١٣٦] ، وما هناك مكان أفضل من بيوت الله يتذكر فيها العبد ربه ويذكره ويستغفره من الذنوب والمعاصي منقطعاً عن الدنيا وملذاتها وزخرفها ، ولذلك كان النورسي عندما يحسّ ببعد عن الأعمال الصالحة وميل إلى الخمول والكسل أو الإعجاب بالنفس والدنيا ، لجأ إلى المسجد عابداً الله مستمعاً لما يتلى فيه من القرآن الكريم ، حيث أخبر بذلك في قوله : (حينما خالط بعض شعرات رأسي البياض الذي هو علامة الشيخوخة ، وكانت أهوال الحرب العالمية الأولى وما خلفه الأسر لدى الروس من آثار عميقة في حياتي عمّقت فيّ نوم الشباب ، وتلا ذلك استقبال رائع عند عودتي من الأسر إلى استانبول ، سواء من قبل الخليفة ، أو شيخ الإسلام ، أو القائد العام ، أو من قبل طلبة العلوم الشرعية ، وما قوبلت به من تكريم وحفاوة أكثر مما استحق بكثير ، كل ذلك ولد عندي حالة روحية فضلاً عن سكرة الشباب وغفلته ، وعمّقت فيّ ذلك النوم أكثر ، حتى تصورت معها أن الدنيا دائمة باقية ، ورأيت نفسي في حالة عجيبة من الالتصاق بالدنيا كأنني لا أموت ، ففي هذا الوقت ذهبت إلى جامع بايزيد في استانبول ، وذلك في شهر رمضان المبارك لأستمع للقرآن الكريم من الحفاظ المخلصين ، فاستمعت من لسان أولئك الحفاظ ما أعلنه القرآن المعجز بقوة وشدة خطابه السماوي الرفيع في موت الإنسان وزواله ، ووفاة ذوي الحياة وموتهم ، وذلك بنصّ الآية الكريمة :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾(1) ، نفذ هذا الإعلان الداوي إلى صماخ أذني مخترقاً وممزقاً النوم والغفلة والسكرة الكثيفة الغليظة ، حتى استقرّ في أعماق قلبي) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٣٥٤-٣٥٥] .

إنه درس القرآن الكريم في شهر القرآن في بيت الله ، كلها مذكرة وواعظة ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد ﴾ [سورة ق : آية ٣٧] .

٣- إلقاءه الخطب والمواعظ والدروس في المساجد : لقد شعر النورسي بأهمية تجمع الناس في يوم الجمعة في الجوامع المعدّة لذلك ، فرأى أن يستغلّ هذه الفرص ، فكلما أتيحت له فرصة ، خطب ووعظ وعلم ، ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

أ – خطبه داخل مساجد تركيا ، حيث أشار في دفاعاته عند اتهامه بأنه خطير على الأمن ، وأنه يزاول السياسة ، فقال متسائلاً : (وهل يعقل ، وهل من الممكن أن يقوم مثل هذا الشخص الذي نال توجه الناس إليه أكثر مما يستحقّ ، والذي حمل الألوف على الطاعة والانقياد بخطبة واحدة ، وجعل الألوف من الناس ينضمون إلى جمعية الاتحاد المحمدي بمقالة واحدة ، واستمع إلى خطبته خمسون ألف شخص في جامع أياصوفيا بكل تقدير ، هل يعقل وهل يمكن أن يقوم مثل هذا الشخص بعمل سري طوال ثلاث سنوات في مدينة " أميرداغ ") [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٠٧] .

وهذا ليس من باب التفاخر وإظهار أعماله ، فهو أبعد من ذلك ، لما اتصف به من تواضع وزهد وبُعد عن المدح والثناء ، ولكن ليبين في دفاعه أنه لا يعمل في السر ، بل عمله في الظاهر ، كما هو حال الخطبة المذكورة ، وحال الحضور لها .

ب – خطبته في الجامع الأموي بدمشق ، النورسي يستغل الفرص المتاحة له وأينما حل ينفع بعلمه – بإذن الله – ، حيث ذهب لزيارة أخته في بلاد الشام وفي دمشق بالذات ، فطلب منه أهلها إلقاء خطبة في الجامع الأموي بدمشق ، فأجابهم إلى ذلك ، فخطب خطبة طويلة سميت الخطبة الشامية ، وضُمت إلى رسائله ، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، صلى على رسوله الكريم ﷺ ، ثم اعتذر إلى الحاضرين ، وأخبرهم بأنه تلميذ لهم لا معلم ، قائلاً : (أما بعد : فيا إخواني العرب ، الذين يستمعون إلى هذا الدرس في هذا الجامع الأموي ! إنني ما صعدت هذا المنبر لأرشدكم ، فهذا أمر فوق حدي ، إذ ما

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٨٥ .

مثلي معكم إلا كمثل صبي يذهب إلى المدرسة في الصباح ، ثم يعود ليعرض ما تعلمه على أبيه في المساء ليتأكد من صحة ما تعلمه ، هذا هو شأننا وشأن سائر طوائف الإسلام معكم أنتم معشر العرب ، فنحن تلامذة بالنسبة إليكم ، أما أنتم فأساتذة لنا ومعلمون ، منكم تعلمنا الدرس ، وهأنذا أعرض بعض ما تعلمته على أساتذتي) [النورسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٢٩-٣٠] .

ثم يوضح في خطبته تلك أسباب تأخر المسلمين في نظره مشخصاً لهم الداء ، وواصفاً لهم الدواء ، حيث قال : (لقد تعلمت من واقع الحياة ، ومن ممارسة الحياة الاجتماعية ، ومن الواقع الذي تعيشه البشرية في يومنا هذا[1] ، أن هناك ستة أمراض قاتلة ، جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى ، ونتيه في مسالكها المظلمة ، في الوقت الذي طار فيه الأجانب – وخاصة الأوروبيون – بخطى سريعة نحو المستقبل ، وهم يتسابقون في ميادين الرقي والتقدم العلمي ، وهذه الأمراض هي :

أولاً : اليأس والقنوط الذي ما زال يجد أسباب الحياة في نفوسنا .

ثانياً : موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية .

ثالثاً : حب العداوة .

رابعاً : تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض .

خامساً : ذيوع الاستبداد ، ذيوع الأمراض المعدية المختلفة .

سادساً : حصر الهمة في المنفعة الشخصية دون الالتفات إلى النفع العام) [النورسي ، ١٤٠٩هـ ، ص.ص٣٠-٣١] .

وقد وصف العلاج ورأى أنه في الرجوع إلى القرآن الكريم ، فقال : (ولكي نعالج هذه الأمراض الستة الفتاكة ، لا بدّ من استشارة القرآن الكريم ، الذي هو بمثابة كلية طب في حياتنا الاجتماعية ، فنأخذ من صيدلية تلك الكلية ستّ كلمات ، إذ أنني لا أعرف أسلوباً للمعالجة سواها) [النورسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣١] .

وقد لخص الباحث كلام النورسي عن علاج هذه الأمراض في النقاط التالية :

١- <u>الكلمة الأولى</u> : الأمل : وأعني به الثقة في الرحمة الإلهية والاعتماد عليها إلى أقصى حدّ .

---

(١) كانت الخطبة في عام ١٣٢٧هـ .

إن الإسلام يحمل في طياته استعداداً تاماً للرقي والتقدم معنى ومادة ، وإن التاريخ يشهد على أن السر في قوة المسلمين ورقيهم وتقدمهم يكمن في تمسكهم بدينهم ، وأنه بقدر تمسكهم بدينهم والالتفات حول مبادئه يزدادون رقياً وتقدماً ، وبقدر ضعف تمسكهم بدينهم وابتعادهم عن مبادئه ، يصابون بالتخلف والتوحش والكوارث المختلفة ، ويقعون في الهرج والمرج ، ويغلبون على أمرهم .

٢- الكلمة الثانية : عدم القنوط من رحمة الله : إن اليأس هو الذي قتل فينا الخصال الحميدة ، وصرف أنظارنا عن النفع العام وحصرها في المنافع الشخصية ، وهذا اليأس هو الذي أمات فينا الروح المعنوية ، لقد استطاع المسلمون بفضل روحهم المعنوية النابعة عن الإيمان أن يبسطوا سلطانهم على مشارق الأرض ومغاربها بقوة ضئيلة جداً ، وما أن ماتت فينا تلك القوة الخارقة باليأس ، حتى تمكن الأجانب منذ أربعة قرون أن يبسطوا نفوذهم على ثلاثمائة مليون مسلم .

وما دام هذا الداء كامناً فينا إلى هذه الدرجة ، ويفتك بنا كل هذا الفتك ، فإننا عازمون على الاقتصاص من ذلك القاتل بسيف " **لاَ تَقْنَطُواْ مِنْ رَحْمَةِ الله** " . [سورة الزمر : آية ٥٣] .

٣- الكلمة الثالثة : الصدق أس أساس الإسلام : إن الصدق هو عقدة الحياة في حياة المسلمين الاجتماعية ، أما الرياء فهو نوع من الكذب الفعلي ، وأما المداهنة أو التصنع فهي كذب دنيء مرذول ، وأما النفاق فهو كذب ضارّ جداً ، إن الكفر بأنواعه كذب ، أما الإيمان فهو صدق .

٤- الكلمة الرابعة : الودّ والمحبة هما صمام أمنٍ للحياة البشرية وقائد لها إلى السعادة : وإن الإيمان الصادق سبب للمحبة الصادقة ، وإن الودّ والمحبة والأخوة هي من طباع الإسلام .

٥- الكلمة الخامسة : الأخوة الإسلامية الصادقة حجر الأساس في بناء أمتنا : لأنه بفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الأمة الإسلامية بعضها إلى بعض يصبح المسلمون في حكم العشيرة الواحدة ، وكما يرتبط أفراد العشيرة ببعضهم ، فالطوائف الإسلامية أيضاً مرتبطة مع بعضها برباط الأخوة الإسلامية .

٦- الكلمة السادسة : الشورى مفتاح سعادة المجتمع الإسلامي : ولقد

أمرنا القرآن الكريم باتخاذ الشورى في جميع أمورنا ، حيث يقول : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الشورى : آية ٣٨] ، فكما أن تلاحق الأفكار بين الجنس البشري كان نتيجة للاستشارة والاستفادة من دروس التاريخ ، وكان هو السبب لرقي البشرية والأساس المتين الذي انبنى عليه جميع العلوم ، فإن من أهم أسباب تخلف آسيا التي هي من أكبر القارات ، هو تركها الشورى الشرعية وعدم الاهتمام بها . [النورسي ، ١٤٠٩هـ ، ص.ص ٣١-٧٥ بتصرف] .

وهنا يتضح دور المسجد الحقيقي في عهد النورسي واهتمام العلماء والدعاة به ، مما أغاظ الأعداء ، فعمدوا إلى محاربته وتحجيم دوره في الأمة ، ولم يعد يأخذ دوره الريادي كما كان في عهد الرسول ﷺ ومن تبعهم من الأئمة والعلماء ، حيث (كان جامعة كبرى للتعلُّم والتعليم) [قادري ، ١٤٠٧هـ ، ص ٧٦] .

٣) المدرسة :

يأتي دور المدرسة بعد دور الأسرة والمسجد ، وربما يتزامن دورها مع دور المسجد في التربية والتعليم ، والمدرسة لا تلغي دور المؤسستين السابقتين ، بل تدعمه وتسانده ، وتعمل جميعها جنباً إلى جنب للوصول إلى هدف معين وغاية واحدة ، هما : تربية الناشئ تربية جسمية روحية من جميع جوانب الحياة ، مع تزويده بأنواع المعارف والثقافات ذات الفائدة في الدنيا والآخرة ، ولم يكن للمدرسة في عهد الرسول ﷺ وعهد خلفائه الراشدين ، ولا في عهد الأمويين أو العباسيين الدور التربوي ، كما هو الحال الآن ، مع العلم أنهم قد اعتنوا (بتدريس علوم الدين ، كالقرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والتفسير ، وعلوم اللسان ، كاللغة العربية وفنونها ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والكيمياء ، والفيزياء ، والطب ، والهندسة ، وعلم الفلك ، وعلم اللغات ، والاجتماع ، والرياضيات ، وغيرها) [القزاز وزميله ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٥] .

ولكن أين كانت تدرس تلك العلوم ؟. إنها في المؤسسات الموجودة في ذلك الوقت ، مثل : (المساجد ، والكتاتيب ، وحوانيت الوراقين ، والصالونات الأدبية ، ومنازل العلماء ، ومجالس الخلفاء وقصورهم ، بالإضافة إلى المدارس التي أنشئت ، وهي قلة ، كالمدرسة النظامية ببغداد عام ٤٥٧هـ ، والمدرسة المستنصرية ببغداد أيضاً عام ٢٣٤هـ ، والمدرسة الصادرية بدمشق عام ٣٩١هـ ، والمدارس النورانية بدمشق ، والمدرسة

الناصرية بمصر ، وكانت هناك المكتبات وخِزانات الكتب) [القزاز وزميله ، ١٤١٦هـ ، ص ٦٥ ، بتصرف] .

ويلاحظ أن إنشاء المدارس كان متأخراً ، فلم يكن في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد خلفائه الأربعة ، وكذلك في أول عهد بني أمية ، ولكن مع كثرة انتشار العلوم وتعدد الفنون ، وكثرة انشغال الأسر بالأعمال ، أصبحت المدرسة ضرورة ملحّة ، حيث أصبحت (هي المؤسسة الاجتماعية المتخصصة التي عهِد إليها المجتمع بتربية وتنشئة الأجيال الصاعدة من أبناء الأمة مشتركة بذلك مع المؤسسة الاجتماعية الأولى التي وضعت البذور الأساسية للتنشئة الاجتماعية ، ونعني بها الأسرة) [مرسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٢٧٨] .

وقد اهتم النورسي بالمدرسة في أول حياته ، أي في أواخر الخلافة العثمانية ، واستمر اهتمامه بها إلى ما بعد إسقاط الخلافة ، وذلك حسب الظروف والأحوال ، وقد لخص الباحث جوانب ذلك الاهتمام في العناصر التالية :

أ – **الاهتمام بتأسيس المدارس** : لقد اهتم النورسي بإنشاء المدارس في عهد الدولة العثمانية وبعدها ، مع أن حياته العلمية لم تكن في مدارس نظامية ، بل كانت عن طريق المشايخ في المساجد والكتاتيب المنتشرة بكثرة ، ولكنه (سعى طوال حياته لإقامة مدرسة الزهراء التي تُدمج فيها الدراسة الدينية والعلمية معاً حتى وضع حجرها الأساس سنة ١٩١١م قرب بحيرة " وان " ، إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون إتمام المشروع) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٩٤] ، وكأنه يريد أن يغير المفهوم الخاطئ الذي انطبع في أذهان كثير من الناس أن الدين شيء ، والعلوم ذات الطابع العلمي شيء آخر ، وكأنه لم يكن للمسلمين الأوائل جهود حولها ، فإنشاء مدرسة باسم المدرسة الزهراء تضم علوم الدين والعلوم الأخر تقضي على هذا المفهوم وتظهر حقيقة الإسلام الشامل الكامل الذي يسعى لسعادة الدارين ، وأنه لا يعارض كل مفيد من علوم الآخرين ، بل يدعو إلى الأخذ من الجديد المفيد ، مع التمسك بالأصل السليم ، وقد سبق القول في هذا الفصل عند الحديث عن المساجد في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ، أنها كانت مؤسسة تربوية علمية تجمع بين العبادة وتدريس مثل الطب ، والهندسة ، والكيمياء ، والفيزياء ، وغيرها ، والعود أحمد .

ب – الجمع بين مسمى مدرسة الزهراء والمدرسة النورية لمجموعات طلاب رسائل النور : بعد أن حالت ظروف الحرب العالمية الأولى دون قيام مدرسة الزهراء ،

أخذ النورسي يطلق اسم مدرسة الزهراء على طلاب النور ، حيث (كان يعد طلاب النور طلاب مدرسة الزهراء) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٩٤] ، وما ذلك إلا محبة منه لتلك المدرسة التي شغلت فكره بعد أن أغلقت ، حيث يقول : (أنه بوفاة مدرسة " خورخور " التي هي تحت قلعة " وان " ، والتي هي مدرسة ابتدائية لمدرسة الزهراء ، وغلق المدارس الشرعية في الأناضول كافة ، الدال على وفاتها ، توفت جميع المدارس) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٨٤] .

ثم يطلق مرة أخرى على طلاب النور مسمى المدارس النورية نسبة إلى رسائل النور التي تتلمذوا عليها وجعلوها منهجاً لدراستهم ، فيقول : (إخوتي الأعزاء الأوفياء ، ويا طلاب النور لمدرسة الزهراء المعنوية ! عندما قدمت إلى " أسبارطة " طرق سمعي أنه ستفتح مدرسة الوعظ والخطابة والإمامة فيها ، فخطر على القلب فتح مدرسة نورية في الأماكن المجاورة من تلك المدرسة ، وذلك لجعلها نوعاً من مدرسة نورية ، إذ أن معظم الذين سيسجلون فيها هم من طلاب النور) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٨١] .

وفي هذا إشارة إلى وجود المدارس في عهد الدولة العثمانية ، ولكنها ليست المدارس العامة التي تجمع بين علوم الشريعة وغيرها من العلوم النافعة كما يريدها النورسي ، ويقول في حديث آخر يوضح فيه المسمى المذكور ، (بينما كان اليأس يحيط بي من كل جانب ، إذ بالعناية الإلهية تغيث شيخوختي ، إذ أصبح أفراد الشرطة المسؤولون في ذلك المخفر بمثابة أصدقاء أوفياء حتى كانوا يخرجونني متى شئت للاستجمام والتجوال في سياحة حول المدينة ، وقاموا بخدمتي كأي خادم خاص ، فضلاً عن أنهم لم يصروا عليّ بلبس القبعة مطلقاً ، ثم دخلت المدرسة النورية التي كانت مقابل ذلك المخفر في " قسطموني " ، وبدأت بتأليف الرسائل ، وبدأ كل من " فيضي ، وأمين ، وحلمي ، وصادق ، ونظيف ، وصلاح الدين " وأمثالهم من أبطال النور يداومون في تلك المدرسة لأجل نشر الرسائل وتكثيرها ، وأبدوا في مذاكرتهم العلمية القيمة التي أمضوها هناك جدارة تفوق ما كنت قضيتها أيام شبابي مع طلابي السابقين) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٠٣] .

جـ – اهتمامه بإنشاء جامعة إسلامية تشبه الجامع الأزهر : النورسي يعتبر العالم الإسلامي مجتمعاً واحداً دون تفريق بين عربي أو أعجمي ما دام الإسلام هو الرابطة الموحدة لذلك ، ومن هنا اهتم بالتعليم الابتدائي الذي يخدم أبناء بلده تركيا ، ولكن طموحه الإسلامي البعيد جعله يهتم بما هو أعلى من ذلك ، إنه التعليم الجامعي الذي يخدم أبناء تركيا والعالم الإسلامي ، وخاصة المسلمين في قارة آسيا ، لأن الجامع الأزهر

الذي أشاد به النورسي بقوله : (ومن نوع بركة الجامع الأزهر الذي هو مدرسة العالم الإسلامي عامة) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٥٦] ، قد خدم المسلمين في قارة أفريقيا ، حيث (أنه مدرسة عامة في قارة أفريقيا) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٤١٧] .

وقد اهتم بذلك الأمر منذ عهد السلطان عبد الحميد رحمه الله تعالى ، حيث قدم إليه عريضة (يطلب فيها فتح المدارس التي تعلم العلوم الرياضية ، والفيزياء ، والكيمياء ... إلخ ، بجانب المدارس الدينية في شرق الأناضول ، حيث يخيم الجهل والفقر على سكانه) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٢٧] .

ولذلك أشار أحد طلابه بقوله : (لقد بذل أستاذنا المحترم منذ خمس وخمسين سنة جهوده وبهمّة فائقة متوسلاً بوسائل شتى لإنشاء جامعة إسلامية باسم مدرسة الزهراء في شرقي الأناضول على غرار الجامع الأزهر) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٩٥] .

ولكن ما الدوافع والأسباب التي جعلت النورسي يطالب بإقامة هذه الجامعة طوال هذه المدة ؟. إنها دوافع عدة ذكرها النورسي في رسائله ، ولخصها الباحث في النقاط التالية :

أولاً : الإحساس بالخطر الداهم على دين الأمة : حيث أنه (قبل خمسة وستين عاماً أخبرني والٍ من الولاة أنه قرأ في الصحف بأن وزير[1] المستعمرات البريطاني خطب وبيده نسخة من المصحف الشريف ، قائلاً : (إننا لا نستطيع أن نحكم المسلمين ما دام هذا الكتاب بيدهم ، فلا مناص من أن نزيله من الوجود ، أو نقطع صلة المسلمين به) ، وهكذا دأبت المنظمات المفسدة الرهيبة على تحقيق هاتين الخطتين ، إسقاط شأن القرآن الكريم من أعين الناس ، وفصلهم عنه ، فسعوا في هذا المضمار سعياً حثيثاً إضراراً لهذه الأمة المنكوبة البريئة المضحية ، وقد قررت قبل خمس وستين سنة أن أجابه هذه المؤامرات الخطرة مستمداً القوة من القرآن العظيم ، فألهمني قلبي طريقاً قصيراً إلى الحقيقة ، هو إنشاء جامعة ضخمة ، فمنذئذٍ نسعى لإنقاذ آخرتنا ، وإحدى ثماراته في الدنيا إنقاذ الاستبداد المطلق ، والنجاة من مهالك الضلالة ، وإنماء علاقات الأخوة بين الأقوام الإسلامية) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٤١٦] .

وهذا هو واجب كل غيور على الإسلام والمسلمين ، فكيف إذا كانت المؤامرة على

---

(١) اسمه ، غلاد ستون ، ، وكان يخطب في مجلس العموم البريطاني . [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٢٥] .

كتاب الله ﷻ ، الذي في الحفاظ عليه والعمل به سر نصر المسلمين على أعدائهم ، وسر نهضتهم وتقدمهم ، وفوزهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ، كما شهد به هذا العدو اللدود ، والحق ما شهدت به الأعداء .

ثانياً : توفر المناهج الصالحة : ويقصد بها رسائل النور التي مصدرها كتاب الله وسنة رسوله ، حيث أنها (تقوي وشائج الأخوة الإيمانية بتقوية الإيمان ، والدليل على ذلك تأليفها في وقت الظلم والقسوة الشديدة ، وتأثيرها البالغ في أنحاء العالم الإسلامي ، وغلبتها على المخلين بالنظام والفلسفة الملحدة ، وظهورها على المفاهيم الإلحادية السارية كالفلسفة الطبيعية والمادية ، مع عدم جرحها من قبل أي محكمة أو لجنة خبراء ، هذه الرسائل تمثل نوراً من أنوار القرآن الكريم) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٤١٦] .

ثالثاً : حاجة الأمة الإسلامية إليها : الأمة الإسلامية أمة متعددة الأجناس والألوان واللغات ، وهي بحاجة إلى رابطة تجمعها عن طريق العلم ، ورأى النورسي إلى أن حاجة المسلمين في آسيا أكثر من حاجة المسلمين في قارة أفريقيا ، حيث (أن الجامع الأزهر مدرسة عامة في قارة أفريقيا ، فمن الضروري إنشاء جامعة في آسيا على غراره ، وذلك لئلا تفسد العنصريةُ الأقوامَ في البلدان العربية ، والهند ، وإيران ، والقفقاس ، وتركستان ، ولأجل إنماء الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقية الصائبة السامية الشاملة ، فتنال شرف الامتثال بالدستور القرآني ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1] ، وكذلك لتتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين ، وتتصالح الحضارة الأوروبية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة ، ولتتفق المدارس الحديثة ، وتتعاون مع المدارس الشرعية في الأناضول ، لذا بذلت جهدي لتأسيس هذه الجامعة في مركز الولايات الشرقية التي هي وسط بين الهند والبلاد العربية وإيران والقفقاس وتركستان ، وأسميتها " مدرسة الزهراء " ، فهي مدرسة حديثة ، ومدرسة شرعية في الوقت نفسه) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٤١٧] .

رابعاً : وجود الدعم السياسي والمالي : بما أن المطالبة لإنشاء هذه الجامعة بدأت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله ، إلا (أن السلطان رشاد رحمه الله هو أول من قدر أهمية إنشاء هذه الجامعة ، فخصص عشرين ألف ليرة ذهبية لإنجاز بنائها فقط ، وحينما رجعت من الأسر في الحرب العالمية الأولى وافق ثلاثة وستون ومائة نائباً – من بين مائتين – في البرلمان ، ووقعوا على تخصيص مائة وخمسين ألف ليرة – بقيمة الليرة الثمينة

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٠ .

آنئذٍ – للغرض نفسه) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٤١٧] .

٤) الإعلام :

أصبح الإعلام في هذا العصر وسيلة ضرورية لكل مجتمع ، وقد تطورت أجهزته المختلفة ، حتى أصبح (لغة وسلطة العصر الراهن) [الطويرقي ، ١٤١٤هـ ، ص ٩٠] .

والنورسي رحمه الله تعالى عاصر بدايات الإعلام المتمثلة في أجهزة الراديو والصحافة ، وإن كان لم يستخدم هذه الوسيلة في تربيته لطلابه ، إلا أنه كان يستمع إلى الراديو " المذياع " ، ولذلك اعتبره النورسي وسيلة مهمة من وسائل التربية والتعليم إذا أريد له ذلك ، وكانت له الآراء التالية حول الراديو :

أ – أنه مدرسة تبث العلم والمعرفة : حيث أن جهاز الراديو (جعل الهواء المحيط بالكرة الأرضية ميدان محاضرة ، وحول سطح الأرض إلى مدرسة وملتقى دروس المعرفة والعرفان ، ويتضمن نعماً لا حدّ لها ، ينبغي الشكر غير المحدود عليها) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٥٥] ، فاعتبره النورسي وسيلة تبث المحاضرات والدروس العلمية التي يتربى عليها أفراد الأمة ، وخاصة أولئك الذين لم تمكنهم ظروفهم من الانتظام في المدرسة المؤسسة الأم في التربية والتعليم ، (فالراديو قد ربط بين الشعوب المختلفة في نقله للأخبار ، وتوصيله للمعلومات ، ونشره للمعرفة والآراء المختلفة التي تجود بها قرائح الكتّاب والمفكرين) [مرسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣٠٨] .

ولكن متى يكون مدرسة تربوية علمية ؟. إذا كان جانب الخير فيه متغلباً على جانب الشر ، لأن الإعلام سلاح ذو حدين ، حيث قال النورسي : (تأملت في هذا الراديو الصغير الذي أمامي ، وقد أتوا به إلى غرفتي لأستمع إلى القرآن الكريم ، فإذا هو ماكنة صغيرة ضمن صندوق صغير ، فرأيت أن هناك حصة واحدة فقط للكلام الطيب من بين عشر حصص للهو والترفيه ، فعلمت أن هذا خطأ يرتكبه الإنسان ، وسيصلح بإذن الله خطأه هذا ويقومه في المستقبل ، فيجعل الراديو مدرسة إيمانية ، وذلك بجعله حصة الكلام الطيب أربعة أخماس جميع الحصص ، شكراً عاماً تجاه نعمة الراديو هذه ، وتوجيه تلك النعمة لصالح حياة الإنسان الخالدة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٥٠] .

ب – الإعلام نعمة للإنسان أو نقمة عليه : صلاح الإعلام من فساده يكون على حسب ما يبث فيه من برامج موجهة ، وكذلك على حسب أهداف ومقاصد القائمين

عليه ، حيث (أن مقالاً واحداً ، أو قصة واحدة لكاتب غير ملتزم قد تقضي على كثير من نصائح الوالدين ، وعلى عمل كثير من المدرسين والموجهين ، ومن هنا فالوسيلة مرتبطة بمن يستخدمونها ، وهل يحسنون هذا الاستخدام أم يسيئونه ، وهل يسخرونها لخدمة قيم مجتمعهم والحفاظ على تقاليده ، أم أنهم يجعلونها خادمة للشيطان ، تؤجج شهوات الشباب ، وتسيء إلى أخلاقياته وقيمه العليا ومثله) [مرسي ، ١٤٠٩هـ ، ص.ص ٣٠٩-٣١٠] ، فلا شك أن وجود الراديو نعمة إذا جعلت (قبل كل شيء وسيلة لنقل الكلمات الطيبة ، من قرآن كريم وحقائقه أولاً ، ومن دروس الإيمان والأخلاق الفاضلة ، والكلام النافع الضروري للحياة البشرية) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٤٩] .

وكأن النورسي هنا يحدد البرامج المفيدة للأمة في حياتها الدنيا والآخرة ، فلا بد من شمولية الحياتين ، وهذه شمولية التربية الإسلامية النابعة من شمولية القرآن الكريم وسنّة المصطفى ﷺ ، وهذه نعمة يجب أن تقابَل بالشكر ، فلا يستعمل إلا فيما يرضي الله ورسوله ، ويفيد الأمة في عاجلها وآجلها ، فإن لم يكن شكر هذه النعمة كذلك (فستصبح تلك النعمة نقمة للبشرية ، إذ كما أن الإنسان محتاج إلى استماع الحقائق فهو محتاج أيضاً إلى شيء من اللهو والترفيه ، ولكن يجب أن تكون حصة هذا الترفيه المفرح الخمس مما ينقله الهواء ، وبخلافه تقع منافاة لسرّ حكمة الهواء ، حيث يؤدي إلى دفع الإنسان إلى أحضان الكسل وحب الراحة والخمول والسفه ، ويسوقه إلى عدم إتمامه وظائف ضرورية له ، وتركها ناقصة غير كاملة ، وعندها ينقلب ما كان نعمة عظمى إلى نقمة عظمى ، بما تُبط من شوق الإنسان نحو العمل الضروري له) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ٣٤٩-٣٥٠] .

ومن هنا يتضح اهتمام النورسي بهذه المؤسسة التربوية المهمة في وقته ، فكيف لو استخدمت الآن بكل وسائلها المتعددة في خدمة التربية والتعليم ، وخاصة أنها تعدّ (في العصر الحديث من أهم الوسائط التربوية التي تعبّر عن التربية غير المقصودة " غير المدرسية " في المجتمع ، حيث تقدم برامج مختلفة وثقافات متنوعة من خلال وسائلها المسموعة ، كالإذاعة ، وأشرطة التسجيل الصوتية والمرئية المسموعة كالتلفزيون وأشرطة الفيديو ، والمقروءة كالصحف والمجلات والمطبوعات المختلفة) [القزاز وزميله ، ١٤١٦هـ ، ص ٨٤] .

فالإعلام إذا مؤسسة تربوية ، ولكن ما نوع هذه التربية ، وما مدى فائدتها أو ضررها ؟. إن الأمر يحتاج إلى بحث ميداني بين أفراد المجتمع يقوم به أحد الباحثين ، وإنما

الذي يهم الباحث هنا هو رأي النورسي في هذه الوسيلة ، وهل تصلح أن تشارك المؤسسات التربوية الأخرى ؟. وقد عُرِف رأيه في ذلك .

٥) السجون :

اهتم النورسي رحمه الله بالتربية داخل السجون ، جاعلاً يوسف عليه السلام قدوة المسجونين الذين حولوا سجونهم إلى مدارس تربوية آتت ثمارها اليانعة ، وقد خاض غمار تلك التربية بنفسه في جميع السجون التي دخلها ، مما جعله يؤلف رسالة أسماها " رسالة الثمرة " ، وهي ضمن رسائل مجلد الشعاعات - ١٤١٤هـ ، ابتدأ هذه الرسالة بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [سورة يوسف : آية ٤٢] ، ثم قال : (نفهم من أسرار هذه الآية الكريمة أن يوسف عليه السلام هو قدوة المسجونين ورائدهم ، فيصبح السجن إذاً نوعاً من " مدرسة يوسفية ") [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٢٤١] .

وقد أحسن القدوة ، وأصاب الطريق الصحيح ، حيث أن يوسف عليه السلام (قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث ، وحسن السمت ، وكثرة العبادة - صلوات الله عليه وسلامه - ، ومعرفة التعبير ، والإحسان إلى أهل السجن ، وعيادة مرضاهم ، والقيام بحقوقه) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٤ ، ص.ص ٢٥-٢٦] ، ولذلك كانت آراء النورسي حول السجون تتلخص في العناصر التالية :

أ - نوعية المناهج : ذكر النورسي رحمه الله أثناء حديثه عن أهمية تحويل السجون إلى مدارس إرشادية ما يجب أن تقوم عليه مناهج تلك المدارس ، (إن عدداً من طلاب النور قد دخلوا هذه المدرسة مرتين ، لذا ينبغي لهم أن يتدارسوا ويدرّسوا قسماً من خلاصة المسائل الإيمانية التي أثبتتها رسائل النور ولها مساس بالسجن ، للاسترشاد بها ولتقويم الأخلاق والسلوك في هذه المدرسة المفتوحة لتلقي التربية) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٤١] .

وتثبيت الإيمان في النفوس أول ما بدأ به يوسف عليه السلام في السجن ، وكانت فرصة له (ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة ، فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة) [قطب ، ١٤٠٢هـ ، ج٤ ، ص ١٩٨٨] ، ونهج النورسي نهج يوسف عليه السلام ، حيث وجّه المسجونين قائلاً : (فعلينا إذاً التمسك بالإيمان والصراط

المستقيم السهل النافع السليم لدنيانا ومستقبلنا وآخرتنا وبلادنا وأمتنا ، وذلك بأن لا نقتل أوقاتنا فيما لا يعني من ترهات الخيال وسفاسف الآمال ، بل نحييها بتلاوة ما نعلمه من سور القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار ، وبتعلم معانيها من إخواننا العاملين بها ، وبقضاء ما فاتنا من الصلوات المكتوبة ، وبكسب الأخلاق الحميدة من بعضنا لبعض ، لعل الله سبحانه أن يجعلنا ممن يغرسون في هذا السجن الغراس ، ويخرج منه أشجار مثمرة نافعة ، ونسعى جاهدين ليكون مسؤولو السجن أساتذة مرشدين يهيئون في هذه المدرسة اليوسفية رجالاً إلى الجنة ، ومشرفين طيبين يتولون حسن توجيههم ، وليسوا زبانية عذاب على جناة قتلة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٥١] .

ويقول في موضع آخر : (يا زملاء الدراسة في هذه المدرسة اليوسفية ! إن السبيل للنجاة من السجن الأبدي المرعب (جهنم) إنما هي في اغتنامنا فرصة بقائنا في السجن الدنيوي ، هذا الذي قصّر أيدينا عن كثير من الآثام ، فأنقذنا منها ، فما علينا إذن إلا الاستغفار والتوبة عما اقترفناه من ذنوب سابقة ، مع أداء للفرائض ، كي نحول كل ساعة من ساعات هذا السجن بحكم يوم من العبادة ، فهي أفضل فرصة لنا للنجاة من السجن الأبدي ولدخولنا الجنة النورانية ، فلئن فاتتنا هذه الفرصة فسنغرق آخرتنا بالعبرات ، كما هو حال دنيانا ، ويحق علينا قوله تعالى : ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ﴾[1] [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٩٠] .

وأهم عناصر هذا المنهج يتمثل في تثبيت العقيدة الصحيحة ، ثم في حفظ كتاب الله ﷻ ، ثم في تفسير آياته ومعرفة معانيها ، ثم في العبادة المتمثلة في المحافظة عليها مع قضاء فوائتها ، ثم الاستغفار والتوبة ، ثم في التربية الأخلاقية لكل نزلاء السجن ، وإذا طبق هذا المنهج بين النزلاء فإن ثمراته تنتقل إلى المسؤولين على السجون بالقدوة عملاً وقولاً ، مما يجعلهم حريصين على تطبيق ذلك في أنفسهم ، وعلى نزلائهم .

ب – ثمرات تطبيق المنهج الإصلاحي للسجون : يرى النورسي رحمه الله أن هذا المنهج إذا طبق فإنه سيثمر ثماراً يانعة ، من أهمها :

– **تعليم الأدب والأخلاق** : قد يكون بعض نزلاء السجن بعيدين عن معرفة الآداب والأخلاق ، وما أن يُستصلحوا بمنهاجها التي تقوّم المعوج من أخلاقهم ، إلا

(١) كامل الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [سورة الحج : آية ١١] .

ويتحول (السجن إلى مدرسة تربوية لتقويم الأخلاق ، فيشاهد مسؤولو السجن ومن يتولون أمره أن من ظنوهم مجرمين قتلة ، وحسبوهم سفهاء مخلين بالنظام ، قد أصبحوا طلاب مدرسة تربوية مباركة يتعلمون فيها الأدب الجميل ، والخلق القويم ، وغدوا أعضاء نافعين للبلاد والعباد) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٤٦] .

– أنه فرصة لكثير من المسجونين في إعلان التوبة والإقلاع عن الذنوب التي اقترفوها : وسجن دينزلي (مثال واضح ، ونموذج جيد لهذا الكلام ، فما أن دخل طلاب النور ورسالة الثمرة التي كُتِبَت للمسجونين حتى تاب أكثر من مائتي سجين ، وتحلوا بالطاعة والصلاح ، وذلك في غضون ثلاثة أشهر أو تزيد) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٤٠٠-٤٠١] .

– أنه فرصة لمضاعفة العبادة وإعلان التوبة والبعد عن الذنوب : فمن تربى على المنهج الصحيح لهذه المدرسة اليوسفية يمكنه (أن يكْسَب ثواب عبادة عشرة أيام لكل يوم من أيام العمر التي تمضي في السجن ، ويحول ساعاته الفانية – من حيث النتيجة – إلى ساعات باقية خالدة ، بل يمكن أن يكون قضاء بضع سنين في السجن وسيلة نجاة من سجن أبدي لملايين السنين ، وهذا الربح العظيم مشروط لأهل الإيمان بأداء الفرائض والتوبة إلى الله من الذنوب والمعاصي التي دفعته إلى السجن ، والتوجه إليه تعالى بالشكر صابراً محتسباً ، علماً أن السجن نفسه يحول بينه وبين كثير من الذنوب) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ١٦٧] .

جـ – السجون مدارس تربوية : حيث يذكر النورسي رحمه الله تعالى أن أحد السجون (ما كان إلا واحداً أو اثنين من كل عشرين أو ثلاثين مسجوناً يؤدون صلاتهم ويوفون حقها من تعديل الأركان ، ولكن ما أن دخل أربعون أو خمسون طالباً من طلاب النور ، وكلهم يؤدون صلاتهم أداءً تاماً دون استثناء إلا كان لهم درساً بليغاً وإرشاداً فعلياً بلسان الحال ، فما دام دخول السجن هو لأجل التربية ، فإن كانوا يحبون الأمة حقاً فليسمحوا بلقاء المسجونين مع طلاب النور ، كي يحصلوا في شهر واحد – بل في يوم واحد – على التربية المرجوة حصولها في أكثر من سنة ، وليصبح أولئك المسجونون أفراداً نافعين للبلاد والعباد ، وينقذوا مستقبلهم وآخرتهم) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٦١] .

هذا هو حال السجون في عهد النورسي ، وهذا ما دعا إليه ، فما حالها الآن في

عالمنا المعاصر ؟. سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

٦) المجتمع :

إن المجتمع بمفهومه العام والخاص يتكون أساساً من مؤسسات متعددة أهمها تلك التي سبق الحديث عنها : الأسرة ، والمسجد ، والمدرسة ، والإعلام ، والسجون ، وغيرها ، وصلاح هذه المؤسسات صلاح لأفراد المجتمع ، فالمجتمع الصغير كمجتمع المدينة والقرية مثلاً ، يتكون من أسر متعددة لها مؤسسات مختلفة ، ثم تؤلف هذه المجتمعات الصغيرة المجتمع الكبير ، كالمجتمع الإسلامي مثلاً ، فالمجتمع الكبير إذاً يتألف من أعضاء ، صلاحها صلاح لذلك المجتمع ، وفسادها فساد لذلك المجتمع ، وما أروع قول المصطفى ﷺ : « المسلمون كرجل واحد ، إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، ج٤ ، ص ١٥٨٧ ، برقم ٢٥٨٦] .

وهذا ما فهمه النورسي عندما شبه (المجتمع الإسلامي بالجيش العظيم ، فقد قُسّم إلى قبائل وطوائف ، مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة ، إذ خالقهم واحد ، ورازقهم واحد ، ورسولهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وكتابهم واحد ، ووطنهم واحد ، وهكذا إلى الألوف من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة ، بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل - كما تعلنه الآية الكريمة - ما هو إلا للتعارف والتعاون ، لا للتناكر والتخاصم) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٤١٣-٤١٤] .

والتربية على اختلاف أشكالها (تعكس صور المجتمع الذي توجد فيه ، بقوته ، أو بضعفه ، بتقدمه ، أو بتخلفه ، بطموحات أفراده ، أو بكسلهم ...) [مرسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٩] .

والنورسي يرى أن المجتمع مهم في توجيه أفراده إلى الخير والصلاح ، ولكن بشرط أن يسود ذلك المجتمع الإيمان ، لأن (البلاد بأكملها ما هي إلا بيت واسع جداً ، والوطن بيت عائلة الأمة ، فإذا حكم الإيمان بالآخرة هذه البيوت وسيطر ، فإن الفضائل تنكشف وتنبسط وتتوضح ، فيظهر الاحترام المتبادل ، والرحمة الجادة ، والمحبة الخالصة بلا عوض ، والمعاونة مع الخدمة الحقة بلا احتيال ، والمعاشرة والإحسان بلا رياء ، والفضيلة والتوقير بلا استكبار ، وتشيع الفضائل الأخرى جميعاً) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨٣] .

فالإيمان بالآخرة إذاً هو (أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية ، وأساس جميع كمالاته ومثله وسعادته) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ١٠٤] .

واهتمام النورسي بالمجتمع دلالة على معرفته أهمية دوره في التربية ، وخاصة في عصر النورسي الذي صاحب شدة الهجمة الشرسة على المجتمع الإسلامي من قوى الكفر والإلحاد من الشرق والغرب ، والتركيز على إفساد المجتمع بوسائل متعددة ، وبطرق مختلفة ، مع مساعدة من أبناء هذا الوطن الذين خانوا الله ورسوله وأمتهم ، وباعوا آخرتهم بدنياهم ، فساعدوا الأعداء على تسهيل الطريق لإضلال الأمة وإفساد عقيدتها ، وخاصة بعد غياب الخلافة العثمانية التي كانت سنداً قوياً لشعوب العالم الإسلامي في عهد قوتها ومنعتها ، فلما ضعفت ، استغل الأعداء الفرصة ، فهجموا هجمتهم العسكرية - باستعمار كثير من أقطار العالم الإسلامي - ، والفكرية - وهي أشد خطراً - ، فنشروا كفرهم وإلحادهم وفسقهم بين المجتمعات الإسلامية .

هذه بعض آراء النورسي - رحمه الله - في هذه المؤسسات التربوية المهمة التي هي جزء كبير في كيان المجتمع الإسلامي .

الفصل الرابع
أساليب التربية والتعليم عند النورسي

تمهيد :

الأساليب التربوية والتعليمية تختلف من مربٍّ لآخر ، وطرق إيصال المعلومات تختلف حسب الأشخاص وحسب المادة العلمية ، فما يصلح لمادة قد لا يصلح لمادة أخرى ، بل إن معلّمين لمادة واحدة قد يختلفان في طريقة التدريس والتعليم ، وكذلك ظروف الزمان والمكان تتدخل في نوع الطريقة وفي نوع الأسلوب ، والنورسي رحمه الله تعالى كغيره من المربين اتّخذ عدداً من الأساليب في تربيته لطلابه وتعليمهم ، بل له أساليب مع غيرهم حسبما يقتضيه المقام ، إلا أن المربي مهما كانت طريقته ينبغي له (أن يجعل درسه مرغوباً من الطلاب من خلال طريقة التدريس التي يتبعها) [مرسي ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٧٩] .

وهذا ما سلكه النورسي مع طلابه ، ومن خلال هذا الفصل يتم التعرف على أهم الأساليب التربوية التي سلكها النورسي ، وقد تم تلخيصها في المباحث التالية :

المبحث الأول : عرضه للموضوع .

المبحث الثاني : استخدامه الوسائل المتاحة .

المبحث الثالث : اختلاف الأساليب حسب الزمان والمكان والمخاطبين .

للنورسي - رحمه الله تعالى - مع طلابه طريقة محببة إلى النفوس ، حيث يقوم بعرض الموضوع الذي يريد الحديث عنه سواء كان على هيئة درس موجّه مباشرة ، أو رسالة تعد وتوزع ، إلا أن غالب حاله لا يتغير ، وأهم جوانب هذه الطريقة ما يلي :

١- تحديد الموضوع : ويكون ذلك عن طريقه هو ، أو عن طريق طلابه أو غيرهم لمن سأل عن شيء محدد ، وجميع رسائله على هذا المنوال ، فيجعل عنواناً بارزاً للدرس أو الرسالة .

٢- يسمي الله ﷻ كما هي عادة كل مسلم عند إرادته أي عمل أو كلام ، وكما هي سنة رسول الله ﷺ ، حيث روى ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام ، وبعث بكتابه إلى دِحْيَةَ الكَلْبِيّ وأمره أن يدفعه إلى عظيم بُصرَى ليدفعه إلى قيصر ، فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلِمْ تسْلَم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين » [أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي برقم ٦ ، ج١ ، ص ٦٤] ، والبسملة (تستحب في أول كل عمل وقول ، لما جاء « كل أمرٍ لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم » [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج١ ، ص ٣٣] ، ولأن (بسم الله ، رأس كل خير ، وبدء كل أمر ذي بال ، فنحن أيضاً نستهل بها) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٦] .

٣- يذكر بعض الآيات والأحاديث التي لها تعلق بالموضوع : وقد يذكر الأحاديث بالمعنى إذا لم يكن حافظاً للنص .

٤- يوضح العلاقة بين تلك الآيات والأحاديث وبين الموضوع المراد توضيحه والحديث عنه .

٥- يهيئ عقول الطلاب بضرب الأمثال والتشبيه التي تتناسب مع الموضوع :
وهذا كثير في رسائله ، لما لمسه من فوائد تربوية لهذا الأمر ، ولا غرو في ذلك ، فإن النورسي جعل القرآن الكريم المصدر الأساس لرسائله ، وكثير من الآيات قد تضمنت أمثالاً كثيرة ، وكذلك سنة المصطفى ﷺ ، وكما قال الله تبارك وتعالى في حق محمد ﷺ :
﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ**

الله كثيرا ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٢١] ، (والأمثال القرآنية والنبوية دوافع تحرك العواطف والوجدان ، فيحرك الوجدان الإرادة ، ويدفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات ، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة) [النحلاوي ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢٥٣] .

والباحث يورد هنا شاهداً واحداً من القرآن وأخَر من السنة لتتضح أهمية ضرب الأمثال في التربية الإسلامية ، فمن القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِبَةً كَشَجَرَةٍ طَيبَةٍ أَصْلُهَا ثَابتٌ وَفَرْعُهَا فِي السّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإذْنِ رَبهَا ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنّاسِ لَعَلّهُمْ يَتَذَكَّرُون ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَار** ﴾ [سورة إبراهيم : الآيات ٢٤-٢٦] .

وهنا الآيات تدل على (أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أوليل أو نهار ، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين ، " **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ** " هذا مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات ، مشبه بشجرة الحنظل) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٤ ، ص ١٢٣] ، والكلمة الطيبة ملموس تأثيرها في النفوس وحب الناس لسماعها المستمر ، كالشجرة ذات الثمر الطيب التي يحافظ عليها ويتمنى كل إنسان بقاءها ، على العكس تماماً ، الكلمة الخبيثة التي تأبى سماعها الآذان ، وتنفر منها النفوس ، وتتمنى زوالها من المجتمعات ، كما يكره الناس الشجرة الخبيثة ذات الرائحة الخبيثة والشوك المؤذي ، فكل يحاول اجتثاثها من فوق الأرض ودفنها تحت التراب حتى لا تنتن ولا تؤذي .

ومن السنة النبوية – وهي كثيرة – ، قول المصطفى ﷺ : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء » ؟. قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » [أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تُمحى به الخطايا وتُرفع به الدرجات ، ج١ ، ص ٣٨٧ ، برقم ٦٦٧] .

فمثّل الرسول ﷺ المداومة على أداء الصلوات الخمس في اليوم والليلة وأنها تمحو الخطايا والذنوب وتغسلها ، كمن يغتسل من ماءٍ صافٍ يجري في كل يوم وليلة خمس مرات ، حيث لا يبقى من درنه عليه شيء لمداومة الاغتسال من النهر الجاري .

وقد أشار النورسي رحمه الله تعالى إلى سبب ضربه الأمثال والتشبيه في رسائله قائلاً : (إن سبب إيرادي التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو تقريب المعاني إلى الأذهان من ناحية ، وإظهار مدى معقولية الحقائق الإسلامية ومدى تناسبها ورصانتها من ناحية أخرى ، فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق التي تنتهي إليها ، والتي تدل عليها كناية ، فهي إذن ليست حكايات خيالية ، وإنما حقائق صادقة) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٤٧] .

فلا يخفى إذاً (ما لضرب الأمثال من أهمية في تقريب المفاهيم ، تبسيطها وغرسها في الذاكرة ، بحيث أن الموضوع يمكن تذكره بمجرد ذكر المثال ، وكذا صلاحيته للتفاهم مع مختلف المستويات العقلية والعلمية ، فالقرآن الكريم ، وكذلك الحديث الشريف قد ضربا أمثالاً كثيرة لتقريب الحقائق العظيمة لأفهام الإنسان وتعميقها ، وحيث أن رسائل النور تفسير للقرآن الكريم ، فإنها كذلك قد أوردت كثيراً من الأمثال ، حتى يمكن أن يعدّ ضرب الأمثال طابعها المميز ، ومن هنا كان كل هذا الإقبال من العالِم والجاهل والشاب والشيخ والرجل والمرأة على قراءتها ، والاغتراف من منهلها العذب الصافي) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص.ص ١٧٨-١٧٩] .

٦- يتم عرض الموضوع متكاملاً شرحاً مع كتابة طلابه له ، أو إملاءً على طلابه ، ويكتبون حسب موضوع الدرس أو الرسالة ، كما سبق الحديث عنه في تراثه العلمي في الفصل الثاني بالباب الأول .

٧- اختتام الموضوع : ويكون في الغالب بذكر ملخص قصير للدرس ، ثم الدعاء ، وهو ثابت في جميع الرسائل ، ورأى الباحث أن يورد مثالاً لما سنبق ذكره من عناصر عرض الموضوع ، وقد وقع الاختيار على موضوع الإخلاص ، وهو اللمعة العشرون والحادية والعشرون من كتاب [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٢٥] ، حيث وضع عنوان الدرس في وسط الصفحة ، ثم بدأ حديثه ببسم الله الرحمن الرحيم ، ثم أورد قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَق فَاعْبُد الله مُخْلِصاً لَهُ الدين ۞ أَلاَ للهِ الدينُ الخَالِص** ﴾ [سورة الزمر : الآيات ٢،٣] ، ثم أورد قول الرسول ﷺ : « هلك الناس ، إلا العالمون ، وهلك العالمون إلا العاملون ، وهلك العاملون إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم » أو كما قال ، (هذا الحديث لم يجد له الباحث أصلاً في جميع المراجع التي رجع إليها ، مع ملاحظة وجود أخطاء نحوية في الحديث ، لربما تكون من المترجم أو الطابع) ، ثم قال : (تدلنا الآية الكريمة والحديث النبوي معاً على مدى أهمية

الإخلاص في الإسلام ، ومدى عظمته أساساً تستند إليه أمور الدين ، فمن بين النكت التي لا حصر لها لمبحث " الإخلاص " نبين باختصار نقاط خمس) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٢٢٥] .

وقد تحدث عن هذا الموضوع حديثاً متكاملاً من جميع جوانبه ضمنه خمساً وعشرين صفحة من صفحات الكتاب ، وقد ضرب مثالين لإدامة الإخلاص ، أوردَ الباحث أحدهما للإيضاح ، حيث قال النورسي : (يحصل الصناعيون وأهل الحِرف على الإنتاج الوفير ، وعلى ثروة هائلة نتيجة اتّباعهم قاعدة " المشاركة في الصنعة والمهارة " ، وإليك المثال :

قام عشرة من صناعي إبر الخياطة بعملهم ، كل على انفراد ، فكانت النتيجة ثلاث إبر فقط لكل منهم في اليوم الواحد ... ثم اتفق هؤلاء الأشخاص – حسب قاعدة " توحيد المساعي وتوزيع الأعمال " – فأتى أحدهم بالحديد ، والآخر بالنار ، وقام الثالث بثقب الإبرة ، والآخر بإدخالها النار ، والآخر بدأ يحدها ... وهكذا لم يذهب وقت أحد سدى ، حيث انصرف كل منهم إلى عمل معين وأنجزه بسرعة ، لأنه عمل جزئي بسيط أولاً ، ولاكتسابه الخبرة والمهارة فيه ثانياً ، وحينما وزعوا حصيلة جهودهم رأوا أن نصيب كل منهم في يوم واحد ثلاثمائة إبرة بدلاً من ثلاث إبر ، فذهبت هذه الحادثة أنشودة يترنم بها أهل الصناعة والحِرف الذين يدعون إلى توحيد المساعي وتوزيع الأعمال .

فيا إخوتي ! ما دامت تحصل مثل هذه الفوائد العظيمة نتيجة الاتحاد والاتفاق في أمور دنيوية وفي مواد كثيفة ، فكم يكون يا ترى ثواب أعمال أخروية ونورانية ، وكم يكون الثواب المنعكس من أعمال الجماعة كلها بالفضل الإلهي ، تلك الأعمال التي لا تحتاج إلى تجزئة ولا انقسام ، فلكم أن تقدروا ذلك الربح العظيم ، فإن مثل هذا الربح العظيم لا يُفوّت بالحسد وعدم الإخلاص) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٢٤٩-٢٥٠] .

ثم يختم الموضوع بالدعاء التالي : (نسأل الله الرحمن الرحيم سبحانه أن يوفقنا إلى الإخلاص التام .. آمين ، اللهم بحق سورة الإخلاص اجعلنا من عبادك المخلِصين المخلَصين .. آمين آمين ، ﴿ **سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾[1]) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٥١] .

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٢ .

وقد يقول قائل إن خلاصة الموضوع لم تبين هنا ما ذكر في العنصر السابع لعناصر عرض الموضوع ، وقد سبق القول أن ذلك يأتي في أغلب الرسائل وليس في عمومها ، ومن أمثلة ذلك خلاصة الكلمة الثامنة من كتاب الكلمات ١٤١٢هـ ، حيث قال النورسي في ختامها : (نحصل من هذا كله ، أن كل من يجعل الحياة الفانية مبتغاه فسيكون في جهنم حقيقة ومعنى ، حتى لو كان يتقلب ظاهراً في بحبوحة النعيم ، وأن كل من كان متوجهاً إلى الحياة الباقية ويسعى لها بجدّ وإخلاص فهو فائز بسعادة الدارين وأهل لهما معاً ، حتى لو كانت دنياه سيئة ضيقة ، إلا أنه سيراها حلوة طيبة ، وسيراها قاعة انتظار لجنته فيتحملها ، ويشكر ربه فيها ، وهو يخوض غمار الصبر) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٧] .

وبهذا تتضح طريقة عرضه للموضوع في دروسه ورسائله المتعددة .

المبحث الثاني : **استخدامه الوسائل المتاحة .**

الوسائل التي يستطيع النورسي رحمه الله استخدامها في التربية والتعليم مختلفة عن الوسائل المتاحة لغيره ، نظراً لما لاقته دعوته من معارضة من الأعداء الذي تسلطوا وامتلكوا وسائل أكثر فائدة من غيرها ، ولكن استعمالهم لها كانت للوصول إلى مآربهم الخبيثة التي تبلورت في العداوة السافرة ضد الدين وأهله ، إلا أنه رغم المضايقة والسجن والإقامة الجبرية للنورسي كان موفقاً في استخدام عدد من القنوات المتاحة ، ساعدت في إيصال صوته الدعوي إلى الأفراد والمجتمعات ، ومن أهم هذه الوسائل ما يلي :

١- إلقاء الخطب والدروس في المساجد : وقد ظهر ذلك في خطبته الشامية التي ألقاها في الجامع الأموي بدمشق عند زيارته للشام ، وكانت في (شتاء سنة ١٩١١م/١٣٢٧هـ ، في جمع غفير من المصلين ، وقد طبعت هذه الخطبة في كراسة تحت عنوان " الخطبة الشامية " التي شخصَ فيها أمراض الأمة الإسلامية وعلاجاتها) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٣٦] .

وقد أشار في دفاعه عن نفسه وعن رسائل النور إلى أنه (استمع إلى خطبته خمسون ألف شخص في جامع أياصوفيا بكل تقدير ...) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٠٧] .

٢- الكتابة في الصحف : لقد استغل النورسي ما سمح له الوقت في بداية دعوته من إلقاء الخطب والمقالات في بعض الصحف التي سمحت له بذلك ، حيث (أخذ يكتب في صحيفة " وولقان " مقالات سياسية رائعة يدافع فيها عن الخلافة ويهاجم الأعداء ،

ويفضح مخططاتهم) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٠٦] .

إلا أنه منع من ذلك ، بل في عام (١٩٠٩م قُدِّمَ النورسي لمحكمة عسكرية بحجة أنه كان يهاجم جمعية الاتحاد والترقي في صحيفة " وولقان " أو " البركان ") [عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٠٣] ، وإلى جانب نشره مقالات في هذه الصحيفة (كان ينشر في جرائد أخرى عديدة أمثال جريدة (الأقداح) و (سربستي) و (الميزان) و (المصباح) ... إلخ ، وكانت مقالات بديع الزمان في جريدة " وولقان " كلها من المقالات البنّاءة التي تحض على وحدة الصف وتجنب الفرقة ، وتجنب الحركات المتطرفة) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٤٤] .

٣- المساهمة في تأسيس الجمعيات الإسلامية : وقد تمثلت في جمعيتين ، هما :

أ / جمعية الاتحاد المحمدي : حيث بدأ النورسي يشعر بأن العمل الفردي لا يجدي في التصدي للأعداء الكثيرين لما عندهم من الإمكانات الضخمة مع دعم الدول الأوروبية لهم كذلك ، (ولهذا أخذ يميل منذ عام ١٩٠٩م إلى العمل الجماعي ، فساهم في تأسيس جمعية " الاتحاد المحمدي ") [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٠٨] .

ويتضح من ذلك أنه (أراد بها التصدي لجمعية الاتحاد والترقي ، ومواجهة مؤتمرات الماسونية) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٠٦] ، وقد كان مقرها في استانبول ، وقد أُعْلِن عن تشكيلها (بعد اجتماع ديني حاشد لم ترَ استانبول مثيلاً له في جامع " آياصوفيا " ، وقد حضر بديع الزمان هذا الاجتماع يحف به جمع غفير من طلاب المدارس الدينية ، وألقى في هذا الاجتماع خطبة استمرت قرابة ساعتين ، حث فيها المجتمع على التمسك بآداب الإسلام ، كما تناول فيها جميع القضايا المهمة آنذاك ، والتي كانت تشغل الأذهان) [علي ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٤] .

ب/ جمعية الاتحاد الإسلامي : وكان طابع هذه الجمعية السرية ، وهي مؤسسة تجمع أعضاء من مختلف فئات الشعب فكرياً وسياسياً وعسكرياً وأمنياً ، وكانت بأمر من السلطان " محمد رشاد " ، وكانت (وظيفتها المحافظة على وحدة أراضي الدولة العثمانية ، ومحاربة أعدائها ، وقد انضم إلى عضويتها كثير من الكتّاب ورجال الفكر في تركيا ، وكان النورسي من أنشط أعضاء قسم " الاتحاد الإسلامي " في هذه المؤسسة) [عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٠٨] .

وقد استغل النورسي هذا الانفتاح ، فدعا إلى الاتحاد الإسلامي العام بين أفراد

ومجتمعات الأمة الإسلامية ، وذلك للوقوف صفاً واحداً في وجه أعداء الأمة الذين أخذوا يتربصون بها الدوائر ، (فالاتحاد الإسلامي إذاً هو القوة القادرة على مواجهة هذا التحدي الصارخ من أعداء المسلمين ، ونسمع هنا صيحة الشيخ مجلجلة مدوية ، إنه لا بد من الوفاق والتصالح بين أهل المدارس الفقهية والمدارس الحديثة والزوايا الصوفية لأجل وحدة الهدف) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٤١١-٤١٢] .

٤- المشاركة في إصدار الفتاوى : بما أن النورسي أصبح عضواً بارزاً في جمعية الاتحاد الإسلامي فإنه يعتبر من العلماء البارزين الذين يعود إليهم أمر فتوى الأمة ، ومن ذلك أنه عندما أحس الناس بخطر الحرب العالمية الأولى ، (قامت هيئة من علماء الدين الأعضاء في هذه المؤسسة بإصدار فتوى " الجهاد " ، وهم :

أ / شيخ الإسلام - خيري أفندي .

ب/ الشيخ السنوسي - الواعظ على الولايات الشرقية .

جـ/ حمدي يازر .

د / محمد أسعد أفندي .

هـ/ بديع الزمان سعيد النورسي .

وقام السيد محمد أسعد أفندي بكتابة نص الفتوى) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص.ص ٣٧-٣٩] .

وقد كانت الفتوى (تهيب بالمسلمين أن ينشطوا للجهاد في سبيل الله للدفاع عن الخلافة الإسلامية ، وحماية أرضها من الاحتلال ، وقد طبعت الفتوى ، ونشرت بجميع اللغات ، ووزعت في الممالك الإسلامية ، واشترك بديع الزمان في توزيع الفتوى ، فقد ذهب سراً إلى شمال أفريقيا في غواصة ألمانية ، ونزل في شمال طبرق ، وتوجه إلى طرابلس الغرب وبنغازي ، ووصل إلى جغبوب ، والتقى بالملك السنوسي ، ومشى في الصحراء الغربية ينشر الفتوى بين الناس) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٤٠٦-٤٠٧] .

وكانت الفتوى الثانية عندما (بدأت حركة المقاومة ضد الاحتلال الأجنبي في الأناضول ، فأصدر شيخ الإسلام " عبد الله أفندي " - تحت ضغط المحتلين الإنكليز - فتوى ضد هذه الحركة والقائمين بها ، ولكن سرعان ما قام ستة وسبعون مفتياً مع ستة وثلاثين عالماً وأحد عشر نائباً بإصدار فتاوى مضادة ، حيث أيدوا تلك الحركة ، وشجعوا على قتال المحتلين ، وكان بديع الزمان أحد هؤلاء العلماء ، حيث قال : (إن فتوى تصدر

عن مشيخة وإدارة هي تحت ضغط الإنكليز وإمرتهم لا بد أن تكون غير سليمة ، ولا يجوز الانصياع لها ، ذلك لأن الذين قاموا بمقاومة احتلال الأعداء لا يمكن اعتبارهم عصاة ، لذا يجب سحب هذه الفتوى) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص.ص ٥١-٥٢] .

٥- المشاركة الفعلية في المعارك ضد الأعداء : تكالبَ الأعداء على الدولة العثمانية من كل مكان ، ومع أن النورسي رحمه الله شارك في إصدار فتاوى الجهاد ضدهم مع مجموعة من العلماء والمفكرين ، إلا أنه لم يكتفِ بذلك ، بل شارك بنفسه وطلابه في المعارك ضد هؤلاء الأعداء ، وذلك على فترتين ، هما :

أ / في حرب البلقان : حيث أنه (بعد مجيء ضباط أغرار من الاتحاد والترقي الذين لا خبرة لهم في إدارة الدولة وسياستها الخارجية ، اتفقت أربع دول بلقانية - هي : بلغاريا ، الصرب ، اليونان ، الجبل الأسود - سراً ، وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية التي كانت بالنسبة لها مفاجِئة ، حيث لم تكن مستعدّة لها ، وكانت النتيجة أن خسرت الحرب أمام هذه الدول الصغيرة ، فضاعت منها أرض واسعة كثيرة) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٨٠] .

وقد (عين بديع الزمان قائداً للقوات الفدائية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرقي الأناضول) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٣٧] .

ب/ المشاركة في الجهاد ضد الروس أثناء الحرب العالمية الأولى : فعندما (هاجم جيش روسيا مدينة بتليس دافع عنها النورسي ومن معه من الفدائيين دفاعاً مجيداً ، وبذلوا كل جهدهم لرد هذا الهجوم الشرس ، ولكن النورسي جرح ، وأسره الروس ، وأرسلوه إلى معسكر للأسرى يقع شرقي روسيا ، وظل في السجن سنتين وأشهراً ، ولما قامت الثورة البلشفية فرّ من الأسر ، وذهب إلى ألمانيا ، حيث تمكن من السفر إلى استانبول) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٣٧٠-٣٧١] .

وأثناء المعارك (كان سعيد النورسي يقاتل هو وطلابه الجيش الروسي بكل ما أوتوا من جهد ، وفي هذه المعارك وفي خنادق القتال ألّف سعيد النورسي " إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز " باللغة العربية ، فكان يملي ، وتلميذه " الملا حبيب " يكتب) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص.ص ٣٩-٤٠] .

ويلاحظ مدى اهتمام النورسي بجانب التربية والتعليم حتى وهو وطلابه في خنادق

القتال ، فجمعوا بين العلم والجهاد .

٦- المشاركة الفعلية في بعض الجوانب السياسية في أول حياته : يخطئ من يظن أن النورسي اعتزل الحياة السياسية كلياً ، والمتتبع لإجاباته عن سبب تركه السياسة يجد أن السياسة التي تركها تلك التي تجعل الدين وسيلة للوصول إليها ، كما يفعله الكثير من الناس اليوم ، فإذا وصل إليها جعلها ضد الدين وأهله ، واستخدمها مطية لمنافعه الشخصية على حساب الآخرين ، متقرباً بها إلى أهل النفاق والإلحاد ، ومعادياً أهل الدين والصلاح ، فالسياسة التي اعتزلها حقيقة هي سياسة المنافع الدنيوية ، والتي وصفها بقوله : (إن السياسة الحاضرة الدائرة رحاها على المنافع وحش رهيب ، فالتودد إلى وحش جائع لا يدر عطفه ، بل يثير شهيته ، ثم يعود ويطلب منك أجرة أنيابه وأظفاره) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٥٠] .

فسياسة المنافع مرفوضة عنده ، (ومن هذا السر الدقيق لا يكون قسم من السياسيين – على الأغلب – على تقوى كاملة ، ولا يكون الذين هم على تقوى وصلاح تام سياسيين ، ما خلا الصحابة الكرام وأمثالهم من المجاهدين من السلف الصالح ، بمعنى أن الذين اتخذوا السياسة هدفاً لهم يأتي الدين لديهم في الرتبة الثانية ، ويكون حكمه حكم التابع ، أما المتدين حق التدين فيرى العبودية لله تعالى أعظم غاية في الكون ، فلا ينظر إلى السياسة نظر العاشق الولهان ، بل ينظر إليها حسب مرحلتها في المرتبة الثانية والثالثة ، ويستطيع أن يجعلها أداة طيعة للدين والحقيقة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٥٩] .

وبهذا المعنى أراد النورسي رحمه الله أن يجعل السياسة في أول حياته أداة طيعة للوصول إلى الدين والحق ، ولكن طغيان السياسة النفعية سيطر على الأفهام ، وأصبحت السياسة الحقة في وضع صعب ، مما جعله يطلق السياسة قائلاً : (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة ، ولكنه مع ذلك لم يتوقف عن نصح السياسيين ورجال الحكم) [عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٠٩] .

والنورسي رحمه الله (بدأ حياته العلمية بالعمل السياسي ، فبعد أن أعد نفسه بالعلوم والمعارف أدرك أن هناك مؤامرات تدبر في الخفاء للقضاء على الخلافة الإسلامية ، وكان يتزعم العمل ضد الخلافة جمعية الاتحاد والترقي ، وشعر الشيخ بأن من واجبه الديني الدفاع عن الخلافة ، فأخذ يكتب في صحيفة " ولقان " مقالات سياسية رائعة يدافع فيها عن الخلافة ، ويهاجم أعداءها ، ويفضح مخططاتهم ، وكما تصدى لجمعية الاتحاد والترقي

هاجم الماسونية ، ونقَدَ الحضارة الغربية ، وعارض دخول تركيا الحرب العالمية الأولى ، ولكنه لم يتخلّ عن الدفاع عنها بعد أن قررت الاشتراك فيها ، وأسهم في تأسيس جمعية " الاتحاد المحمدي " ، وكأنه أراد بها التصدي لجمعية الاتحاد والترقي ، ومواجهة مؤامرات الماسونية ، ولما شكل الخليفة مؤسسة للحفاظ على وحدة الوطن ، ومحاربة أعداء الدولة العثمانية ، انضم النورسي إلى عضويتها ، وكانت هذه المؤسسة سياسية وعسكرية وأمنية وفكرية ، وكانت سرية ، وأصدر مع عدد من كبار العلماء فتوى تهيب بالمسلمين أن ينشطوا للجهاد في سبيل الله ، للدفاع عن الخلافة الإسلامية ، ولم يكتفِ بذلك ، بل وجّه انتقادات قوية لقصر الخلافة نفسه ، وذلك عندما لمس من حاشية القصر استبداداً وظلماً ، ووجد في نظام الأمن فساداً ، ولم يكن ذلك سراً يتكلم به في جلساته الخاصة ، بل واجه به السلطان عبد الحميد نفسه عندما التقى به ليطلب فتح مدارس العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء ، لتكون إلى جنب المدارس الدينية ، وقد سبب له اشتغاله بالسياسة متاعب كثيرة ...) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٤٠٥-٤٠٧ بتصرف] .

ولكن الهدف من إيراد هذه الجوانب السياسية من حياته أنه جعلها فرصاً مناسبة للدعوة والتربية ، وجميع رسائله التي كتبها في آخر حياته تظهر عدم اعتزاله السياسة التي تكون هدفاً إلى الوصول إلى الدين ، وما سجنه ونفيه وتعذيبه إلا شاهد على ذلك .

٧- توجيه الرسائل إلى القادة والسياسيين : رأى النورسي صعوبة دعوة السياسيين والقادة ، لصعوبة حضورهم الدروس والاستماع إليها كغيرهم من أفراد الشعب ، وكان يطمع في صلاحهم كأفراد الأمة الآخرين ، فاتّبع طريقة (إرسال الرسائل إلى السياسيين وإلى رجال الحكم ينصحهم فيها باتّباع الشرع والاسترشاد بالإسلام الذي فيه الحل الصحيح لمشاكل الأمة كلها) [عبد الحميد ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٧] .

ومن ذلك توجيهه برقيّة إلى رئيس الجمهورية الجديد " جلال بايار " بعد فوز الحزب الديمقراطي بالحكم على حزب الشعب الذي أذاق أفراد الشعب الويل والثبور ، ففرح النورسي بذلك ، وخاصة أن الحزب الجديد سمح (بفتح مدارس الأئمة والخطباء ، وأدخل دروس الدين إلى المدارس كدرس اختياري ، وكان تدريس الدين ممنوعاً من قبل ، فأرسل يقول : نهنئكم وندعو من الله تعالى أن يوفقكم لخدمة الإسلام والوطن والأمة) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٥١ بتصرف] .

وأوضح لطلابه هدفه من إرسال هذه البرقية ، فقال : (إنني أرسل هذه البرقية لأنني أعلم بأن أعضاء " حزب الشعب " سيقولون لأنصار " الحزب الديمقراطي " إن سعيداً ليس معنا ، وفي الوقت نفسه ليس معكم كذلك ، لأن له غاية أخرى ، وهدفاً آخر ، ويحرضونهم ويدفعونهم إلى استعمال سلطة الدولة وقوتها ضد المتدينين وضد طلاب النور ، فعندما يستلم الديمقراطيون هذه البرقية سيقولون لهم : إن سعيداً صديقنا ، وبذلك لن يستعملوا سطوة الدولة بشكل خاطئ ضد المتدينين) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٥٢] .

وهذه حكمة قلّ أن يفطن لها الكثير من الدعاة والعلماء والمفكرين ، لأن اللين في الدعوة يحبب إلى القلوب الداعية وما يدعو إليه ، ولذلك قال الله تبارك وتعالى موجهاً نبيه ﷺ ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة النحل : آية ١٢٥] ، (فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون) [ابن كثير ، ١٣٨٩هـ ، ج٤ ، ص ٢٣٥] .

٨- زيارة المسؤولين ومناصحتهم : من ضمن الوسائل التي استخدمها النورسي في دعوته وتربيته زيارة المسؤولين في الدولة العثمانية وغيرهم ، ومن أهم تلك الزيارات ما يلي :

أ / زيارته للسلطان عبد الحميد رحمه الله تعالى : سافر النورسي إلى مدينة استانبول ، وقدم (عريضة إلى السلطان " عبد الحميد " يطلب فيها فتح المدارس التي تعلم العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء ... إلخ ، بجانب المدارس الدينية في شرق الأناضول ، حيث يخيم الجهل والفقر على سكانه ، ثم يقابل السلطان نفسه ، وأثناء مقابلته ينتقد الاستبداد ونظام الأمن والاستخبارات لقصر " يلدز " ، مما أثار نقمة حاشية السلطان التي لا تمثل فكرة السلطان ، فأحالوه إلى محكمة عسكرية ، وكان يطلق على السلطان عبد الحميد " السلطان المظلوم " ، ويصفه بأنه ولي من أولياء الله وخليفة المسلمين) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص.ص ٢٧-٢٨] .

ب/ زيارته لمجلس الأمة التركي : كان أعضاء جمعية الاتحاد والترقي يعلمون أهمية النورسي ، وأنه رجل ذو ذكاء وفطنة ، وله قبول عند كثير من أفراد الأمة التركية وغيرها ، لذلك (حاول مصطفى كمال أن يستميل الشيخ ، فعمد إلى تقريبه منه ، ودعاه إلى الحضور إلى أنقرة العاصمة الجديدة لتركيا ، وكان مصطفى كمال يظن أن الشيخ ممن

تستهويهم المناصب ، وتغريهم الألقاب ، وكان ذلك عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م ، أي قبل أن يعلن مصطفى كمال إلغاء الخلافة بنحو عام ، ولكن الشيخ كان ينظر إلى ما يجري بفراسة المؤمن ، ولا يرى في تصرفات الاتحاديين إلا الشر يتطاير من أعينهم ، والحقد على الإسلام والمسلمين ، ولكنه مع ذلك رأى أن يلبي الدعوة بعدما رفضها أولاً ، لعله أن يصلح شيئاً ، أو يقوّم معوجاً ، وذهب الشيخ إلى أنقرة ، ولم يكد يستقر به المقام هناك حتى وجد من مصطفى كمال أعمالاً معادية للإسلام بصراحة ، وأحس أن عداوته للإسلام تزداد كلما تمكن في وضعه الجديد ، ورأى أن معظم النواب لا يصلون ، ولا يحافظون على تعاليم الإسلام ، فهاله ما رأى ، وأعلن سخطه على مصطفى كمال ، وإهمال النواب للصلاة ، وأصدر بياناً صريحاً عبر فيه عما في نفسه ، وحث النواب على الاستقامة والمحافظة على الصلاة ، فاستجاب للبيان كثير من النواب ، وحافظوا على الصلاة ، حتى ضاق بهم مسجد المجلس) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٣٧٤-٣٧٥] .

ومما جاء في ذلك البيان : (" **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتا** "[1] ، يا أيها المبعوثون ! إنكم لمبعوثون ليوم عظيم ، أيها المجاهدون وأهل الحل والعقد ! أرجوا أن تعيروا سمعاً إلى مسألة يُسديها إليكم هذا الفقير إلى الله في بضع نصائح ، وفي عشر كلمات :

أولاً : إن النعمة الإلهية العظمى في انتصاركم هذا تستوجب الشكر لتستمر وتزيد ، إذ إن لم تُستقبل بالشكر تزول وتنقطع ... إلخ .

ثانياً : لقد أبهجتم العالم الإسلامي بهذا الانتصار ، وكسبتم ودّهم وإقبالهم عليكم ، ولكن هذا الودّ والتوجه نحوكم إنما يدومان بالتزام الشعائر الإسلامية ... إلخ .

ثالثاً : لقد توليتم قيادة مجاهدين وشهداء في هذا العالم ، وهم بمثابة أولياء صالحين ، فمن شأن أمثالكم من الغيارى السعي والجد لامتثال أوامر القرآن الكريم لنيل صحبة أولئك النورانيين ... إلخ .

رابعاً : إن أفراد هذه الأمة الإسلامية يتطلعون أن يكون رؤساؤهم صالحين حتى ولو كانوا هم فسقة ... إلخ .

خامساً : أن ظهور أكثر الأنبياء في الشرق وأغلب الفلاسفة في الغرب رمزٌ

---

(١) سورة النساء : آية ١٠٣ .

للقدر الإلهي بأن الذي يستنهض الشرق ويقوّمه إنما هو الدين والقلب ، وليس العقل والفلسفة ... إلخ .

سادساً : إن خصومكم وأعداء الإسلام قد استغلوا – ولا يزالون يستغلون – إهمالكم أمور الدين ، فينبغي لكم باسم مصلحة الإسلام وسلامة الأمة تحويل هذا الإهمال إلى أعمال ... إلخ .

سابعاً : على الرغم من تمكن عالم الكفر في الإغارة على العالم الإسلامي منذ مدة مديدة ، إلا أنه لم يتغلب عليه دينياً مع جميع إمكاناته وقدراته ووسائله الحضارية وعلمه ومبشّريه ، ثم بمتانته بأهل السنة والجماعة ... إلخ .

ثامناً : ليس بالإمكان القيام بعمل إيجابي بناء مع التهاون في الدين ، حيث اقتربت الحضارة القرآنية من الظهور ، وأوشكت الحضارة الأوروبية الضالة المسؤولة عن ضعف الدين على التمزق والانهيار ... إلخ .

تاسعاً : إن الذين يولونكم الحب قلباً وقالباً ، ويثمنون انتصاراتكم في حرب الاستقلال هذه ، هم جمهور المؤمنين ، وهم المسلمون الصادقون ، وأنتم بدوركم ينبغي لكم الاتصال بهم والاستناد إليهم اتّباعاً لأوامر القرآن الكريم ، ولأجل مصلحة الإسلام ، وإلا فإن تفضيل المتجردين من الإسلام من مقلدي أوربا المعجبين بها ، وترجيحهم على عامة المسلمين منافٍ كلياً لمصلحة الإسلام ... إلخ .

عاشراً : إن التهاون في تطبيق الشعائر الدينية يفضي إلى ضعف الأمة ، والضعف يغري العدو فيكم ، ويشجعه عليكم ، ولا يوقفه عند حده ... إلخ) [النورسي ، ١٤١٥هـ ، ص.ص ٢٠٠-٢٠٤ بتصرف] .

وقد كان هذا الخطاب شاملاً وشافياً لجميع النواحي التربوية والفكرية والسياسية والاجتماعية وغيرها التي يجب أن تسير عليها الدولة ضمن نطاق الإسلام الشامل المستمد من مصادره الصحيحة .

٩- تأليف الرسائل ونشرها بين الأفراد والمجتمعات : عندما لم تجدِ الرسائل التي مرت كثيراً ، وخاصة في أوساط المسؤولين ، رأى النورسي رحمه الله أن يلجأ إلى طريقة أخرى ، وهي تأليف رسائل متعددة على هيئة مؤلفات ، وبثها بين أفراد ومجتمعات الأمة ، لأن الوضع لا يحتمل السكوت أو الركون إلى العجز والخور ، بل لا بد من محاولة أخرى

لإنقاذ إيمان الأمة الإسلامية ، فهداه الله إلى وسيلة كانت ناجحة ومفيدة ، وقد (كان تأليف رسائل النور ونشرها شيئاً متميزاً وفريداً في تاريخ الدعوات الإسلامية المعاصرة ، ذلك لأن الأستاذ سعيد النورسي لم يكن يكتب كثيراً من رسائله بيده ، لكونه نصف أميّ - من حيث القدرة على الكتابة - ، وإنما كان يملي هذه الرسائل على بعض طلابه ، وبعد ذلك تتداول النسخة الأصلية بين التلاميذ الذين يقومون بدورهم باستنساخها باليد ، ثم ترجع هذه النسخ جميعها إليه لكي يقوم بتدقيقها واحدة واحدة ، وتصحيح الأخطاء - إن وجدت - ، ولم يكن لديه أية كتب أو مصادر يرجع إليها عند التأليف سوى القرآن الكريم ، وقد ساعده على ذلك ما وهبه الله من ذاكرة خارقة وقدرة عجيبة على الحفظ) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٧٢] .

ورغم أن الحروف العربية قد غيرت إلى حروف لاتينية ، ومنع الطبع بها ، وأغلقت المطابع العربية ، إلا أن (طريقة الاستنساخ باليد سراً هي الطريقة الوحيدة والعملية لنشر مؤلفات رجل منفي ومراقب ، قد سُدّت في وجهه جميع سبل التأليف والنشر ، وكان يريد من الكتابة بالحروف العربية المحافظة عليها من الاندثار والنسيان ، وعندما بدأت حلقات الطلاب تتسع ، بدأت الرسائل تصل إلى القرى والنواحي القريبة من " بارلا " ، وبدأت الأيدي تتلقف سراً هذه الرسائل وتتدارسها ، وتهربها إلى المدن البعيدة ، حيث بدأت تكتسب قلوباً جديدة ، وأرواحاً عطشى إلى الهداية والنور في تلك الصحراء المحرقة والمظلمة الحالكة) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص٧٤] .

١٠- استخدام السجون مدارس نورية للتربية والتعليم : سبق الحديث عن اتخاذ السجون مؤسسة من المؤسسات التربوية في عصر النورسي ، ودعوته إلى تحويل السجون إلى مدارس تربية وإرشاد وتعليم يستفيد منها نزلاء السجون وموظفوها على السواء ، وكان الحديث عن ذلك في الفصل الثالث من هذا الباب ، ويرى الباحث الاكتفاء بالحديث هناك عن وسيلة اتخاذ السجون مدارس علم وتربية وإرشاد ، وإنما الهدف من إيرادها هنا لمعرفة استغلال النورسي لجميع الوسائل التي أتيحت له في تبليغ دعوته وفكره إلى جميع أفراد الأمة على مختلف طبقاتهم الاجتماعية والسياسية والفكرية .

المبحث الثالث : اختلاف الأساليب حسب الزمان والمكان والمخاطبين .

المتتبع لسيرة النورسي منذ بداية تعلمه إلى وفاته يجد أن هناك أساليب متنوعة سلكها في تربيته لأفراد الأمة تختلف زماناً ومكاناً وأفراداً حسبما يراه مناسباً ومفيداً ، أو يقتضيه حال الموقف الذي هو فيه أو الأفراد الذين يوجه إليهم التربية والتعليم .

١- اختلاف الأساليب زماناً : ويقصد الباحث بها هنا أن عصر النورسي الذي عاشه ينقسم إلى فترتين : الفترة الأولى خلال آخر الخلافة العثمانية ، والفترة الثانية في أول حكم الكماليين العلمانيين للبلاد بعد إلغاء الخلافة العثمانية ، وما تبعه من تغيير لفكر الأمة وقيمها الاجتماعية ونحو ذلك ، حيث يلاحظ أن أغلب الأساليب التي سلكها في عهد الدولة العثمانية كانت تتمثل في الخطابة في المساجد ، والمشاركة في الاحتفالات ، ومباشرة المعارك بين الدولة العثمانية وأعدائها ، والاشتراك في جوانب عدة من جوانب السياسة كما سبق بيانها في المبحث السابق ، والدخول في المجادلات والمناظرات العلمية مع العلماء الكبار ، والانتقاد المباشر والمعلن لقادة الدولة وساستها ، والانتقادات المباشرة والمعلنة في الصحف ضد أهل الإلحاد والزندقة والفلسفة الأوروبية وغيرهم من الأتباع والأذناب ، دون خوف أو وجل ، ساعده على ذلك ذكاؤه الحاد ، وعلمه الغزير ، وشبابه المتوقد ، وغيرته الإسلامية المندفعة ، بالإضافة إلى توجه الدولة العثمانية الإسلامي ومساعدتها على ذلك ، وقد أفاض الباحث الحديث في ذلك في المبحث السابق ، إلا أن تلك الفترة من حياته (قد سببت له المتاعب الكثيرة ، فقد قرر قائد قوات الاحتلال الإنجليزي إعدامه بسبب تصديه لهم ، ودبرت له حاشية القصر محاكمة عسكرية لانتقاده أوضاعهم الفاسدة ، وحوكم أمام محاكم الثورة للمقالات التي نشرها ضدهم في صحيفة " ولقان – البركان " ، وظل يتقلب بين النفي والسجن والمراقبة والمحاكمات مدة ربع قرن من حياته ، ويبدو أن هذه المتاعب قد نالت من جهد بديع الزمان ، كما نالت من صحته) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٤٠٧-٤٠٨] .

أما الفترة الثانية فكانت خلال إعلان الجمهورية العلمانية وإلغاء الخلافة الإسلامية ، وقد اتسمت بأسلوبين مختلفين أيضاً :

أ / الاعتزال عن الحياة السياسية تماماً وأخذ الحيطة والحذر : عندما استقر الوضع لمصطفى كمال بعد إلغاء الخلافة ، قام (بمصادرة أملاك الأوقاف ومنع قراءة القرآن باللغة العربية التي كان يكرهها جداً ، حيث بدل حروف الكتابة العربية إلى الكتابة اللاتينية ،

وأعلن اللادينية ، ومنع النشاط الإسلامي كله ، وحول الأذان الشرعي إلى الأذان باللغة التركية ، ومساجد كثيرة إلى مخازن ومتاحف ، وخطّط للقضاء على الإسلام نهائياً في تركيا ، وفي سبيل ذلك فتك بمعارضيه ، وقبض على الحكم بيد من حديد ، وقاد علماء الإسلام ودعاته إلى المشانق والسجون) [عبد الحميد ، ١٤١٤هـ ، ص ٦٧] .

وفي خضمّ هذه الحقبة التاريخية العصيبة من تاريخ دعوته غَيّر النورسي أسلوبَه السابق إلى أسلوب يتسم بالحذر والحيطة ، حتى أنه (لم يصرح بكلمة العلمانية ، لأن الثورة كانت قد سنت القوانين الصريحة التي تعاقب كل من يعيب النظام العلماني ، ولكي لا يقع تحت طائلة العقاب ، كان يصرح بالمذاهب التي تشارك العلمانية في عدائها للأديان ، كالشيوعية والماسونية والزنادقة ، وذلك كقوله : إن الشيوعيين والماسونيين والزنادقة واللادينيين ، يشيعون الفوضى في العالم ، ولا يمكن الوقوف ضدهم إلا بالاتحاد الإسلامي النابع من الحقائق القرآنية) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٠٥] .

وفي هذه الفترة – أي فترة حكم حزب الشعب بقيادة مصطفى كمال (عكف على كتابة الرسائل في سبيل الشريعة الإسلامية ومقاومة العلمانية الكمالية بالمبادئ الإسلامية) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٠٥] ، ويتضح أنه لم يترك الدعوة والتربية ، ولكن بطرق أخرى غير السابقة ، وكانت مثمرة ومنتجة .

ب/ فترة تنفس الحرية : وكانت سنة ١٩٥٠م عندما فاز " الحزب الديمقراطي " بالحكم في تركيا ، حيث سمح بحرية الدين ، ومن ذلك (أنه أرجع الأذان الشرعي ، كما قام بفتح مدارس الأئمة ، وأدخل دروس الدين إلى المدارس كدرس اختياري ، وكان تدريس الدين ممنوعاً من قبل ، وكان النورسي من بين الذين استبشروا بزوال الحزب المعادي للإسلام ، ومجيء حزب آخر يحترم الإسلام ولا يعاديه ، لذا نراه يرسل برقية تهنئة إلى رئيس الجمهورية الجديد) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٥١] .

وفي هذه الفترة أخذ النورسي يبعث الرسائل إلى المسؤولين ، وأخذ طلابه يرسلون (نسخاً من رسائل النور إلى مختلف المراكز الثقافية والتوجيهية في العالم) [علي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٥٢] .

وكانت مهمة النورسي وطلابه في هذه الفترة (تنحصر في تكثير الأتباع وتربيتهم ، واستنساخ رسائل النور وتوزيعها على أكبر قدر ممكن من البلاد التركية ، وقد شكلوا لهذا الغرض ما سمي بسعاة " بريد النور " ، وكان واجبهم ينحصر في نقل رسائل النور من قرية

إلى قرية ، ومن مدينة إلى مدينة ، كما انتظمت وقويت عملية استنساخ الرسائل ، حتى أن بعض الطلبة استنسخوا لوحدهم أكثر من ألف رسالة ، حتى وصل عدد الرسائل التي استنسخت باليد أكثر من ستمائة ألف نسخة) [عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٠٩] .

وهذا يبين اختلاف الأسلوب بما يناسب تلك الفترة عن الفترات السابقة ، ويرى الباحث أنه وفق في اختيار الأساليب المناسبة لكل فترة ، فالحكمة مطلوبة من الدعاة والمربين لتضمن الاستمرار والقبول بإذن الله .

٢- اختلاف الأساليب مكاناً : عاش النورسي - رحمه الله - حياته ما بين النفي والسجن والمثول إلى المحاكم للاستجواب ، وكان له في كل مكان يعيشه أسلوب يختلف عن الآخر لما يقتضيه الحال ، ففي حالة النفي يعيش وحيداً بعيداً عن الناس ، مما يجعله يفكر في خاصة نفسه ، وخاصة عندما يفكر في أسباب نفيه وتعذيبه ، ومن ذلك قوله : (لقد بقيت منذ شهرين أو ثلاثة وحيداً فريداً ، وربما يأتيني ضيف في كل عشرين يوماً أو ما يقارب من ذلك ، فأظل وحيداً في سائر الأوقات ، وعندما يرخي الليل سدوله ، فلا صوت ولا صدى ، إلا حفيف الأشجار الحزين ، رأيتني وقد غمرتني خمسة ألوان من الغربة ، وأخذني التفكير ، فقلت فجأة : سبحان الله ! وفكرت كيف يمكن أن تقاوِم كل هذه الظلمات المتراكبة وأنواع الغربة المتداخلة ! فاستغاث قلبي قائلاً : يارب ! أنا غريب وحيد ، ضعيف غير قادر ، عليل عاجز ، شيخ لا خيار لي ، فأقول : الغوث الغوث ، أرجو العفو وأستمدّ القوة من بابك يا إلهي ! وإذا بنور الإيمان وفيض القرآن ولطف الرحمن يمدّني من القوة ما يحوّل تلك الأنواع الخمسة من الغربة المظلمة إلى خمس دوائر نورانية من دوائر الأنس والسرور ، فبدأ لساني يردّد " **حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** " [سورة آل عمران : آية ١٧٣] ، وتلا قلبي الآية الكريمة : ﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ [سورة التوبة : آية ١٢٩] ، وخاطب عقلي كذلك نفسي القلقة المضطربة المستغيثة قائلاً : دع الصراع يا مسكين ، وتوكل على الله في بلواك ، إنما الشكوى بلاء) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٢٩-٣٠] .

وأما في حالة سجنه فإنه يستغلّ فرصة وجوده بين نزلاء السجون ، فيحول السجون إلى مدارس تربوية تربّي المسجونين على الصبر والتوبة ومضاعفة العبادة ، وكان النورسي يربطهم بالله ﷻ قائلاً لهم : (إن كل يوم من أيام العمر التي تمضي في السجن يمكن أن يُكْسِب المرءَ ثواب عبادة عشرة أيام ، بل يمكن أن يكون قضاء بضع سنين في السجن وسيلة نجاة من سجن أبدي لملايين السنين ، فهذا الربح العظيم مشروط لأهل

الإيمان بأداء الفرائض والتوبة إلى الله من الذنوب والمعاصي التي دفعته إلى السجن ، والتوجه إليه تعالى بالشكر صابراً محتسباً ، علماً أن السجن نفسه يحول بينه وبين كثير من الذنوب) [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ١٦٧] .

وعند المثول إلى المحاكم لمحاكمته ومساءلته ، فإن له أسلوباً يختلف عن سابقيه ، حيث الصلابة في الحق ورباطة الجأش ، والدعوة إلى الإيمان ، ومن ذلك قوله في إحدى المحاكم : (يا حضرات الحكام : لقد جيء بي هنا بتهمة أنني شخص رجعي أتخذ الدين سبيلاً إلى الإخلال بالأمن العام ، وإنني أقول لكم : إن إمكانية عمل شيء لا يستدعي وقوعه ولا المعاتبة عليه ، فعود الكبريت يمكنه إحراق بيت ، ولكن هذا الإمكان لا يعني ارتكاب أي جريمة ، إن انشغالي بعلوم الإسلام لا يخدم إلا رضا الله تعالى ، وحاشا أن يخدم أي غرض كان غير ذلك ، لقد سألتموني : هل أنا ممن يشتغل بالطرق الصوفية ، وإنني أقول لكم : إن عصرنا هذا هو عصر حفظ الإيمان ، لا حفظ الطريقة ، إن كثيرين يدخلون الجنة بغير الانتماء إلى طريقة صوفية ، ولكن أحداً لا يدخل الجنة بغير الإيمان) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص.ص ٧٩-٨٠] .

ويقول في دفاع آخر : (ولكي يجد مقام الادّعاء فرصة لغمز الدروس الاجتماعية لرسائل النور قال : إن الوجدان هو مقام ومكان الدين ، فالدين لا يرتبط بالحكم ولا بالقانون ، إذ عندما ارتبط بهما في السابق ظهرت الفوضى الاجتماعية ، وأنا أقول : إن الدين ليس عبارة عن الإيمان فقط ، بل العمل الصالح أيضاً هو الجزء الثاني من الدين ، فهل يكفي الخوف من السجن أو شرطة الحكومة لكي يبتعد مقترفوا الكبائر عن الجرائم التي تسمم الحياة الاجتماعية ، كالقتل ، والزنا ، والسرقة ، والقمار ، ويمتنعوا عنها ؟. إذن يستلزم أن نخصص لكل شخص شرطياً مراقباً لكي ترتدع النفوس اللاهية عن غيها ، وتبتعد عن هذه القذارات ، ورسائل النور تضع مع كل شخص في كل وقت رقيباً معنوياً من جهة العمل الصالح ومن جهة الإيمان ، وعندما يتذكر الإنسان سجن جهنم والغضب الإلهي فإنه يستطيع تجنب السوء والمعصية بسهولة) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٣٨] .

وفي مكان رابع ، وهو مكان أسره في روسيا ، كان يلقي دروساً ، وكان طابعها ديني وأخلاقي وسياسي ، لأن مقام الحال يستدعي ذلك ، وقد بينه النورسي بقوله : (كنا في " قوصتورما " في روسيا مع تسعين من ضباطنا الأسرى في ردهة واحدة ، وكنتُ ألقي عليهم أحياناً الدرس ، وذات يوم حضر القائد الروسي وشاهد الموقف ، وقال : إن هذا

الكردي قائد المتطوعين قد ذبح كثير من جنودنا ، ويأتي الآن ويلقي دروساً سياسية هنا ، لا يمكن هذا ، أمْنَعُه قطعاً ، ولكن بعد يومين قال : يبدو أن دروسكم غير سياسية ، بل دينية وأخلاقية ، استمر عليها ، فسمح بإلقاء الدرس) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص٥٧٤] .

هذه الأساليب المختلفة حسب اختلاف الأماكن تختلف عن المسجد الذي سبق الحديث عنه ، وعرفنا أنه كان مكاناً لإلقاء الدروس والخطب التي تعالج ضعف الإيمان في النفوس ، وتعالج الأمراض الاجتماعية على سبيل الوعظ والإرشاد ، وتبين خطط أهل الإلحاد والزندقة وتفضح نواياهم ، وتحذر من الانجراف وراء دعواتهم المضلة الكاذبة ، وقد أخره الباحث هنا لأنه سبق الحديث عنه ، وليبين استغلال النورسي لأماكن وأوقات حِلّه وترحاله على خلاف ما سار عليه غيره من الدعاة والمفكرين ، فالمنهج شامل ، والأساليب متعددة .

٣- اختلاف الأساليب حسب المخاطبين : رسائل النور موجهة إلى جميع الأفراد والمجتمعات ، شاملة للجنسين : الذكر والأنثى ، والأطفال والشباب والشيوخ ، مذكرة الفقراء والأغنياء ، والمرضى والمعوزين بما يجب عليهم أن ينهجوه في حياتهم ليسعدوا في الدنيا ويفوزوا في الآخرة ، بل إنها خاطبت المؤمنين والفاسقين والكفرة والملحدين ، ولا شك أن الأساليب ستتنوع وتتعدد حسب ما يقتضيه حال المخاطبين ، (فترى رسالة النوافذ مثلاً تخاطب الملحدين ، والمؤمن عندها في مقام الاستماع ، بينما رسالة المعراج تخاطب المؤمنين الذين التبس عليهم الأمر ، فاستبعدوا المعراج ، والجاحد عندها في مقام الاستماع ، فأسلوب الخطاب في كل منهما ظاهره الاختلاف ، ثم إن لرسائل النور أسلوبها الخاص مع المعارضين الذين هم على قسمين : أهل الضلالة ، ويتسم أسلوب الرسائل مع هؤلاء بالهجوم العنيف ، وذلك بدحض أباطيلهم بالأدلة القوية الكافية ، وتفنيد اتهاماتهم الظالمة ، مع التذكير بأن هناك عذاباً ينتظرهم في الدنيا ، كما أن هناك عذاباً أليماً في الآخرة ، والقارئ اللبيب يفهم من سياق الموضوع ومن خلال مفردات الصفات المذكورة والأعمال والتصرفات التي قاموا بها من هم هؤلاء الضالون والمنافقون في كل عصر ومصر ، وأما المعارضين من علماء الدين وشيوخ المتصوفة ، فهو أسلوب الدفاع وحده دون الهجوم ودون التهوين من شخصياتهم ورؤسائهم ولا من آرائهم ، مع بيان وجهة نظر رسائل النور دون تجريح لهيئة أو جماعة مطلقاً ، ومن أساليب رسائل النور الاستثناء لا التعميم ، كما هو الحال عند الهجوم على الغرب ومفكريه ، إذ أن الرسائل

تهاجم الغرب ، ولكنه ليس كل الغرب ، وإنما تستثني منه الطيب النافع ، ثم تشدد الهجوم على القسم الفاسد ، وهذا الأسلوب من خصائص رسائل النور مع الأشخاص الرسميين أو العلماء أو الطوائف أو الأحزاب أو الأفكار أو الفئات ، وكذلك فيما يخص الشبهات الواردة على الإسلام أو على الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، سواء من جهة المسلمين أو من شياطين المستشرقين ، فإن الرسائل تردّها جميعاً ، والردّ يكون مقنعاً بحيث لا يترك زاوية من الزوايا الخفية في الشبهة إلا ويقتحمها ، فمن كانت لديه تلك الشبهة فقد شفي قلبه منها ، ومن لم تكن لديه شبهة ، فلم يتكدر صفو قلبه وفكره) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص.ص١٥٨-١٦٩] .

ثم له أسلوب آخر مع الشباب ، حيث أنه عندما زاره فريق منهم ذكرهم ووعظهم بقوله : (اعلموا أن ما تتمتعون به من ربيع العمر ونضارة الحياة ذاهب لا محالة ، فإن لم تلزموا أنفسكم البقاء ضمن الحدود الشرعية فسيضيع ذلك الشباب ويذهب هباءً منثوراً ، ويجر عليكم في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة بلايا ومصائب وآلاماً تفوق كثيراً ملذات الدنيا ، ولكن لو صرفتم ربيع عمركم في عفة النفس وفي صون الشرف ، وفي طاعة ربكم بتربيته على الإسلام ، أداءً لشكر الله تعالى على ما أنعم عليكم من نعمة الفتوة والشباب ، فسيبقى ويدوم ذلك العهد معنى ، وسيكون لكم وسيلة للفوز بشباب دائم خالد في الجنة الخالدة) [الملاحق ، ١٤١٦هـ ، ص ١٧٤] .

وقد تضمنت رسائل النور توجيهات إلى الأطفال تحث المسؤولين عن تربيتهم أن يلقنوهم دروساً إيمانية في صغرهم ، (لأن الطفل الذي لم يتلقَّ في صغره درساً إيمانياً قوياً يصعب عليه بعد ذلك أن يقر في روحه أركان الإيمان والإسلام) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٤٥] .

ثم يوجه إلى النساء التوجيه التالي : (إن العلاج الناجع لإنقاذ سعادة النساء من الإفساد في دنياهن وأخراهن معاً ، وإن الوسيلة الوحيدة لصون سجاياهن الراقية اللاتي في فطرتهن من الفساد ليس إلا في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣١٠] .

ولا ينسى المرضى من التوجيه والإرشاد والعناية ، حيث خاطبهم في رسائله قائلاً لهم : (أيها الإخوان المرضى ! إذا كنتم تشعرون بحاجة إلى علاج قدسي نافع جداً ، وإلى دواء لكل داء يحوي لذة حقيقية ، فمدوا إيمانكم بالقوة واصقلوه ، أي تناولوا بالتوبة

والاستغفار والصلاة والعبادة العلاج القدسي المتمثل في الإيمان) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص٣٣٨] .

وأخيراً ينظر إلى حاجة كبار السن ممن تقدم بهم العمر ، فيخاطبهم قائلاً : (يا من بلغتم سنّ الكمال ، أيها الإخوة الشيوخ الأعزاء ، ويا أيتها الأخوات العجائز المحترمات ! إنني مثلكم شيخ كبير ، سأكتب لكم بعض ما مرّ عليّ من أحوال ، وما وجدته بين حين وآخر من أبواب الأمل ، وبوارق الرجاء في عهد الشيخوخة ، لعلكم تشاركونني في أنوار السلوة المشعة من تلكم الرجايا والآمال ، إن ما رأيته من ضياء ، وما فتحه الله عليّ من أبواب النور والرجاء إنما شاهدته حسب استعدادي الناقص وقابليتي المشوشة ، وستجعلُ استعداداتكم الخالصة الصافية - بإذن الله - ذلك الضياء أسطع وأبهر مما رأيتُه ، وذلكم الرجاء أقوى وأمتن مما وجدته ، ولا ريب أن منبع ما سنذكره من الأضواء ومصدر ما سنورده من الرجايا ما هو إلا الإيمان) [النورسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٣٤٢] .

فالنورسي مع اختلاف أساليب دعوته على حسب اختلاف الأزمنة والأمكنة والمخاطبين ، إلا أن رابطة تلك الأساليب هو الإيمان مع التذكير بزوال الدنيا والانتقال إلى الآخرة ، (والحق أن بديع الزمان كان رجلاً واقعياً يتعامل مع الأحداث حسبما تقتضيه طبيعة الأمور ، وما يمليه الواقع) [الوكيل ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٣١] .

وكان - رحمه الله - (لا يساوم على حساب دينه وعقيدته ، وكان يقف في وجه الطغاة في أشد الظروف ضراوة ، لا يخشى في الله لومة لائم) [عبد ربه ، ١٤٠٦هـ ، ص٣٠٣] ، وكل ذلك حسبما يقتضيه الحال ، بل كانت في جملتها (تتضمن الترغيب والترهيب معاً ، ولا ريب في جدوى تأثير إحدى هاتين الوسيلتين في الإنسان) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٥٥] .

الفصل الخامس

التطبيقات التربوية المعاصرة لفكر النورسي في المؤسسات التربوية

تمهيد :

سبق الحديث في الفصل الثالث من هذا الباب عن المؤسسات التربوية في فكر النورسي ، والتي توفرت في عهده ، واستطاع استخدامها في التربية والتعليم لأبناء مجتمعه ، والنورسي عالميّ الفكرة ، يَعْتَبِرُ أبناءَ الأمة الإسلامية أبناء شعب واحد ومجتمع واحد ، فعندما سئل في المحكمة هل هو منتمٍ إلى جمعية ، قال : (أجل ، نحن جمعية لها ثلاثمائة وخمسون مليوناً من الأعضاء في كل عصر ، وهم يؤكدون كمال احترامهم وصادق ارتباطهم وتعلقهم بمبادئ تلك الجمعية المقدسة ، بإقامة الصلاة خمس مرات يومياً ، ويتسابقون في مدّ يد العون والمساعدة بعضهم إلى بعض ، ونحن أعضاء في تلك الجمعية المقدسة العظمى ، أما وظيفتنا ضمن نطاق هذه الجمعية فهي : تبليغ الحقائق الإيمانية التي يتضمنها القرآن الكريم إلى طلاب الحق والإيمان على أصح وأنزه وجه ، إنقاذاً لأنفسنا وإياهم من الإعدام الأبدي) [النورسي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٦٨] .

ومن هذا المنطلق لفكره العالمي لأمته الإسلامية فإن الباحث يورد تحت هذا الفصل التطبيقات المعاصرة لفكره من خلال المؤسسات التربوية القائمة الآن ، ليتضح مدى التطابق والتوافق أو عكسه ، كما هو الحال المعايش الآن للعالم الإسلامي نظرياً من خلال المؤسسات التالية :

١) واقع الأسرة المسلمة :

من الآراء التي لخصها الباحث للنورسي عند الحديث عن الأسرة كمؤسسة تربوية ما يلي :

أ / صلاح الزوجين في الأسرة ركن قوي لصلاح أفراد الأسرة .
ب/ أهمية دور الأم في التربية .
جـ/ ضرورة مشاركة البيت المؤسسات الأخرى في عملية التربية والتعليم .
د/ الإيمان هو السبيل لإصلاح الأسرة وسعادتها .

وقد سبق الحديث عنه في الفصل الثالث من هذا الباب ، ولذلك لا يرى الباحث إعادة ما دوّنه النورسي هنا للاكتفاء بمعرفته هناك ، وإنما يورد هنا التطبيقات التربوية المعاصرة لتلك الآراء داخل الأسرة المسلمة في المجتمع الإسلامي ، ومن خلال الواقع المشاهد والملموس لحالة كثير من الأسر الآن ، والمتأمل الفاحص الناقد يجد أن واقعها التربوي يخالف تلك الآراء إما بشكل عام أو في بعض جزئياته ، وقد تناول كثير من الكتّاب والباحثين مشكلة عزوف كثير من الأسر عن دورها التربوي تجاه الأبناء ، وقد تعددت الآراء ، واختلفت وجهات النظر ، إلا أن الدافع لكثير منهم غيرته الإسلامية على أبناء أمته ومجتمعه ، لأن (العقيدة إذا كانت حيّة نابضة في كيان المؤمن حددت له شرائعه وقوانينه ، ورسمت له آدابه وأخلاقه ، وملكت عليه خواطره وأحاسيسه ، فلا يقول ولا يتحرك ولا ينوي ولا يعزم إلا وهو محكوم في هذا كله بعقيدته ، فلا تتبدل قيمُه حاكماً أو محكوماً ، ولا تتغير موازينه بائعاً كان أو مشترياً ، ولا تختلف خواطره ومروءته ليلاً أو نهاراً) [عيسى ، ١٤٠٩هـ ، ص ٦١] .

والواقع (أن تربية المنزل تأثرت في السنوات العشر الماضية[1] تأثراً كبيراً بالمستجدات التي طرأت على مجتمعنا ، فقد أثرت المادة بشكل حاد ، مما خلق عدم توازن في التربية ، وانعكس على الأطفال ، ولا يمكن أن نتركهم هكذا) [الآنسي وزميله ، ١٤١٢هـ ، ص ٢١٩] .

ومن هذا المنزلق الخطير لدور الأسرة رأت أكثر الأسر (أن مهمتهم الإيجابية في التربية قد ألقيت على عاتق المدرسة) [قطب ، ١٩٨٣م ، ص ١٠٠] .

---

(١) كان إعداد هذا البحث عام ١٤٠٧هـ ، بدلالة أن الدكتور عبد الله الزيد مدير عام التعليم بالمنطقة الغربية عند توقيعه على كلمته التي قدم بها البحث ، دوّن تاريخ التوقيع في ١٤٠٧/٣/١٤هـ .

وبهذا المفهوم الخاطئ فقد تخلى كثير من الآباء والأمهات عن أدوارهم التربوية تجاه فلذات أكبادهم جرياً وراء الحصول على المادة وزيادة الدخل ، أو تقليداً وترفاً ، كما هو الحال لكثير من الأمهات اللاتي تركن بيوتهن وخرجن يزاحمن الرجال في أعمالهم ، ولكن لمن تركْنَ تربية أبنائهن وبناتهن ؟. إنه بتنازل الأم عن دورها التربوي الفعال تجاه أولادها ، فقد عهدت بذلك إلى (الخادمة الفلبينية أو السيرلانكية وغيرها من الجنسيات غير العربية التي تغزو عقل الطفل بأمور غير إسلامية وتقاليد تختلف تماماً عما يعيش فيه الطفل مع بيئته ، إنها أقرب لعملية التبشير ، فالطفل يحتاج إلى رعاية واهتمام خاص لا يمكن أن يقوم به إلا الأهل ، والطفل يحتاج إلى مراقبة مواهِبه وسلوكه ، والخادمة لا تهتم به ، بل تعتبر فترة وجودها محدودة ، والمطلوب منها أن تعيش فترة انتظار بهدف مادي بحت ، ثم تعود إلى بلدها) [الآنسي وزميله ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٣٤] .

ولهذا الأمر خطورته على التربية تجاه الأبناء ، وقد ظهر ذلك جلياً للعيان ، حيث يروي الدكتور سيد تاج الدين مدير أحد الأقسام الطبية بوزارة الصحة القطرية ، أن (سيدة جاءت تشكو له من سلوك غريب تمارسه طفلتها الصغيرة كلما أشعلت أمامها النار في المطبخ ، حيث تخشع الفتاة التي لا يتجاوز عمرها السنتين ، وتغمض بصرها ، وتركع على ركبتيها ، وتضم يديها الصغيرتين أمام صدرها ، وتستمر كذلك ما دامت النيران مشتعلة ، واحتارت الأم في سلوك الطفلة ، وتصادف أن دخلت - ذات مرة - غرفة مربيتها الآسيوية الجنسية ، فوجدتها قد أوقدت ناراً وجلست بجوارها خاشعة ، وبجانبها الابنة الصغرى تقلدها !!! واحتارت الأم ماذا تفعل ، وذهبت إلى الطبيب الذي قال لها - ببساطة - : يجب أن تحافظي على أولادك ، واحرصي على أن تربيهم بنفسك ، ولا تتركيهم للآخرين) [مرسي ، ١٤٠٩هـ ، ص.ص ٣١٧-٣١٨] .

ولا يذهب بنا الحديث بعيداً عن ما يحدث لكثير من أبنائنا في مجتمعنا العربي المسلم السعودي ، حيث كتب الأستاذ صالح محمد جمال - رحمه الله تعالى - في صحيفة عكاظ بعددها (٦١٨٦) الموافق ليوم الأحد ١٤٠٣/٧/٢٥هـ مقالاً بعنوان " الاستقدام والديانات الأخرى " ، ومما جاء فيه : (منذ أيام تحدث متحدث فقال : إنه دخل يوماً على أولاده الصغار ، فوجدهم يصلّون بأسلوب جديد لا يعرفه ، فسألهم ماذا تفعلون ؟. فقالوا : نصلي ، فقال : من قال لكم إن هذه هي الصلاة ؟. قالوا - بسذاجة - : إنها الخادمة التي علمتهم هذه الصلاة التي تصليها هي مع كلمات وعبارات ، وأدرك منها أنها صلاة مسيحية) [الآنسي وزميله ، ١٤١٢هـ ، ص ٢٣١] .

ويضاف إلى ذلك وغيره ما عرضه (التلفزيون ضمن برنامج " باقة ورد " الذي يزور المرضى في المستشفيات ويطمئن على صحتهم ، عرض لقاءً مع طفل عمره ثمانية أعوام أجريت له عملية اللوز ، هذا الطفل قال للمذيع في نهاية اللقاء : " سلّم على الشغالة " ، نسي أباه وأمه ، ولم ينسَ أن يبلغ سلامه إلى الشغالة) [الآنسي وزميله ، ١٤١٢هـ ، ص.ص ٢٣١-٢٣٢] .

وما ذكر من نتائج تخلي الأسرة عن دورها التربوي تجاه الأولاد ما هو إلا غيض من فيض ، وإلا ما حملته الصحف والمجلات ، وما تناقله الناس بين الفينة والأخرى كثير لا يعدّ ولا يحصى ، ولكن أين المعتبرون ، وأين المتّعظون ، إن كثيراً من الآباء والأمهات اليوم ينطبق عليهم قول الرب تبارك وتعالى ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَار ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور** ﴾ [سورة الحج : آية ٤٦] ، وكان من نتائج الاعتماد على المربية في البيت أن أكثر النساء خرجن سواء للعمل أو للتجوال في الأسواق والمنتزهات ، ونتج عنه مزاحمة المرأة للرجال وتكشفها أمامهم بنزع الحجاب إلا من رحم الله ، ساعدها في ذلك دعاة ضالون ينادون بتحرير المرأة من الفضيلة وإيقاعها في مستنقع الرذيلة ، وأخرجوها من مراتب الشرف والعفة ، وساقوها إلى حيث ابتذال الأعراض وهتك الأستار ، وشواهد التاريخ الإسلامي كثيرة بدءاً بالتشريع (الذي أصدره كمال أتاتورك لوجوب نزع الحجاب ، ويخلفه في تنفيذه أتباعه إلى يومنا هذا ، مروراً بأفغانستان الذي نُزِع حجاب المراة بقانون محمد أمان ، ثم وصولاً إلى الجزائر عندما سرق أحمد بن بيلا الثورة الإسلامية ، وحوّلها إلى اشتراكية ، ودعا المرأة إلى خلع الحجاب ، وانتهاءً بمصر عندما وضع " عبد الناصر " كتاب الميثاق ، وفيه أن المرأة تتساوى بالرجل ، ولا بد أن تَسْقُط بقايا الأغلال التي تعوق حركتها الحرة ، حتى تستطيع أن تشارك الرجل بعمق وإيجابية في صنع الحياة ، وأخيراً ما قالته " جيهان السادات " : إنني ضد الحجاب ، لأن البنات المحجبات يُخِفْنَ الأطفال بمنظرهن الشاذ ، وقد قَرّرْتُ - بصفتي مدرسة في الجامعة - أن أطرد أي طالبة محجبة في محاضرتي ، وكم يعاني فتياتنا في بعض جامعاتنا من تسلط شرذمة ممن لا خلاق لهن ، مستخدمات لغة القوة ، رافضات للغة الحوار) [الشيخ ، ١٤١١هـ ، ص.ص ٤٠-٤١ بتصرف] .

والنورسي رحمه الله تعالى قد أبان خطر ترك الحجاب ، كما أبان فوائد الالتزام به على المرأة والمجتمع ، وكل ما ذكر من واقع الأسرة المعاصرة يخالف مطالبة النورسي

بأن (يحول كل شخص بيته إلى مدرسة نورية يتدارس فيها مع أطفاله وأهل بيته رسائل النور) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٣٨١] ، إلا أنه مع كل ما ذكر من الواقع المعاصر لوضع كثير من الأسر في العالم الإسلامي ، فإن الحق أحق أن يتبع ويقال ، حيث أن هناك أسراً لا زالت رائدة في حسن التربية لأبنائها في تفاهم تام لدور كل من الأم والأب والأفراد الآخرين ، وخاصة في هذه البلاد التي لا زال كثير من أسرها تعمل جاهدة على المحافظة وعدم الانبهار بمظاهر المدنية المزيفة ، ولا زالت بلادنا بخير ، ولكننا نطلب المزيد من صدق الثبات على الحق وقوة العزيمة على السير في طريقه ، نسأل الله أن يهديَ ضال المسلمين ، وأن يثبت مهتديهم على الحق المبين .

٢) واقع المسجد المعاصر :

قبل أن يتحدث الباحث عن واقع المسجد في العصر الحاضر ، يرى أن يُذكّر بما كان عليه في عصر صدر الإسلام ، حيث (كان شبيهاً بخلية نحل ، لا يخلو من صلاة وذكر لله ، وتلاوة قرآن ، وتعلم وتعليم وتدريب جهادي ، ومنتدى علم وأدب وشعر ، ومقر شورى ، وحكم وقضاء وإفتاء وحسبة ، واستقبال وفود وتفاوض ، ومنطلق دعوة ، وعقد ألوية وجهاد ، ورباط فقراء ومحتاجين ، ومأوى مسافرين ، وتعاون اجتماعي عام ، ومقر تمريض ، وأن أئمة المساجد كانوا هم أئمة السياسة ، وقادة الجهاد ، ولذلك كان المسجد مقر نشاط الدولة بأكملها) [قادري ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٦٧] .

وهذا ما كان يقوم به النورسي وطلابه ، حيث اهتم ببناء المساجد من أجل العبادة والتعليم والتوجيه والإرشاد ، ثم اللجوء إليها عند الإحساس بالغفلة والبعد عن حقيقة الإيمان ، ثم إلقاء الخطب المتعددة الجوانب ، الفكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ، ونحوها ، كما هو الحال عند خطبته في الجامع الأموي بدمشق ، وقد سبق الحديث عن هذه الجوانب في الفصل الثالث من هذا الباب عند ذكر المسجد كمؤسسة تربوية استغلها النورسي للتربية ، وقد تحدث النورسي عن خطبته الشامية قائلاً : (إخواني : يفهم من هذا الدرس الذي ألقاه " سعيد القديم " منذ ٤٥ عاماً ، أن سعيداً ذاك كان ذا ارتباط وثيق بالسياسة وبشؤون الإسلام الاجتماعية ، ولكن حذارِ أن يذهب بكم الظن إلى أنه كان ينهج نهج اتخاذ الدين أداة للسياسة ووسيلة لها ، حاشا ! وإنما كان يعمل بكل قوة على جعل السياسة أداة للدين) [النورسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٥٨] .

ولكن ماذا عمل أعداء الإسلام والمسلمين بمسجد النورسي الذي بناه ليكون مقراً له

ولطلابه يؤدون فيه الصلاة ، ويقوم بتعليمهم وتوجيههم ؟. إنه الهدم لهذا المسجد ، ومنعه من بقية المساجد ، كما سبقت الإشارة إليه ! وهكذا أصبحت حالة كثير من مساجد العالم الإسلامي اليوم ، وذلك استجابة لأعداء الدين الذين قالوا : (لا يتاح للعالم الإسلامي النجاح والتقدم الحضاري المساير للحضارة الغربية ، حتى يُجعَل الدين محبوساً في زوايا المسجد ، وحتى يتم الفصل بين الدين والدولة في سياستها ونظمها وقضائها ، وكذلك بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، متهمين الإسلام بالعجز والقصور عن مواكبة ركب العصر الحاضر في أنواع تقدمه العلمي والحضاري والمدني) [الميداني ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٤٩] .

و لم يكتفِ الأعداء بذلك ، بل قاموا بإحداث معاهد وجامعات في أكثر بلدان العالم الإسلامي تسمى (بالمدارس المدنية ، وقد سلم الاستعمار أزمّة أمور البلدان الإسلامية لتلك المعاهد والجامعات ، وأغروهم بالمناصب والرواتب والجاه ، وقللوا من شأن المساجد وأئمتها وخطبائها وطلابها وعلمائها ، حتى صاروا في حالة مزرية ، لا يقدِّرهم المجتمع ، بل ينظر إليهم أنهم قوم عاجزون يتوظفون في المساجد لالتماس لقمة العيش ، وليسوا صالحين أن يقودوا حياة الناس كما كانوا يفعلون من قبل ، وأقفر أكثر المساجد من التعلم والتعليم ، وقلّ قاصدوها حتى للصلوات الخمس ، و لم يقصدها إلا قلة من كبار السن ، أما الشباب فانصرف عنها انصرافاً شبه كامل تقريباً ، و لم يعد المسلمون بسبب ذلك يطمعون في أن يربيَ المسجدُ أبناءهم ، أو يُخَرِّجَهم ذوي كفاءات يقودون بها مجتمعهم ، فصرفوهم إلى المدارس والمعاهد والجامعات التي شوهت مناهجُها الإسلامَ ورسولَ الإسلام) [قادري ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٦٨] .

ويرى الباحث أن هذا الحال لا زال في كثير من دول العالم الإسلامي التي تدعي الإسلام ، وتجعل دينها الرسمي الإسلام ، ولكن الواقع يصدق ذلك أو يكذبه ، إلا أن من الاعتراف بالحق أن ينوه الباحث بواقع المساجد في هذه البلاد ، وأنها لا زالت بخير ، وستظل بمشيئة الله تعالى ، حيث يتعلم فيها الأبناء القرآن الكريم تلاوة وحفظاً ، إلى جانب إقامة الدروس العلمية والمحاضرات المتنوعة لكثير من العلماء والدعاة وطلاب العلم ، ثم الاختيار الموفق لأئمة المساجد ممن هم مؤهلون علمياً وخُلقياً من قبل المسؤولين بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، جزى الله القائمين عليها كل خير وسدد خطاهم ، وبارك في جهودهم ، مع ملاحظة أن مكانة الأئمة هنا وسمعتهم لدى المجتمع تختلف عن سائر الدول الأخرى من حيث الاحترام والتقدير وقبول التوجيه والإرشاد ،

وأنهم في غالبهم لا ينظرون إلى الكسب المادي من وراء تلك الوظيفة لوجود عدد كبير منهم على وظائف مختلفة ذات مراتب ومرتبات عالية ، عكس ما وصل إليه الحال من النظرة إلى الأئمة في دول العالم الإسلامي من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ، ثم لقد أحسن ولاة الأمر في هذه البلاد - وفقهم الله لما يحبه ويرضاه - (صنعاً عندما عُقِدت أول جلسة للمؤتمر الإسلامي الثالث الذي عقد في الطائف في المسجد الحرام أمام الكعبة المشرفة ليثبتوا للعالم أن السياسة العادلة التي مصدرها شرع الله هي جزء من هذا الدين ، ولا تنفصل عنه بحال من الأحوال) [قادري ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٦٩] .

والباحث يرى أن أغلب المساجد في المجتمع الإسلامي بشكل عام يخالف واقعها المعاصر ما دعا إليه النورسي ، وما كان يقوم به من توجيه وإرشاد وتعليم لطلابه خاصة ، وأبناء الأمة عامة ، إلا في جوانب متعددة لمساجد المملكة .

٣) الواقع التعليمي المعاصر :

المدرسة هي تلك (المؤسسة الاجتماعية المتخصصة التي عهد إليها المجتمع بتربية وتنشئة الأجيال الصاعدة من أبناء الأمة) [مرسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٢٧٨] ، والمدرسة تضم المناهج والمعلم والطالب ، وتعتبر أهم عناصر التعليم ، وكان للنورسي آراء تربوية حول هذه العناصر لنرى مدى ما يطبق منها الآن في واقع التعليم المعاصر .

أ / المناهج : إن النورسي - رحمه الله تعالى - دعا إلى شمولية المناهج لعلوم الدين والدنيا معاً ، وطالب المسؤولين (بفتح المدارس التي تعلم العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء بجانب المدارس الدينية) [الصالحي ، ١٩٨٧م ، ص ٢٧] ، على أن تخدم هذه العلوم العقيدة ، وتوصل إلى معرفة الله تعالى ، لأن (أساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها هو " معرفة الله تعالى " ، كما أن أس هذا الأساس هو " الإيمان بالله جل وعلا ") [النورسي ، ١٤١٢هـ ، ص ٣٥٥] ، وأخبر أن رسائل النور (لا ترجع إلا إلى القرآن) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٢١] .

وبذلك يتضح رأيه في المنهج العلمي أنه يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، مع وجوب تحقيقه لمعرفة الله تعالى وعبوديته دون سواه ، ثم شموليته لما يحقق سعادة الدارين : الدنيا والآخرة ، فهل واقع مناهج التعليم في العالم الإسلامي اليوم تتفق مع ما دعا إليه النورسي وحاول تحقيقه في حياته ؟. إن واقع مناهج التعليم في كثير من شعوب العالم الإسلامي اليوم

تخالف ما دعا إليه النورسي ورغب في تحقيقه ، حيث عمل الأعداء على التدخل في مناهج تعليم الدول الإسلامية بما فيها الدول العربية ، إلا من رحمه الله ، وقليل ماهم ، فحصل (فصل العلوم الدينية عن العلوم الأخرى فصلاً يجعل بين القسمين هوّة سحيقة واصطناع الخلاف والشقاق ، ثم العداء بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، وبين علماء هذيْن القسمين ، وتيسير سبل المال والمجد الدنيوي والمراتب والوظائف لمتعلمي علوم الدنيا ، مع حجبها عن نظائرهم من متعلمي علوم الدين ، و لم تقتصر عملية الفصل هذه على مستوى التخصص العالي ، بل كانت المكيدة شاملة ، تهدف إلى عزل طلاب علوم الدنيا عن الدراسات المتعلقة بعلوم الدين عزلاً تاماً في الصيغة والطريقة والمضمون ، وإلى عزل طلاب علوم الدين عن الدراسات المتعلقة بعلوم الدنيا عزلاً تاماً أيضاً ، وذلك لئلا تنكشف الملاءمة بين الأصول الصحيحة لقسمي علوم الدين وعلوم الدنيا ، ولئلا تظهر الصداقة العميقة والأخوة العريقة بين القسمين ، فينصر الحق من كلٍ منهما الحقَّ من صاحبه ، وينفي عنه الدخيل الدعي ، ولئلا تتكامل منهما المعرفة على صراط الله المستقيم ، فيحتل المسلمون مجد الدنيا والآخرة) [الميداني ، ١٤٠٢هـ ، ص.ص ٢٤٤-٢٤٥] .

بهذا يتضح هدف الأعداء من وراء هذا الفصل ، حيث أنهم يسعون إلى الإضرار بمصلحة المسلمين ، سواء من طلب منهم علوم الدين لوحدها ، أو طلب علوم الدنيا لوحدها ، وأن الهدف إيجاد أسباب دوامة الخصام والخلاف بين الفريقين لإشغالهم عن معرفة مكمن القوة والسعادة في المجال التعليمي والذي يتحقق بإذن الله باجتماع الأصالة والمعاصرة لتحقيق أهداف سامية دينية ودنيوية ، فتتحقق السيادة والريادة كما كانت لأسلافهم ، وقد حقق الأعداء الكثير من المصالح على حساب المسلمين بدوامة هذا الصراع المرير ، وكان من مكر الأعداء أن خططوا للتعليم المختلط بين الرجال والنساء ، فاستجابت كثير من دول العالم الإسلامي لهذه الدعوة الماكرة ، ظناً منهم – لما يجهلونه من أضرار لتلك الدعوة – أن ذلك سبب التقدم العلمي في الغرب ، مع العلم (أن نتيجة اختلاط المرأة بالرجل في أوربا أثرت تأثيراً كبيراً على حضارتها ونهضتها ، ونلاحظ أن المفكرين الأوروبيين بدأوا يحذرون مجتمعاتهم من المصير الذي آلت إليه حضارتهم نتيجة الإفراط في تبرج المرأة واختلاطها) [الآنسي وزميله ، ١٤١٢هـ ، ص.ص ٢٨٥-٢٨٦] .

ومعلوم أن النورسي – رحمه الله تعالى – اهتم بتعليم المرأة على مختلف مراحل عمرها منفصلة عن الرجال ، حيث خصهن بنصائح وتوجيهات ورسائل تتفق ومهمتهن التربوية ، كرسالة الحجاب مثلاً ، لأن (من آداب التربية الإسلامية وحدود الإسلام التي

لا ينبغي تجاوزها ، الفصل في التعليم بين البنين والبنات ، عملاً بعموم الأحاديث والوقائع التي فصل فيها الرسول ﷺ النساءَ عن الرجال في المجالات العامة ، كالمساجد ، فقد جعل للنساء صفوفاً تبدأ من آخر المسجد - أي من أبعد مكان فيه عن الرجال ، فقال : « خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها » [أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها ، ج١ ، ص ٢٧٣ ، برقم ٤٤٠] .

وقد جعل رسول الله ﷺ يوماً للنساء لئلا يختلطنَ بالرجال ، وكنّ قد طلبنَ منه ذلك ، لأنهن رُبّين تربية إسلامية ، فلا يرضيْنَ لأنفسهن من الاختلاط ما لا يرضاه الله ورسوله) [النحلاوي ، ١٤٠٨هـ ، ص ٢٠٠] ، فشتان بين فكر النورسي المبني على الإيمان وبين أفكار القائمين على وضع مناهج التعليم في كثير من المجتمعات الإسلامية ، الذين يقلدون تقليداً أعمى كل ناعق وناهق ، إلا أنه مما ينبغي ذكره هنا أن أهداف وغايات سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية تخالف أهداف وغايات التعليم في كثير من دول العالم الإسلامي ، لذلك رأى الباحث اختيار عدد من الأهداف وتدوينها هنا ، لتتضح الرؤية لمن أراد معرفة الجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وأن ذلك ممكن ومفيد ، ومن أهم تلك الأهداف :

- غاية التعليم فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملاً ، وغرس العقيدة الإسلامية ، ونشرها وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلامية وبالمثل العليا ، وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة ، وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة ، وتطوير المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، وتهيئة الفرد ليكون عضواً نافعاً في بناء مجتمعه .

- تنمية روح الولاء لشريعة الإسلام ، وذلك بالبراءة من كل نظام أو مبدأ يخالف هذه الشريعة ، واستقامة الأعمال والتصرفات وفق أحكامها العامة الشاملة .

- النصيحة لكتاب الله وسنة رسوله بصيانتهما ورعاية حفظهما ، وتعهد علومهما ، والعمل بما جاء فيهما .

- تزويد الفرد بالأفكار والمشاعر والقدرات اللازمة لحمل رسالة الإسلام .

– تحقيق الخُلق القرآني في المسلم والتأكيد على الضوابط الخلقية لاستعمال المعرفة « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق – وفي رواية : صالح الأخلاق – » ، رواه البخاري في الأدب المفرد ، برقم ٢٧٣ . وأحمد في المسند ، ج٢ ، ص٣١٨ ، وهو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره . [الألباني ، ١٤٠٥هـ ، ج١ ، ص٧٥ ، برقم ٤٥] .

– دراسة ما في هذا الكون الفسيح عن عظيم الخلق ، وعجيب الصنع ، واكتشاف ما ينطوي عليه من أسرار قدرة الخالق للاستفادة منها وتسخيرها لرفع كيان الإسلام وإعزاز أمته .

– بيان الانسجام التام بين العلم والدين في شريعة الإسلام ، فإن الإسلام دين ودنيا ، والفكر الإسلامي يفي بمطالب الحياة البشرية في أرقى صورها في كل عصر .

– تكوين الفكر الإسلامي المنهجي لدى الأفراد ليصدروا عن تصور إسلامي موحد فيما يتعلق بالكون والإنسان والحياة ، وما يتفرع عنها من تفصيلات .

– تشجيع وتنمية روح البحث والتفكير العلميين ، وتقوية القدرة على المشاهدة والتأمل ، وتبصير الطلاب بآيات الله في الكون وما فيه ، وإدراك حكمة الله في خلقه لتمكين الفرد من الاضطلاع بدوره الفعال في بناء الحياة الاجتماعية وتوجيهها توجيهاً سليماً .

– الاهتمام بالإنجازات العالمية في ميادين العلوم والآداب والفنون المباحة ، وإظهار أن تقدم العلوم ثمرة لجهود الإنسانية عامة ، وإبراز ما أسهم به أعلام الإسلام في هذا المجال ، وتعريف الناشئة برجالات الفكر الإسلامي ، وتبيان نواحي الابتكار في آرائهم وأعمالهم في مختلف الميادين العلمية والعملية .

– تنمية مهارات القراءة وعادة المطالعة سعياً وراء زيادة المعارف .

– اكتساب القدرة على التعبير الصحيح في التخاطب والتحدث والكتابة بلغة سليمة وتفكير منظّم .

– تنمية القدرة اللغوية بشتى الوسائل التي تغذي اللغة العربية ، وتساعد على تذوقها وإدراك نواحي الجمال فيها أسلوباً وفكرة .

– تدريس التاريخ دراسة منهجية مع استخلاص العبرة منه ، وبيان وجهة نظر

الإسلام فيما يتعارض معه ، وإبراز المواقف الخالدة في تاريخ الإسلام وحضارة أمته ، حتى تكون قدوة لأجيالنا المسلمة ، تولد لديهم الثقة والإيجابية .

– تبصر الطلاب بما لوطنهم من أمجاد إسلامية تليدة ، وحضارة عالمية إنسانية عريقة ، ومزايا جغرافية وطبيعية واقتصادية ، وبما لمكانته من أهمية بين أمم الدنيا .

– إيقاظ روح الجهاد الإسلامي لمقاومة أعدائنا ، واسترداد حقوقنا ، واستعادة أمجادنا ، والقيام بواجب رسالة الإسلام .

– إقامة الصلات الوثيقة التي تربط بين أبناء الإسلام ، وتبرز وحدة أمته .

نعم ، هذه بعض أهداف سياسة التعليم في المملكة ، والتي تم اعتمادها بقرار مجلس الوزراء الموقر رقم ٧٧٩ في ١٣٨٩/٩/١٦هـ) [وزارة المعارف ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ١٠-١٤ بتصرف] .

وهذه الأهداف تتفق في كثير من جوانبها مع أفكار النورسي وآرائه التربوية ، بل إنها تفوقها قوة وتأكيداً ، ولكن ما مدى التطبيق العملي لهذه الأهداف النظرية القوية ؟. الإجابة تحتاج إلى بحوث ميدانية لتقف على حقيقة ذلك من قِبَل رجال التربية والتعليم المباشرين .

ب/ المعلم : من المعلوم أن المعلم هو (أهم عنصر في العملية التربوية ، حيث إنه هو القادر على أن يجعل من المهارات والمعارف التي يكسبها لطلابه خيوطاً قوية تتلاحم في شخصياتهم ، وذلك من خلال تفاعله معها ومعهم ، وأيضاً من خلال المواقف التي يتخذها شخصياً أثناء حياته داخل المدرسة ، بل وخارجها أيضاً) [مرسي ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٧] .

وقد ذكر النورسي أهمية تقيد المعلم بآداب سلوكية وعلمية متعددة ، ذكرت عند الحديث عن آداب المعلم والمتعلم في الفصل الثاني من هذا الباب ، ولكن هل واقع المعلم اليوم يتفق مع آراء النورسي ؟.

إن المعلم في كل بلد إسلامي ينفذ ما رسم له من خطط تعليمية ضمن مناهج التعليم في بلاده ، وما دام أننا عرفنا حال تلك المناهج فالمعلمون تبع لها ، حتى أصبح الكثير من الناس يتصور أن التدريس (مهنة من لا مهنة له ، أي أن أي إنسان يستطيع أن يدرّس دون

إعداد ، أو حتى دون استعداد) [مرسي ، ١٤٠٥هـ ، ص ١١] .

ويلمس في واقعنا المعاصر (ضعف مدرس المادة في مستوى تدريسه ، وفي ضعف مهارته العلمية ، وكذلك في عدم قدرته على إيصال المعلومات إلى تلاميذه ، وكذلك في عدم القدرة على تخطيط وإعداد الدروس) [الآنسي وزميله ، ١٤١٢هـ ، ص ٩٣] .

كما أنه يفتقد الآن المعلم المؤهل ثقافياً المطلع (على مجموعة كبيرة من العلوم والمعارف في تخصصه أو في غير تخصصه) [الآنسي وزميله ، ١٤١٢هـ ، ص ٩٦] .

ويرى الباحث عدم التعميم ، حيث يوجد مجموعات في أوساط المعلمين تستحق التقدير والاحترام ، حيث يلمس منه الجد والاجتهاد والمثابرة على تحصيل العلم وتعليمه ، ولكن هم الأقل نسبة من بين المعلمين .

هذا حال كثير من معلمي هذا العصر ، ضف إلى ذلك ما قام به الأعداء من تغريب كثير من رجال التعليم في بلاد الإسلام ، لذلك (اهتموا بصَب ما يريدون في عقول أعداد لا بأس بها من أبناء الأمة الإسلامية الذين امتهنوا التدريس ، سواء على مستوى الجامعة ، أو في مستويات التدريس المختلفة ، حيث يسروا لهم سبل الابتعاث للخارج ، أو التدريب في جامعاتهم ومراكزهم ، بحيث يعودون إلى مجتمعاتهم ليمارسوا التأثير الذي يرتضيه الداعون إلى التغريب في مجتمعاتنا ، ولقد رأينا ذلك يحدث في كثير من بلاد العالم الإسلامي ، وفي التعليم العسكري والمدني على السواء) [مرسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٤٧] .

جـ/ الطالب : لا شك أن الطالب هو عنصر مهم في العملية التعليمية ، فلولاه لما أعدت المناهج ، وشيدت المباني ، وأوجد المعلمون ، والطالب يتلقى ، فإن كانت المناهج سليمة والمعلم مستقيماً ، كان الطالب سليم الفكر ، مستقيم القلب ، وإن كان على العكس من ذلك ، فهو تبع له ، وعرفنا حالة المناهج والمعلمين في كثير من بلاد العالم الإسلامي ، وأنها مُسَيّرة من قِبَل عقولٍ ضلت الطريق الصحيح ، إلا من رحم الله ، فالطالب هو في الدرك الأسفل من البعد عن الحق والصواب ، إلا من كانت له أسرة مستقيمة وَعَتْ الخطر ، فشمرت عن ساعد الجد في توجيه المعوج الذي أصاب الأبناء نتيجة التربية المدرسية المعوجة ، ونتيجة لتقليد الغرب والسير في ركابه في المجال التعليمي ، فقد ثبت (أن الجامعات التي يطبق فيها الاختلاط أصبح طلابها وطالباتها من

أسوأ الطلاب استيعاباً للعلم ، وأحطّ أخلاقاً ، والكل فيها منصرف إلى تحسين شكله والعناية بمظهره ، ليحظى كل منهم بإعجاب أكبر عدد ممكن من أصدقاء وصديقات) [العودة ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٧] .

وهاهي شهادة بعض من اصطلى بنار ذلك الاختلاط تنبعث من داخل أروقة الجامعات التي تطبق الاختلاط ، فقد (ثبت بعد تحقيق أجرته مجلة (الاثنين) المصرية أن الاختلاط في الجامعة مشغلة للفتيان والفتيات عن الدراسة الفعالة والتحصيل العلمي ، وروت المجلة عن طالبة بكلية الحقوق أن زميلها الفتى يقضي هذه المرحلة من التعليم مفكراً في جد واهتمام في أقرب طريق لعقد صفقات تعارف مع الطالبات ، تبرأ منها الزمالة العلمية الحقة ، وقالت طالبة أخرى في كلية الآداب : إن بعض زملائها في الكلية لم يأتوا لطلب العلم ، وإنما أتوا ليطلبوا القرب من الطالبات) [العودة ، ١٤١٣هـ ، ص.ص ٢٧-٢٨] .

هذا في مجال التعليم الجامعي ، فما الحالة إذن في التعليم الثانوي ، قمة سن المراهقة والبلوغ ؟. إن الحال أشدّ خطراً وأكثر بعداً عن التحصيل العلمي ، وقد ظهرت مشاكل متعددة لدى كثير من الطلاب على المستوى العام في مراحل التعليم ، مختلط وغير مختلط ، أوصلها بعض الباحثين إلى خمس عشرة مشكلة تمثلت في (السرقة ، إثارة الشغب والعدوان ، التأخر الدراسي ، الميوعة والخنفسة ، التأخر صباحاً ، الكذب ، صعوبة النطق ، الغش في الاختبارات ، الرسوب ، التسرب ، عدم مساهمة التلاميذ في تنظيم المدرسة ، عدم القدرة على تحمل المسؤولية ، عدم اشتراك التلاميذ في النشاط المدرسي ، الفراغ ، عدم الاهتمام بصحة التلاميذ) [الآنسي وزميله ، ١٤١٢هـ ، ص ١٢٩] ، ويضاف إلى ما ذكر : الهروب من المدرسة ، إهمال الواجبات المدرسية ، الضعف في الكتابة ، وخاصة ما يلاحظ من ضعف في اللغة العربية والإملاء ، كثرة الغياب ، وهذه الحالة المعاصرة لكثير من الطلاب اليوم ، والتي في غالبها كانت ناتجة عن الكسل وحب الرحاة ، وقد كان النورسي – رحمه الله – يحذر طلابه منها في مواضع عدة من رسائله ، تتضح بالرجوع إلى آداب طالب العلم .

٤) وسائل الإعلام المعاصرة :

كان للنورسي – رحمه الله تعالى – اهتمام بوسائل الإعلام التي كانت موجودة في عصره ، وقد استخدم بعضها في نشر آرائه وأفكاره التربوية حسب ما أتيح له منها ، مثل

الصحف ، واستمع إلى الراديو ، وأشار إلى أهميته التربوية شريطة أن تكون برامجه مفيدة وموجهة توجيهاً سليماً لتخدم الأهداف التربوية السليمة ، و لم تكن وسائل الإعلام في حياته كما هي عليه الآن ، حيث تطورت وتعددت ، وأصبحت ذات تأثير فعال في حياة الأمة والشعوب سلباً أو إيجاباً ، وبنظرة فاحصة سليمة لإعلام الدول الإسلامية اليوم يجد الناظر (إعلاماً تتنازعه مرجعيات مستوردة ، ومفاهيم غريبة عن فكر ومصير الأمة) [الطويرقي ، ١٤١٤هـ ، ص ٦٣] .

ولذلك فإن واقع الإعلام الإسلامي اليوم بعيد عن واقع الأمة التربوي ، حيث يتسم بالسمات السلبية التالية :

أ / التقليد الأعمى والتبعية المقيتة : إن وسائل الإعلام في كثير من جوانبها المختلفة وعلى مستوى العالم الإسلامي ، تعشق تقليد الغرب أو الشرق في المادة التي تقدمها ، فتصبح تابعة ذليلة لا تقدم جديداً للفائدة ، ولا تترفع عن تقديم مادة مستوردة ضارة لفكر الأمة وعقيدتها ، حيث (لا تكاد تخلو وسيلة إعلامية عربية من متابعات لاهثة لسخافات وحماقات ، وتوافه المجتمع الغربي ، وتمتلئ صحافتنا بكل صغيرة وكبيرة عن مجتمعات لا تعنينا من قريب أو بعيد ، فأخبار ومتابعة نجوم الفن والرياضة والظواهر غير الطبيعية تملأ أوعية الاتصال العربية ، وبشكل منقطع النظير ، وليس بالمستغرب أن تجد من يدافع عن توجهات مهنية كهذه في صحافتنا العربية لأسباب تتعلق بضرورة معايشة ما يحدث من حولنا ، أو على افتراض أنها انفتاح على العالم المتقدم ، إلى آخر تلك التبريرات السطحية وغير المقبولة مهنياً ، إن معظم هذه التبريرات لا يدل إلا على فشل مهني ليس إلا ، وهروب من ممارسة الصحافة لمهامها الاجتماعية كما ينبغي لها) [الطويرقي ، ١٤١٤هـ ، ص.ص ٤٠-٤١] .

ب/ الازدواجية في الإعلام عند كثير من شعوب العالم الإسلامي : ويقصد به الباحث وجود برامج دينية إلى برامج بعيدة الصلة بالدين ، بل قد تكون محاربة لما قُدم في البرامج الدينية ، وذلك مشاهد وملموس ، سواء في المجال الإذاعي أو الصحفي أو التلفزيوني ، فالمستمع قد يستمع إلى برنامج يتناول تحريم التبرج والاختلاط وسماع الأغاني الماجنة ، وبعد الانتهاء يسمع إلى ما يناقض ذلك تماماً ، وكذلك في الصحف ، يخصص صفحات إسلامية ، وكأن بقية صفحات المجلة أو الصحيفة غير إسلامية في بلد إسلامي ، وهكذا واقع الإعلام الإسلامي اليوم ، ضف إلى ذلك وجود إذاعات للقرآن الكريم في بعض الدول ، كالمملكة والكويت ومصر والبحرين مثلاً ، تقدم برامج تربوية مفيدة ،

ولكن تجد ما يناقضها في البرنامج العام ، ولذلك يقول أحد الكتّاب : (نجد الإعلام الديني المعاصر يتركز فيما يلي : المساجد ، والصفحات الدينية في بعض الجرائد اليومية ، والأبواب الثابتة فيها وفي بعض المجلات ، والمجلات الأسبوعية الإسلامية المتخصصة ، والكتب والكتيبات ، والبرامج الدينية في الراديو ، والبرامج الدينية في التلفزيون وإذاعات القرآن الكريم ، والمواد الإعلامية التي تعكس صوراً من الثقافة الإسلامية ، مثل المسلسلات وبعض البرامج الثقافية ، والإذاعات الحية للمناسبات الدينية ، والمواد الإعلامية لشهر رمضان وللأعياد والمواسم ، وقرآن الافتتاح والختام ، والأفلام الروائية ، مثل الرسالة ، والقادسية ، وعمر المختار ، والأفلام التسجيلة عن الآثار الإسلامية أو عن المناسك ، وبخاصة الحج) [محمد ، ١٤٠٣هـ ، ص ٥٦] .

وبهذا يتضح مدى الازدواجية في الإعلام للدول الإسلامية ، وأن الإسلام في نظر الإعلاميين أصبح دين المناسبات لا دين العقيدة الصحيحة والتربية الإسلامية المستمرة ، إلا أنه رغم ذلك فإن الباحث يرى الإشادة بما وصلت إليه بعض المجلات الإسلامية ذات الفكر الإسلامي الصافي ، مثل مجلة المجتمع الكويتية ، ومجلة البيان التي يصدرها المنتدى الإسلامي بلندن ، ومجلة الدعوة السعودية ، ومجلة الإصلاح الإماراتية ، ومجلة الأمة القطرية ، وإن كانت توقفت ، إلا أنها لا زالت تتبنى إصدار سلسلة من الكتب المفيدة باسم كتاب " الأمة " ، وقد صدر منه حتى الآن أكثر من أربعين كتاباً ، وهناك مجلات أخرى ونشرات تصدر ، لها دور تربوي طيب ، ولكن لا زالت في مستوى أضعف من سابقتها .

جـ/ ضرره أكثر من نفعه : يشير النورسي إلى الإنسان (كما أنه محتاج إلى استماع الحقائق فهو محتاج أيضاً إلى شيء من اللهو والترفيه ، ولكن يجب أن تكون حصة هذا الترفيه المفرح الخمس مما ينقله الهواء ، وبخلافه تقع منافاة لسرّ حكمة الهواء ، حيث يؤدي إلى دفع الإنسان إلى أحضان الكسل وحب الراحة والخمول والسفه ، ويسوقه إلى عدم إتمامه وظائف ضرورية له ، وتركها ناقصة غير كاملة) [النورسي ، ١٤١٦هـ ، ص.ص ٣٤٩-٣٥٠] ، إلا أن واقع الإعلام الإسلامي اليوم على العكس تماماً ، حيث نفعه العشر ، وضرره تسعة أعشار برامجه ، فأصبح في أغلب برامجه (إعلاماً فاجراً لا يرعى الله ولا الأخلاق ولا القيم ، ويحقق للصهيونية والصليبية كل ما تبغيه ، عقيدة وخلقاً وسلوكاً) [جريشة ، ١٤٠٨هـ ، ص ٨٩] ، ووصل به الأمر إلى إقامة (الحملات الإعلامية الضخمة التي تمجد الحب والزنا ، وتسخر من الزواج وقيوده ، وتُسمي

الموسسات كواكبَ ونجوماً يُقتدَى بها ، ويُهتدَى بهديها ، وتُخرج مجلات وصحف بهذا الاسم ، وتنتشر الأفلام والقصص والمسرحيات والأغاني والتمثيليات التي تمجد الزنا وتغلفه باسم الحب ، وتسخر من الزواج وقيوده البغيضة) [البار ، ١٤١٥هـ ، ص.ص ١٤٣-١٤٤] .

د / مصادمة الوسائل الإعلامية للوسائل التربوية : الإعلام مؤسسة من مؤسسات المجتمع ، والمفترض عليه أن يشارك المؤسسات الأخرى التربية والتوجيه السليم ، إلا أن الإعلام بشكل عام تخلى عن هذه الوظيفة ، وليت الأمر وقف عند هذا التخلي ، بل إنه سلك طريقاً معوجاً ناقض به الوسائل التربوية الأخرى ، ولذلك أصبح الشاب في المجتمع الإسلامي يعيش في حيرة من أمره ، لِما يشاهد من المتناقضات بين المؤسسات التربوية ، ويكفي ذلك ما شهد به الأعداء ، حيث (بينت إحدى الدراسات الأمريكية أنه مع نهاية المرحلة الابتدائية يكون المراهقون قد شهدوا حوالي (٨) آلاف من مشاهد القتل ، وما يزيد على مائة ألف من أعمال العنف الأخرى ، ورغم أن تلك المشاهد تبدو مروعة للأطفال والمراهقين في البداية ، إلا أنهم يعتادون عليها تدريجياً ، ومن ثَم يأخذون في الاستمتاع بها وتقليدها ، ويؤثر ذلك في نفسياتهم واتجاهاتهم التي تبدأ في الظهور بوضوح في سلوكهم حتى في سن الطفولة ، الأمر الذي قد يزداد استحواذاً عليهم عندما يصبح لهم نفوذ في الأسرة والمجتمع) [مجلة المعرفة ، ٢٨ ، في رجب عام ١٤١٨هـ ، ص ١٨٧] .

وفي نفس المجلة أيضاً ورد عنوان بِـ (ماذا يفعل التربويون مع الإعلاميين) ، وكُتِب تحت هذا العنوان ما يلي : (٥٠٪ من الشباب الخليجي يفكرون بشكل جدي فور مشاهدتهم لبرنامج إجرامي أو إباحي في تطبيق ما شاهدوه بشكل فعلي ، وقال عبد الله ابن خميس الكبيس في رسالة علمية تطبيقية قُدمت لنيل الماجستير من أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، أن نسبةً عالية من المراهقين يترجمون ما يقدم في القنوات الفضائية من أعمال تمثيلية الدراسة المعنونة بِـ " علاقة وسائل الاتصال المرئية بالسلوك الانحرافي " أوصت بتعويد الشباب الرقابة الذاتية ، حيث لا يجدي المنع غالباً .

المطلوب أيها التربويون برنامج عملي مفصل لتفعيل الرقابة الذاتية وتعزيزها) [مجلة المعرفة ، ٢٨ ، في رجب عام ١٤١٨هـ ، ص ١٨٧] .

والمراقبة الذاتية لن يكون مصدرها إلا التربية الإسلامية الصادقة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإلا فلا رقابة ذاتية لعدم وجود الخوف من الوقوع في المحرم ، أو النظر

إليه ، ونحو ذلك ، ويقول الدكتور / محمد جابر الأنصاري – وهو عميد الدراسات العليا في جامعة الخليج العربي – : (أي تربية في عصر التلفزيون ؟!. هل نحن بحاجة إلى طرح هذا السؤال والإجابة عنه في زمن " التلفزيون " ، إنه التلفزيون بطبيعة الحال ! أو التلفاز بالعربي الفصيح ، الذي عربنا فيه الاسم دون المسمى ، نعم ، التلفزيون – يا سادة – صار هو الأم والأب ، وصار هو المعلم للطفل منذ نعومة أظفاره ، هل من أحد يساوره شك في ذلك ؟!. والتأثير يزداد ويتفاقم مع القنوات الفضائية ، وأجهزة الفيديو ، وألعاب الكمبيوتر ، واختراقات " الإنترنت " ، وكل عناصر هذه العائلة الكريمة احتلت محل أعرق العائلات في كل مكان من هذه " القرية الكونية " ، قبح الله التلفزيون ، وقبح الله هذا التقدم العصري " الحداثة وما بعدها " ، الذي أوصلنا هذه المواصيل ، ولكن أرجو ألا يساء فهمي ، فأنا لا أقصد التلفزيون – بالتخصيص – في بلد ، إني أقصد التلفزيون – بالمطلق – في كل بلد ! فهو المسؤول عن انتشار " التفاهة " في كل بلد ، وأعتقد من الناحية التربوية ، وكذلك من الناحية التثقيفية العامة أنه ما لم ننجح في تربية التلفزيون أولاً ، فإن جهودنا الأخرى في البيت والمدرسة والمجتمع لن تحقق النجاح الذي نُؤَمِّلُه ، بل سَتُعَرِضُها للإخفاق) [مجلة المعرفة ، العدد الأول ، شهر رجب عام ١٤١٧هـ ، ص.ص ١٣٤-١٣٥] .

هذا هو حال الإعلام المعاصر ، فأي تربية ناجحة ومفيدة معه ؟. أقول : إن اليأس ليس من صفات المؤمنين ، فلا مسوغ إلى التقاعس والتخلي عن دور التربية الإسلامية ، فإن الإخلاص والتوكل ومواصلة العمل وعدم اليأس عناصر فعالة تحقق – بإذن الله – المراد ، كما وجه نبي الله يعقوب عليه السلام بنيه بذلك عند بحثهم عن يوسف وأخيه بنيامين ، كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ، وَلاَ تَيْأَسُواْ مِنْ رَوْحِ اللهِ ، إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُون** ﴾ [سورة يوسف : آية ٨٧] .

٥) السجون :

لم يتوفر لدى الباحث المراجع التي تعطي حقيقة واقع السجون في العالم الإسلامي ، إلا أن واقع المؤسسات التربوية والتي سبق الحديث عنها ، من المدرسة والأسرة والمسجد والإعلام في الدول الإسلامية لم يكن بالمستوى الذي يرقى إلى معنى التربية الإسلامية الشاملة ذات الأصول الإسلامية الثابتة من كتاب وسنة وهدي سلف صالح ضربوا أروع الأمثلة في حسن السيرة والسلوك عندما ساروا على النهج السليم الصحيح المبني على كتاب

الله وسنة رسوله ﷺ ، وبطبيعة الحال فإن السجون في واقع الأمة الإسلامية المعاصر أتعس حظاً من غيرها ، خاصة وأن أغلب شعوب الأمة الإسلامية ابتليت بحكام خدموا الأعداء ، من اليهودية العالمية ، والنصرانية الحاقدة على الإسلام والمسلمين ، وقد جاءوا عن طريق الانقلابات العسكرية ، ابتداءً بكمال أتاتورك في تركيا ، والذي (لم يكتفِ بإزالة دولة الخلافة - العقبة القائمة يومئذٍ في وجه إقامة الدولة اليهودية في فلسطين - ، بل نكل بالمسلمين تنكيلاً وحشياً ، فقتل منهم عشرات الآلاف من علماء الدين ومن المتمسكين بالدين عامة ، وألغى كل أثر للدين في واقع الحياة ، بدءاً بالشريعة الإسلامية والمحاكم ، ومروراً بكل شيء يخطر على البال ! وكانت التجربة في الحقيقة هي " الرصيد " الذي رجعت إليه الصليبية الصهيونية وهي تخطط لحرب الإسلام في المنطقة ، والذي أقامت على منواله " أتاتورك " آخر ، هو " جمال عبد الناصر " ليقوم بنفس الدور ، ولنفس الأهداف ، وإن اختلفت الوسائل بعض الشيء ما بين أتاتورك الأول وأتاتورك الجديد ، وتميز هذا العهد بالعنف الإجرامي في محاولة القضاء على الحركة الإسلامية ، والمذابح الوحشية ، وفنون التعذيب البربرية التي تعرض لها المسلمون بالجملة مما لا مثيل له في التاريخ كله ، إلا ما حدث في محاكم التفتيش في الأندلس للقضاء على الإسلام هناك ، وقد كان اختيار العساكر حكاماً في المنطقة مقصوداً لهذا الأمر بالذات) [قطب ، ١٤٠٧هـ ، ص.ص ٣٥٢-٣٥٣ بتصرف] .

وممن اصطلى بنار التعذيب في عهد النموذج الأول - كمال أتاتورك - شخصية البحث ، حيث عاش أغلب حياته ما بين السجن والنفي والإقامة الجبرية ، مع أنه كان بعيداً عن العنف في دعوته ، ولكن لما يحمله من إيمان يحاول تربية أفراد الأمة عليه ، إلا أنه - رحمه الله - استغلّ وجوده في السجون ، فوجّه وربّى ونصح جميع نزلاء السجون التي مرّ بها ، وحوّل السجون إلى مدارس تربوية نورية ، وهذا هو الحال الذي يجب أن تكون عليه السجون في بلاد المسلمين ، حيث (أن الدعوة في السجون لها تاريخ طويل ، يبدأ في عهد النبي يوسف عليه السلام ، ويستمرّ حتى هذا العصر مروراً بعهد النبوة والخلافة الراشدة والدول التي تبعتها) [الخليفي ، ١٤١٧هـ ، ص ٤٤٥] ، ولذلك أطلق النورسي على السجون اسم المدارس اليوسفية . وهذا ما عليه واقع السجون بالمملكة العربية السعودية الآن ، حيث حَظِيَت (ببرامج الإصلاح المتعددة ، والتي تقدمها الدولة للسجناء في سبيل إصلاحهم وإعادتهم لمجتمعهم أعضاء صالحين - بإذن الله -) [المرشدي وزميله ١٤١٧هـ ، ص ٥] .

ومن أهم تلك البرامج التي تُقَدَّم إلى السجناء من أجل إصلاحهم : (البرامج الدينية والتعليمية والثقافية ، وتشمل الوعظ والإرشاد ، وتحفيظ القرآن الكريم ، والتعليم ، والأنشطة الثقافية ، والمكتبات) [المرشدي وزميله ، ١٤١٧هـ ، ص ٣٧] .

ويرى الباحث أن هذه البرامج مهمة في تربية الجانب الروحي لدى السجناء ، وخاصة أن التربية الإسلامية تتضمن ثلاثة أساليب مهمة في التربية ، وهي : الأساليب البنائية ، ثم الأساليب الوقائية ، ثم الأساليب العلاجية ، وهذه البرامج تحقق تلك الأساليب ، وخاصة أسلوبي البناء والعلاج ، ومن أهم هذه البرامج : تحفيظ القرآن الكريم ، حيث تعتبر (أحد القواعد الأساسية التي تهدف إلى إصلاح وتقوية السجناء حتى يعودوا مواطنين صالحين لأنفسهم ولأُسَرِهم ولمجتمعهم) [المرشدي وزميله ، ١٤١٧هـ ، ص ٤١] .

ولأهمية حفظ القرآن في الإصلاح ، جاءت التوجيهات الكريمة من قادة هذه البلاد – حرسها الله من كل مكروه – ، والتي تمثلت في توجيه (خادم الحرمين الشريفين رقم ٨/١٠٧ في ١٤٠٨/٢/٧هـ ، والمتضمن إعفاء السجين – الذي يتمكن من حفظ كتاب الله الكريم غيباً أثناء فترة سجنه – من نصف المحكومية ، كما صدر أمره الكريم رقم ٢٠٨١ في ١٤١١/١١/٢٧هـ ، وقد تضمن الموافقة على توزيع حفظ كتاب الله الكريم حسب المحكومية ، وذلك بقسمة عدد الأجزاء التي يحفظها السجين على مجموع عدد أجزاء القرآن الكريم ، وضرب الناتج في نصف المحكومية بالأشهر ، ويشترط لذلك أن لا تقلّ محكومية السجين عن ستة أشهر ، وأن لا يقل حفظه عن جزئين) [المرشدي وزميله ، ١٤١٧هـ ، ص.ص ٤٢-٤٣] .

كما صدرت توجيهات صاحب السمو الملكي وزير الداخلية ، والمتمثلة (في القرار الوزاري رقم ١٤٠٥ في ١٤١٠/٣/٢٨هـ ، والمتضمن صرف حوافز للنزلاء الدراسيين بالحلقات ، تتراوح من (٢٠٠) ريال إلى (٤٠٠) ريال على كل جزء حسب الكثرة والقلة ، مع صرف مكافأة إضافية لمن يحفظ عشرة أجزاء متتابعة ، تتراوح أيضاً من (٦٠٠) ريال إلى (١٠٠٠) ريال ، على حسب الجودة في التلاوة وحسن التجويد) [المرشدي وزميله ، ١٤١٧هـ ، ص.ص ٤١-٤٢ بتصرف] .

وكما أن هناك برامج تربوية تعليمية وتثقيفية لإصلاح الأرواح ، فإن هناك برامج أخرى متنوعة لإصلاح الجسد والمحافظة على قوته ، مع التركيز على

الخبرات المهنية المتعددة (لتأهيل السجناء ، وتشمل القواعد والشروط الصحية ، والمطابع الحديثة ، والتدريب المهني ، والبرنامج الزراعي ، والنشاط الرياضي ، وبرامج إشغال الفراغ وتنمية مهارات أصحاب الهوايات والتشغيل ، ومشاركة الإدارة العامة للسجون في المعارض المحلية والدولية) [المرشدي وزميله ، ١٤١٧هـ ، ص ٥٢] .

وقد اتُّخِذت خطوة موفقة ومهمة تتمثل في (تقسيم المسجونين داخل السجن إلى فئات متشابهة الظروف من حيث الجنس والسن ، ونوع الجريمة ، ومدة العقوبة ، وعدد مرات العودة ، ونوعية تلك السوابق ، والحالة الاجتماعية والصحية والنفسية ، والقوة الجسمية والعقلية والثقافية ، وإمكانية التأهيل ، وذلك لعزل هذه الفئات عن بعض ، وتقدير المعاملة الإصلاحية المناسبة ، إذ أن كل فئة تحتاج إلى نمط خاص في التعامل والتوجيه حسب وضع النزيل ، وحتى لا يؤثر بعضهم على بعض سلباً) [المرشدي وزميله ، ١٤١٧هـ ، ص ٥٧] .

وهذا هو المتّبع عند المسلمين على مرّ العصور ، حيث (قد سبقوا غيرهم في مراعاة الفوارق بين المساجين ، فصنعوا السجون على أساس هذه الفوارق ، وقد وجد هذا التصنيف في الوقت الذي كان الغرب يُلْقون بالمحكومين في السجون من غير تمييز بينهم ، ومن دون نظر إلى أسباب سجنهم) [الخليفي ، ١٤١٧هـ ، ص ٥٧] .

وما تقوم به إدارة السجون في المملكة يعتبر فريداً من نوعه في العصر الحاضر ، وفق الله القائمين عليها إلى كل خير ، ووفق الله نزلاء السجون إلى الاستفادة من هذه البرامج الموفقة .

٦) المجتمع :

إن المجتمع المسلم هو تلك المؤسسات السابقة الذكر ، وقد عُرِف الواقع التربوي المعاصر لكل مؤسسة ، وأنها في مجملها تعاني من الضعف والتبعية لمؤسسات غربية أو شرقية ، إلا من رحمه الله منها ، وفي بعض المجتمعات دون بعض ، ولا شك أن الواقع الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية يشكوا التفكك والضياع والحرمان نتيجة الابتعاد عن المنهج الرباني السليم للتربية ، ولذلك ترى (الأسرة المسلمة دبَّ فيها الوهن ، بعدما بعدت عن أحكام الإسلام ، فالعلاقات بين الزوجين متوترة ، وعلى الأحسن فاترة ، والعلاقات بين

أفراد الأسرة الآخرين تفككت تقليداً للغرب الصليبي ، ومظاهر قطع الرحم والخصام تزيد عن مظاهر الوئام والسلام ، ومظاهر التظالم بين أفراد الأسرة الواحدة ، والتشاحن على الميراث وعلى غيره من أغراض الحياة الدنيا كثيرة وكبيرة وعميقة ، والمجتمع المسلم لم يعد جسداً واحداً ، تقطعت أوصاله وأجزاؤه على مستوى الأمة الإسلامية ، فلم تعد واحدة ، وتقطعت أوصاله وأجزاؤه داخل البلد الواحد إلى أحزاب وفرق وعصبيات ، وساد الفكر الصليبي أو الصهيوني ، أو ما يريده هذا وذاك أن يسود ، وانتفى فيه التكافل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وانهار فيه الدين ، انهار عقيدةً بين تفريط الكافرين والفاجرين والعاصين ، وإفراط المسرفين الذين ارتدوا إلى النقيض الآخر ، وانهار خُلُقاً بترك الصدق والأمانة والعفة ، وعاون على ذلك إعلام فاجر لا يرعى الله ولا الأخلاق ولا القيم ، ويحقق للصهيونية والصليبية كل ما تبغيه ، عقيدة وخلقاً وسلوكاً ، كما ساعد على ذلك تعليم تفلت أو يتفلت من قيم الإسلام ، ليعلي قيماً غير إسلامية ، وليقر مناهج غير إسلامية في مجال الطبيعيات والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، وليزري عن عمد أو عن جهل بالدين ورجاله وعلمائه ، فيزري بالتالي بقيمه وأحكامه ، وفي النهاية انهارت أحكام الإسلام ، فشاع الزنا ، وساد الربا ، وفشى الظلم ، وتعارف الناس على المنكر ، وتناهوا عن المعروف ، وتعاونوا على الإثم والعدوان) [جريشة ، ١٤٠٨هـ ، ص.ص ٨٨-٨٩] ، وهذا حال الأسرة والمجتمع الواحد ، ولكن ما هو واقع المجتمع المسلم كأمة واحدة أفراداً وجماعاتٍ وشعوباً ؟. والذي يجب أن يكون واقعاً موافقاً لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات : آية ١٠] ، وهو ما دعا إليه النورسي - رحمه الله - ، إنه واقع علاقة الشعوب الإسلامية ببعضها اليوم سيّء للغاية ، حيث (ثارت العصبيات ، وحُطِّمَت الرابطة الإسلامية والدولة الإسلامية ، وعاد الأتراك إلى التركية ، والأكراد إلى الكردية ، وفعل مثل ذلك البربر والعرب ، ثم جاءت الدعوة إلى الأوطان ، فكل قوم يعيشون على بقعة من الأرض أقاموا عصبية منتنة إلى تلك البقعة ، وقامت دعوات تدعو إلى الاعتزاز بالفرعونية والآشورية والفارسية ، وقطع الترك كثيراً من الحبال التي كانت تربطهم بالإسلام ، وأصبح العالم الإسلامي على الصورة الكئيبة التي نراها عليه اليوم) [الأشقر ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٦] .

وكما سبق الحديث أن النورسي جعل الإيمان أس حياة الأسرة والمجتمع ، فإذا فُقِد الإيمان من النفوس بسبب التربية غير الإسلامية ، فكيف يحصل الترابط بين أفراد الأسرة الواحدة ، أو بين أجزاء المجتمع الواحد ، أو بين أبناء الأمة الإسلامية قاطبة ، ولن يعود للأمة الإسلامية مكانتها وعزتها وترابطها وتآلف أفرادها وتآزرهم إلا إذا صدقت في العودة إلى المنهج الرباني السليم ، الذي تربى عليه سلفهم ، فأصبحوا قادة الدنيا وسادتها ، فتحطمت على أيديهم أمبراطوريتي كسرى وقيصر ، وأصبحت النظرة إليهم في أخذ العلوم والفنون ، فهل من عودة صادقة إلى دين الله القويم ، لنجمع به شملنا ، ونؤلف به شتاتنا ؟. عسى أن يكون ذلك قريباً ، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [سورة فاطر : آية ١٧] .

الخاتمة

من خلال الاطلاع على التراث العلمي الذي خلفه النورسي - رحمه الله تعالى - وَضُحَ فكره التربوي ذو الأفكار المتعددة والآراء المفيدة ، بداية بنظرته الإيمانية إلى حقيقة ذلك الإنسان السوي الخلقة ، الحسن الصورة ، والذي خُلِق ابتداءً من طين لازب ، ومروراً بمراحل وأطوار متعددة ، حتى أصبح إنساناً سوياً ، له لطائف مختلفة ، وأعضاء متعددة لكلٍ وظيفته ومهمته التي ركب في الجسم من أجلها ، بقصد وإرادة مع إتقان وحكمة من الخلاّق العليم ، فلا مصادفة ولا عشوائية ، بل لا طبيعة ولا أسباب قادرة على الخلق والإيجاد ، كما ادّعاه الطبيعيون وعبدة الأسباب ، وقد ميزه الله ﷻ دون غيره من المخلوقات بعقل مدرك ، وقلب نابض ، به حياة الجسم حساً ومعنى ، ثم نفخ فيه روحاً تواقةً إلى تسنم أعلى مراتب الكمال الإنساني ، كل ذلك ليقوم هذا الإنسان بوظيفته التي كُلف بها خير قيام ، إنها وظيفة الاستخلاف في الأرض ، ليقوم بعمارتها حسياً ومعنوياً عمارة حقيقية تحقق معنى العبودية الحقة لله وحده دون سواه ، ولذلك أمر الله ملائكته الكرام بالسجود لهذا الإنسان تكريماً وتشريفاً لما يحمله من مهمة عظيمة أبت من حملها السماوات والأرض والجبال .

والتربية الإسلامية الصحيحة كفيلة - بإذن الله - بتعريف هذا الإنسان بمهمته ووظيفته تلك ، وذلك بتربيته على الإيمان الحقيقي الذي يربي فيه الصدق والإخلاص والثبات على الحق صابراً محتسباً في سبيل الدعوة إلى التمسك بكتاب الله ، والسير وفق سنة رسول الله ﷺ ، مع الاهتداء بهدي السلف الصالح الذين ضربوا أروع الأمثلة في الجمع بين صحيح الدين ومفيد العلوم والفنون ، فحازوا بذلك قصب السبق ديناً ودنيا ، وسعدوا في الدنيا والآخرة ، وتربية هذه أصولها ، وتلك أهدافها ، تدعو الإنسان إلى التحلي بالإيمان ، اعتقاداً وقولاً وعملاً وسراً وعلانية ، وذلك بما هيأته من وسائل تعمل على زيادة الإيمان في النفوس ، ثم المحافظة على ثباته وقوته في القلوب والعقول ، بل معالجة نقصه وضعفه - إن حصل - ، محققة بذلك توازناً بين تربية الأرواح والأجسام .

ثم تدعو إلى إشغال العقول بالأفكار الممتزجة بنور الإيمان المنبعث من صلاح القلوب ، لتصل إلى معرفة حقائق العلوم والفنون ، من دون تقليد أو تبعية لأحد ، ومن غير تقييد أو تحجير .

كما أنها مصدر تربية الأخلاق الحسنة بين الأفراد والمجتمعات ، والنابعة من كتاب

الله وسنة رسوله ﷺ ، والتي تحقق السعادة والأمن والاحترام والإخاء والتعاون والتعاطف وكل أنواع التكاتف والتآزر بين الجميع ، داعية إلى التأسي بصاحب الخُلق العظيم – محمد ﷺ – ، حيث لم تعرف البشرية أكمل ولا أحسن منه خُلقاً ، محذرةً في نفس الوقت من الأخلاق المرذولة النابعة من قوانين البشر ، وفساد الفلسفة الأوروبية ، وشتان بين أخلاق الإسلام النابعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والثابتة والشاملة بثباتهما وشمولهما ، وبين أخلاق غير إسلامية نابعة من قوانين بشرية قائمة على تفاضل الأجناس والألوان ، قاصرة عن تحقيق ما يُصلحها ، فإصلاح غيرها من باب أولى .

والعلم هو قائد تلك التربية الإسلامية إلى تحقيق أهدافها ومقاصدها ، ولذلك اهتمت بالعلوم المفيدة ، وخاصة علوم الشريعة التي هي أساس العلوم ومعدنها وروحها ، فدعت إلى التزود من تلك العلوم مع الاستفادة مما عند الآخرين في عزة لا ذلة ، وفي استقلالية لا تبعية .

كما دعت العلماء وطلاب العلم إلى التخلق والتأدب بأخلاق العلم وآدابه ، بما في ذلك العمل بالعلم ، حتى تتفق الأقوال والأفعال دون مخالفة أو ملل أو كسل ، واقتناص الفرص ، واستخدام الوسائل المتاحة صفة تميزت بها تلك التربية ، مع حسن اختيار الطرق وتنوعها حسب المكان والزمان ونوع المخاطبين ، مراعية في ذلك الفروق الفردية لدى الأفراد والجماعات ، مع الاهتمام أيضاً بإصلاح المؤسسات التربوية ، وتأسيس مناهجها على أصول إسلامية ثابتة حتى تصل إلى الهدف المنشود من قيامها ، وحتى تتوحد الأهداف والوسائل ، ويسود الإخلاصُ الأقوالَ والأعمالَ ، فينتج من ذلك التعاون والتكاتف بين تلك المؤسسات لتصل إلى تحقيق الهدف الأسمى لخلق هذا الكائن البشري ، وهو عبادة الله عبادة كاملة شاملة ، يتحقق معها معنى الاستخلاف في الأرض .

وشخصية البحث هو ذلك المفكر التربوي الذي تناول فكره هذه الآراء والأفكار من خلال دعوته الأفراد والمجتمعات إلى اعتماد التربية الإسلامية الشاملة في التربية والتعليم ، بحيث تُبْنَى المناهج في الدول الإسلامية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وخاصة عندما رأى الكثير من أبناء الأمة الإسلامية يبتعدون شيئاً فشيئاً عن تعاليم الدين الإسلامي ، نتيجة تقليدهم الشرق والغرب في التربية والأخلاق ، حتى أصبح منهم أعداء ألداء في الداخل لهذا الدين وأهله ، تمثل ذلك في كمال أتاتورك ثم في أتباعه من العلمانيين والمستغربين إلى اليوم ، والذين لا زالوا يسيرون على نفس الخط الذي سار عليه زعيمهم ، مجانبين الحق والصواب ، ومجاملين الأعداء على حساب دينهم وأمتهم ، داعين إلى محاربة الإسلام

وأتباعه علانية دون مواربة أو خوف ، ولذلك نذر النورسي نفسه في سبيل نشر حقائق الإسلام مدافعاً عنه بسيفه تارة ، وبلسانه وقلمه تارة أخرى ، مبيناً حقيقة سعادة المتمسكين به ولو كانوا في غياهب السجون ، وتعاسة المحاربين له ، المعاندين لأبنائه ، ولو كانوا في قصور مشيدة ، ومناصب رفيعة ، ولهذا وذاك ، سُجِن وعُذّب ونُفي ، ولكنه صبر وصابر ورابط دون تكاسل أو تساهل ، حتى هيأ الله له من الأتباع ما يعدون بالملايين من أبناء بلده تركيا خاصة ، ومن بلدان إسلامية أخرى عامة ، لا زالوا يسيرون على نهجه ويقتفون أثره في التربية والتعليم ، حيث أصبحت لهم مؤسساتهم التربوية المتعددة داخل تركيا وخارجها ، فأثمرت تلك الشجرة ثماراً يانعة مفيدة ، فرحم الله من غرسها بيده ، وأسقاها من حقائق الإيمان وشرائع الإسلام ، وأسكنه فسيح جناته .

وقد خلص الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات ، من خلال تطوافه برسائل النور أو الاستعانة ببعض المصادر عند توثيق فقرات البحث وعناصره ، ومن أهمها ما يلي :

أولاً : نتائج البحث :

كل باحث لا بد من وصوله إلى نتائج لبحثه الذي خاض غماره ، وأوقف له نفسه ووقته ، وهي عبارة عن ثمار ما قطفه من فوائد ذلك البحث ، وكانت أهم نتائج هذا البحث ما يلي :

١- استمرار الصراع بين الحق والباطل والمتمثل في كيد الأعداء من اليهود والنصارى وغيرهم للإسلام والمسلمين ، وكان ذلك واضحاً في العمل على إسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية من قبل الفريقين اليهود والنصارى ، مع تعاون العملاء من الداخل .

٢- تأثر النورسي بذلك لأنه مسلم يُسَرُّ بفوز المسلمين ، ويحزن عند هزيمتهم من قِبل الأعداء ، لما لذلك من مخاطر على الدين والقيم الإسلامية والاجتماعية .

٣- تأثير الجوانب السياسية والاقتصادية والفكرية على الجوانب التربوية والتعليمية سلباً أو إيجاباً ، كما حصل ذلك عند سقوط الدولة العثمانية وتحويل تركيا إلى بلد علماني السياسة والفكر والاقتصاد والتربية ، بعيداً عن تعاليم الدين الإسلامي .

٤- المسلم ذو همة عالية وعزيمة قوية تمنعانه من الاستسلام لليأس والقنوط ، ظهر ذلك جلياً في سيرة حياة النورسي خاصة عندما سقطت الخلافة العثمانية ، واستولى الأعداء

على مقاليد الأمور في البلاد ، وأبعدوا الدين الإسلامي عن جميع مناحي الحياة ، فنهض في عزيمة قوية ونية صادقة يحارب الأعداء بفكره وقلمه موضحاً للأمة خطر البعد عن الدين الإسلامي ، وأن السعادة لا تتحقق إلا بالتمسك به .

٥- الإنسان مخلوق مكرم على غيره من المخلوقات ، زود بأجهزة عديدة ذات وظائف مهمة تمكنه من القدرة على القيام بالوظيفة التي كلف بها ، وهي الاستخلاف في الأرض ، لتحقيق العبودية الكاملة لله رب العالمين دون غيره .

٦- مهمة المربي المسلم لا تنتهي إلا عند عجزه أو وفاته ، كما هو الحال لحياة النورسي .

٧- التربية الإسلامية ذات كمال وذات شمول نابعين من كمال وشمول مصادرها : الكتاب والسنة ، تتناول جميع جوانب الحياة المختلفة ، وتهتم بجميع الأجناس والطبقات والفئات المتعددة ، كما ظهر ذلك في فكر النورسي التربوي .

٨- التربية الإيمانية ذات أساليب متعددة وجوانب مختلفة ظهرت أهميتها في الجوانب الفكرية والاجتماعية والأخلاقية في فكر النورسي .

٩- تميز الأفراد والمجتمعات الذين تربوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالأخلاق الفاضلة والسمات الاجتماعية ذات الأصالة الإسلامية على الأفراد والمجتمعات الذين تربوا على غير ذلك ممن كانت وجهتهم نحو الغرب أو الشرق يلتمسون السعادة في مناهجهم البعيدة عن الدين والقيم الأخلاقية والاجتماعية السليمة .

١٠- الاهتمام بتربية المرأة تربية إسلامية ، لأنها ذات تأثير فعال على أبنائها ، وهذا ما دعا إليه النورسي وطبقه في منهجه الفكري الإسلامي ، وعدّ الأم الأستاذ الأول في التربية والتعليم .

١١- اهتمام النورسي بتعلم وتعليم العلوم المفيدة للدنيا والآخرة ، والتركيز على العلم الشرعي الذي يوصل إلى عبادة الله وحده دون سواه ، حيث هو أس أساس العلوم ومصدرها .

١٢- للعلماء وطلاب العلم آداب يجب أن يتحلوا بها تميزهم عن غيرهم من عامة الناس ، اشتمل فكر النورسي على ذكر عدد كبير منها .

١٣- تميز فكر النورسي بالشمول وتعدد الأساليب التربوية حسب الزمان والمكان والمخاطبين ، ومراعاة الفروق الفردية بين الأفراد والجماعات .

١٤- اهتمام النورسي بالمؤسسات التربوية المختلفة والتي لها تأثير كبير في تربية أفكار الأفراد والمجتمعات ، وخاصة وسائل الإعلام المعاصرة .

١٥- تميز فكر النورسي عن غيره من المفكرين في استغلال السجون وتحويلها إلى مدارس تربوية وتعليمية ، تربي المسجونين على الإيمان والصبر والطاعة والتوبة من الذنوب ، جاعلاً أسوته وقدوته في ذلك يوسف عليه السلام عندما حول السجن إلى مدرسة إيمانية يبث فيها الإيمان ، ويثبت العقيدة في قلوب المسجونين .

ثانياً : توصيات البحث :

كان من أهم التوصيات التي رأى الباحث أن يختم بها بحثه ما يلي :

١- توجيه جهود الدارسين والباحثين في العالم الإسلامي إلى تقديم دراسات وبحوث متكاملة عن المفكرين والعلماء المسلمين في الماضي والحاضر ، لمعرفة آرائهم وأفكارهم التربوية المفيدة .

٢- التركيز على اللغة العربية في جميع الدراسات الإسلامية ، لأهمية ذلك في التربية الإسلامية ، وهذا مطلب دعا إليه شخصية البحث ، ووقف ضد المحاربين له في بلد غير عربي ، لعلمه بأهمية ذلك عند الرجوع إلى مصادر التربية الإسلامية .

٣- قيام الجامعات الإسلامية ، ومعاهد البحوث ، ودور النشر بترجمة المفيد من البحوث العلمية حول الفكر الإسلامي إلى لغات متعددة ، ليقف غير المسلمين على الدور الريادي للمفكرين المسلمين في التربية وغيرها .

٤- تخصيص بحوث علمية تهتم بالمقارنة بين آراء وأفكار المفكرين المسلمين في كل عصر ، للتعرف على مواطن القوة في الفكر الإسلامي والأسباب التي عملت على ذلك ليؤخذ بها في العصر الحاضر ، وكذلك معرفة مواطن الضعف وأسبابها لتجتنب .

٥- ترسيخ الإيمان الصحيح في نفوس الناشئة مطلب أسمى للتربية الإسلامية ، فعلى جميع المراحل التعليمية في العالم الإسلامي أن تضمن مناهجها الوسائل التي تعمل على

ترسيخه وتقويته في النفوس ، ليقوم المتعلمون بدورهم التربوي عندما يصبحوا قادة علم وتربية على أكمل وجه .

٦- الاهتمام بتدريس القرآن الكريم في جميع مراحل التعليم ، حفظاً وتلاوةً وتفسيراً ، بحيث يجعل لكل مرحلة ما يناسبها ، لأن القرآن الكريم يجب أن تبنى عليه جميع العلوم والمعارف .

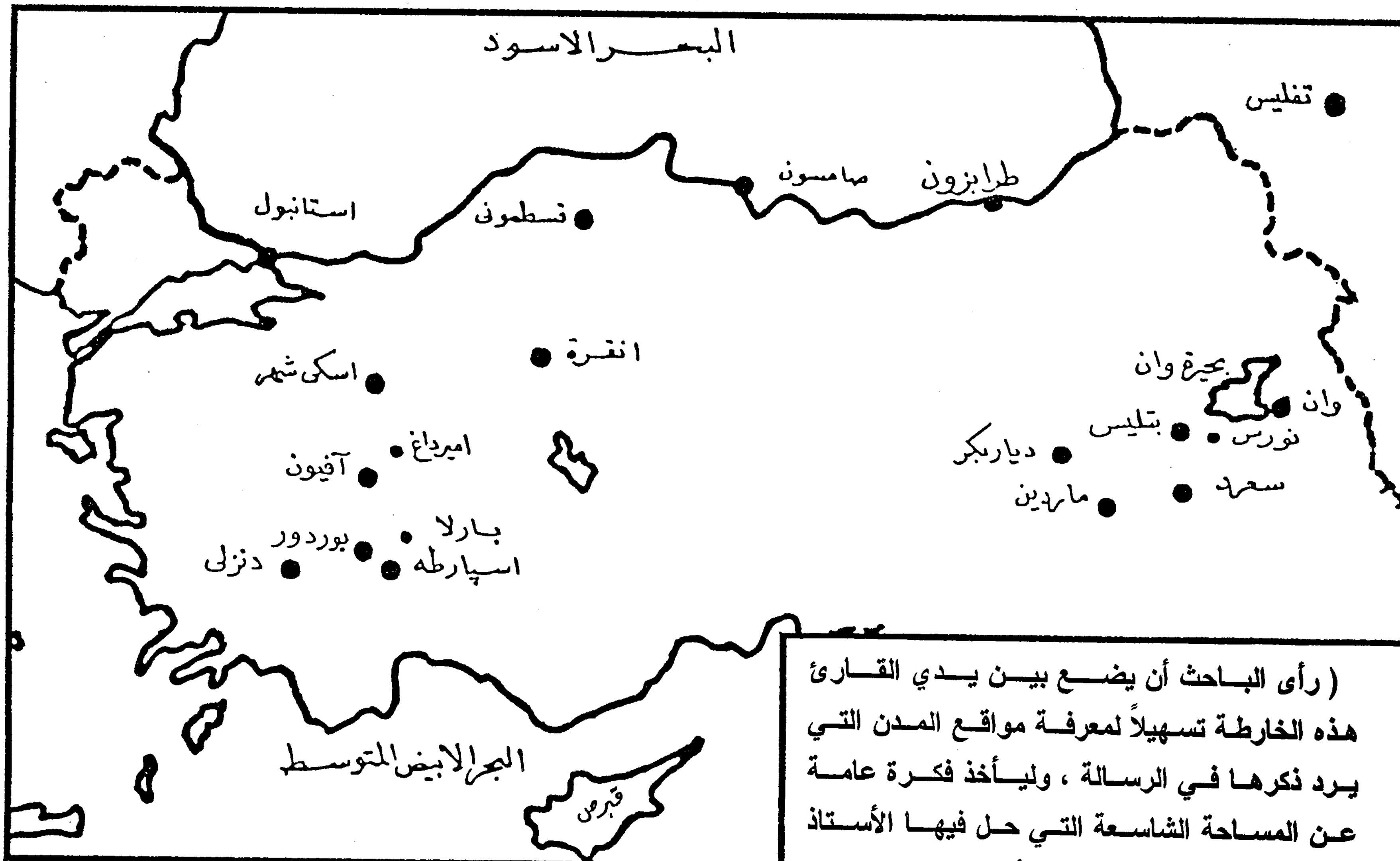
٧- على الأسر في المجتمع الإسلامي أن تعيَ الأخطار المحدقة بفلذات الأكباد ، فتسرع الخُطا إلى العودة لمزاولة وظيفتها التربوية الصحيحة نحو أبنائها ، وتتحمل مسؤوليتها في التربية والتوجيه والإرشاد والمراقبة والمتابعة ، دون تهاون أو كسل .

٨- وسائل الإعلام في الدول الإسلامية عضو مهم وفعال في مجال التربية والتعليم والتثقيف ، فا لله ا لله أن يؤتى الإسلام والمسلمون من قبله ، بما يقدم من برامج متعددة حالها اليوم يهدم لا يبني .

٩- السجون مدارس إصلاح وتوجيه وإرشاد لمن انحرفت أخلاقهم عن جادة الحق والصواب ، فيجب أن يكون دورها تربوياً علاجياً ، لا أن تكون كما هي عليه الآن في الكثير من دول العالم الإسلامي التي اتخذت شعار " أول الدواء الكي " .

١٠- المؤسسات التربوية المختلفة في المجتمع الإسلامي هي أعضاء ذلك المجتمع ، فيجب أن تتعاون وتتآزر في حسن التربية والتوجيه لأفراد المجتمع ، وأن تكون جميعاً أعضاء نافعة لجسم ذلك المجتمع ، إذا اشتكى أحدها « تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » [أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، ج٤ ، ص ١٥٨٧ ، برقم ٢٥٨٦] .

وختاماً أسأل ا لله الصواب والسداد في القول والعمل ، إنه سميع قريب مجيب ، والحمد لله رب العالمين .



(رأى الباحث أن يضع بين يدي القارئ هذه الخارطة تسهيلاً لمعرفة مواقع المدن التي يرد ذكرها في الرسالة ، وليأخذ فكرة عامة عن المساحة الشاسعة التي حل فيها الأستاذ النورسي طوال حياته الحافلة بالأحداث) .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

١ القرآن الكريم .

٢ آل الشيخ ، عبد الرحمن بن حسن ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، ط٨ ، دار الإفتاء السعودية ، الرياض ، سنة ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٦م .

٣ الآنسي ، عبد الله علي ، وزميله ، مشكلات وقضايا تربوية معاصرة ، ط١ ، دار الثقافة للطباعة ، مكة المكرمة ، سنة ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

٤ ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب / عبد الرحمن بن قاسم ، ط١ ، مطابع الرياض ، الرياض ، سنة ١٣٨١هـ .

٥ ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، العبودية ، ط٦ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٦ ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، الإيمان ، مكتبة أنصار السنة المحمدية ، القاهرة ، د.ت .

٧ ابن جماعة ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله ، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، ط٢ ، بيروت ، سنة ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٧م ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار .

٨ ابن سحنون ، أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد سحنون ، آداب المعلمين ، ط٣ ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، سنة ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م .

٩ ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن محمد ، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحملة ، ط٢ ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، سنة ١٤٠٢هـ .

١٠ ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، سنة ١٤١٥هـ ، تحقيق عبد السلام هارون .

١١ ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م .

١٢ ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، تحفة المودود بأحكام المولود ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

١٣ ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، الروح ، ط١ ، دار ابن كثير ، دمشق ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

١٤ ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ، ومنشور ولاية العلم والإرادة ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، د.ت .

١٥ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٣٨٩هـ ، ١٩٧٠م .

١٦ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٣٧٥هـ ، ١٩٥٦م .

١٧ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داود ، ط١ ، دار الحديث ، حمص ، سنة ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م ، إعداد وتعليق عزت الدعاس وعادل السيد .

١٨ أبو العتاهية ، إسماعيل بن القاسم ، أشعاره وأخباره ، مطبعة جامعة دمشق ، سنة ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٥م ، تحقيق شكري فيصل .

١٩ أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبد الله بن سليمان الضرير ، اللزوميات ، ديوان شعره ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، سنة ١٩٢٤م .

٢٠ أبو غدة ، عبد الفتاح ، قيمة الزمن عند العلماء ، ط٦ ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، سنة ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

٢١ الاتحاد الأممي للمجامع العلمية ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، عن الكتب الستة ، وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ، ومسند أحمد بن حنبل ، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ، ونشره الدكتور/ أ.ي ، وِنْسِنْك ، مكتبة بريل ، ليدن ، هولندا ، سنة ١٩٣٦م .

٢٢ الأشقر ، عمر سليمان ، كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد ، ط١ ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، سنة ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

٢٣ الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

٢٤ الألباني ، محمد ناصر الدين ، التوسل ، أنواعه وأحكامه ، ط٢ ، الدار السلفية ، الكويت ، سنة ١٤٠٠هـ .

٢٥ **الألباني** ، محمد ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ط٤ ، **المكتب الإسلامي** ، بيروت ، سنة ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

٢٦ **أيوب** ، حسن ، السلوك الاجتماعي في الإسلام ، **دار الندوة الجديدة** ، **بيروت** ، د.ت .

٢٧ **البار** ، محمد علي ، عمل المرأة في الميزان ، ط١ ، **دار المسلم للنشر والتوزيع** ، **الرياض** ، سنة ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

٢٨ **الباني** ، عبد الرحمن ، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، ط٢ ، **المكتب الإسلامي** ، سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

٢٩ **البخاري** ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، صحيح البخاري ، دار القلم ، بيروت ، سنة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٣٠ **البرقوقي** ، عبد الرحمن ، شرح ديوان المتنبي ، ط٢ ، **المكتبة التجارية الكبرى** ، **مصر** ، سنة ١٣٥٧هـ ، ١٩٣٨م .

٣١ **البغوي** ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفرّاء ، مصابيح السنة ، ط١ ، **دار المعرفة** للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، سنة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٣٢ **بوشاب** ، إدواردر ، التربية في اليابان المعاصرة ، مكتب التربية العربي **لدول الخليج** ، **الرياض** ، سنة ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٥م ، ترجمة وتعليق محمد عبد العليم مرسي .

٣٣ **التوم** ، بشير حاج ، السبيل إلى بناء فكر تربوي إسلامي لدى المعلم ، **معهد** البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، **مكة المكرمة** ، سنة ١٤١٢هـ .

٣٤ **جابر** ، جابر عبد الحميد ، وزميله ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط٢ ، **دار النهضة العربية** ، مصر ، سنة ١٩٧٨م .

٣٥ **الجرجاني** ، الشريف علي بن محمد ، كتاب التعريفات ، ط١ ، **دار الكتب العلمية** ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

٣٦ **جريشة** ، علي ، الإيمان الحق شهادة وعقيدة وعبادة ، ط١ ، **دار المجتمع للنشر والتوزيع** ، جدة ، سنة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٣٧ **جريشة** ، علي ، حاضر العالم الإسلامي ، ط٣ ، دار المجتمع **للنشر والتوزيع** ، **جدة** ، سنة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

٣٨ **الجزائري** ، أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير ، وبهامشه نهر الخير **على أيسر التفاسير** ، ط١ ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

٣٩ الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

٤٠ الحجاجي ، حسن بن علي ، الفكر التربوي عند ابن القيم ، ط١ ، دار حافظ للنشر والتوزيع ، جدة ، سنة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

٤١ حسن ، السيد الشحات أحمد ، دراسات في الفكر التربوي الإسلامي ، ط١ ، دار إحياء التراث الإسلامي ، المدينة المنورة ، سنة ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

٤٢ الحطيئة ، جرول بن أوس بن مالك ، ديوان الحطيئة ، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م ، شرح وتقديم عمر فاروق الطباع .

٤٣ الخُشت ، محمد عثمان ، فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة ، سنة ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

٤٤ الخليفي ، عبد الرحمن بن سليمان ، الدعوة إلى الله في السجون في ضوء الكتاب والسنة ، ط١ ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، سنة ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

٤٥ الدباغ ، أديب إبراهيم ، سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان ، ط١ ، دار الوثائق ، الكويت ، سنة ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

٤٦ الدباغ ، أديب إبراهيم ، مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي ، ط١ ، مركز الكتاب للنشر ، مصر ، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

٤٧ الزبيدي ، السيد محمد مرتضى ، تاج العروس ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، سنة ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٦م .

٤٨ الزبيدي ، زين الدين أحمد بن عبد اللطيف ، مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح ، ط١ ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، سنة ١٤١٣هـ .

٤٩ الزحيلي ، محمد ، الإسلام في الماضي والحاضر ، ط١ ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

٥٠ الزحيلي ، محمد ، التكريم الإلهي للإنسان ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت ، ودار البشير ، جدة ، سنة ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

٥١ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط٢ ، د.ن ، د.ت .

٥٢ **زغلول** ، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني ، موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

٥٣ **سرحان** ، منير المرسي ، في اجتماعيات التربية ، ط٣ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٨١م .

٥٤ **الشافعي** ، أبو عبد الله محمد بن إدريس ، ديوان الإمام الشافعي ، ط٣ ، مكتبة المعرفة ، حمص ، ودار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، سنة ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٤م . جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي .

٥٥ **شاكر** ، محمود ، التاريخ الإسلامي ، العهد العثماني ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، سنة ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

٥٦ **شامي** ، يحيى ، حافظ إبراهيم ، حياته ، شعره ، ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، سنة ١٩٩٥م .

٥٧ **شاهين** ، نجم الدين آر ، ذكريات عن سعيد النورسي ، مركز الكتاب للنشر ، مصر ، سنة ١٩٧٧م .

٥٨ **الشناوي** ، عبد العزيز محمد ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٨٣م .

٥٩ **الشوكاني** ، محمد بن علي ، فتح القدير ، الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير ، ط٢ ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، سنة ١٣٨٣هـ ، ١٩٦٤م .

٦٠ **الشيباني** ، أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، لعلي بن حسام الدين الشهير بالمتقي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

٦١ **الشيخ** ، عبد الله بن وكيل ، المرأة وكيد الأعداء ، دار الوطن للنشر ، سنة ١٤١١هـ .

٦٢ **الصالحي** ، إحسان قاسم ، بديع الزمان سعيد النورسي ، نظرة عامة عن حياته وآثاره ، ط٢ ، دار سوزلر للطباعة والنشر ، استانبول ، سنة ١٩٨٧م .

٦٣ **صوفي** ، عبد القادر محمد عطا ، الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات ، والردّ عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، مكتبة الغرباء ، المدينة المنورة ، سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

٦٤ الطنطاوي ، منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

٦٥ طوران ، مصطفى ، أسرار الانقلاب العثماني ، ط٤ ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، ترجمة كمال خوجة .

٦٦ الطويرقي ، عبد الله مسعود ، الإعلام وثقافة المجتمع الجماهيري ، ط١ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

٦٧ عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، بحاشية المصحف الشريف ، ط٢ ، دار الحديث ، القاهرة ، سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .

٦٨ عبد الحميد ، محسن ، النورسي متكلم العصر ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

٦٩ عبد الحميد ، محمد حرب ، مذكرات السلطان عبد الحميد ، دار الأنصار ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨م .

٧٠ عبد الله ، عبد الرحمن صالح ، وزميله ، المرشد في كتابة الأبحاث ، ط٦ ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، جدة ، سنة ١٤١٠/١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

٧١ عبد ربه ، نبيه زكريا ، الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيوعية ، ط١ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، قطر ، الدوحة ، سنة ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

٧٢ العبدة ، محمد ، وزميله ، الصوفية ، نشأتها وتطورها ، ط٣ ، دار الأرقم ، برمنجهام ، بريطانيا ، سنة ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

٧٣ العثيمين ، محمد بن صالح ، فتح رب البرية بتلخيص الحموية ، ط٦ ، الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، سنة ١٤١٧هـ .

٧٤ العثيمين ، محمد بن صالح ، التوسل ، حكمه وأقسامه ، ط١ ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، جمع وإعداد علي بن حسين أبو لوز .

٧٥ عطوي ، فوزي ، أحمد شوقي ، شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ ، ط١ ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٨٩م .

٧٦ العقل ، ناصر بن عبد الكريم ، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية ، كلية الشريعة بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، سنة ١٣٩٣/١٣٩٤هـ .

٧٧ **علوان** ، عبد الله ناصح ، حين يجد المؤمن حلاوة الإيمان ، ط٧ ، **دار المجتمع للنشر والتوزيع** ، جدة ، سنة ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

٧٨ **علي** ، أورخان محمد ، سعيد النورسي رجل القدر ، ط١ ، **شركة النسل للطباعة** ، **استانبول** ، سنة ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

٧٩ **العودة** ، سليمان بن فهد ، سبعة أسباب لوقاية المرأة المسلمة ، ط١ ، **دار المسلم للنشر والتوزيع** ، الرياض ، سنة ١٤١٣هـ .

٨٠ **عوض** ، محمد زكي ، أطفالنا والتربية ، ط١ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، **جدة** ، سنة ١٣٨٩هـ ، ١٩٧٠م .

٨١ **عيسى** ، كمال محمد ، كلمات في الأخلاق الإسلامية ، ط١ ، **دار المجتمع للنشر والتوزيع** ، جدة ، سنة ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م .

٨٢ **الغزالي** ، أبو حامد محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين ، دار **المعرفة للطباعة والنشر** ، **بيروت** ، د.ت .

٨٣ **الغزالي** ، محمد ، خلق المسلم ، ط٨ ، دار الكتب الحديثة ، **القاهرة** ، **سنة** ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .

٨٤ **الفاروقي** ، إسماعيل راجي ، أسلمة المعرفة ، ط١ ، دار **البحوث العلمية** ، **الكويت** ، **سنة** ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

٨٥ **فتح الله** ، عبد الغني شحاتة ، رسالة إلى فتاة الإسلام ، ط٢ ، **دار التقوى للنشر والتوزيع** ، بلبيس ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

٨٦ **الفرزدق** ، همام بن غالب بن صعصعة ، ديوان الفرزدق ، دار **بيروت للطباعة والنشر** ، بيروت ، سنة ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

٨٧ **الفيروز** آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ط٢ ، **مؤسسة الرسالة** ، بيروت ، سنة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٨٨ **الفيومي** ، أحمد بن محمد بن علي المقري ، المصباح المنير ، ط١ ، **دار الكتب العلمية** ، بيروت ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

٨٩ **قادري** ، عبد الله بن أحمد ، دور المسجد في التربية ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، **جدة** ، سنة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٩٠ **قاسم** ، أسيد إحسان ، ذكريات عن سعيد النورسي ، **مركز الكتاب للنشر** ، **مصر** ، سنة ١٩٩٧م .

٩١ **القحطاني** ، سعيد بن علي بن وهف ، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ، ط١ ، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان ، الرياض ، سنة ١٤١٥هـ .

٩٢ **القرني** ، عوض بن محمد ، الحداثة في ميزان الإسلام ، ط٢ ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، سنة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

٩٣ **القزاز** ، محمد سعد ، وزميله ، المبادئ العامة للتربية ، ط٣ ، دار المعراج الدولية للنشر ، سنة ١٤١٦هـ .

٩٤ **القشيري** ، الإمام مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ط١ ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، سنة ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

٩٥ **قطب** ، سيد ، في ظلال القرآن ، ط١٠ ، دار الشروق ، بيروت ، سنة ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

٩٦ **قطب** ، محمد ، منهج التربية الإسلامية ، ط٧ ، دار الشروق ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

٩٧ **قطب** ، محمد ، واقعنا المعاصر ، ط١ ، مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة ، سنة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٩٨ **قطب** ، محمد ، لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة ، ط١ ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، سنة ١٤١٣هـ .

٩٩ **قطب** ، محمد علي ، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، سنة ١٩٨٣م .

١٠٠ **الكيلاني** ، ماجد عرسان ، أهداف التربية الإسلامية ، ط٢ ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، سنة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

١٠١ **الكيلاني** ، ماجد عرسان ، فلسفة التربية الإسلامية ، ط٢ ، مكتبة هادي ، مكة المكرمة ، سنة ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م .

١٠٢ **المبارك** ، محمد ، بين الثقافتين الغربية والإسلامية ، دار الفكر ، د.ت .

١٠٣ المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، ط٢ ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م .

١٠٤ **مجمع اللغة العربية** ، المعجم الوسيط ، ط٢ ، دار الفكر ، القاهرة ، د.ت .

١٠٥ **محمد** ، سمير رجب ، الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي ، رسالة دكتوراه ، تقدم بها إلى كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة ، سنة ١٩٨٤م ، بعنوان الفكر الأدبي والديني عند الشيخ سعيد النورسي ، ونشرت عام ١٩٨٦م .

١٠٦ محمد ، محمد سيد ، المسؤولية الإعلامية في الإسلام ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ، سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

١٠٧ محمد ، مصطفى ، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، ط١ ، ألمانيا الغربية ، سنة ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

١٠٨ مدني ، عباسي ، مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية ، ط٢ ، مكتبة دار المنار ، مكة المكرمة ، سنة ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

١٠٩ مرسي ، محمد عبد العليم ، نزيف العقول البشرية ، ط١ ، دار عالم الكتب ، الرياض ، سنة ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

١١٠ مرسي ، محمد عبد العليم ، المعلم والمناهج وطرق التدريس ، ط١ ، دار عالم الكتب ، الرياض ، سنة ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

١١١ مرسي ، محمد عبد العليم ، التربية ومشكلات المجتمع في دول الخليج العربية ، مشكلة العمالة الأجنبية ، معالجة إسلامية ، دار عالم الكتب ، الرياض ، سنة ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

١١٢ مرسي ، محمد عبد العليم ، التغريب في التعليم في العالم الإسلامي ، إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، سنة ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م .

١١٣ المرشدي ، علوش راشد ، وزميله ، الإيضاح لبرامج الرعاية والإصلاح بالسجون ، الإدارة العامة للسجون ، الرياض ، سنة ١٤١٧هـ .

١١٤ مشهور ، مصطفى ، زاد على الطريق ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، سنة ١٣٨١هـ .

١١٥ مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ، البحرين ، خلال الفترة ٣-٦/٦/١٤٠٥هـ ، ٢٢-٢٥/٢/١٩٨٥م .

١١٦ مكتب التربية العربي لدول الخليج ، من أعلام التربية العربية الإسلامية ، سنة ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م .

١١٧ الملازكردي ، محمد زاهد ، عُجالة مقتطفة من أقلام أفاضل العلماء والدكاترة في حياة الإمام الجليل بديع الزمان سعيد النورسي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

١١٨ المنذري ، عبد العظيم بن عبد القوي زكي الدين ، مختصر صحيح مسلم ، ط١ ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، الرياض ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

١١٩ موسى ، محمد بن حسن بن عقيل ، الهِمّة طريق إلى القمة ، ط٢ ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، جدة ، سنة ١٤١٤هـ .

١٢٠ الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، غزو في الصميم ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، سنة ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

١٢١ ميري ، هوايت ، التربية والتحدي ، التجربة اليابانية ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، سنة ١٩٩١م ، عرض وتعليق سعد موسى أحمد ، وزميله .

١٢٢ الميمني ، عبد العزيز ، الطرائف الأدبية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٣٧م .

١٢٣ النحلاوي ، عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، ط٢ ، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

١٢٤ النحلاوي ، عبد الرحمن ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ومكتبة أسامة ، الرياض ، سنة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

١٢٥ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ط٢ ، الناشر نفس الندوة ، الرياض ، سنة ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

١٢٦ الندوي ، أبو الحسن علي الحسني ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ط١٣ ، دار القلم ، الكويت ، سنة ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

١٢٧ النورسي ، بديع الزمان سعيد ، الخطبة الشامية ، دار سوزلر ، استانبول ، سنة ١٤٠٩هـ ، ترجمة وتحقيق إحسان قاسم الصالحي .

١٢٨ النورسي ، بديع الزمان سعيد ، الكلمات ، ط٢ ، دار سوزلر للنشر ، فرع القاهرة ، سنة ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي .

١٢٩ النورسي ، بديع الزمان سعيد ، اللمعات ، ط٢ ، دار سوزلر للنشر ، فرع القاهرة ، سنة ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي .

١٣٠ النورسي ، بديع الزمان سعيد ، المكتوبات ، ط٢ ، دار سوزلر للنشر ، فرع القاهرة ، سنة ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي .

١٣١ النورسي ، بديع الزمان سعيد ، الوحدة الإسلامية ، ط١ ، دار الاتحاد للنشر والتوزيع ، استانبول ، سنة ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

١٣٢ النورسي ، بديع الزمان سعيد ، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، ط٢ ، دار سوزلر ، للنشر والتوزيع ، فرع القاهرة ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي .

١٣٣ النورسي ، بديع الزمان سعيد ، الشعاعات ، ط٢ ، دار سوزلر للنشر ، فرع القاهرة ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٨٣م ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي .

١٣٤ النورسي ، بديع الزمان سعيد ، المثنوي العربي النوري ، ط١ ، دار سوزلر للنشر ، فرع القاهرة ، سنة ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي .

١٣٥ النورسي ، بديع الزمان سعيد ، الملاحق في فقه دعوة النور ، ط٢ ، دار سوزلر ، فرع القاهرة ، سنة ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي .

١٣٦ النورسي ، بديع الزمان سعيد ، الصيقل الإسلامي ، د.م ، د.ت .

١٣٧ النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٣٩٢هـ .

١٣٨ النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، رياض الصالحين ، ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، سنة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

١٣٩ النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، د.ت .

١٤٠ وزارة المعارف ، سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ، ط٤ ، سنة ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

١٤١ الوكيل ، محمد السيد ، استمرارية الدعوة ، نماذج من الدعاة من القرن السابع إلى القرن الرابع عشر ، ط١ ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

١٤٢ يالجن ، مقداد ، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، مصر ، سنة ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٣م .

١٤٣ يالجن ، مقداد ، التربية الأخلاقية الإسلامية ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، مصر ، سنة ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م .

١٤٤ يالجن ، مقداد ، أهداف التربية الإسلامية وغاياتها ، ط١ ، مطابع القصيم ، الرياض ، سنة ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

١٤٥ يالجن ، مقداد ، فلسفة الحياة الروحية ، ط٢ ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ، سنة ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .

١٤٦ **ياجن** ، مقداد ، معالم بنـاء نظريـة التربيـة الإسـلامية ، ط٢ ، دار عـالم الكتـب ، الرياض ، سنة ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

١٤٧ **يعقوب** ، إميل ، معجم لآلئ الشعر ، دار المؤلف ، بيروت ، سنة ١٩٩٦م .

ثانياً : المجلات والدوريات :

١ **مجلة البيـان** ، إسـلامية شـهرية جامعـة ، تصـدر عـن المنتـدى الإسـلامي بلنـدن ، بريطانيا ، عدد ٩٨ ، شوال ١٤١٦هـ ، فبراير/مارس ١٩٩٦م ، ص٨٨ .

٢ **مجلة البيـان** ، إسـلامية شـهرية جامعـة ، تصـدر عـن المنتـدى الإسـلامي بلنـدن ، بريطانيا ، عدد ١٢٤ ، ذو الحجة ١٤١٨هـ/ إبريل ١٩٩٨م ، ص٨٦ .

٣ **مجلة المجتمع** ، إسلامية أسبوعية ، تصـدر عـن جمعيـة الإصـلاح الاجتمـاعي ، الكويـت ، عـدد ١٢٤٢ في ٩/١١/١٤١٧هـ الموافـق ١٨/٣/١٩٩٧م ص.ص٣٤-٣٥ .

٤ **مجلة المجتمع** ، إسلامية أسبوعية ، تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتمـاعي ، الكويـت ، عدد ١٢٦٥ في ٢٩/٤/١٤١٨هـ الموافق ٢/٩/١٩٩٧م . ص٩ .

٥ **مجلة المجتمع** ، إسلامية أسبوعية ، تصـدر عـن جمعيـة الإصـلاح الاجتمـاعي ، الكويـت ، عـدد ١٢٦٥ في ٢٩/٤/١٤١٨هـ الموافـق ٢/٩/١٩٩٧م . ص.ص ٥٠-٥١ .

٦ **مجلة المجتمع** ، إسلامية أسبوعية ، تصـدر عـن جمعيـة الإصـلاح الاجتمـاعي ، الكويت ، عدد ١٢٦٧ في ١٤/٥/١٤١٨هـ الموافق ١٦/٩/١٩٩٧م ، ص٤٨ .

٧ **مجلة المعرفة** ، شهرية تصدر عن وزارة المعارف بالمملكة العربيـة السعودية ، الرياض ، عدد ١ ، في رجب ١٤١٧هـ الموافق نوفمبر ١٩٩٦م . ص.ص١٣٤-١٣٥ .

٨ **مجلة المعرفة** ، شهرية تصدر عن وزارة المعارف بالمملكة العربيـة السعودية ، الرياض ، عدد ٢٨ ، في رجب ١٤١٨هـ الموافق نوفمبر ١٩٩٧م . ص.ص١٨٧ .